

محمد رضا عبد الله

من أين أتى هذا الولد؟

رواية



سبارك للنشر والتوزيع

fb.com/Sa7er.Elkotob/

محمد رضا عبد الله

من أين أتى
هذا الولد؟
رواية

سبارك للنشر والتوزيع

إهداء وشكر

إلى الدكتور (سند راشد)

شكرا على الاهتمام والتشجيع طوال مدة كتابتي لهذه الرواية الطويلة.. مكالمتك كانت
حافزا قويا لي.. لم أتخيل يوما أن أكتب رواية بهذا الحجم.
كنت تحمسنني وأنت لا تعلم فكرة الرواية حتى..
ولكن ثقتك في قلمي كانت هي ضمانك الوحيد.
ها هي رواية (من أين أتى هذا الولد؟) بين يديك..
أتمنى أن تنال إعجابك.
وتؤكد ثقتك في قلمي..
وثقة قرائي الأعزاء.

جزيل الشكر
للدكتورة / مروة المدنى
على المراجعة الطبية

(1)

أنت تقرأ الآن السطور الأولى من رواية لا تعلم إن كانت ستعجبك أم لا.. وربما كنت من القراء الذين يعتمدون على تلك السطور الأولى أو الفصل الأول ليحدد بعده إن كان سيكمل القراءة أم سيضع الرواية على الرف ويبحث عن أخرى غيرها. إذن فمهمتي عسيرة نوعاً.. لا بد أن أكتب شيئاً مثيراً يدفعك دفعا لمواصلة القراءة وفي نفس الوقت ليمنعك من ترك هذه الرواية للأبد على الرف إياه.. رف الروايات والكتب الموجهة التي خططت لقراءتها ولم يأت دورها بعد.. وربما لن يأت أبداً فهناك دائماً الجديد والمثير الذي يأخذ دوره في القراءة قبل القديم والممل مما يحمله هذا الرف.

من أين أبدأ الرواية؟

أتكلم عن الحيرة الشديدة التي تجتاحني حينما أريد أن أقص شيئاً.. فكل حدث له تاريخ قبله أدى إلى هذا الحدث الغريب الذي نحن بصددده. ولو تحدثنا عن هذا التاريخ فربما بدت الرواية مملة ولن تكمل قراءتها وبالتالي لن تصل للحدث الذي نريد التركيز عليه.

المشكلة هنا أنه ليس حدث مهم واحد.. بل أحداث مهمة كثيرة سريعة متلاحقة تحبس أنفاسك من فرط الإثارة.. لن تستطيع ترك الرواية لبرهة قبل أن تكملها للنهاية.. ستبحث عن حجج مقنعة تذكرها لمن ينتظرون قدومك على مائدة الطعام أو في قاعة الاجتماع.. في سبيل عدم التخلي عن قراءة هذه الرواية وإنهائها.

يمكن أن أخبرك أيضاً أن نهاية هذه الرواية محيرة كبدايتها بالضبط.. نفس الحيرة التي تجتاحني الآن وأنا أكتب البداية هي نفس الحيرة التي شعرت بها وأنا أفكر في النهاية.. إن كنا سنعتبرها نهاية حقاً ولا أحداث أخرى بعدها.. إن التاريخ الذي يسبق أحداث الرواية مهم

جدا كأهمية مستقبل أبطال الرواية بعد الانتهاء من قراءتها.. ستفهم كل شيء عندما تصل للسطر الأخير من الصفحة الأخيرة.. قد يدور في ذهنك الآن سؤال: هل تعنى أن نهاية الرواية مفتوحة؟ لا.. لم أقل هذا.. ولكن من يستطيع القول أن هناك نهاية تختتم أى قصة بالكامل؟ هل تعتقد أن زواج البطل من البطلة هو النهاية المثالية لأى قصة؟ وماذا بعد زواجهما ألا توجد قصة أخرى؟ عشرات القصص؟ وهل لكل هذه القصص نهايات سعيدة؟ أم أن هناك نهاية مفتوحة؟ من قال أيضا أن موت الشرير فى القصة هى أفضل نهاية ولا حديث بعد ذلك؟ أليس للشرير ابن قد ينتقم فى جزء تالٍ من الرواية؟ إذن هل نعتبرها نهاية مفتوحة أم لا؟ أليس للشرير عصابة أو أصدقاء قد يفكرون فى الانتقام أيضا؟ وهكذا تتوالى الأجزاء الكثيرة من سلاسل الأفلام البوليسية فى هوليوود.

من قال أن نهاية العالم هى نهاية كل شيء؟ ألا توجد حياة أخرى بعد هذا العالم نحاسب فيها على ما فعلناه فى هذه الدنيا؟

أتصور أن البعض قد بدأ يتذمر الآن ويطالبنى بعدم التفلسف والعودة لموضوع الرواية و الحديث عن النهاية بمفهومها الأدبى دون الخوض فى أى مفاهيم أخرى.

حسنًا.. مثال للنهاية السعيدة فى كثير من الروايات هو تحقيق البطل لهدفه الذى عانى من أجله الكثير.. أيا كان ذلك الهدف.. لذا نعتبر الزواج هو النهاية السعيدة للبطلين لأنهما ظلا طوال الرواية يدافعان عن هبهما ضد أى معوقات.. أما موتهما أو موت أحدهما لأى سبب هو النهاية الحزينة لمثل هذا النوع من الروايات الرومانسية.. أما النهاية المفتوحة هى أن أجعل البطلان فى مواجهة مصير غامض لا يعلم القارئ ماذا حدث لهما.. هل تزوجا؟ هل ماتا؟ لا أحد يعلم.

مثال آخر للنهايات المفتوحة.. البطل يقف أمام الشرير فى مواجهة مصيرية وكل منهما يصوب سلاحه للآخر وفجأة تنتهى الرواية.. ماذا حدث يا أستاذ؟ أين بقية الرواية؟ من قتل من؟ أم قتل بعضهما؟ أما المؤلف فيلتزم الصمت ويترك النهاية لخيال القارئ.. فإن كان القارئ العزيز يحب النهايات السعيدة فسيتخيل أن البطل الطيب هو الذى عاش وانتصر.. أما لو كان القارئ ذو ميول عدوانية سيتخيل أن الشرير هو الفائز فى الجولة الأخيرة.. وستظل ضحكاته تتردد للأبد.

ماذا عن تيمة البحث عن المنزل؟.. البطل ضلّ الطريق وظلّ طوال الرواية يبحث عن وطنه وفى نهاية الأحداث يجد من يعرض عليه توصيله إلى منزله وفجأة تنتهى الرواية.. هل وصل البطل حقا لبلده؟ أم أن هذا السائق لص أو سفاح يريد أن يسلبه ماله أو حياته؟ تلك هى

الحيرة المنشودة التي يرغب المؤلف في تحقيقها من هذه النهايات المفتوحة!
تيمة " السر يظل مدفوناً للأبد " .. البطل يجتمع بأفراد أسرته.. (سأخبركم بالحقيقة
التي أردتم معرفتها) .. انظروا طويلاً أنتم والقراء الأعزاء طوال أكثر من خمسمائة صفحة
لتعرفونها.. حسناً سأخبركم بها قبل أن ألفظ أنفاسي الأخيرة.. أوح أوووح.. يا للسعال
للعين.. كوب ماء بسرعة.. جلوب جلوب.. شكراً لكم.. أم.. كنت سأموت قبل أن أفشى السر..
الحمد لله.. مازال في العمر بقية لأخبركم به.. أنتم طيبون ورائعون للغاية وتستحقون معرفة
الحقيقة.. لا تتذمروا.. سأخبركم الآن.. إن ثروتى... أأأأ...) طبعاً أنتم تعلمون جيداً أنه لفظ
نفسه الأخير عندما قال (ثروتى) .. هذه النهاية مستفزة لأبعد مدى!

إن النهاية مهمة في أي رواية.. قد تكون نهاية شيقة مثيرة تجعلك تتغاضى عن عيوب كثيرة
بالرواية! وقد تكون سيئة فتفسد جمال الرواية تماماً.

كم من رواية شعرنا أنها سيئة بسبب نهايتها البغيضة!.. لذا فالنهاية مهمة جداً.. كأهمية
التوابل التي تعطى مذاقاً جديداً لذيذاً للطبخة.. تجعلك مستمتعاً بكل ملعقة فيها.. أما المذاق
السيء يجعلك تكره الطبخة والطعام والطاهى والمطعم نفسه.

لكن لا يمكننا فهم النهاية دون قراءة الرواية بالكامل لذا لا تحاول أن تتجاوز الصفحات
وتقفز للفصل الأخير وتقرأه وتحرق الأحداث لنفسك.. لن تستفيد الكثير.. بل لن تستفيد
شيئاً.. فالمتعة في متابعة الأحداث نفسها.. كأن تقرأ نهاية رواية بوليسية وتعرف أن (البواب هو
القاتل)!!.. هل استفدت شيئاً من هذه المعلومة؟ هل شعرت بأى إثارة أو متعة نتيجة معرفتها؟..
بالتأكيد لا.. لكن لو كنت قد قرأت الرواية بالكامل وحاولت تخمين الجانى و وضعت جميع
الأبطال فى دائرة الاشتباه عدا البواب.. الذى لم يخطر ببالك قط.. ستعرف حينها أن هذه
النهاية رائعة تتحدى ذكائك.

أو نقول مثلاً أن الجانى هو (خالد) .. هل فهمت شيئاً؟ أو قولنا بأن الرواية انتهت بزواج
(أحمد) من (سعاد)؟ هل تراها نهاية رائعة؟ إذن قراءة الرواية مهمة لتعرف لماذا كان
زواجهما يمثل هذه الروعة.. ماذا لو أن النهاية مثيرة فى حد ذاتها؟.. كأن تقرأ فى نهاية
رواية ما أن أم تدفن أطفالها بنفسها دون أن تخبر أحداً بمكان الدفن وعندما يسألونها عنهم
لا تخبرهم بأى شيء!!.. هل ترى هذه النهاية مثيرة تدفعك لقراءة رواية مثلاً؟ حسناً.. هذه
هى نهاية روايتنا بالفعل.

لا لم أحرق شيئاً من أحداثها.. أنا فقط استخدمت أسلوب Flash forward التشويقي.. أن
أذكر حدثاً مستقبلياً يشوقك لقراءة الرواية..

لماذا فعلت ذلك؟ البداية مملة وتحتاج هذا الأسلوب؟ لا..
الحقيقة أننى أرغب فى بداية هادئة للرواية لأن جميع الأحداث التالية ستكون عصبية..
لذا لم لا نجرب البداية الهادئة طالما أننا قد ذكرنا النهاية المثيرة سلفاً؟ لنر.. هل هناك أفضل
من أغنية أطفال جميلة نستهل بها روايتنا الحافلة بالكثير من التشويق والإثارة؟

ماما زمانها جاية

جاية بعد شوية

جايبة لعب وحاجات

جايبة معاها شنطة

فيها وزه وبطة

بتقول واك واك واك

عارف الواد اللي اسمه عادل

جه الدكتور وعمل له ايه؟

لقى رجله كانوا زى الفتلة

بص شوية جوة عنيه

راح مديله حقنة كبيرة

عارف إداله الحقنة ليه؟

ما يبشربش اللبن الصبح

وكل أصحابه ضحكوا عليه

وأهوه من يومها شرب وبيكبر

واتربى له عضل فى ايديه

ماما زمانها جاية

جاية بعد شوية

جايبة لعب وحاجات

جايبة معاها شنطة

فيها وزه وبطة

بتقول واك واك واك

وأحمد برضه ايده مربوطة

ومامته عارف ليه مخاصمها؟

كان ييحب تملئ يلعب
بالكبريت ويشيله معاه
وفى يوم جاب كام عود ولّعهم
وأخته بوسى كانت شايفاه
راحت النار ملهبله ايده
ولسه ايديه الاتنين واجعاه
أهو من يومها لا بيتعفرت
ولا بيشيل كبريت وياه
ماما زمانها جاية
جاية بعد شوية
جاية لعب وحاجات
جاية معاه شنطة
فيها وزه وبضلة
بتقول واك واك واك
وسعاد أبلة زعلت منها
خالص خالص من شهرين
ما بتحفظش الدرس وتكذب
وكمان ضاع منها كتابين
وبتشاقى جوه الفصل
وكان ترتبها العشرين
لما ذاكرت وبقت حلوة
أبلة خدتها مع الشاطرين
جت شهادتها آخر مرة
وكانت الأولى من ثلاثين
ماما زمانها جاية
جاية بعد شوية
جاية لعب وحاجات
جاية معاه شنطة

فيها وزة وبطة
بتقول واك واك واك⁽¹⁾

ما هذا الصوت؟

يفتح (راضى) عينيه بصعوبة.. يمد يده نحو الكومود بجواره.. حتى تصل لهاتفه المحمول.. يلوم نفسه لأنه لم يقلقه أو يجعله صامتا! لظفر بنوم أطول من ذلك.. هذه الرنة تعنى أن هذا الرقم غير مسجل عنده.. فهو يضع رنات خاصة لكل الأرقام المسجلة.. مثلا رقم خاص بالعمل له نفمة فيلم Mission: Impossible.. رقم زوجته له نفمة مسلسل (اللقاء الثانى).. ولأرقام أصدقائه وأقاربه وجيرانه نفمة ثالثة وهكذا.. أما هذه الرنة المزعجة اللحوج التى أيقظته من النوم مجرد رنة عادية.. لا تشير لشخص يهمه.. نظر للشاشة بعين شبه مغمضة.. لا يوجد أى اسم.. رقم مجهول كما خمن.. هل يفرض المكالمة ويكمل نومه؟ لكن.. ربما يعاود ذلك الشخص الاتصال.. هل يقبلها؟

ظل حائرا حتى انتهت مدة الرنة.. حاول النوم مجددا.. تحسس السرير بيده اليمنى فى موضع خلف ظهره.. زوجته ليست بجواره.. فتقلب بحريته فى الفراش باحثا عن أفضل وضعية للاسترخاء والنوم العميق.. وضع وسادة صغيرة فوق رأسه لمنع أى صوت أو ضوء من الوصول له..

كان يتسول النوم ويلثم يده ليأتى إليه مسرعا لكن فشلت كل محاولات الاستجداء.. راح يسب ويلعن ذلك المتصل الغامض الذى أيقظه من النوم.

فرك عينيه ثم قرأ الساعة الرقمية فى أعلى شاشة المحمول.. ما هذا؟ لم ينم سوى ساعتين فقط منذ دخوله إلى السرير.. كان يريد أن ينام عشر ساعات على الأقل.. ليلة الأمس كانت ليلة عصبية لم يستطع النوم جيدا فيها.

ريقه جافا كصخراء قاحلة.. نهض من السرير باحثا عن أى دورق أو زجاجة مياه حوله.. لم يجد.. التلجأ بالمطبخ.. سيشرب وسيحاول النوم من جديد عند العودة.. مرّ على غرفة ابنه.. ألقى نظرة عليها فوجد زوجته لا تزال مستيقظة.. دخل الغرفة وهو يسألها:

(1) أغنية أطفال شهيرة للمطرب (محمد فوزى)

. ما هذا؟ توقعت أنك سقمت في النوم بجواره.

قالت (حنان) غاضبة:

. أكان لا بد أن ترفع صوتك؟ .. لقد أيقظته.

نظر الأب إلى ابنه وسأل:

. هل كان نائما؟

لم تجب سؤاله فقد كان من الواضح أمامه أن الطفل قد استيقظ من نومه.. وراح يبتسم

لهما ببراءة.

. من الأفضل أن تنام يا حبيبي.

ثم التفت إلى زوجته وسألها:

. كيف حاله الآن؟

قُبِلت ابنتها (وحيد) من جبينه ثم احتضنته قائلة:

. بخير.. لقد قلقت عليه جدا ليلة أمس.

. الحمد لله على كل شيء.

. كنت أريد المبيت معه.

قال الأب مقتضبا:

. قوائين المستشفى.

. ليتنا أدخلناه مستشفى أفضل.

. الوقت كان ضيقا.

. الحمد لله أن العملية تمت بنجاح وعاد سالما.

قال الطفل الصغير ذو الخمس أعوام:

. احك لي حدوتة يا ماما.

. لقد حكيت لك حدوتة قبل أن تنام.

. احك لي واحدة أخرى.

قال الأب بخشونة:

. هذا ليس وقته.. يجب أن تنام.

قال الابن محاولا إقناع أبيه:

. الحدوتة تجعلني أنام.

قالت (حنان) لزوجها:

. لقد قلت أنك ستنام ولا تريد أن يزعجك أحد.. ما الذى أيقظك؟
. المحمول.. نسيت أن أغلقه قبل أن أنام.
كادت أن تسأله عن المتصل.. لولا أن قطع ابنها عليها الطريق قائلًا بإلحاح:
. احك لى حدوتة.
راحت الأم تداعب شعره القصير الناعم وتقول:
. أى حدوتة تريد أن أحكيها لك؟
ابتسم الطفل بحماس لأنها منحته حق اختيار الحدوتة وقال بدون تردد:
. حدوتة الشاطر (حسن) وأمنا الغولة.
ضحكت الأم وقالت:
. ألم تمل منها؟ اختر واحدة أخرى.
سلبته الحق فى اختيار هذه الحدوتة، ولديه الحرية فى اختيار أى واحدة أخرى غيرها.
. حسنا.. حدوتة (على بابا والأربعين حرامى).
. امممم.
فهم (وحيد) على الفور من الـ (امممم) أن أمه لا تريد أن تحكى هذه الحدوتة أيضا.
. (علاء الدين) والأميرة (ياسمين)؟
. لا.. سأحكى لك حدوتة جديدة.. لم أحكها لك من قبل.
ابتسم الطفل بسعادة، وكان يريد أن يصفق لولا أن أمه منعه من الحركة.. خوفا عليه
خاصة أنه أجرى عملية جراحية ليلة أمس.. سألها بلهفة شديدة:
. وما هى الحدوتة الجديدة؟
. حدوتة (هيفاء الجميلة).
سألها الأب ضاحكا:
. (هيفاء وهبى)؟
نظرت له الأم نظرة قاتلة وقالت:
. لا.. (هيفاء) أخرى.
قال الأب ساخرا:
. بالتأكيد.. وإلا كانت حدوتة للكبار فقط.
لم تهتم الأم بتعليق زوجها الساخر والتفتت إلى ابنتها قائلة:
. كان يا ما كان.. كان فيه واحدة جميلة اسمها (هيفاء) ..

قاطعها الزوج وقال:
 . و تغنى (بوس الواو) .
 قال الطفل بحماس:
 . أريد أن أسمع هذه الأغنية .
 . غنّها له .. فهى أغنية للأطفال على أية حال .
 قالت الأم معترضة:
 . لا .. هذه ليست أغنية للأطفال .
 تذكر الأب الكليب وكلمات الأغنية فاقتنع بحديث زوجته .. أما الطفل الصغير فقال:
 . غنّ لى أغنية أخرى .
 سألته أمه بابتسامة حنونة:
 . هل تريد الأغنية أم الحدوتة ؟
 أجاب الطفل على الفور بحماس شديد:
 . أغنية وحدوتة .
 قال الأب:
 . ستقلدين أبله (فضيلة) .
 كان يقصد برنامج الأطفال الشهير الذى كان يحمل اسم (غنوة وحدوتة) وظلت تقدمه
 الأبله (فضيلة) على موجة البرنامج العام صباح كل يوم لسنوات طويلة .
 قال (وحيد):
 . غنّ لى أغنية (توت توت) .
 فسألته أمه:
 . (توت توت قطر زغنطومل) ؟
 . لا .. أريد أغنية (توت توت أنا الكتكوت) .
 . حسنا .. سأغنى لك ما تريده .. ولكن بعد الحدوتة .. اتفقنا ؟
 . اتفقنا .
 شرعت (حنان) تحكى لوحدها قصة (هيفاء الجميلة):
 . كان يا ما كان .. كان فيه بنت جميلة .. بيضاء وطويلة .. لكنها غبية وقليلة الحيلة .. كان
 اسمها (هيفاء) .. كانت تعيش مع زوجها فى الـ ..
 تركها الزوج تكمل قصتها وخرج من الغرفة .. لا وقت لديه لسماع الحواديت .. الشرب ثم

النوم وفقط... هنا سمع صوتا واهنا يأتى من حجرة النوم فتوقف مكانه.. إنها رنة عادية.. ربما كان الرقم الغريب يعاود الاتصال..

عندما وصل لحجرة النوم كانت الرنة قد انتهت.. نظر إلى شاشة هاتفه المحمول.. وجده نفس الرقم وقد اتصل به ثلاث مرات من قبل.. يبدو أنه لم يسمع الصوت عندما كان فى غرفة ابنه..

وفجأة..

عاد الصوت مرة أخرى.. ضغط على زر قبول المكالمة..

..آلو.

..آلو.. الأستاذ (راضى)؟

..نعم.. أنا هو.. من معى؟

.. الحمد لله أنتى قد وجدتك أخيرا.. لقد اتصلت كثيرا بحضرتك وكنت قد فقدت الأمل تماما فى الرد حتى أننى كنت قد قررت ألا أتصل مرة أخرى بهذا الرقم.. وظننت أن الرقم قد تم تسجيله بطريقة خاطئة فى قاعدة البيانات..

قاطعه (راضى) بحدة:

..من أنت؟

.. (صادق) من مستشفى (الأمل الجديد) .. هل لك ابن اسمه (وحيد)؟

..نعم.

.. أجريت لابنك عملية استئصال الزائدة الدودية بالأمس؟

..نعم.

.. حمد لله على سلامته.

.. الله يسلمك.. ما الأمر؟

.. كنت أتصل بحضرتك لأستفسر عن مصاريف...

قاطعه (راضى) قائلا:

..لقد دفعتها كلها.

..نعم.. أعلم ذلك.. ولكن ماذا عن اليوم الجديد؟

.. أى يوم جديد؟!

.. أعنى اليوم.. اليوم هو يوم جديد بحساب جديد.. فكل يوم له تكلفته فى المستشفى لأنك

سوف تحجز سرير و..

. ولكنى دفعت الحساب كاملا.. لماذا لم تخبرونى بأمر هذه المصاريف الإضافية؟
. لأننا توقعنا أنك سوف تستلمه اليوم.
. وهذا هو ما حدث بالفعل.
. هل تعنى أنك ستأتى الآن لاستلامه؟ إذن أرجو الإسراع لأنه لو ظل دقيقة بعد مرور الساعة
الثانية عشر سوف نحسب..
ضعك (راضى) وقال:
. لن آت لاستلامه.. لأنى قد استلمته بالفعل.. لقد خرج ابنى من المستشفى منذ ساعات
مضت.

هاتف المتصل بدهشة:

. ماذا؟

. والآن.. أيعنى هذا أنه لن توجد أى مصاريف إضافية؟
. نعم بالتأكيد.. فى هذه الحالة.. ولكن.. لحظة من فضلك.. دعنى أراجع ال...
و بتر المتصل جملته وظل صامتا لثوان.. ثم سمع (راضى) بعد ذلك موسيقى هادئة
(المفروض أنها لتسلية المنتظر لكنه كان يشعر أنها موسيقى لإزعاج المنتظر) ثم عاد الصوت
من جديد:

. آلو.. هل مازلت على الخط؟

. نعم.

قال المتصل بلهجة واثقة:

. حسنا.. ابن حضرتك لا يزال فى المستشفى.. فمتى سوف تأتى لاستلامه؟

(2)

قال (راضى) عبر هاتفه المحمول:

.. ما الذى تقوله؟ ابنى خرج من المستشفى وهو نائم فى حجرته الآن.

تلغثم المتصل وقال:

.. لقد تأكدت بنفسى.. ابن حضرتك لا يزال هنا.

قال (راضى) بغضب:

.. و أنا متأكد مما أقوله.. ابنى خرج من مستشفاكم منذ ساعات.. ولن ندخلها مرة أخرى

طالما أنكم تعاونون من سوء التنظيم والإدارة.. ولديكم قاعدة بيانات سيئة..

.. لا داعى من هذا التجريح يا سيدى الفاضل.

.. ولا داعى أيضا من إزعاجى بدون سبب.. راجعوا بياناتكم وستعلمون جيدا أننى قد استلمت

ابنى.

.. اسمح لى.. هل يمكنك أن تخبرنى متى خرج ابنك من المستشفى بالضبط؟

صمت الأب للحظات ثم قال:

.. فى حدود الساعة التاسعة.

.. لحظة من فضلك لأراجع البيانات.

.. تقضلى.

بعد نصف دقيقة من موسيقى الانتظار (المزعجة) أتاه صوت (صادق):

.. نعم.. أنا أسف على الإزعاج.. لقد استلمت ابنك فى الوقت الذى ذكرته فعلا.

.. أرايت؟

.. أكرر أسفى.

.....

. أرجو ألا أكون قد أزعج..

ضغط (راضى) على الزر الأحمر لينهى المكالمة.. لم يكن يريد سماع كلمة أخرى.. خرج من الغرفة حاملاً هاتفه.. سمع صوت زوجته وهى تغنى:
. أنا الفرخة.

و يرد ابنها بسعادة:

. وإحنا الكتاكيت.

توقفت عن الغناء عندما لمحته ثم سألته:

. من المتصل؟

دخل غرفة ابنه وهو يسألها:

. هل سمعت الرنة؟

. لا.. سمعت صياحك.. ما الأمر؟

. المستشفى الغبية.

قالت الأم بقلق:

. المستشفى التى كنا بها بالأمس؟

. نعم.

قلقتها يزداد وهى تسأله:

. ما الذى حدث؟

. نصابين.. يريدون أن يسلبوا أموال أخرى منا.. يبحثوا عن أى حجة ليحصلوا بها على مصاريف أخرى.

إذن الموضوع متعلق بالمصاريف.. هذا مطمئن.. لقد شعرت الأم بالقلق الشديد عندما أخبرها زوجها أن المكالمة من المستشفى.. احتمالات مخيفة خطرت ببالها فى تلك اللحظة الطويلة.. ربما كان أقاتها هو أن الطبيب قام بعملية ابنها بطريقة خاطئة.. أو أنه قد نسى شيئاً داخل جسد ابنها.. أداة من أدوات العمليات الجراحية.. مشروط أو أى أداة حادة.. أو فوطه.. وأنه قد اتصل ليعتذر عن هذا الخطأ الجسيم.. أو ليطالب منهم إحضاره ليعالج هذا الخطأ.. إن كانت هناك إمكانية لعلاج.. لقد سمعت الكثير من الحوادث المشابهة.. إنها أم وقلتها الزائد يجعلها تتصور المئات من الاحتمالات السيئة المخيفة.

. ألم تدفع المصاريف كاملة؟

. نعم.. ولكنهم يقولون كلاماً عجيباً.. تصورى أنهم..

قطع حديثه رنين الهاتف المحمول.. نظر (راضى) إلى الشاشة فظهر الغضب على وجهه..
فسألته:

من؟

مرة أخرى!

المستشفى؟

نعم.

ألن ترد؟

أعرف ما سيقولون.. لابد أنهم سيعتذروا.

يعتذروا عن ماذا؟

لا تشغلي بالك.

حسنا.. رد على المكالمة.. ربما كان الأمر ليس كما تتوقعه.

لماذا تشغلين بالك لهذه الدرجة؟

ربما تكون مكالمة مهمة.

قال بعناد:

لن أرد.

لن تخسر شيئا.

قال الطفل:

رد يا بابا.

قالت الأم عندما أيقنت من إصرار زوجها على عدم الرد:

حسنا.. اعطنى الهاتف.. سأرد أنا.

أعطها الهاتف مستسلما وهو يقول:

أخبريهم أننا قد تقبلنا الاعتذار واطلبي منهم ألا يتصلوا بنا مرة أخرى.

ثم غادر الغرفة ليروى فلمته.. ذلك الفعل الذى تأخر كثيرا بسبب حوار مع زوجته.. كان يمكن أن ينهى عطشه بعد استيقاظه مباشرة لو أن زوجته تركت زجاجة المياه فى مكانها على الكومود بجوار السرير.. لكنها تابى أن يحدث ذلك.. وإذا لمحت زجاجة المياه هناك ترفعها فوراً وتعيدها إلى الثلاجة مع إلقاء خطبة عصماء عن النظام والحفاظ على نظافة المكان وشكله العام.. والأضرار الجسيمة من ترك زجاجة مياه بجوار السرير.. ونقاط المياه التى تقسد الأثاث والأجهزة المنزلية.. إلخ

إنها مهووسة بتلك الأمور لدرجة جعلته يتخيل أنه لو سقط أرضا فى يوم ما فانزلت زجاجة المياه من يده.. ستهرع زوجته لتنظيف الأرض قبل أن تهتم بالاطمئنان على سلامته.. هذا واردا

اتجه للمطبخ حيث الثلاجة.. يعشق المياه المثلجة سواء كان الجو صيفا أو شتاء.. لقد تعود على ذلك.. ويندهش من زوجته التى لا تستطيع.. معللة ذلك بأن أسنانها حساسة وأوقات أخرى تقول أن اللوزتين هما السبب.. حتى أنها لو أرادت أن تشرب زجاجة مياه غازية.. تنتظر ساعة بعد خروجها من الثلاجة لتشربها.

عاد من المطبخ.. لمح التقويم المعلق فى الصالة.. انتزع ورقة الأمس.. وقرأ الجملة الجديدة المكتوبة أسفل ورقة اليوم.. كان يهوى قراءة هذه الجمل..
(كما للموت قسوة للحياة قسوة)

ابتسم وقال هامسا:

حكّم!

عندما عاد لم يكن يتوقع أن يجد زوجته لا تزال تتحدث فى هاتفه المحمول.. سمعها تقول بعصية:

..لا.. ابنى بجوارى الآن.. أنا متأكدة.

تعجب من تعليقها فدخل غرفة الأطفال وجذب الهاتف من يدها عنوة وقال:

..آلو.. لقد أخبرنا زميلك أننا قد استلمنا ابنتنا.

..آلو.. أستاذ (راضى)؟

..من؟ أنت مرة أخرى!! لقد اعتقدت أنه شخصا آخر من نفس هذه المستشفى الغبية.. إنه

أنت إذن.. لماذا تتصل مرة أخرى أيها السمج؟ ألم تتأكد بنفسك أننا قد استلمناه؟

..أرجوك يا سيدى الفاضل.. لا داعى من هذه الألفاظ النابية.. نحن نتصل بك من أجل

مصلحتك ولكى يعود ابنك لأحضانك.. أما إذا كنت تريد إبقائه فى المستشفى لوقت أطول من

أجل الرعاية فأرجوك أخبرنى لكى أقوم بالإجراءات اللازمة.. وأرجو أن تدفع لنا مقدما حتى

يمكننا أن..

قاطعه الزوج:

..هل أنت غبي؟ ابنى معى الآن.. أراه بعيناي.. هل تريد أن يحدثك بنفسه لتتأكد؟

قرب (راضى) الهاتف المحمول من فم ابنه والأم تنظر إليه ضاحكة.

..قل لعمو: (أهلا).

استجاب الطفل على الفور وقال:

. أهلا يا عمو.

عاد (راضى) يتحدث فى الهاتف قائلاً:

. هل سمعت صوته؟ هذا ابنى الذى أجرى العملية عندكم بالأمس ولو كنت أعلم أنكم

ستزعجوننا بهذه الطريقة لما أدخلته عندكم من الأساس.

. ولكن.. إن ابنك لا يزال.....

. تقول (ابنى)!!.. ابنى ليس عندكم.. هل تعتقد أنه لو كان عندكم كنت سأجادل معك

بهذه الطريقة؟ بالتأكيد كنت سأتى فوراً لأستلمه.. أليس كذلك؟

قال الرجل بحيرة شديدة:

. ولكن هناك طفل يحمل بيانات ابنك وفى نفس غرفته.

. أنا لا أعلم شيئاً عن هذا الطفل.. راجعوا بياناتكم جيداً.. هناك أطفال كثيرون دخلوا

مستشفاكم بالأمس بعد حادثة أتوبيس المدرسة.. ربما اختلطت البيانات عندكم بين ابنى وبين

هذا الطفل.. ابحثوا عن بيانات والد الطفل الحقيقى واتصلوا به وكفوا عن إزعاجى..

. سيدى الفاضل..

. نعم.

. هل أنت متأكد أن الطفل الذى استلمته هو ابنك؟

أنهى (راضى) المكالمة ليمنع نفسه من سب المتصل و.. سب والديه وأقاربه الأحياء و..

الأموات أيضاً.

. مستشفى غبية والعاملين بها أغبياء.. تصورى.. إنه يسألنى هل استلمت ابنى فعلاً أم لا..

يشك فى أبوتى بدلاً من أن يشك فى بيانات المستشفى! يشك أننى لا أعرف ابنى.. تخيل!

نظر إلى ابنه نظرة حنونة وقبلة من جبينه وقال مبتسماً:

. سمعتكما تغنيان.. هل يعنى هذا أنك قد فرغت من حدودة (هيفاء اللذيذة)؟

قال (وحيد) مصححاً اسم القصة لأبيه:

. (هيفاء الجميلة) يا بابا.. إنها حدودة رائعة لا بد أن تسمعها.. احكها له يا ماما.

قبل أن تعلق الأم على ما قاله الابن سمع الجميع رنة الهاتف من جديد:

نظر الأب إلى الشاشة وقال بضجر:

. إنه مرة أخرى.

نصحته زوجته قائلة:

..رُد وحاول أن تنهى الموضوع بطريقة هادئة وبمنتهى الحكمة حتى لا يعاود الاتصال..
بالتأكيد هو لا يريدنا أن نشكوه أو نشكو المستشفى.

استمع لنصيحتها ..

..آلو.. لماذا تتصل مرة أخرى؟.. إذا عاودت الاتصال فسوف أشكوك لمديرك وسوف أقدم
بعدها محضرا ضد إدارة المستشفى بسبب هذا الإزعاج.. وبسبب إهمالكم فى تسجيل البيانات
..و

يا سيدى الفاضل.. لو أنك لم تغلق الخط لما اتصلت بك مرة أخرى.

.. أغلقته لأنى لا أريد سماع حديثك وأسئلتك الغبية.. كيف لا أعرف ابنى ذو الخمس
أعوام؟!.. يمكن أن يتشابه الأطفال فى عُمر خمس أيام.. حتى أمهاتهم نفسها قد لا تعرفهم..
ربما خمس أسابيع أو حتى خمس شهور قد لا يستطيع الأب تمييز طفله عن الأطفال الآخرين..
لكن خمس سنوات.. يصبح الطفل مميزا جدا عن أقرانه.. يمكن أن أعرف ابنى من بين مليون
طفل.. ألا تتفق معى؟

.. نعم.. أعلم ذلك.. ولكن.. ربما كنت مسافرا طوال هذه السنوات ولم تره سوى الآن يا
سيدى الفاضل أو أنك مثلا كنت..

كانت الأم تتابع المكالمات باهتمام.. لا تسمع سوى ما يقوله زوجها الذى قاطع المتصل قائلا:
.. لا.. ابنى فى حضنى كل يوم منذ ساعة ميلاده.. لا يفارقتى أبدا.. هل استرحت الآن؟
أرجوك كف عن الاتصال.. الطفل الذى عندكم ليس ابنى.. أخبرنى كم عمره.
..ابنك؟

.. لا طبعاً.. أنا أسأل عن عُمر ذلك الطفل الذى تشتبهون أنه ابنى.

.. خمس سنوات تقريبا.

.. حسناً.. أى أنه يمكنه الفهم والرد على الأسئلة.. اسألوه عن اسمه.

هنا فاجأه (صادق) قائلا:

.. سأله بالفعل.. يقول أن اسمه (وحيد راضى حسن الشويشان).

(3)

رأت (حنان) تعبيرات الدهشة على وجه زوجها الذى ارتبك للحظة.. لم يستطع الرد بسرعة كمادته.. ثم كسر هذا الجمود قائلاً:

. غريبة!

قال المتصل:

. لهذا اتصلت بحضرتك..

. إنه كاذب.

. الأطفال لا يكذبون.

. ربما أنتم أخبرتموه باسم ابنى لأنه كان فى نفس الحجرة فاعتقد أن هذا اسمه الصحيح فراح يردده مثلكم متصوراً أن هذا اسمه فعلاً.. أو أنه يمزح معكم فى النهاية.. الأطفال يحبون المزاح جداً.. أو ربما هو لا يريد العودة لمنزله فاختار أول اسم سمعه منكم.

. ما هو اسمه إذن؟

. هل تسألنى أنا؟! أسأل نفسك.. اسأل الموظفين الذين يقومون بتسجيل البيانات عندكم.. بالتأكيد هناك اسم مسجل فى الكشف يخص هذا الطفل.. أو أن هذا الطفل دخل مستشفىكم العظيمة الموقرة دون أن تسجلوا اسمه.

. لكن الطفل مُصر على أنك أبيه.

. وهل رأتى لكى يعرفنى؟

. أقصد أنه يقول أن اسم أبيه هو (راضى حسن الشويشان).. ولا أعتقد أنه يكذب أو يمزح.. فهو يريد العودة لمنزله.. يبكى بحرارة شديدة ويصيح باستمرار (أحضروا لى أبى.. أحضروا لى أمى).

فكر الزوج قليلا فى هذه المعضلة ثم قال:

ربما تشابه أسماء.

هل تعتقد ذلك؟

ربما.. لا أعلم.. هذه كلها احتمالات.. ولكن الشيء المؤكد هو أنتى استلمت ابنى.. وليس

لى أى أطفال آخرين سواء.

ظل المتصل صامتا لبعض الوقت ثم قال:

كلمة أخيرة قبل أن تغلق الخط.. هل يمكن أن تأتى إلى المستشفى وترى الطفل بنفسك؟..

ربما لو رأيته تتذكر على الفور أنه ابنك.

قال (راضى) بغضب هادر:

أنت غبى بالتأكيد! إياك أن تتصل بى مرة أخرى وإلا أغلقت لكم هذه المستشفى.

ثم أنهى المكالمة وقذف هاتفه المحمول على السرير.. وراح يردد بعصبية:

غبى.. غبى.. غبى.

قالت (حنان):

اهدأ.. الموضوع لا يستحق كل هذا الغضب.

أكره الغباء.

ثم خرج من الغرفة بينما ظلت الأم تفكر فى الأمر وتقلبه فى رأسها.. التفتت إلى ابنها..

كان يغط فى نوم عميق.. نهضت من السرير وأخذت هاتف زوجها وأطفأت النور ثم خرجت

من الغرفة بمنتهى الهدوء.

ذهبت إلى غرفة نومهما فوجدت زوجها هناك.. لا يزال غاضبا.

لا أعرف لماذا يوظفون أشخاص يمثل هذا الغباء! تخيلى.. يريدنى أن أذهب إلى المستشفى

لأرى الطفل فربما أتذكر أنه ابنى.. تصورى.. و كأنى نسيت هاتف محمول وأخذت واحدا آخر

بدلا منه.. أو فردة حذاء أو جورب قديم عندى نسيت شكله.

ربت على كتفه قائلة:

لا تشغل بالك.. لقد توقفت عن الاتصال بعد أن هددته.. ربما كانوا يريدون منك مبلغا

إضافيا ولم يجدوا حجة أفضل من هذه فى عقولهم.

كنت أتمنى أن يتصل مجددا حتى أريه ما يمكننى فعله.. كنت سأجعله يبيت ليلته فى

السجن و..

ومن عجائب القدر أن تحقق ما تمناه فى نفس اللحظة، فهل سينفذ تهديده؟

بتر جملة عندما انطلقت الرنة مجددا.. نظر إلى هاتفه بدهشة شديدة.. لم يتصور أبدا أن..

. إنه مرة أخرى!

سألته زوجته وهي لا تصدق:

. حقا؟ لا بد أنك تمزح.

. لا.. إنه نفس الرقم.. ألم أقل لك أنه غبي؟

. أعطنى الهاتف.. دعنى أتحدث معه.. لى أسلوبى.

. لقد جريت من قبل.

. لم تعطنى الفرصة كاملة.. لقد أخذت منى الهاتف عنوة.. دعنى أجرب معه هذه المرة ولا

تقاطعنى فيها.. أرجوك.. اتفقنا؟

أعطاهما زوجها الهاتف قائلا:

. تفضلى.. ولكن.. يبدو أنتى مضطر فعلا للذهاب إلى هذه المستشفى.. ليس من أجل رؤية

ذلك الطفل ولكن لكى أبرح ذلك المتصل ضربا.

ابتسمت الزوجة وأخذت منه الهاتف، ثم جلست على طرف الفراش وضغطت زر قبول

المكالمة.

انشغل زوجها فى تمشيط شعره بعصبية أمام مرآة الترسية وسمعها تقول:

. ألو..

ظلت بعدها فترة طويلة صامته.. ظن أنها تترك مجالا لمحدثها ليقول ما عنده قبل أن

تتحدث هى وتقنعه.. ربما لا تريد مقاضعته حتى يأتى دورها وتدلى بدلوها وتستخدم أسلوبها

الذى تحدثت عنه منذ قليل.. فربما تنجح هى فيما فشل فيه زوجها ويكف ذلك الشخص

المستفز عن الاتصال.

لكنها ظلت صامته لفترة طويلة.. أطول من اللازم.. حتى أن زوجها شك فى الأمر.. ما

الذى يحدث؟ هل فقدت النطق فجأة؟

التفت إليها فرأى أغرب نظرات دهشة على وجهها.. ما الذى يعنيه هذا؟!

هل استطاع ذلك المتصل أن يقنعه بدلا من أن تقنعه؟

سألها فى حيرة:

. ما الأمر يا (حنان)؟

أبعدت الهاتف عن شفيتها وقالت لزوجها بارتباك:

. إنه .. إنه ..

صاح (راضى) بغضب:

. ماذا؟ ما الذى قاله ذلك الغبى لك؟

قالت بلهجة غامضة:

. ليس .. هو .. المتصل.

. من المتصل إذن؟ عامل آخر من المستشفى.

هزت رأسها نافية وهى تردد:

. لا .. لا.

مد يده نحوها و..

. أعطنى هذا الهاتف.

أعطته الهاتف باستسلام شديد فقال بسرعة دون أن يسمع صوت محدثه:

. اسمع يا غبى .. ألم أحذرك من ..

هنا توقف (راضى) عن النطق .. ولو أنك قد رأيته فى تلك اللحظة لشعرت أنه قد توقف

عن الحركة أيضا .. هذا لأنه سمع عبر الهاتف وبصوت طفولى مألوف تماما له:

. آلو .. بابا .. تعالى .. خذنى يا بابا من هنا.

أما الأم فأكملت جملتها:

. إنه .. إنه ابننا.

(4)

قال (راضى) معترضاً:

. ما الذى تقولينه يا (حنان)؟ هل جئنتِ؟ ابنتنا نائم فى غرفته.

مسحت الأم دموعاً دافئة انسابت من عينيها وقالت:

. لا أعلم.. ولكن هذا صوت ابنى.. أنا أعرف صوت ابنى جيداً وأستطيع تمييزه من بين

مليون صوت.

. ابنك كيف؟ هل تصدقين مجرد صوت على الهاتف؟

. لا أعلم.. لا أفهم..

. ماذا عن الطفل الذى حكيت له وغنيت له منذ قليل؟ هاه.. ابن الجيران؟

. ابنى طبعاً.

. إذن لماذا تقولين أن هذا صوت ابنتنا؟

. لم تستطع الأم الإجابة أو التقوه بحرف.. وراحت تمسح دموع أخرى انسابت من عينيها..

قال لها مندهشاً:

. استطاع ذلك الوغد خداعك بصوت طفل فى الهاتف لكى نذهب له!

ابتلعت ريقها وغمغمت:

. ولكن..

أشار لها أن تصمت تماماً.. وراح يتحدث عبر الهاتف:

. آلو..

أتاه صوت الطفل مرة أخرى:

. بابا.. تعالى..

. بابا من؟

. أنت بابا.

. من أنت؟

. أنا (وحيد) يا بابا.

. (وحيد) من؟

.....

. ما اسمك؟

. (وحيد راضى حسن الشويشان).

قالها بنفس الطريقة التى اعتاد (راضى) سماعها من ابنه.. ولكن.. هذا لا يمكن أن
يغير رأيه أبدا.. هذا مجرد صوت يشبه صوت ابنه! أما ابنه فهو نائم فى حجرته.. هذه هى
الحقيقة.. واضحة كوضوح الشمس.. ولا يمكن أن يقبل عقله أى شىء آخر.

قال بلهجة صارمة وكأنه يحدث ابنه فعلا:

. اعطى الهاتف للرجل الذى بجوارك يا حبيبى.

. بابا.. تعالى.. خذنى من هنا.

. اعطى الهاتف لعمو الذى أعطاك الهاتف.. أريد أن أكلمه.

. بابا.. لا تتركنى هنا.

. يا ابنى يا حبيبى.. اعطى الـ..

فجأة سمع صوت آخر يصيح:

. أهاه.. اعترفت انه (ابنك) أخيرا.. الحمد لله.. متى ستأتى لاستلامه؟

قال الزوج بلهجة تهديد ووعيد لم يفهمها الرجل:

. سأتى حالا.. انتظرنى.

وأنهى المكالمة بعنف ضاغلا بقوة على الزر.. سألته زوجته بقلق شديد:

. ما الذى تنوى فعله؟

قال والشيطان يلهو بعقله ويعيش أسعد لحظات مرجه:

. سأقلب هذه المستشفى على كل من يعمل فيها.. وسترين.

حاولت أن تهزم الشيطان بداخله وتنتهى لحظاته السعيدة قائلة:

. اهدأ.. اهدأ يا حبيبى.

نهضت من الفراش وتابعت:

..دعني أذهب أنا وأرى ما الأمر.. وتأكد أنني سأعاجه بطريقة جيدة.
..لا أظن أنك..

ربتت على كتفه وقالت:

..أنت سريع الانفعال.. دعني أتولى الأمر.. استرح هنا واهتم بابننا وسأذهب إلى هناك
وأنتهى هذه المسألة تماما.
..إياك أن تدفعي قرشا لهم.
..اطمئني.

كانت الساعة قد تعدت الثانية عشر عندما أوقفت (حنان) سيارتها أمام بوابة مستشفى
(الأمل الجيد).. وجال بخاطرهما ما حدث خلال الليلة الماضية وهذا الصباح.
اتجهت مباشرة نحو الاستعلامات وسألت عن اسم ابنها.. قال الموظف بعد مراجعة
البيانات على الكمبيوتر أمامه:

..نعم.. هنا.. من أنت؟

قالت بسرعة حتى لا يشك الموظف في أمرها:
..أنا أمه.

لوقالت أي صفة نسب أخرى ربما يرفض الموظف أن تراه.. وكل ما تريده هو أن تراه فقد
سمعت صوته فقط.. وكان صوته هو صوت ابنها بالضبط.. أو يشبهه إلى حد كبير.. لكنه
بالتأكيد ليس ابنها.. لا يمكن أن يكون ابنها أبدا.. فهي أمه ولا يمكن أن تخلط بينه وبين أي
طفل آخر مهما حدث.. ابنها نائم في سريره الآن بعد سماعه حدوته (هيفاء الجميلة) وقد
غنت له أغنيته المفضلة.. أما هذا الطفل الآخر الذي سمعت صوته لا تعرف عنه شيئا ولم تره
من قبل.. لا بد أن أمه الحقيقية تبحث عنه الآن..

قطع خواطرهما صوت الرجل:
..هل ستستلمه؟

لو أجابت بـ (نعم) فهذا يعني تأكيدا جديدا على أنها أمه.. وإذا رفضت سوف يشكون في
أمرها.. وهي بالتأكيد لا تريد استلامه.. كيف تستلم طفلا لا تعرف عنه شيئا؟.. لقد أتت إلى
هنا لتثبت لهم أنه ليس لطفلها وتطلب منهم أن يكفوا عن إزعاجهم ولكنها لن تحكي كل ذلك
لهذا الموظف.. فمن الواضح أنه ليس ذلك الرجل المستقر الذي كان يتصل بهم.

أنقذها الموظف من حيرتها عندما قال:

. لو استلمته الآن سوف أتقاضى عن تكلفة هذا اليوم مع أننا قد تجاوزنا الثانية عشر ولن تدفعى مليما.. لكن لو تركته هنا دقيقة أخرى فسوف تدفعين حساب جديد ليومنا هذا... ما رأيك؟.. تركت لك حرية الاختيار.

تصنعت (حنان) التفكير الشديد ثم قالت:

. حسنا.. هل يمكن أن أراه أولاً لأعرف هل حالته الصحية تستدعى المكوث هنا أم لا؟

. ممكن طبعا.. ثوان.. سأستدعى ممرض ليوصلك إلى غرفته.

بعد دقائق جاء ممرض.. قال له الموظف:

. غرفة رقم..

قالت الأم مستعيدة الرقم من ذاكرتها:

. غرفة رقم ١٥٤.. أنا أتذكر الرقم جيدا.

. لا.. لقد نقلناه منها.. إنه الآن فى غرفة ٣١٧.

سارت مع الممرض نحو المصعد وهى تفكر فيما ستقوله له عندما ترفض أن تستلمه.. (لا.. لن أخذه الآن فهو يحتاج إلى مزيد من الرعاية فى مستشفىكم الجميلة) ثم تبحث بعدها عن ذلك الموظف المدعو (صادق) الذى اتصل بهم مرارا لتوبيخه.. وتخبره أنها حضرت بنفسها لتثبت له أنه ليس ابنها وترى ضميره المزعج.

أما موظف الاستقبال فسوف تتهرب منه.. وإذا لمحها وطلب منها تكلفة اليوم الجديد فسوف تخبره أنها ستعود بأقصى سرعة لإحضار المبلغ فهى لا تملكه الآن.. وبالتأكيد لا يوجد ضمان أكثر من ابنها نفسه الذى تركته بين أيديهم فهى لن ترضى بأن يلقوا بابنها فى الشارع لأنها لم تدفع وبالتأكيد كان يمكنها استلامه دون أن تدفع مليما كما وعدها لذا لن يشك فى الأمر.. هذا طبعا فى حالة إذا لم يخبره (صادق) بأنها ليست أم الطفل أصلا.

وصل المصعد للطابق المطلوب.. خرجا الاثنان منه.. سألت الممرض عن (صادق).

. نعم.. إنه يعمل هنا.. هل هو قريبك؟

كانا يسيران فى رواق طويل عندما أجابته:

. لا.. فقط كنت أطمئن على ابنى عن طريق الاتصال به.

كانت تشعر بغربة شديدة وهى تقول (ابنى) وهى تعلم جيدا أنها لا تتحدث عن ابنها.

. اطمئنى.. لو أنك تريدين أن أحضر لك طبيبا ليكشف عليه ويخبرك بحالته و..

. لا.. لا داعى من الطبيب.. فقط ابحث لى من فضلك عن (صادق) وأخبره أننى أريد رؤيته

لأمر هام وضرورى.. سأنتظره بجوار ابنى.

.. حسناً.

جهزت الجملة التى ستقولها لـ (صادق) عند حضوره (أنا) (حنان) والدة الطفل (وحيد) ..
و لقد جئت بنفسى لأؤكد لك إن هذا ليس ابنى.. ابحث عن أمه وأبيه الحقيقيين.. وكف عن
إزعاجنا باتصالاتك)

للأسف ليس معها رقم هاتفه فهو كان يتصل على هاتف زوجها.
قال الممرض مشيراً بيده:

.. تفضلنى من هنا.. ها هى الغرفة.

سبقتها الممرض إلى الداخل وقال بصوت عال سمعته جيداً:
.. ماما جاءت يا حبيبى.

قبل أن تدخل الحجرة سمعت صوته..
صوت ذلك الطفل..

سرت قشعيرة باردة فى جميع أجزاء جسدها.. كل خلية فيه انتفضت بمنتهى العنف.. إنه
صوت ابنها بالضبط.. كان يقول للممرض:

.. ماما.. أحقا جاءت؟ هل تقول الحقيقة أم تكذب يا عمو؟

ليس الصوت فقط.. بل طريقة الكلام.. تكوين الجملة.. كأن ابنها هو الذى يتكلم فعلاً.
وعندما خطت بقدميها داخل الغرفة.. ثم رأت ذلك الطفل لأول مرة فى حياتها.. اكتشفت
أنه هو نفسه (وحيد)!

الطفل الذى أنجبته..

ابنها الذى يمكن أن تعرفه من وسط أطفال العالم جميعاً.

(5)

نهض (وحيد) من فراشه مفزوعا.. لم يجد أحدا بجواره فخرج من غرفته صائحا:
..ماما.. بابا.

كان أبيه يجلس على الأريكة فى بهو الفيلا يشاهد التلفزيون عندما سمع صوته.. وضع
الريموت كنترول على المنضدة أمامه وأسرع نحو ابنه.

..حبيبي.. أنا هنا.

وحمله بيديه ثم عاد به إلى غرفته ليضعه فى فراشه.

..أين ماما؟

..ذهبت فى مشوار وستأتى قريبا.

وضع الغطاء عليه وقال:

..نم أنت الآن ولا تغادر السرير.. انك تحتاج إلى الراحة.. أى شىء تطلبه سأجلبه لك.

..أريد أن ألعب بالدبوب والسيارة الزرقاء والقطار.

..لا.. لا ألعب.. يجب أن تنام.

..حسنا.. إحك لى حدودة..

..أى حدودة؟

..حدوثة (الشاطر حسن وأمنا الغولة)

..لا أعرفها.

..حسنا.. احك لى حدودة (على بابا والأربعين حرامى).

..هذه أعرفها.

ابتسم الطفل بسعادة وقال:

- تفضل احكيها يا بابا.

- لحظة.. دعنى أسترجع أحداثها.. كان فيه مغارة.. وكان فيه أربعين حرامى.. وكانت المغارة تفتح بـ password و..

قاطعه اطفال سائلا إياه:

- ماذا تعنى بـ (باسرود)؟

- ليس (باسرود).. إنها Password.. وتعنى (كلمة سر).. كانت كلمة السر (افتح يا سمسم).. فُتِحَ باب المغارة على الفور بمجرد نطق الكلمة.. وكان (على بابا) يمر بجوار المغارة بالصدفة فسمع اللصوص ينطقون الكلمة ورأى الباب يُفتح.. فانتظر خروجهم جميعا من المغارة.. ثم قال كلمة السر ودخلها ليجد كنوز كثيرة.. ذهب وياقوت ومرجان فقال (أحمدك يا رب).

صمت الأب للحظات فسأله الابن:

- وماذا بعد ذلك؟

حاول الأب تذكر بقية القصة لكن الذاكرة لم تسعفه.. فقال مبتسما:

- وتوتة توتة.. فرضت الحدوتة.

قال (وحيد) بصراحة الطفولة المعتادة:

- لقد حكيتها بطريقة سيئة جدا.. القصة ليست هكذا.

- كيف هى أحداث القصة إذن؟

سأله الطفل متعجبا:

- هل سأحكيها أنا؟

ابتسم الأب من رد ابنه ثم قال باستسلام:

- أعترف.. أنا لا أتذكر تفاصيل هذه القصة.. اختر قصة أخرى.

قال (وحيد) شاعرا بالملل:

- (علاء الدين) والأميرة (ياسمين)؟

- تقصد (علاء الدين) و المصباح السحري؟

- نعم.

- والعفريت الذى كان يخرج من المصباح بمجرد أن تحكه؟

قال الطفل بسعادة لأن أبيه يتذكر أحداث القصة:

- نعم.

. بصراحة.. لا أتذكر سوى هذا منها.

غضب الطفل الصغير وقال:

. حسنا.. احك لى حدوتة (هيفاء الجميلة).

. للأسف لم أسمعها من أمك بعد.. لو كنت قد سمعتها لكنت تذكرتها الآن وحكيها لك.

.....

. لا تحزن.. لقد تذكرت قصة جيدة وسأحكيها لك.

قال (وحيد) متحمسا:

. وما هي؟

. حدوتة (سندريلا).

. سيئة.

. حسنا.. سأحكي لك قصة (سنو وايت والأقزام السبعة).

. لا أحب (سنو وايت).

. حسنا.. لا أتذكر أى قصة أخرى الآن.

. غن لى إذن.

. حسنا.. أى أغنية تريد أن أغنيها لك؟

. (بوس الواو).

ضحك الأب عندما وجد أن ابنه لا يزال متذكرا اسم الأغنية التى ذكرها أمام زوجته.

. لا.. اختر أغنية أخرى.

. (توت توت أنا الكتكوت)

. لا أحفظها.

قال الطفل محاولا تذكير أبيه:

. توت توت أنا الكتكوت.. أبيض وأحمر وزغنطوط.. أشرب مياه وأكل توت.

طبعاً الطفل لا يحفظ كلمات الأغنية جيداً.. هو يحاول تذكر ما كانت تغنيه أمه.. لذا هو

يخلط فقرة مع أخرى وينسى كلمات أيضاً.. والأب لا يعلم ذلك.. بل كان سعيداً ومنبهراً بابنه

الذى يحفظ كلمات الأغنية حسب ظنه.

الأغنية جميلة وأعجبت الأب.. بالتأكيد أفضل من أغاني الأطفال الحديثة التى لا تعبر عن

الأطفال ولا تتاسبهم.. لا من ناحية الكلمات الخارجة أو الألحان الصاخبة أو حتى الكليبات

التي يتم تصويرها من أجلها.

وتذكر (راضى) الفنانة المثيرة التى اشتهرت بكليباتها الساخنة عندما صممت أن تصوّر كليب للأطفال.. ربما لتثبت للجميع أنها فتانة شاملة قادرة على تقديم جميع الأنواع.. أو لتمنع نفسها أو للنفاد أن جمهورها من جميع الأعمار.. أو لتنافس فتانة أخرى أنشدت للأطفال والغيرة الفنية يمكن أن تفعل أكثر من ذلك.. كان من المتوقع والمطلوب أن تتنازل عن أنوثتها الصارخة فى هذا الكليب فقط.. على الأقل لا تبرزها بهذه الصورة الفجة.. لكن خرج الكليب جاذبا لجمهور الكبار قبل الصغار.. بل إن كثير من الأسر تمنع صغارها من مشاهدته.. تجد الأم تغيّر القناة بمجرد بدء الكليب لتمنع أطفالها.. وربما تمنع زوجها أيضا من المشاهدة.. فقد لحت عيونه الزائفة التى تريد أن تنفّز من محجريها إلى داخل التلفزيون.. إن الكليب منذ لقطاته الأولى يوحى أنه قد صُنع (للكبار فقط) حتى لو كان صانعه أرادوا تقديمه للأطفال.. وليس معنى أن تصوّر طفلا بريئا يلهو داخل الكليب أنك بهذا قد صنعت كليب لأغنية أطفال.. ناهيك عن كلمات الأغنية التى يراها البعض تحمل إيهاءات غير مناسبة لبراءة أذانهم.

تذكر (راضى) كليب آخر لنفس الفنانة تمثل فيه دور الأم التى تريد التخلص من إزعاج ابنها لتستطيع الانفراد بزوجها أبو الطفل.. نعم! أين أغنية الأطفال بالضبط؟

.. للأسف لا أحفظ أغنية (توت توت).. ولكنى أحفظ أغاني أخرى.

.. مثل ماذا؟

.. حسنا .. اسمع يا حبيبى هذه الأغنية:

ماما زمانها جاية

جاية بعد شوية

جاية لعب وحاجات

جاية معاها شئطة

فيها وزة وبطة

بتقول واك واك واك

يعشق (راضى) هذه الأغنية الجميلة.. التى كان يسمعها فى الراديو عندما كان طفلا صغيرا.. أحب المطرب الراحل (محمد فوزى) - رحمه الله - عندما علم أنه هو الذى يغنيها.. لا يمكن أن يتسى هذه الأغنية أو يتسى ذكرياته معها.. ويعتبرها أفضل أغنية يمكن أن تنفيها لأى طفل.. لو كنت أيا بالتأكيد.. فهذه الأغنية لا يمكن أن تغنيها الأمهات.. ربما الدادة أو الخالة أو العممة.. لكن لا يمكنك أن ترى أم تغنى لطفلها (ماما زمانها جاية).. من هى إذن إذا كانت الأم زمانها جاية؟.. الأغنية رائحة حتى لو كانت الأم لا تستطيع غنائها لأطفالها فيكفى

أنها أغنية عن الأم نفسها.. وربما لو قمنا بترجمتها للغات أخرى لأحبها أطفال العالم في كل مكان.. فهي أغنية تبعث على الراحة والهدوء والسكينة والطمأنينة.. ما الذى يريده طفل من هذا العالم سوى حنان أمه؟.. أين أمه؟ حسنا.. إنها قادمة.. إنها فى الطريق.. ستصل بعد قليل.. وسوف تجلب معها الكثير من اللعب وأشياء أخرى.. اطمئن يا صغيرى.. كل شيء سيصبح على ما يرام.

حتى اللحن نفسه جميل يمكن أن يسمعه أى طفل فى العالم وينام عليه.. وصوت (محمد فوزى) العذب يتسلل إلى أذن الطفل باعثاً للهدوء.. يجعله ينصت باهتمام.. هذه الأغنية تستحق أن تكون أغنية أطفال عالمية.. هل سمعتم ضحكة الطفل التى تتطلق ببراءة بين كل مقطع وآخر؟.. يا للروعة!.. هل سمعتم بكاءه أيضاً على (أحمد) عندما لسعته نار الكبريت الذى كان يلعب به؟ إن بكائه فى توقيت مناسب لنشعر بالحزن على (أحمد) فلا نفعل مثله.. أغنية تعليمية تربية.. هكذا يتعلم الأطفال أن يشربوا اللبن خوفاً من الحقنة الكبيرة التى أعطاهما الطبيب د (عادل).. وألا يلعبوا بالكبريت مثل (أحمد) خوفاً من الألم وأن يجتهدوا مثل (سعاد) التى صارت من الأوائل.. ولم تعد تكذب أو تهمل دروسها.

كلمات الأغنية سهلة وبسيطة.. يمكن أن يحفظها أى طفل لو أنها تكررت أمامه. كليب جميل بين مطرب وطفل فقط.. الأول يحاول تهدئة الثانى وطمأنته أن أمه قادمة.. لا وجود هنا لجلسة أطفال مثيرة تحرك ساقىها الساخنتين أمام الشاشة.. الموضوع مختلف هنا.. (ماما زمانها جاية) أغنية أطفال صُنعت للأطفال فعلاً.

قال الطفل بسعادة:

. أغنية جميلة.. لماذا لم تغنّها أمى لى من قبل؟

. لأنها أمك.

لم يفهم الطفل الإجابة فسأله:

. كيف؟

ضحك الأب وقال:

. كيف تغنى أمك وتقول أنها قادمة؟.. بالتأكيد ستغنى وتقول: بابا زمانه جاي.

شعر أن ابنه لم يفهم مقصده.. فتجاوز الأب هذه المسألة وراح يغنى من جديد:

. ماما زمانها جاية.. جاية بعد شوية.. جايبة لعب وحاجات.

فى الواقع.. لن تجلب أمه معها لعب وحاجات!

وقفت (حنان) مذهولة.. لقد رأت أمامها ابنتها (وحيد) بالضبط.
بنفس الملابس التي كان يرتديها الليلة الماضية عندما دخل المستشفى وهو يتألم بشدة من
الزائدة الدودية.

شعرت أن الفرقة تدور بها.. والأرض صارت رخوة أسفل قدميها كأنها تنف فوق رمال
متحركة تريد أن تسحبها لأسفل.. عقلها لا يستطيع استيعاب ما تسمعه أو تراه.. قواطين الكون
بأكملها تختل داخل عقلها.. وخارجها أيضا.. كيف يمكن أن يكون هذا ابنتها؟ مستحيل!
حاولت أن تستد جسدها على الباب حتى لا تنهار من هول ما تراه.. أما الطفل فقال بسعادة
غامرة:

.. ماما.. حبيبتى يا ماما..

حاول أن يندفع نحوها تاركا سريره لولا أن الممرض منعه قائلا:
.. تمهل.. لقد أجريت لك عملية.. يجب ألا تهرق نفسك بدنيا.. يلزمك الراحة.
اتجهت الأم إليه وجلست على السرير بجوارمه واحتضنته.. قال الطفل:
.. لقد أوحشتنى جدا يا ماما.. لماذا تأخرت؟ لقد بكيت كثيرا جدا.
ربتت عليه بتلقائية شديدة دون تفكير.. سواء كان ابنها أو ابن أحدا غيرها فإنه يحتاج إلى
الحنان في تلك اللحظة.

كانت في غاية الارتباك.. لا تصدق الموقف الذى تمر به.. ابنتها فى حضنها.. اكتشفت الآن
أنه لا يزال فى المستشفى.. من الطفل الذى أخذه معها إلى البيت إذن؟ من؟ من؟
وبعد أن كانت مقتنعة منذ دقائق بأن الطفل الذى بالمستشفى هو طفل آخر غير ابنها بنسبة
١٠٠ ٪ بالضبط وبدون أى نسبة لأى احتمالات أخرى.

أصبحت الآن متأكدة بنسبة ١٠٠ ٪ أن هذا الطفل الذى يحتضنها هو ابنتها.. ولا توجد أى
نسبة ولو ضئيلة لأى احتمالات أخرى!

لكن.. كيف؟

عقلها لا يستطيع التفكير فى أى احتمال آخر.. هذا هو ابنتها.. لا شك عندها فى ذلك.
الملابس!

حاولت التذكر.. إن هذه الملابس هى ملابس ابنتها بالفعل.. كان يرتديها عندما فاجأته
الآلام الشديدة وهرعوا به إلى المستشفى دون أن يغيرها.. ثم خلعتها كاملة قبل دخوله غرفة
العمليات.. وارتدى الجاون بدلا منها.

الجاون ذلك القميص الطويل الذى يرتديه المريض قبل العملية.. مفتوح من الخلف.. حتى

إن حدث أى طارئ يقوموا بتمزيقه فورا وإنعاش المريض.

عندما حضرت (حنان) إلى المستشفى فى الصباح خلع الطفل الجاون وارتدى الملابس الجديدة التى أحضرتها معها من أجله.. ولم تسأل عن الملابس القديمة التى خلعها قبل العملية.. لم تهتم أو ربما نسيت.. الآن فقط عرفت أين ذهبت هذه الملابس القديمة! لقد كانت على ابنها نفسه.. لقد ألبسوه فى المستشفى ملابس له لأنه هو ابنها وليس أى طفل آخر.. لكن ماذا عن الطفل الذى استلمته؟ هل كان مجرد طفل يرتدى الجاون؟.. وقامت هى بإعطائه ملابس جديدة تخص ابنها؟

إنها متأكدة تماما أن الذى بين ذراعيها الآن هو ابنها.. أما الطفل الآخر الذى فى منزلها هو أأأأ.....!.

هى لا تعلم من (هو) بالضبط!

الأفكار تتصارع داخل عقلها.. كانت تقف على حافة الجنون.. الحيرة الشديدة والمحاولات المستمرة لإيجاد تفسير لما يحدث ثم السقوط السريع المريع داخل بئر عميق لا قاع له ثم.. توقف عقلها ليستريح من إجهاد التفكير.. أو يضع حماية لنفسه حتى لا يضيع للأبد.

و العمل الآن؟

لا تعرف ماذا تفعل.. لا تعرف ماذا تقول.. لا تعرف ماذا ترى أو تسمع أو تشعر!

قال الطفل عندما رأى أمه على هذه الحال المضطربة:

. ما بك يا ماما؟

لم ترد.. فتابع قائلاً:

. هيا بنا من هنا.. لا أريد البقاء هنا.. المكان ليس مريحاً.. لا أحب الأطباء.. لا أحب

المستشفيات.

إنه ابنها.. بكلماته الشهيرة التى تحفظها عن ظهر قلب.. بإلحاحه المعروف عند طلب الخروج من مكان ما.. ولكن.. كيف؟.. إذا كان هذا ابنها فمن الطفل الذى استلمته فى ساعات الصباح الأولى من هذا اليوم؟ من الذى يعيش تحت سقف منزلهم الآن بصحبة زوجها؟ هل هو ابنها أيضاً؟ أم أنها أخطأت؟ وهل يمكن أن تخطئ عاطفة الأمومة داخلها؟ هل يمكن أن يحدث هذا حقاً؟ وماذا لو أن هذه العاطفة تخطئ الآن؟ ربما الذى يجذبها من ملابسها الآن ليس ابنها!

لكن كيف؟

لقد تعرفها.. لقد خاطبها بـ (يا ماما)

أو..

ربما قال ذلك لأن الممرض أخبره بوصول أمه؟
ثم ظهر (صادق) في تلك اللحظة.. وبمجرد أن رآها سألتها:
هل أنت والدّة الطفل؟

لم تدري ماذا تقول.. كانت تريد أن تجيب بـ (نعم) لكنها كانت مهياة منذ دقائق لأن
تخبر هذا الشخص بقول (لا) وألف (لا).. ماذا تقول الآن له؟ هي التي استدعته من الأساس
لتؤنبه.. لا تدري كيف تؤنبه الآن!

.. كان زوجك مصمما على أنه ليس ابنكما.
يبدو أنه هو الذي سيؤنبها.. أصبحت تفكر الآن أنه لم يكن من الضروري أن تستدعيه على
الإطلاق.. حتى لا تسمع أى كلمة منه.

.. لا أعرف كيف ينكر الأب ابنه بهذه الطريقة!.. هل يوجد خلاف بينكما؟ هل أنتما
منفصلان؟

تمنت (حنان) لو أن الأرض تشق الآن وتبتلع هذا السمج حتى لا تراه أمامها لحظة أخرى
أو تسمع منه كلمة أخرى.. أو تشق لتبتلعها هي لتتخلص منه تماما أو تتخلص من حيرتها
هذه.

.. هل كان يريد أن يترك ابنه هنا في المستشفى ولا يسأل عنه أبدا؟
كانت تفكر في أى وسيلة لإسكاته.. تبحث عن أى كلمة تقولها أو حتى أى أداة حادة يمكن
أن تخرسه لتأيد.

.. لقد ظل يكذب ويكذب ويخبرنى أن ابنه ينام بجوار..
هل الاعتذار يمكن أن يخرسه؟.. حاولت أن تتكلم لكنها لم تستطع النفوس بحرف.. إن
الموقف يفوق درجة تحمل أعصابها.

.. ويبدو أنه قد تلاعب في بيانات المستشفى وأخبرهم أنه قد استلمه بالفعل صباح اليوم
لنظل بعدها في ارتباك شديد بسبب هوية هذا الطفل.. وكيف استلمه أبوه وهو لا يزال هنا!
يا للسخرية! يحدثها عن الارتباك! أسألها هي الآن عن المعنى الحقيقي للارتباك!.. أسألها
عن مشاعرها في تلك اللحظة وسوف تجد إجابة شافية.

.. لقد ظننت لبعض الوقت أنه ليس ابنه حقا.. ولولا أنني أصررت على الاتصال المتكرر
برقمه لأتأكد من الموضوع وأحثة على استلام ابنه لأصبح مصير هذا الطفل مجهولا.. لا أعلم
ما الذى كان سيحدث له.. طفل بلا هوية.. أباه ينكره.. يدعى أنه قد استلمه بالفعل فمن هذا
الطفل إذن؟ ومن سيستلمه؟ أين سيذهب؟.. ربما كان مصيره الشارع.. بلا مأوى.. بلا أهل..

بلا أى رعاية.. أو ينتهى به الحال فى دار أيتام.

فكرت (حنان) فى زوجها والاحتمالات التى كانت ستحدث لو أنه هو الذى أتى بنفسه بدلا منها ليؤيخ ذلك السمع.. هل كان سيظل صامتا أمامه الآن ويستمع إلى عبارات التأنيب مستسلما كما تفعل هى؟ أم كان سيجادله ويحاوره وفى النهاية يرفض استلام الطفل بحجة أن ابنه موجود بالفعل فى منزله؟

لكن.. هل هذا الاحتمال الأخير وارد حقا؟

فكرت فى الأمر لبرهة ووصلت لنتيجة واحدة:

لا.

لا تظن أن زوجها يمكن أن ينكر هذا الطفل عند رؤيته.. إنه ابنهم بالتأكيد.

مدام.. هل تسمعينى؟

أفاقت من شرودها وأجابت:

نعم.

يبدو أنه قد انتهى أخيرا من إلقاء محاضرة (اللوم والتأنيب على إهمال الوالدين لابنهم

الحبيب) على مسامعها فقد قال بابتسامة عريضة:

.حمدا لله على سلامة طفلك.

ثم اتجه نحو الباب بخطوات واثقة سريعة.. تنفست الصعداء لأنه صمت أخيرا.. لقد ظننت

أنه سيتحدث حتى تقوم الساعة.

قال ابنها بالحاح:

.هيا بنا يا أمى من هنا.. هيا بنا.

أطاعته ونهضت من السرير.. سألتها:

.أين حذائك؟

.لا أعلم.

ثم أشار إلى شبشب بلاستيكى راقد بجوار السرير وقال:

.ها هو.

هزت رأسها بالنفى وقالت:

.لا.. أقصد حذاءك الجدى.

لوى شفته السفلى مع هز كتفيه بمعنى أنه لا يعرف.. نفس حركته الشهيرة! ابتسمت

واحتضنته بحنان جارف ثم ألبسته الشبشب واعتذرت له:

. آسفة.. نسيت أن أحضر لك هذا لك.

لم تتس بالتأكد.. فقط لم تجلبه معها لأنها لم تتوقع أن تجد ابنها هناك بالفعل.

نظر (وحيد) إلى قدميه بداخل الشيشب وقال:

. ليس مقاسى.. إنه كبير.

ضحكت الأم وقالت:

. لا تشغل بالك.. هذا حذاء مؤقت حتى لا تسير حافيا.. ثم إننى سوف أحملك.

حملته وضمته بحنان جارف إلى صدرها وخرجت به من الغرفة.. قال لها:

. المسافة طويلة.. ستعنين يا ماما.

قالت باسمه وهى تقبله:

. تعبك راحة.

دخلت المصعد فأنزلته ليقف على الأرضية حتى وصلوا للطابق الأول.. ثم حملته مرة أخرى

عندما خرجت منه.. استوقفتها موظف الاستقبال.. لقد لمحها وهى لم تكن تريد ذلك.. لقد

نسيت أمره تماما:

. هل ستفادين؟

. نعم.

استوقفتها مرة أخرى وقال:

. حسنا.. املئى البيانات ثم وقعى هنا باستلام الطفل.

ثم راح يضرب أزارار الكمبيوتر أمامه ثم صاح فجأة:

. لحظة.. هناك أمر غريب.

. ماذا؟

سألته وهى تعرف إجابة سؤالها فقد كانت متوقعة هذا الأمر الغريب.

. ابنك مسجل أيضا فى كشف أسماء الأطفال الذين غادروا اليوم.. أى أنه كان مسجل فى

كشف الأطفال الموجودين حاليا بالمستشفى وفى كشف المغادرين أيضا.. كيف هذا؟

. لا أعلم.. هل تسألنى أنا؟

. لقد غادر اليوم.. فى الساعة التاسعة والنصف.

.....

. هل يمكن أن أرى بطاقتك؟

أخرجت بطاقتها من حقيبتها وأعطتها له.



. لحظة من فضلك.

. تفضل.

راجع الاسم مع الكشوف الورقية المحفوظة داخل ملف أمامه على المكتب ثم انتزع ورقة منها وقال:

. هنا توقيع زوجك بأنه قد دفع المصاريف كاملة واستلم الابن.. كيف هذا؟

لم ترد.. أعاد إليها بطاقتها وهوى حيرة شديدة ثم سألها:

. هل هذا ابنك؟

أجابته بتلقائية شديدة:

. هل هذا سؤال؟

مرّفى نفس اللحظة الممرض الذى أوصلها إلى الغرفة فسأله الموظف:

. هل أوصلت المدام لابنها؟

. ماذا شريت هذا الصباح يا أستاذ؟ إنها تحمل ابنها أمامك.

ضحكت الأم بينما ظل الموظف حائراً للحظات ثم قال:

. ربما نسى الموظف حذفه من القائمة أو أن زوجك أعاده مرة أخرى للمتابعة مع المستشفى..

أو أنه قد وقّع باستلامه ولم يستلمه حينها.

ثم أمسك الورقة التى كانت تملأ البيانات بها وجذبها عنوة.. فقالت:

. انتظر.. أنا لم أكمل كتابة البيانات.

مزّق الورقة أمامها قائلاً:

. لا يهم.. لأنه حسب الأوراق أمامى.. أنتم استلمتم ابنكم بالفعل هذا الصباح.

جلس ابنها بجوارها داخل سيارتها.. تشعر بأن هذا الموقف تكرر من قبل فى هذا اليوم..

المرّة الأولى عندما استلمت ابنها هذا الصباح وكانت بصحبة زوجها فى سيارته.. وهذه هى

المرّة الثانية ولكنها بدون (راضى) وفى سيارتها.

. هل سنعود للبيت؟

نفس السؤال الذى سأله لها فى تلك الساعة المبكرة من صباح اليوم عندما كانت تجلس

بجواره فى المقعد الخلفى بينما يجلس زوجها فى المقعد الأمامى ليقود سيارته متجهاً بهم إلى

البيت.

- نعم يا حبيبى.

ثم قبلته من وجنته..

لن نعود لهذه المستشفى مرة أخرى.. أليس كذلك؟.. أنا أكره الحقن.

نفس الحوار.. تشعر أنها تمر بحالة (déjà vu) كل شيء يتكرر كما لو أن الزمن

يعود بها.. فقط اختلافات بسيطة مثل:

" أين بابا؟ "

بالتأكيد لم يسألها هذا السؤال فى الصباح.. تابع الطفل أسئلته:

لماذا لم يأتى معك؟ لقد ظننت أنه ينتظرنا فى السيارة.. أين هو؟

قالت لابنها باهتمام خافتة:

- حمد لله على السلامة يا حبيبى.

وانطلقت بسيارتها بصحبة طفلها.. وهى لا تعلم شيئاً عما حدث أو سيحدث.. فقط متأكدة

من أمر واحد.. هذا الطفل هو ابنها ولا يمكن أن تتخلى عنه وتتركه فى المستشفى.

ولا يمكن لأحد أن يقنعها بأن تفعل شيئاً غير ذلك.

ماذا عن الطفل الآخر؟ من يكون؟ ذلك الطفل الذى استلمته من المستشفى هذا الصباح

وراحت تحكى له الحوادث وتغنى له ثم تركته لتذهب إلى المستشفى لتسلمه مرة أخرى؟

عند باب الفيلا.. أخرجت (حنان) المفتاح من حقيبتها.. كانت تريد أن تفاجئ زوجها..

و أى مفاجأة!

هل ستقول له (لقد أحضرت لك شيئاً يا عزيزى.. هل يمكنك أن تخمن؟).. لوظل يخمن

منذ هذه اللحظة حتى يوم القيامة لما استطاع أن يخمن أبداً التخمين الصحيح.. كيف يخمن

أنها أحضرت ابنهما مرة أخرى من المستشفى؟

كيف أتى هذا الولد؟ ومن أين أتى؟

لا يهمها الإجابة.. المهم أنه قد أتى.. ولتؤجل التفكير فى هذه المسائل المعقدة لما بعد.. و

ربما تجد عند زوجها الجواب الشافى لهذا الأمر.. من يدرى؟

- لا تتكلم يا حبيبى.. تريد أن تفاجئ بابا.

أبتسم الطفل بسعادة.. كم يشق الأطفال هذه الألعاب.. خاصة عندما يشاركونهم الكبار

فيها.

فتحت باب الفيلا بهدوء ثم أعادت المفتاح إلى حقيبتها.. أطلت برأسها فقط للداخل لترى

إن كان زوجها موجوداً فى بهو الفيلا أم لا.. لكنها لم تجده.

دخل الاثنان بهدوء شديد وهى تضع سبابتها على فمها لتذكر ابنها بعدم التفوه بأى كلمة من أجل تنفيذ خطة المفاجأة على أكمل وجه.

أخفت الطفل خلف ظهرها وراحت تنادى زوجها:

. (راضى) .. لقد وصلت.

لم تتلق أى رد... وسمعت صوت مياه فخمت أنه يأخذ حماما ولا يسمعها من مكانه هناك... انحنيت لتزرع شيشب المستشفى من قدمى ابنها وأليسته بدلا منه آخر يخلص ابنها . أو يخلصه . وجدته أمامها .. كان المقاس مضبوطة تماما على قدميه.

سارت معه نحو غرفة نومه لتضعه فى سريره .. ثم جال بعقلها خاطر مخيفا .. وسؤال يطرح

نفسه:

هل ستجد ابنا آخر نائما بالداخل؟

أم ستجد السرير خاليا ولن تجد أحدا آخر غير الواقف بجوارها؟

(6)

فتحت (حنان) باب غرفة نوم الأطفال بهدوء.. فربما تجد ابنتها لا يزال نائما بالداخل وهي لا تريد إيقاظه.

أما إذا لم تجده فهذا يعنى أن ابنتها هو نفسه هذا الطفل.. لا يوجد اثنان منه.. لكنها ستواجه أسئلة جديدة كثيرة بلا إجابات.. منها على سبيل المثال (كيف انتقل ابنتها من الفيلا إلى المستشفى؟) و (كيف رآه الممرض في المستشفى بينما كان هونائما أمامهم؟).. إلخ لكنها في النهاية أسئلة ليس لها أى مجال الآن لأنها قد وجدت ابنتها بالفعل نائما في سرير.

وعادت الأسئلة القديمة تطرح نفسها من جديد: (من هو هذا الطفل الآخر؟) و (من أين أتى؟)

نظرت الأم إلى ابنتها (وحيد) النائمة في سرير مطمئنا.. لا يشغلها أى شيء في هذا العالم عن متابعة أحلامه.. ثم نقلت بصرها إلى ابنتها (وحيد) الآخر الواقف بجوارها ناظرا إلى سرير ويساءل متعجبا:

من الذى ينام في سريري؟

لم تجد إجابة لسؤاله.. كيف تصف ابنتها لابنتها نفسها؟

تجاهلت ما قاله وكأنها لم تسمعه ثم اقتربت من السرير وتأملت ملامح طفلها النائمة.. إنه ابنتها (وحيد) بالضبط.. أيضا.

ولا يمكنها أن تشك في ذلك أبدا.

فبكته من جبينه بهدوء شديد حتى لا توقظه.. ومررت أصابعها على شعره الناعم.. ثم عادت إلى الطفل الآخر ونظرت له جيدا.. تتأمل ملامحه.. ثم قبّلتها أيضا حتى لا يشعر

بالغيرة.. وداعبت شعره أيضا قبل أن تحتضنه بحنان جارف.
اتجهت للدولاب وأخرجت ملابس جديدة من أجل الطفل الجديد.. وراحت تخلع عنه
ملابسه التي دخل بها المستشفى الليلة الماضية وألبسته ملابس أخرى.. ملابس منزلية مريحة
ليستطيع النوم فيها.

. هيا.. نم قليلا الآن.

. أين أنام؟

أشارت إلى السرير الخالي.. ذلك السرير الذى لم ينم عليه (وحيد) قط.. فهو يُفضل
السرير الآخر منذ يوم مولده.. حتى أنه يحتفظ بالبدوب الكبير عليه دائما.
. أريد أن أنام فى سريرى.

. لا.. حتى لا توقظه.

. أوقظ من؟

عاد السؤال يطرح نفسه من جديد.. (من هو؟)

أمسكت يد الطفل وجذبت خلفها خارجة من الغرفة وهى تقول بحزم:
. ليس من الضروري أن تنام الآن.. هيا نجلس مع أبيك أولا.

استجاب الطفل لها وخرجا معا من الغرفة.. كان زوجها قد خرج لتوه من الحمام مرتديا
روبا أبيض ويمسح شعره فى الفوطة.. رآها فسألها:

. متى وصلت؟

. منذ دقائق.

. لم أشعر بك.

. لقد ناديت عليك ولكنك لم تسمعنى فانتظرت خروجك من الحمام.

رأى الطفل أباه فاندفع نحوه قائلا:

. بابا.. بابا.

احتضن (راضى) الطفل بكل سعادة ورفعته عاليا:

. حبيب بابا.. متى استيقظت؟ لماذا غادرت السرير؟

نظرت الأم إلى زوجها الذى لم يستطع أن يفرّق بين الطفلين.. لم يقل أى شئ يدل على
دهشة أو حيرة.. تصرف مع الطفل بصورة طبيعية تماما.

ابتسمت (حنان) ابتسامة ساخرة لم يلحظها زوجها.. وحتى لو لمحها فلن يفهم أبدا السبب
الحقيقى لهذه الابتسامة.. سيظن أنها ابتسامة فرحة أم بابنها الشقى الذى غادر فراشه.. أما

السبب الحقيقي هي أنها الوحيدة التي تعلم أن ابنها لم يغادر فراشه بعد.
- هيا لتنام وتستريح.

كلان (راضى) سيحمل الولد ويضعه في فراشه.. لكنها لا تريد أن تفاجئه بهذه الطريقة
عندما يجد الآخر هناك بالفعل.. كانت تريد شيئاً آخر.. قالت:
- أريد أن أتحدث معك قليلاً.

- آه.. أخبريني ماذا فعلت في المستشفى.. ولكن.. انتظري.. لا تخبريني بشيء حتى أضع
(وحيد) في سريره.

- لا داعي.. لقد نام بما فيه الكفاية.. دعنا نتحدث أولاً.

استجاب (راضى) لطلبها وجلس على أقرب مقعد وأجلس ابنه على ساقه وقال:

- حسناً.. ما الأمر؟.. لقد أقلقتنى.. ما الذى حدث في المستشفى؟

جلست على مقعد أمامه وراحت تراقب تصرفات الطفل مع أبيه الذى راح يداعبه دون
إبداء أى ملاحظة على سلوكه معه أو على شكله أو على أى شيء يخصه.

- هل قابلت (صادق)؟

- نعم.

- أتمنى أن تكونى قد وبخته جيداً؟

- فعلت اللازم.

- كنت أتمنى أن أذهب أنا بدلاً منك.. كنت سأجعله يتذكر هذا اليوم أبد الأبد.. كنت

سأجعله يكره استخدام الهاتف.. سيفكر ألف مرة قبل أن يتصل بأحد بعد ذلك.

- لا تشغل بالك به.

- وإن أكتفى بذلك.. اعلمى جيداً أنني كنت سأحرص على مقابلة المدير وتوبيخه هو أيضاً

على تعيين مثل هؤلاء الحمقى.. ولن أهدأ إلا إذا قدم اعتذار رسمى لى.. وإلا سأغلق لهم
مستشفاهم هذه.

ابتسمت قائلة:

- لا.. الموضوع لا يستحق كل هذا.

- وماذا عن الولد؟

تصنعت الحيرة وسألته:

- أى ولد؟

كان الطفل في تلك اللحظة يدس أصابعه الصغيرة في رقبة أبيه ليدخله فيدهم للضحك

الإجبارى.. انطلقت ضحكات الأب تملأ المكان قبل أن يقبض على يد ابنه بإحكام ليمنعه من الاستمرار.. ثم قلبه من جبينه قبلة قصيرة وقال:
. انتظر.. حتى أستطيع التحدث مع أمك.

ثم التفت إلى زوجته:

. هاه.. هل رأيته؟

كانت سعيدة بما تراه أمامها.. ابنها الجديد يجلس على حجر أبيه الذى يسألها عنه.. لا يدرى أن الطفل الذى يداعبه هو نفسه الطفل الذى يعتقد أنه بالمستشفى الآن.. وكان يحاول إقناعها بأنه ليس ابنها.. وربما يستمر فى المحاولة!
. نعم.

. ذلك الغبي كان يعتقد أننا لم نعرف ابننا وأننا استلمنا آخر.

ثم نظر إلى وجه الطفل البريء وقال:

. وهل يوجد أب فى الدنيا لا يستطيع التعرف على ابنه؟

ثم احتضنه بقوة وحنان أبوى جارف.. ثم التفت إلى أمه وسألها:

. كيف كان شكل ذلك الولد؟

كتمت ضحكة كادت أن تقلت منها وحاولت الحفاظ على ثبات انفعالاتها.. ترددت فى اختيار الرد المناسب.. فى النهاية هزت رأسها متظاهرة باللامبالاة وقالت:

. عادى.. شكله ولد.. كأى ولد.

. أقصد.. هل كان يشبه ابننا؟ ولماذا كان يتحدث معنا على الهاتف على أننا أبواه؟

!.....

. وما سبب الخطأ الذى جعلهم يعتقدون أننا والديه؟ وهل وجدوا والديه الحقيقيين؟ أم أن

كل هذا كان خدعة من المستشفى من أجل الحصول على مزيد من المال؟

.....

. هل طلبوا منك مال؟

.....

انتبه الزوج لصمتها المريب الذى استمر لفترة طويلة.. فسألها بقلق:

. ما الأمر؟ ما الذى حدث فى المستشفى؟

تهتدت ثم فاجأته بسؤال:

. هل تحبنى؟

ضحك الزوج وسأها متعجبا:

. ما سبب هذا السؤال؟

قالت بلهجة جادة لا تخمئها الأذن:

. من فضلك أجبني.. هل تحبني؟

لم يجيبها واندھش من تكرار سؤالها..

. ما بك يا (حنان)؟ هل أنت بخير؟

زفرت قائلة:

. إذا سألت الزوجة زوجها إن كان يحبها أم لا فهل هذا السؤال يعنى أنها ليست بخير؟ هل

أصبحت مجتونة فى نظرك الآن؟

. لا.. ولكن السؤال غريب.

. غريب!

. أعنى التوقيت.. لماذا تسألين هذا السؤال الآن؟ ما الذى حدث لك لتفكرى فى مثل هذا

السؤال؟

. ما زلت أنتظر الإجابة.

شعر (راضى) أن زوجته سوف تستمر فى طرح هذا السؤال عليه للأبد.. فأجابها ليتخلص

من هذا الإلحاح:

. نعم.. أحبك.

قال الطفل وهو ينظر إلى أمه:

. و أنا أيضا أحبك يا ماما.

ابتسمت الأم من إجابة ابنها الصادقة وتدخله فى الحوار معها.. بينما لم تصدق إجابة

زوجها وشعرت أنها إجابة باردة جافة.. قالها فقط ليريحها ويستريح.. أو لأنه لا يستطيع أن

يصدقها القول ويخبرها بحقيقة مشاعره تجاهها.. على الأقل ليس الآن.

. منذ متى تزوجنا؟

ضحك زوجها قائلا بسخرية:

. هل السؤال إجبارى؟

كررت (حنان) السؤال فاستمر (راضى) فى سخريته قائلاً:

. هل هناك اختيارات؟ هل يمكن أن أستعين بصديق؟ أم نأخذ رأى الجمهور؟

تهضت من مقعدها قائلة بغضب:

. صارحنى بالحقيقة يا (راضى) .

. أى حقيقة؟

. السر الذى تخبئه عنى .

. أى سر؟

. اعترف يا (راضى) .

. أنا لا أفهم شيئاً.. عم تتحدثين بالضبط؟

. هل أنت متزوج من أخرى؟

. وفجأة..

. لمح (راضى) باب غرفة الأطفال يتحرك.. فسأل:

. ما هذا؟ هل هناك أحد فى غرفة الأطفال؟

. أجابت الأم بابتسامة واثقة:

. ابننا .

. ردد (راضى) الكلمة خلفها بتعجب شديد:

. ابننا!!! ماذا تعنين؟

. ثم فهم كل شيء بسرعة.. أنزل ابنه من حجره ثم نهض من مقعده وصاح محتجاً فى

. زوجته بغضب شديد:

. هل جننت؟ هل أحضرت ذلك الطفل من المستشفى؟

. انفتح الباب عن آخره وظهر (وحيد) خارجاً من الغرفة وهو يفرك عينيه ويتجه نحو أمه..

. نظر الأب إليه وقال:

. ما هذا؟.. من هذا؟

. أجابت الأم ببساطة:

. ابننا .

. كان الطفل يدفن وجهه فى ساق أمه فلم يستطع الأب تبين ملامحه جيداً واستمر فى ثورته

. قائلاً:

. ابننا كيف؟ ابننا هو (وحيد) .

. ثم حمل بذراعيه ابنه الذى كان يداعبه منذ قليل والذى يقف بجواره الآن.. ثم رفعه أمامها

. لترى وجهه جيداً، وقال:

. هذا هو ابننا.. هل نسيته؟

ثم نظر إلى الطفل الآخر الذى يغطى وجهه فى ملابس أمه وتابع قائلا:

- من هذا الطفل الذى أحضرته من المستشفى؟

ابتسمت (حنان) ابتسامة ساخرة غامضة تحمل الكثير.. ثم صمتت قليلا لتختار كلماتها بدقة حتى تكون الصدمة مثالية له.. ثم نظرت إلى ابنها الذى يحتضن ساقيه.. ثم أدارت وجهه ناحية زوجها ورفعته عاليا أمامه وقالت:

- إن الطفل الذى تحمله أنت هو الذى أحضرته من المستشفى الآن.

(7)

نظر الأب إلى الطفل الذى تحمله زوجته.. إنه ابنه (وحيد) بالفعل.

ثم تذكر كل شىء..

لقد كان ابنه نائما فعلا بهذه الملابس التى يرتديها الآن.. أما الطفل الذى يحمله فإنه يرتدى ملابس أخرى وهذا منطقي لأنه عائد لتوه من المستشفى ومن الطبيعى أنها قد غيرت ملابسه بينما تركت الأول نائما فى سريره.. هذا يعنى أنها تقول الحقيقة.. إن الطفل الثانى الذى أحضرته هو الطفل الذى يحمله الآن والذى ظل يداعبه طوال هذا الوقت وقد كان يجزم أنه لا يوجد أب فى هذه الدنيا لا يمكنه التعرف على ابنه.

لو أنها أرادت خداعه لجعلت الطفل الثانى يرتدى ملابس الأول.. لكنها لم تفعل.. أو كانت أيقظت الأول وأرغمت الثانى على النوم مكانه.. لكنها لم تفعل ذلك أيضا. أنزل الأب الطفل الذى يحمله إلى الأرض ثم نقل بصره بين الطفلين وتأمل وجهيهما المتطابقين.. كان فى حالة ذهول جعلته لا يستطيع التفوه بكلمة.

بمجرد أن هبط الطفل الثانى إلى الأرض اندفع نحو أمه واحتضنها.. وراح يجذب ساق الطفل الأول ليدفعه للنزول وهو يصيح:

من هذا يا ماما؟

بينما الطفل الأول . الذى تحمله أمه . يملص ساقه من يدى الثانى وهو يسأل نفس السؤال

عن شبيهه:

من هذا يا ماما؟

نفس السؤال بنفس الصوت بنفس طريقة النطق.. مرتين.

انزلت الأم الطفل إلى الأرض وأوقفته بجوار الثانى ثم نظرت إلى زوجها سائلة إياه:

. ما رأيك؟

اقترب الأب منهما وتساءل بمنتهى الحيرة:

. كيف هذا؟

راحت تشرح له ما حدث:

. لقد ذهبت إلى المستشفى وكُلِّي يقين أنني لن أجد ابني هناك لأنني متأكدة أنني تركته هنا
مملك.. كل ما كنت أفكر فيه هو أن أؤنب ذلك المتصل عندما أراه.. المفاجأة أنني وجدت ابني
هناك بالفعل.

. ابنك.. كيف؟

نظرت للطفلين وراحت تداعب شعرهم:

. كما ترى.. أنت نفسك لم تستطع تمييزه عن الآخر.

. أنا.. أنا.. أنا.. أ

لم يجد في عقله بقية لجملة.. أما هي فقالت:

. لقد أحضرته معي من المستشفى.. لم أستطع أن أتغلى عنه.. ضع نفسك مكاني وأخبرني
كيف كنت ستصرف.

. ولكن..

مرة أخرى لم يجد كلمات، وهي لم تعطه فرصة لاستكمال جملة.. فقد تابعت:

. غيرت له ملابسه بماليس أخرى من دولابه.. ولم أخبرك بالحقيقة.. تركتك لتكتشفها
بنفسك.. لكنك ظلت تداعبه.. وكنت أنتظر أن تلاحظ أي اختلاف بينهما لكنك لم تفعل..
وهذا يؤكد ظني.. هذا ابننا فعلا.

احتج قائلاً:

. ابنتا كيف؟ إن لدينا ابن واحد فقط.. أما هذا الطفل الآخر لا يخصنا أبدا.. ولا نعرف

عنه شيئاً.

سأنته بتحد واضح:

. أيهما؟

أشار إلى الطفل الذي كان يحمله منذ قليل وقال:

. هذا الطفل.. لا نعرفه.

. لماذا؟

. هو الذي أحضرته من المستشفى وكنا نشك فيه.

اقترَب من الطِفْل وسأله:
 . ما اسمك يا حبيبي؟
 أجاب الطِفْل بهدوء:
 . (وحيد راضى)
 قال الطِفْل الأول ضاحكا:
 . اسمه مثل اسمي.
 سأل (راضى) الطِفْل الثانى مرة أخرى:
 . ما اسمك كاملا؟
 . (وحيد راضى حسن الشويشان).
 تذكر (راضى) أنه قد سأل نفس السؤال لنفس الطِفْل من قبل عبر الهاتف وأجابه وقتها
 بنفس الإجابة.
 أمسكه من يافته وجذبه نحوه بعنف وعاد يسأله:
 . اسمك الحقيقى؟
 أجاب الطِفْل خائفا:
 . هذا اسمى يا بابا.
 صاح (راضى) فيه:
 . أنا لست بابا.
 بكى الطِفْل وأخفى وجهه من أبيه فى أحضان أمه التى ربت على كتفه وقالت لزوجها:
 . كنت قاسيا جدا مع الولد.
 لم يهتم (راضى) بما قالتة وسألها:
 . أين ملابسه التى أتى بها من المستشفى؟
 لماذا؟
 . ستكون هى الخيط الوحيد للوصول لحقيقة هذا الولد.
 . لا ادعى من كل هذا.. إن الـ
 قاطعها قائلًا:
 . أين هى الملابس؟
 . فى غرفة نوم الأطفال.
 تركها متجها إلى الغرفة لكنه توقف فى منتصف الطريق عندما قالت:

.. لن تستفيد شيئاً .. فهي ملابسها التي دخل بها إلى المستشفى..

انتقلت إليها وقال:

.. كيف هذا؟ .. أريد أن أفهم .. هل كان في المرتين مرتدياً نفس الملابس؟

.. لا .. هل تتذكر المرة الأولى؟ لقد خلع ملابسها قبل العملية .. وعندما استلمناه كان يرتدي

الجوارب .. لم أبحث عن ملابسها التي خلعتها لأنني كنت قد أحضرت له ملابس أخرى جديدة ..

أما في المرة الثانية وجدته يرتدي نفس الملابس التي تركناها هناك.

.. حسناً .. سأعرف ابني من آثار عملية الزائدة الدودية.

.. الاثنان أجرياهما .. وفي نفس التوقيت تقريباً.

نظر الأب للولدين في حيرة وسألها:

.. ما الذي تريدين قوله؟ أيهما (وحيد)؟

.. قالوا الطفلان في نفس واحد وكان السؤال موجه لهما طالما أنه عنهما:

.. أنا (وحيد) يا بابا.

نظرا الطفلان لبعضهما و..

.. أنا (وحيد) .. من أنت؟

.. أنا (وحيد) .. من أنت؟

ردت الأم على سؤالهما:

.. أنتمأ أخوات .. لا تتشاجرا .. هيا اذهبا إلى غرفتكما.

ذهبا الطفلان وهما يسكان بأيدي بعضهما نحو غرفتهما .. بينما قال (راضى) بلهجة

حازمة:

.. هذا الولد ليس ابننا.

ابتسمت ابتسامة ساخرة وسألته:

.. تقصد أي واحد فيهما بالضبط؟

.. الأول .. الذي كان نائماً في السرير هو ولدنا .. الآخر هذا لا نعرف عنه شيئاً.

.. ولكنك كنت تحمل هذا الآخر وتداعبه على أنه ابنك.

.....

.. ولم لا تقول العكس؟

.. ما الذي تريدين قوله؟

.. قالت بلهجة غامضة:

. أنت تعلم ما أقصده.

. لا أفهم شيئاً.

اقتربت منه ونظرت فى عينيه لتتبين الحقيقة فىهما وهى تسأل:

. ما هو السر الذى تخبئه عنى؟

. أى سر؟

. أخبرنى بالحقيقة يا (راضى).

. أى حقيقة؟

قررت (حنان) أن لحظة المواجهة قد حانت.. ولابد أن تكشف له جميع شوكها.. سألتها بطريقة مباشرة:

. هل أنجبتُ توءما؟

. كيف؟

. سؤالى واضح.. هل أنجبتُ توءما؟

ضحك ضحكة عالية ثم صاح ساخراً:

. نعم.. لقد أنجبتُ توءما.. و بعد خمس سنين من إنجاب التوأم الأول.. ما هذا التخريف! أنا أسمع أن الفاصل الزمنى بين توءم وأخيه نصف دقيقة وليس نصف عقد من الزمان.
. أنا لم أنجب بالأمس.. أنا أنجبته مع (وحيد) فى نفس الساعة، ولكنك خبأت عنى هذه الحقيقة.. لا يوجد أى تفسير آخر.

. ماذا؟

قررت كشف جميع الأوراق أمامه لتجبره على قول الحقيقة:

. أنت تزوجت من أخرى.. ثم فعلت مثل (محمود عبد العزيز) فى فيلم (تزوير فى أوراق رسمية) وأخذت أحد التوأمين لزوجتك الأخرى التى لا تجب والتى تحبها أكثر منى لدرجة أن تحرمنى من ابنى من أجل إسعادها.. تمنحها ابناً غير ابنها وتحرم ابنك من أمه الأصلية.. وطبعاً قامت هى بالاهتمام به ورعايته كأنه ابنها بالضبط طوال السنوات الماضية.. ونام ضميرك مستريحاً فقد حققت لها رغبتها وأشبع عاطفة الأمومة عندها.. وظننت أن طفل واحد يكفينى.. تركت لى توءم واحد فقط.. بينما كنت تعيش مع التوأم الآخر هناك معها فى عش الغرام.

. أنت تخرفين بالتأكيد.. التليفزيون أفقدك عقلك.. فيلم ماذا؟ وأى تزوير؟

. أنت زوّرت مثل (محمود) بالضبط.. وكتبت الطفل الثانى باسمك واسمها.. وظللت أنا

مخدوعة طوال هذه السنين.. لا أعلم شيئا عن ابني.. أنا (ميرفت أمين) المظلومة.
قال (راضى) ضاحكا:

.. لا يا (ميرفت) .. أنت مخطئة.. فى الفيلم.. حسب ما أتذكر.. سجل (محمود عبد العزيز)
ابن الزوجة الثانية باسم الزوجة الأولى.. أى أنه أعطى زوجته الأولى ابنا آخرًا إضافيًا مع
ابنها.. وكل حيرتها أنها كانت تريد معرفة أيهما ابنها وهو لا يريد ذلك ليُجعل الاثنان ولدا
لتحبيهم بنفس المقدار وتعطاهم نفس الحنان وتربيهما بنفس الطريقة وتعاملهم نفس المعاملة
دون تفرقة.

انتهت (حنان) هذا الاختلاف الشديد فصاحت:

.. إذن أنت أسوأ من (محمود) .. لقد حرمتنى من ابنى وكتبته باسم زوجتك الثانية.. بدلا
من أن تعطينى ابنها.

.. أنت جنتت بالتأكيد! ليس لك أى ابن آخر ولست متزوجة من أخرى.. أما هذا الولد
فسأعيده إلى المستشفى.

ثم اتجه نحو غرفة الأطفال فأسرعت لتعرض طريقه قائلة بلهجة مخيفة:
.. إياك أن تأخذ ابنى منى.

صاح غاضبا:

.. ابنك!

.. نعم.. لقد أعاده الله لى.. بعد غياب سنوات.

قبض على ذراعيها بكلتا يديه بمنتهى العنف وقال:

.. (حنان) .. هل صدقت نفسك؟ كذبت الكذبة وصدقته.. هذا ليس ابنك.

سألته بكاء:

.. كيف تقسر هذا التشابه إذن؟

صمت لفترة قصيرة.. كيف يرد عليها فى مسألة التشابه؟.. الشبه شديد جدا بين الطفلين..

من يراهما يخمن بالتأكيد أنهما توأمين.

التقم نفسا عميقا ثم زفره وقال:

.. حسنا.. سأثبت لك الآن أنه ليس ابنك.. وأنتك لم تتجبنى تووما أبدا.

(8)

سألت (حنان) متحدية زوجها قائلة:

. كيف ستثبت ذلك؟

أجابها (راضى) بكل هدوء:

. هل تذكرين الطبيب الذى كنا نتابع الحمل عنده؟.. هل أخبرك فى أى يوم أنك كنتِ

حاملًا فى توئميين؟

كانت حجة منطقية.. حتى أنها لم تستطع الرد عليه بسرعة.. فكرت قليلا وربما تذكرت

بعض المشاهد من حياتها أثناء فترة حملها.. ثم توصلت لإجابة مناسبة:

. لا.. ولكن ربما اتفقتما سويا على هذا الكذب.. دفعت للطبيب ليفلق فمه ولا يخبرنى

بالحقيقة أبدا.

. وماذا عن (السونار)؟ هل كنتِ ترين طفلا واحدا أم اثنا على الشاشة؟ أم أننى دفعت

للاشاشة أيضا حتى لا تخبرك بالحقيقة؟

هزت رأسها لتعبر عن عدم اقتناعها وقالت:

. لا أفهم فى هذه الأجهزة.. كنت أميز شكل الطفل بصعوبة.. مجرد خطوط بيضاء كثيرة

على خلفية سوداء.. كيف لى أن أعرف؟! ربما كان الطفل الثانى مختبئ خلف الطفل الأول

فلا يظهر أمامى على الشاشة أبدا.

. مختبئ!! بطنك هذه أم مغارة (على بابا)؟ هل تعتقدين أن الطبيب لم يجرى لكِ

عملية قيصرية.. وكل ما قام به هو أن قال الـ Password (افتح يا سمسم) فأنفتحت بطنك

وأخرج الطفلان.. أعطاك واحدا ثم أعطى الآخر لزوجتى الأخرى التى كانت تنتظر أمام باب

المغارة.

..ربما كان الطفلان ظاهرا أن أمامي على الشاشة ولم أستطع التعرف عليهم.. أنا لا أفهم في هذه الأجهزة.. أنا نيت طبيبى نساء.. فعنى لو أخبرنى الطيبب أنى حامل فى خمس توائم.. كنت سأواققه الرأى وأنظر للشاشة ببلاهة مدعية أنى أرى الخمسة.

.. خمس توائم!.. هل تريدین اتهامى فى ثلاثة آخرين أعطيتهم لزواجى الأخريات؟
.. اسخر كما تشاء لتدارى على كذبك طوال هذه السنين.. الحمد لله أن الحقيقة ظهرت أخيرا.. وبمحض الصدفة.

ضحك ثم قال:

.. نعم.. صدقة لا يصدقها عقل!

.. ما الذى تريد قوله؟

.. حسنا.. إذا افترضنا يا حبيبتى أنك أنجبتِ توءمين.. و كذبت عليك بالاتفاق مع الطيبب وأخبرناك أنك أنجبتِ طفلا واحدا فقط.. بينما أعطيت الطفل الثانى لزواجى المزعومة.. فهل من المعقول أن يصابا الاثنان معا فى وقت واحد بالتهاب شديد فى انزائدة الدودية؟
بمحض الصدفة أيضا؟
ربما لأنهما توءمان.

.. ربما.. ولكن.. هل من المعقول أيضا أن أكون بهذا الذكاء وأخدعك طوال هذه السنين ثم أكون بهذا الغباء لأحضر ابنى الثانى لنفس المستشفى التى يعالج فيها ابنى الأول فى نفس اليوم؟ وينتج عن ذلك كشف الخدعة التى ظلمت حريصا عليها طوال هذه المدة.

فكرت الزوجة لثوان معدودة ثم قالت بذكاء:

.. أنت لم تحضره.. لأنك كنت معى طوال الوقت بالأمس.. لقد أحضرته زوجتك الثانية إلى المستشفى.. و لم تستطع إخبارك لأنك بالتأكيد أمرتها بعدم الاتصال بك خشية أن أكتشف أمر زواجكما.

.. حسنا يا عبقرية.. كل هذه صُدَف! ولكن هل من الصدفة أيضا أن أطلق على ابنى الثانى اسم (وحيد) كما فعلت مع ابنى الأول؟

.. بالعكس.. هذا هو الأمر الوحيد الذى لم تتدخل الصدفة به.. لقد أسميته بهذا الاسم متممدا.

سألها متدهشا:

.. كيف؟

.. (كده رضا).

.. لا أفهم.. ما الذى تعنيه؟

.. مثل (كده رضا) بالضبط.. كنت تريد أن تربي ابنك الثانى بنفس مصاريف الأول..
وتدفع مرة واحدة فقط دائما بدلا من اثنين.. تدفع اشتراك واحد فقط للنادى من أجل الاثنين
معا.. تدفع مصاريف المدرسة الخاصة مرة واحدة فقط.. تستغل التشابه بين الطفلين ليعيشا
الاثنان على أنهما واحد.. تماما مثلما فعل (لطفى لبيب) فى فيلم (كده رضا).
أفلام مرة أخرى! ألم أقل لك أن الأفلام أكلت عقلك؟.. يا خسارة عليك!
لم تهتم بما قاله.. كانت (حنان) مقتنعة تماما بنظرياتها الخاصة.. أما هو فقد تابع
قائلا:

.. حسنا.. سأتصل الآن بالطبيب.. وبالمستشفى أيضا التى أنجبت فيها لأثبت لك أنك
أنجبت ولدا واحدا فقط وليس اثنان.

صدمته بقولها:

.. كلهم كاذبون.

.. أنا لم أتصل بعد.

.. كلهم متفقين معك ومشاركين معك فى نفس المؤامرة.. دفعت لهم طوال هذه السنين
ليخفوا الحقيقة عني.. لذا لن أصدق حرفا مما سيقولونه.. إنه ابنى الذى عاد إلى أحضانى
بعد غياب سنوات طويلة.. لقد أنجبت توءمان متماثلان.. هل تريدنى أن أكذب عيني وأصدق
أكاذيبكم؟.. كلكم متآمرون.

.. متآمرون! أل هذه الدرجة أصبحت مقتنعة بأن الولد ابنك؟

و كأنها لم تسمعه.. راحت تنهال عليه بالأسئلة:

.. من هى؟ هاه.. هل هى (منى)؟ أم (هويدا)؟ أم (سامية)؟

ثم علا صوته وهو يكمل:

.. أنت مجنونة! هدمت كل ما بيننا فى لحظة واحدة.

ثم دخل إلى حجرته ليغير ملابسه وهو يقول لها:

.. سأتركك وحدك لتفكرين.. وعندما يعود إليك عقلك اتصلى بى لكى أعيد الطفل لمكانه

الطبيعى.

.. مكانه الطبيعى.. هاه.. تقصد زوجتك الثانية؟

.. لا توجد زوجة ثانية.. أقصد بـ (مكانه الطبيعى) المستشفى.. المكان الذى أحضرته منه..

هم فقط فى المستشفى يعرفون من أبيه ومن أمه.

صاحت:

. أنت أبيه وأنا أمه.

خرج من الغرفة. وهو لم يكمل ارتداء ملابسه. ليقول لها:

. لقد أنجبت ولدا واحد فقط.. هذا الولد الآخر لا نعرف عنه شيئا.

. وماذا عن التشابه؟

. يقولون فى الأمثال (يخلق من الشبه أربعين).

ثم عاد مرة أخرى للداخل بينما سمعها تقول:

. هذا ليس تشابه.. إنهما توءمان متماثلان!

لم يقل كلمة أخرى وخرج من الغرفة مرتديا كامل ملابسه.. متجها نحو باب الفيلا وهى

تلاحقه بقولها:

. اذهب إليها.. ارتمى فى أحضانها.

التفت لها لينفى عن نفسه التهمة مجددا:

. أنا لست متزوجا من أخرى.. أوقفى هذه الشكوك التى ستهدم بيتنا السعيد.

و كأنها لم تسمعه قالت:

. وأخبرها أننى سأحتفظ بابنى وسأربيه منذ هذه اللحظة واشكرها بالنيابة عنى لأنها ربته.

طوال هذا الوقت واعتذر لها أننى سأحرمها منه منذ هذه اللحظة.

غادر الزوج الفيلا وهو يصيح غاضبا:

. لا فائدة منك.

ظل الحوار الذى دار بينهما يدور داخل عقله وهو يقود سيارته بجنون فى شوارع المدينة..

كان يضرب عجلة القيادة بقبضته بين الحين والآخر مرات عديدة من فرط غضبه.. ويكرر

كلمة واحدة:

. اللعنة!

ثم أوقف سيارته أمام إحدى العمارات فى شارع هادئ تماما.. وصعد إلى شقة فى الدور

الخامس ثم ضغط بسلامته على الجرس بمنتهى العصبية.. بعد دقيقة فتحت له امرأة فى

غاية الحسن والجمال ترتدى روب نوم أحمر خفيف فى غاية الإثارة.. أتاحت له مجالا للدخول

بينما أخفت نفسها خلف الباب حتى لا يراها أحدا صاعدا أوهابطا الدرج.. دخل بسرعة قبل

أن يلمحه أحد من الجيران.. استقبلته بترحاب شديد.. أحضان حارة ملتفة وقبيلات ساخنة

تدل على مدى حبها واشتياقها له.. قالت بمشاعر متدفقة لا يمكن وصفها بكلمات عربية أو

بأى لغة من لغات العالم:

. لم أصدق عينى عندما رأيتك من العين السحرية.. فهذا ليس موعدك المعتاد.

قال بضيق:

. لقد تشاجرت معها.

سألته زوجته الثانية بقلق شديد:

. هل عرفت؟

(9)

دخلت (حنان) غرفة الأطفال فوجدت الولدين يلهوان بأنعابهما بمنتهى المرح.. فهبطت على ركبتيها لتجلس معهما وتشاركهما اللعب.. نظرت للطفل الذى أحضرته من المستشفى مؤخرا والذى تمرقه جيدا من خلال الملابس فقط.. احتضنته بقوة قائلة:

..عُدت إلى حضن أمك يا حبيبى.

وضع الطفل يده على يملئه وقال لأمه:

..احترسى.. العملية.

كشفت الأم عن بطنه ورأت مكان العملية وتذكرت ما قاله زوجها بشأن الصدفة الغريبة التى جعلت التويمان يقومان بنفس العملية فى وقت واحد! هل هذا معقول حقا؟

ثم نفضت تلك الأفكار عن رأسها وعادت لتحضنه مجددا لكن بحرص هذه المرة.

شعر الطفل الأول بالغيرة.. ذلك الطفل الذى استلمته فى الصباح.. نهض من مكانه واحتضن أمه أيضا.. مثل أخيه بالضبط.

احتضنتهما معا وهى فى قمة سعادتها.. وقالت:

..أحبكما أنتما الاثنان بنفس القدر.. ولن يستطيع شيئا على الأرض أن يفرقنا عن بعضنا بعد الآن.

كانت تشعر أنها أسعد أم فى العالم وهى تنقل بصرها بين الطفلين.. لقد أصبح لديها ولدان فجأة بعد كل هذه السنوات.. بعدما فقدت الأمل تماما فى الإنجاب مرة أخرى بسبب ما حدث لها.

ثم عادت بذاكرتها للوزاء.. إلى تلك الأحداث المؤلة التى مرت بها فى حياتها واثى لا يمكن أن تسامها أبدا.. تذكرت الألم الذى كان يوقظها كل ليلة والتزيف المفاجئ، اضطرابات

التملت وفقدان الشهية، ألم الحوض اللعين والإفرازات الشنيعة، كان الأمر أكبر من تشخيصه ذاتيا على أنه خلل نفسى أو هرمونى. طبيبها النسائى نفسه وجع لحظة ونصح بإجراء الفحص بتصوير الرحم والمبيضين وقتاتى فالوب وكامل منطقة الحوض بالرنين المغناطيسى فى الحال، فتأكدت الشكوك: أسوأ خبر سمعته أذنيها.. أنها مصابة بورم سرطانى فى الرحم من الدرجة الثالثة انتقل للعقد الليمفاوية فى الحوض.. حفظنا الله منه وإياكم. كان لابد من جراحات البروجسترون لتثبيط نمو الخلايا السرطانية التى تعتمد على الإستروجين، وبعض جلسات الإشعاع، ثم إجراء جراحة عاجلة لاستئصال المبيضين والرحم والعقد المصابة.. حدث ذلك بعد إنجاب (وحيد) بمدة قصيرة.

ظلت لأيام كثيرة تلعن حظها السيء.. لماذا اختار المرض اللعين هذه المنطقة بالذات؟.. لماذا لم يختار ثديها مثلاً؟.. كانت سترضى باستئصاله حتى لو شوّه منظرها كأنثى. لكنها على الأقل ستستطيع الإنجاب وقتها.. لا يهمها أن تكون أنثى أكثر من اهتمامها أن تكون أم مرة أخرى.. كانت على حافة الجنون.. نصحتها جميع من حولها بالابتعاد عن هذه الأفكار الملعونة والرجوع إلى الله والإيمان بقضائه وقدره.. هذا اختبار منه لقوة صبرها وتحملها على الشدائد.. وسيجزيها الله خير ثواب.. ونصحها زوجها بأن تحمد الله أنه أصابها بعد إنجاب البنتها (وحيد).. فهى أصبحت أم بالفعل.. ولو أنها أصيبت به قبل ذلك لتمنت لو أنه أصابها بعد الولادة.. كل هذه أفكار شيطانية.. يجب ألا تفكر فيها أبدا حتى لا تدفعها إلى الكفر.. ولو أن المرض اللعين أصابها فى صدرها فربما كانت ستتمنى أن يصيبها فى أى منطقة أخرى حتى لو كان رحمها لأنها قد أنجبت بالفعل ولم تعد بحاجة له لكن فى احتياج للاحتفاظ بأنوثتها.. دائما الشيطان اللعين يصوّر للفرد أن ما حدث له من ابتلاء هو أسوأ ما يمكن أن يحدث لأحد.. نصحتها أن تحمد الله فى كل الأحوال وتفكر فى باقى نعمه الكثيرة التى حباها بها.. وأن تشكره دائما أن رزقها ب (وحيد).

بعد إجراء العملية بكت لليال طويلا.. كانت موهنة تماما أنها لن تُرزق بأى أطفال مرة أخرى.. وأن (وحيد) سيصير ابنا وحيدا لها للأبد.. لم يمر بخاطرها أبدا عندما أطلقوا عليه اسم (وحيد) أنه سيكون اسما على مسمى.. لن يكون له أخ أو أخت أبدا.. منها على الأقل. ربما يتزوج (راضى) يوما ما وينجب أخوات آخرين لـ (وحيد).. ويصبح أبا مرة أخرى أو مرات عديدة.

أما هى فلن تكون أما سوى لـ (وحيد) فقط.. لن تسمع كلمة (ماما) سوى منه فقط.. ثم عادت بذاكرتها للوراء أكثر.. وتذكرت كيف أنجبتة.. وعناء الحمل وآلام ما بعد الولادة..

ثم تذكرت ما قبل ذلك أيضا.. عندما أخبرهما الطبيب أنهما لا يستطيعان الإنجاب كانت صدمة كبيرة بالنسبة لكليهما..

ثم حاول الطبيب طمأنتهما وتوضيح الأمر.

أخبرها أنها تصلح للإنجاب وزوجها يصلح أيضا.. لكنهما لا يستطيعان إتمام عملية التخصيب تلقائيا دون مساعدة.

وظل يشرح لها الطبيب بالتفاصيل العلمية المملة تلك الموانع التي تواجههم في عملية التخصيب الطبيعية.. وصار الأمل الوحيد أمامهم هو استخدام تقنية الإخصاب الأنبوبي معمليا خارج الرحم In-vitro-Fertilisation IVF المعروفة للمامة باسم (طفل الأنابيب).. وهكذا جاء (وحيد) إلى الدنيا.. طفل أنابيب.

تمت عملية التخصيب الصناعية وصارت حاملا من زوجها.. وانتظرت شهور الحمل وتحملت آلامه وغثيان الصباح بمنتهى السعادة.. حتى جاء يوم الولادة.

كانت تعاني من ضيق بفتحة الحوض مما يمنع مرور جسم الطفل رغم ضآلته.. لذا أخبرها الطبيب أنه سيقوم بعملية قيصرية.. وجاء طبيب التخدير ليقوم بعمله.. كانت لا تشعر بأي شيء في نصفها السفلي أثناء العملية.. تسمع فقط صوت الأدوات الجراحية.. تتحدث مع الطبيب والمرضات لتطمئن على حال العملية.. حتى جاءت اللحظة التاريخية التي سمعت فيها صراخ جنينها لأول مرة.. انهمرت الدموع من عينيها بغزارة من الفرح الشديدة.. تلك الفرح التي انتظرتها سنوات طويلة.. قاموا بتنظيف الطفل وتغطيته ثم وضعوه أمام عينيها لتراه لثوان معدودة ثم أخذوه بعيدا.. لكنها ظلت تسمع صراخه.. كان يتسلل إلى أذنيها كأجمل موسيقى في الكون.

تفكر الآن: هل كانت تسمع صراخ طفل واحد أم طفلين؟ لا بد أنهم كانوا طفلين.. توءمين.. لا بد أنهم أخفوا الحقيقة عنها تنفيذا لخطة زوجها.

في ذلك اليوم.. بعد انتهاء تأثير المخدر.. شعرت بالآلام كثيرة.. ظلت راقدة في الفراش لأيام بعدها.. كانت تتحرك مرات بسيطة في اليوم ثم تعود مرة أخرى لقراشها.. كل الآلام تهون من أجل ابنتها.. لقد صارت أما للمرة الأولى.. ولم تظن لحظتها في أنها ستكون الأخيرة.

كانت مستعدة لإجراء عملية طفل الأنابيب والولادة القيصرية مرات ومرات بعد ذلك مهما تكلف الأمر.. لكن جاءت المشكلة الأخرى التي جعلت الأمر ثم يعد صعبا فقط.. بل صار مستحيلا.

كيف تجب وقد انتزعوا منها ما يؤهلها للحمل؟

أجرت العملية لتتخذ حياتها من المرض اللعين.. نجت بحياتها منه ولكنها فقدت شيئاً غالياً في المقابل.. لن تجب مرة أخرى!

لن يكون لها ابناً غير (وحيد) وهكذا صارت تخاف عليه بشدة.. صار قلبها وعقلها وكيانها كله.. وأهملت زوجها تدريجياً.

صار (راضى) مجرد شريك سكن معها في نفس البيت.. أبو ابنها.. الذى تعد له الطعام وتغسل له ملابسه.. يأكلان سوياً.. يخرجان سوياً.. ينامان سوياً في فراش واحد.. لكنه فراش بارد.. بارد للغاية.

كانت مشغولة بابنها طوال الوقت.. وصار زوجها معتاداً على هذا الأمر.. لم يعد يثير ضيقه كما كان يحدث من قبل.. وهى لم تعد تهتم إن كان هذا الأمر يثير ضيقه أم لا. الآن.. وبعد كل هذه السنوات الطويلة.. تكتشف وجود ابناً آخر لها.. تشعر أن الله أرسله لها ليعوضها عن كل هذه المعاناة طول هذه المدة.

أخبروها كثيراً أن الله سيعوضها عن صبرها لكنها لم تتصور أن يحدث ذلك.. أو أن يحدث بهذه الطريقة.. فجأة وبدون مقدمات تجد ابناً هو نسخة أخرى من ابنها (وحيد).. أجمال طفل في العالم.

ظلت تشكر الله كثيراً وهى تتأمل الطفلين أمامها..

. كفى لعباً.. هيا اذهبا للنوم.. يلزمكما الراحة التامة.

نهض الطفلان واتجها نحو سرير واحد..

. هذا سريرى.. نم أنت على السرير الآخر.

. لا.. هذا سريرى أنا.. أنا أنام عليه كل يوم.. نم أنت على الآخر.

. بل أنا الذى أنام عليه كل يوم.

انتهت الأم للحوار العجيب الذى يدور بين الطفلين.. الاثنان يصراّان على أنهما ينامان على نفس السرير كل يوم.. لا بد أن أحدهما يكذب.

. (وحيد).

التفتا الاثنان لها في وقت واحد.

فكرت فى الأمر.. هذا الاسم يخصهما الاثنان معاً.. ربما فعل زوجها ك (لطفى لبيب) بالفعل.. وأطلق على الاثنان اسماً واحداً.. (وحيد راضى حسن الشويشان).. لكنه سجل الآخر باسم زوجته الأخرى.. وقام بتربيته هناك معها.. ورحلات العمل التى كان يقضيها بالخارج

كانت رحلات حب مع زوجته.. والليالى السوداء التى قضتها فى المكتب كانت فى واقع الأمر
ليالى حمراء فى غرفة النوم.

كل هذا همته وأدركته الآن.. نكن كيف يقول الطفل الآخر أنه يتام هنا كل ليلة؟
كيف؟

xxx

لاحظ الطفلان شروء أمهما فاقتربا منها وسألاها فى نفس واحد:
.. ما بك يا ماما؟

(ماما) .. الاثنان يخاطبانه بلقب (ماما) .. ثم تذكرت أن الطفل الذى أحضرته فى
الظهيرة ناداهما بـ (ماما) مثل الطفل الذى استلمته فى الصباح بالضبط.
كيف؟

فكرت لبرهة وتوصلت لحل.. يمكن تفسير ذلك بأن زوجها كان طيبا فى بعض الأمور.. لقد
أخبر الطفل الآخر أنها هى أمه الحقيقية.. لم يكذب عليه.. لقد رباه بعيدا عن أمه لكنه لم
يتكر أمامه أنها أمه.

لكن.. كيف فسر للطفل غياب أمه عنه طوال هذه المدة؟ هل أخبره أنها ماتت؟ هل أخبره
أنها سافرت للخارج؟ هل أخبره أنها هجرته ولم تهتم بتربيته؟ هل.....؟
لا بد أنه قد أخبر الطفل أيضا أن زوجته الأخرى هى (طائفة / أمه الثانية) التى سترها
بدلا من أمه المتوفاة / المسافرة / الغائبة.
قالت (حنان):

.. اذهب لسريرك الذى تنام عليه كل يوم يا (وحيد).

فذهب الطفلان معا إلى نفس السرير.. كيف هذا؟ لا بد أن أحدهما يكذب بالتأكيد..
والذى يقول أن الأطفال أبرياء لا يكذبون هو شخص لم يقابل طفلا بعد.
الأطفال يمكن أن يكذبوا فى أى وقت ولأنه الأسباب.. (هذه الشيكولاتة اشتريتها
بعضروى.. سمح أبى لى بالخروج.. لم أكل الحلوى.. أخى هو الذى ضربنى أولا) .. إلخ.
أحدهما يكذب لينام فى هذا السرير الذى أعجبه.. وربما لا يحبه من الأساس ولكنه يرغب
فى النوم عليه ليغيط أخيه فقط.

بالتأكيد أحدهما يرى هذا السرير لأول مرة.. هى متأكدة أنها عاشت طوال هذه السنين
مع طفل واحد فقط.. كان ينام فى هذا السرير بمفرده.. وفى أيام مرضه أو خوفه كانت تنام
معه.. لم يكن يشاركهما السرير أى أحد آخر حتى زوجها نفسه.. كان ينام فى تلك الليالى

وحده فى السرير فى غرفة أخرى.
 فى واقع الأمر.. كانت تبیت مع ابنها الصغير فى سريره أكثر مما تبیت مع زوجها.
 كانت متأكدة أن غرفة نوم الأطفال لا يعيش فيها أى طفل آخر غير (وحيد) !
 فكرت (حنان) فى حل يرضى جميع الأطراف.
 . ستناما سويا على هذا السرير وسأنام معكما.
 أسرعاً الاثنان نحو السرير بحماس طفولى تاركين ألعابهم كما هى على الأرض.. قامت
 (حنان) بتنظيم الألعاب وإعادتها إلى أماكنها.. حتى لا يتعثروا فيها أحد.
 سمعت شجار الطفلين حول الدبوب الكبير الذى كان على السرير.. لقد اعتاد (وحيد)
 أن ينام محتضناً إياها.
 . هذا الدبوب لى..
 . لا.. هو ينام فى حضنى.
 . بل ينام فى حضنى أنا كل يوم.
 فكرت (حنان) أن الحل هو أن تشتري دبوبا آخر مثله حتى لا تسمع هذا الشجار مرة
 أخرى.. أخذت الدبوب منهما عنوة وقالت:
 . أنا التى سأنام معكما بدلاً من الدبوب.

نامت الأم فى المنتصف بين طفليها وهى فى قمة السعادة.. قال الطفل الذى نام على طرف
 السرير:
 . ماما.. نامى بجوارى هنا وإلا سأقع.
 . لن تقع يا حبيبى.
 . ولكنك كنت تنامين..
 أشارت (حنان) له إشارة حازمة بإصبعها لكى يصمت.. فبتر الطفل جملة تنفيذا لأمرها
 الصامت.. لكنه عبر عن غضبه بتحريك قدميه للحظات.
 وهكذا نامت (حنان) . لأول مرة فى حياتها . بين طفلين.. كانت تحتضن الاثنان كأنها
 تخشى أن يفلتا منها.. أو ينتزعهما أحدا منها.. أو لكى تصدق أن هذا يحدث حقاً وليس حلماً
 جميلاً أو خيالاً.
 سأل أحد الطفلين أمه:

هل سينام معنا كل ليلة؟

من؟

أخى.

فسألها الطفل الآخر نفس السؤال تقريبا:

ماما.. هل سينام أخى معنا كل ليلة؟

سنتاما سويا كل ليلة.

و أنت معنا؟

ضحكت (حنان) ثم قالت:

وأنا معكما.

عبّرا الطفلين عن فرحتهما بصيحات انتصار طفولية متشابهة.. قالت الأم بلهجة امرأة:
ناما.

فى صوت واحد تقريبا:

احك حدوتة.

لا.. كفى حواديت اليوم.. سأغنى لكما أغنية.

رائع.

جميل.

سألتهما الأم:

ما الأغنية التى تريدان أن أغنيها لكما؟

قالا بدون تردد:

غنى لى أغنية (توت توت).

اندهشت (حنان) لأن اختيارهما واحدا من بين عشرات الأغاني..

(توت توت قطر زغنطوط.. توت توت فى الليل بيقيوت.. توت توت و..

قالا الطفلين معترضين:

لا لا.. (توت توت أنا الكتكوت).

ابتسمت لأن الطفلين يعشقان نفس الأغنية.. ثم راحت تغنى:

أنا الفرخة.

وطلبت منهما أن يشاركاها الغناء.. فتحمس الطفلين وراح كل واحد منهما يهز كفيه فى

الهواء كأنه يرفرف بجناحي الكتكوت:

. و إحنا الكتاكيت.

. أكلكوا إيه؟

راحا يرفرفان بجناحيهما مرة أخرى ويغنيان:

. أكلنا فتافيت.

. لعبكوا إيه؟

. جرى وتلطيط.

منعت نفسها من البكاء وهى ترى اثنين من (وحيد) ابنها الحبيب يغنيان معها.. كانا يحفظان الأغنية عن ظهر قلب.. بدا أمرا طبيعيا.. لا يثير أى ريبة.. فأى طفل فى هذا السن قد يحفظ هذه الأغنية إذا تكررت أمامه فى التلفزيون.. لا فرق بين طفلها وبين أى طفل مصرى يتابع برامج الأطفال.. عندما انتهوا من الغناء قال أحد الطفلين:

. غن أغنية (ماما زمانها جاية).

قالت مندهشة:

. ولكنى لم أغنى هذه الأغنية من قبل.. هل سمعتها فى التلفزيون؟

. لا.. بابا.

. بابا كان يغنيها لك؟

. نعم.

سألها الطفل الآخر:

. ما هذه الأغنية يا ماما؟

نظرت (حنان) إلى ملابس الطفل الآخر الذى لم يسمع هذه الأغنية إطلاقا.. ثم فكرت.. واستتجت ثم شعرت بحيرة شديدة.. لقد كانت مخطئة!

إن الطفل الأول هو الذى كان بعيدا عنها لذا كان زوجها يغنى له (ماما زمانها جاية) لكنها لم تكن تأت أبدا..

أما الطفل الآخر فلم يسمع هذه الأغنية أبدا من أبيه لأن الطفل كان مع أمه طوال الوقت.. لم يفارقها.

الطفل الأول الذى أحضرته فى الصباح هو ابنها الذى تربى بعيدا عنها.. كيف؟

ثم راحت تتذكر.. ماذا حدث عندما رآته أول مرة؟.. كان يلبس الجاون فى غرفته.. هى وزوجها احتضناه وعانقاه.. لم يقل الطفل لها شيئا.. لكنها تتذكر الآن أنه كان سعيدا بحضور أبيه أكثر من حضورها.. ثم ألبسته الملابس الجديدة التى أحضرتها معها.. ثم عادت به إلى البيت.

أما ابنتها الذى تربي معها .. أين كان؟ لابد أنهم أخرجوه من نفس الغرفة قبل ذلك الوقت .. ربما ليلاً .. ربما بعد انتهاء العملية مباشرة .. قام الممرضين بتبديل ملابسه .. وألبسوه الملابس التى أتى بها بالأمس .. ونقلوه إلى غرفة أخرى.

ضمّت الطفل الأول لحضنها أكثر وقد شعرت تجاهه الآن نفس الشعور الذى كانت تشعره تجاه الآخر منذ قليل .. بدلت مشاعرها فى لحظة بين الاثنين .. قالت له:
.. أنت الذى ..

ولم تستطع اكمال جملتها .. ولم يفهم الطفل شيئاً من هاتين الكلمتين فسألها:
.. أَلن تغنى؟

.. لا .. سأغنى طبعاً .. وسأحكي حواديت ولنلعب سوياً .. سأعوضك عن كل السنوات الماضية.
.. غنِ (ماما زمانها جاية) ..

.. لا يا حبيبى .. ماما جاءت بالفعل .. ولن تتركك أبداً ..

لم يفهم الطفل مغزى جملتها .. ثم فوجيء بسؤال:
.. من الذى كان يغنى لك هذه الأغنية؟

.. بابا ..

.. ومن أيضاً؟

.. هو فقط ..

سألته الأم محاولة أن تأخذ أى معلومة من ابنتها:

.. أين كنت تعيش؟

.. فى بيتنا ..

.. أين؟

كرر الاجابة (فى بيتنا) فسألته:

.. (بيتنا) هذا أين؟

لم يجب الطفل وشعر بحيرة شديدة .. فعادت تسأله:

.. من كان يعيش معكما؟ أنت وبابا ومن أيضاً؟

.. ماما ..

.. ماما من؟

.. أنت ماما ..

.. أنا أقصد (ماما) الأخرى .. من هى؟

بدا على الطفل أنه لم يفهم السؤال.. فقالت:

.. عندما تناموا.. كنت تنام مع من؟

.. مع بابا وماما.

.. ماما من؟

.. ماما.. أنت.

.. نعم أعلم أنى ماما.. والأخرى ماذا كان اسمها؟

.....

لقد صارت (حنان) متأكدة أن (راضى) أخير الطفل أنها هي أمه.. لكن بماذا كان ينادى
الزوجة الأخرى؟ لابد أن لها اسما.

اسم رسمى.. أو حتى اسم تدليل.. هل كان زوجها حريصا للغاية و لم ينطق اسمها أمام
الطفل؟

كيف؟.. كيف يكون بهذا الدهاء؟.. وكيف قام بتعريف زوجته الأخرى أمام الطفل؟
إن الأطفال دائمى السؤال.. يريدون معرفة كل شيء (من هذا؟ من هذه؟).. كيف كان
يجيب (راضى) على أسئلة ابنه؟ ما المسمى الذى أطلقه عليها؟.. هل أطلق عليها اسم (ماما)
أيضا؟ ربما.. وربما لا.. حتى لا يسبب هذا حيرة و ارتباك للطفل.. ماما هنا وماما هناك..
ماما حاضرة وماما غائبة! هذا صعب!

ربما (طانت) .. (زوجة بابا) .. (مدام) .. (أبلة) .. (ميس) .. أى مسمى؟

حاولت (حنان) مع الطفل من جديد وسألته:

.. بابا كان يأخذك ويذهب عند من؟

.. عمو (سعيد).

وقال الطفل الآخر:

.. نعم.. كنا نذهب عند عمو (سعيد).

(سعيد) صديق زوجها.

ما هذا؟!.. الطفلان أجابا نفس الاجابة! هل كان زوجها يأخذ واحد منهما فى كل زيارة؟..
وطبعاً (سعيد) لن ينتبه للاختلاف بين الطفلين.. ولكن لماذا يفعل زوجها ذلك؟.. ربما ليعرف
كل طفل أصدقاء أبيه وأقاربه.

.. من أيضا؟

أجاب الطفلان معا:

..وعمو (يحيى).

ثم توالى الأسماء..

ستو (مجيدة).. تيتة (ثريا).. عمو (حسن).. الحاجة (إنعام).. طانط (فضيلة)..
أيلة (هدير).. علا.. طانط (منى).. جدو (سلامه).. طانط (منال).. طانط (ولاء)..
الأستاذ (كامل).. طانط (سلوى).. إلخ.

ظل الطفلان يذكران أمامها أسماء كل الأقارب والأصدقاء الذين قاموا بزيارتهم.. كل
الأسماء كانت تعرفها.. لا يوجد اسم جديد على أذنيها.

كانت الإجابات موحدة بين الطفلين.. لا يختلف طفل عن آخر.

إنهم طفلان عاشا نفس الحياة لكن بعيدا عن بعضهما.. واحد مع (حنان) وواحد مع
زوجته الأخرى.. أهل زوجها وأصدقائه عوامل مشتركة في الحياتين.

لكنها تريد أن تعرف اسم هذه الزوجة الأخرى.. سألت الطفل الأول بصورة واضحة لعلها
تصل لإجابة:

..من هي زوجة بابا؟

بعد تفكير قال الطفل:

..أنت.

..أفصد زوجته الثانية.

.....

كانت (حنان) فى قمة غضبها لأن ابنها لا يستطيع أن يفيدها بشيء.. لم تحصل على أى
معلومة مفيدة منه.. تمنى لو أنه كان أكبر سنا أو أكبر عقليا لكان أخبرها بكل شيء وقتها..
لأخبرها من هي زوجة أبيه الثانية.

أم أنه لا توجد زوجة ثانية؟ احتمال!

لكن.. أين تربي هذا الطفل طوال هذه المدة؟ ولماذا تربي بعيدا عنها؟

ربما تربي عند عمو (سعيد).. فهذا أول اسم نطقه الطفل.

لكن (سعيد) لديه أبناء بالفعل ولا يحتاج للمزيد.. لا يعاني من عدم الإنجاب ليقنع صديقه
بالتنازل عن أحد أبنائه.. بالعكس.. إن لديه أبناء كثيرون جدا لدرجة تجعله مستعدا للتنازل
عن أحدهم لصديقه العزيز (راضى).

ربما كان صديقه (يحيى).. فهو لم ينجب بعد.. رغم زواجه منذ أعوام عديدة..

ولكن هذا غير منطقي!.. لماذا يُربي (يحيى) ابن صديقه (راضى)؟ لو أنه أراد تبني طفلا

فدور الأيتام كثيرة.. لماذا يربى طفلا لديه أما وأبا بالفعل؟
ربما لأن (يحيى) لا يريد أن يربى طفلا من الملجأ.. طفلا لا يعرف أصله.. ولكن لماذا؟ لماذا
خبأ زوجها عنها هذه الحقيقة؟
لأنها لن توافق.

لكنها كانت ستعرف.. لأنهما دائمي الزيارة لـ (يحيى) في منزله.. ولن يستطيع (يحيى)
أو زوجته (أشجان) إخفاء الطفل عنها في كل زيارة.. فالأطفال دائمي الصباح ولا يمكن
تركهم في الغرف وحدهم دون أن يصدروا أدنى صوتا.

بالإضافة إلى أن (راضى) لا يحب صديقه لهذه الدرجة.. و زوجة (يحيى) لا تطيقها.
لا لا.. كل هذه احتمالات غير معقولة.. هناك زوجة أخرى بالتأكيد.. لكن من هي؟
ثم تبهت (حنان) لنقطة مهمة.. ربما كانت تسأل الطفل الخطأ.. من يدري؟ ربما كان
الطفل الأول هو ابنها الذي تربي معها فعلا.. لذا راحت تعيد نفس الأسئلة على الطفل الآخر
بداية من (أين كنت تعيش؟) حتى وصلت لسؤال (من هي زوجة بابا الثانية؟) وحصلت على
نفس الإجابات.

ثم خطر في بالها أن الزوجة الثانية هي أحد تلك الأسماء التي قالها الأطفال الآن.. فهل
هي (منى) ابنة عمه (شكري) التي ورثت مزرعة والدها؟ أم (هويدا) ابنة خالته (أمينة)
السمينة؟ أم أنها (سامية) بنت عمه الأستاذ (سرور) ناظر مدرسة؟ أم (ندى) العانس التي
تذهب للمشايخ والدجالين من أجل فك عقدة تأخرها في الزواج وهروب العرسان منها رغم
جمالها الخارق؟.. ربما استخدمت حيلة سحرية للإيقاع به في مصيدة الزواج وربما لإقناعه
بتسليم الطفل الآخر لها؟ أم أنها (بشرى) جارته القديمة؟

فجأة انطلقت نغمة مميزة من هاتفها أيقظت الطفلين.. هذه النغمة تعنى أن المتصل هو..
. إنها تيتة.

. تيتة تتصل.

خمن الطفلان أن المتصل هو جدتهما عند سماعهما النغمة الصادرة من هاتف والدتهما..
قالا التخمين في نفس واحد.. لكن كيف هذا؟

المفروض أن طفل واحد فقط هو الذي اعتاد سماع هذه النغمة من هاتفها.

(10)

" لم تعرف.. لكنها على وشك أن تعرف.. إنها تشك "
قالها (راضى) وهو يلقي بجسده على الأريكة.. أسرعت زوجته الثانية نحوه لتخلع له حذائه
وقالت:

. هدى أعصابك.. واسترخى.

خلعت له جواربه ثم تابعت:

. وأخبرنى بهدوء ما الذى حدث.

أجابها فى اقتضاب:

. مصيبة.

ساعدته على خلع الجاكت وقالت فى قلق:

. يا ساتر يا رب.. ما الذى حدث؟

لوح بيده بغضب وقال:

. طفل هبط علينا من السماء جعلها تشك فى كل شيء.

. طفل!

. نعم.

سألته وهى تساعد على خلع باقى ملابسه الرسمية:

. كيف حدث هذا؟ ومن الذى وضع هذا الطفل أمام باب الفيلا؟ ولماذا؟

. لم يضع أحدا أى أطفال أمام الفيلا.. لقد وجدت (حنان) هذا الطفل فى المستشفى.

. وجدته فى المستشفى! كيف؟ وما الذى جعلها تظن أنه ابنك؟ لابد أن أحدا علم بأمر

زواجنا السرى وأراد كشف الأمر بهذه الحيلة.. هل سألتها عن الشخص الذى أخبرها؟

.. بدون أن أسألها فأنا أعرف الإجابة .. فهذا الشخص اتصل بى أولا .
 .. اتصل بك أولا .. لا بد أنه يريد ابتزازك .
 .. لا .
 .. من هو ؟
 .. مجرد عامل فى المستشفى .
 .. ولماذا يتصل بك ؟
 .. اتصل بى ليطلب منى الحضور للمستشفى لاستلام ابنى .
 قالت الزوجة الثانية وهى تساعده فى ارتداء ملابس مريحة من أجل المبيت عندها :
 .. يا لها من خطة دنيئة ! وطبعاً هى صدقت ما قاله لك .. لا بد أنها سمعت المكالمات وذهبت إلى المستشفى .
 .. كان لا بد أن تصدق لأن الطفل بنفسه أخبرها بذلك .
 تسمرت فى مكانها وسألتة مندهشة :
 .. طفل رضيع يخبرها بذلك ! كيف ؟
 .. إنه طفل بعمر خمس سنوات .
 قالت مندهشة :
 .. وقال أنك أبية ؟
 .. نعم .
 انتهت لنقطة لم تكن منتبهة لها من قبل لذا قالت بخوف وقلق :
 .. صدقتى .. والله لست أنا من دبر هذا .. ولا أعرف هذا الطفل الذى تتحدث عنه .. أقسم لك لم أفكر أبداً فى كشف أمر زواجنا .. أنا سعيدة جداً بزواجى منك .. ولا أريد أكثر من هذا .. حتى الطفل الذى كنت أتمناه .. لمجرد أنك أعلنت لى أنك لا تريد طفلاً منى الآن لم أعد أفكر فى الموضوع .. وراضية تماماً بهذه الحياة .. ولا أريد أن أفارقك أبداً .. صدقتى والله .
 أمسك (راضى) يدها اليمنى ثم طبع قبلة قصيرة عليها وقال :
 .. أعلم يا (جوجو) يا حبيبتى .. أنا لا أتهمك بأى شئ .
 وضعت (جوجو) يدها على صدرها .. ربما لتهدئ قلبها الذى خفق بعنف من القلق والرعب الذى اجتاحتها منذ لحظات :
 .. لقد خشيت أن تكون قد فكرت أن هذه التمثيلية من تأليفى .. فأنت تعلم هوسى بتأليف التمثيليات .

يا حبيبة قلبي.. لم أشك للحظة أن لك يدا فى هذا الموضوع.
لقد قلقت.. خشيت أن تكون قد أتيت اليوم لتنهى أمر زواجنا.
لا تقلقى أبدا.. ولو أنك علمت تفاصيل ما حدث ستدركين أن الأمر برمته ليس له أى علاقة
بك.

لكنك قلت فى البداية أنها بدأت تشك فى كونك متزوجا من أخرى.
نعم.

هل أخبرها الطفل أننى أمه؟

توقفى عن تخمين سيناريوهات.. إن الموضوع مختلف تماما عما تظنين.. إنها لا تشك أن
هذا الطفل منك.

من واحدة أخرى؟

لا.. إنها تشك أن هذا الطفل منها هى.

حاولت التفكير فى أى سيناريو يمكنه تفسير ما قاله لكنها لم تجد واحدا.. لذا سألته
مستسلما:

ماذا؟

ضغطت (حنان) على زر قبول المكالمة و..
آلو..

(حنان) .. كيف حالك يا ابنتى؟

الحمد لله.. بخير.

وكيف حاله الآن؟

نظرت إلى طفلها، وسألت بابتسامة ساخرة:
أيهما؟

سمعت ضحكة أمها التى لم تفهم قصدها..

بالتأكيد لا أقصد زوجك.. أنا أسأل عن حفيدى العزيز.. كيف حاله الآن بعد العملية؟

التقطت (حنان) نفسا عميقا وقالت:

بخير.

ما بك؟ (بخير) التى قلتها الآن لا تعنى أنه بخير.. ما الأمر؟

كانت (حنان) مترددة.. هل تخبر أمها الآن أم تنتظر زيارتها؟
.. فى الواقع.. هناك خبر.. لا أعرف إن كنت أستطيع إخبارك به عبر الهاتف أم تأتى بنفسك و..

.. ما الذى حدث يا (حنان)؟ هل (وحيد) بخير؟

.. نعم.. نعم.. لا تقلقى.

.. هل نجحت العملية؟

.. نعم.. لقد كانت عملية بسيطة.. ونجحت مع الاثنين.

.. سألتها أمها مندهشة:

.. اثنين! من تقصدين؟ زوجك؟ هل قام أيضا بنفس العملية؟

.. لا.. زوجى لا يعانى من أى شىء.. إنه..

.. إنه.. ماذا؟ لقد أفلقتنى.

.. هل يمكن أن تأتى الآن؟

.. لا أستطيع.. ولا بد أن تخبرينى فورا وإلا سأموت من القلق.. ما الذى حدث؟

.. لن تصدقينى.

.. ما الذى فعله زوجك؟ هل آذاك؟ أخبرينى.

.. لقد آذانى بشدة.. وليس الآن فقط.. بل لمدة خمس سنوات..

.. قالت أمها مذعورة:

.. يا خبر! خمس سنوات! ولم تخبرينى إلا اليوم!

.. لم أعرف إلا اليوم.

.. ما الذى فعله ذلك الوغد ابن الأبالسة؟

.. لن تصدقى فعلته.

.. أخبرينى.

.. لقد أخفى عنى حقيقة أنى كنت حامل فى توءم.

.. توءم! ما الذى تقولينه؟

.. وعند الولادة أعطى الطفل الآخر لزوجته الثانية.

.. زوجته الثانية! الوغد.. من هى؟ ومتى تزوجها؟ ومتى علمت بذلك؟ وكيف؟

.. قالت (حنان) وهى تمنع نفسها من البكاء:

.. لقد علمت الحقيقة اليوم فقط.. عندما ظهر الطفل الثانى.

. طفل ثانى! هل أنجب منها طفلان؟
. لا يا ماما.. أنا أقصد ابنى.. التوعم الآخر الذى كتب به اسمها.. لقد ظهر اليوم.. فى نفس
المستشفى التى كان بها (وحيد).
ثم تشاجر الطفلين بجوار (حنان) فسمعت الجدة صياحهما عبر المحمول فسألتها:
. ما هذا الصوت؟
. إن التوعمين يتشاجران.
. أى توعمين؟
. ابنائى يا أمى.
. أنا لا أفهم شيئاً.. سوف آتى لك حالا.. لن أنتظر للصباح.

" حكاية غريبة "

قالتها (جوجو) فرد عليها (راضى):
. لييتها مجرد حكاية من حكاياتك التى تؤلفينها.. لكنها للأسف واقعة حقيقية.. ورطة
تورطت بها.

. لا تشغل بالك بها.. بالتأكيد هناك حل.
. كيف؟ إنها لا تريد أن تترك الولد لأعباءه إلى المستشفى.
. أنت لا تحتاج إلى إعادته إلى المستشفى.. هناك بالتأكيد من يريدون ذلك أكثر منك.
. تصدين أهله؟

. بالضبط.. هذا الطفل لم يهبط من السماء.. بالتأكيد له أهل أدخلوه إلى المستشفى..
ولو أنك ذهبت إلى هناك سوف تجدهم.. لابد أنهم الآن يقلبون المستشفى بحثا عنه.. ستقول
لهم (حدث خطأ من المستشفى.. وابنكم عندى).. ثم تصطحبهم بسيارتك إلى الفيلا.. ثم
يستلموا ابنهم وينتهى الموضوع.

ظهرت على وجهه ملامح إعجابه بالفكرة وقال:
. فى هذه الحالة.. لا يمكن لـ (حنان) أن ترفض تسليم الطفل لوالديه.
. بالضبط.. وحتى لو رفضت.. سوف يستلموه بالقوة الجبرية.
. تمام.

هزت رأسها يمينا ويسارا كأنها تقلب فكرة ما فى رأسها بهذه الحركة ثم قالت بغموض:

.إلا إذا...

.إلا إذا ماذا يا (جوجو)؟

أجابت (جوجو) ضاحكة:

.إلا إذا كان هذا ابنكما فعلا.

.أنت تمزحين.. أليس كذلك؟

لم تجبه على الفور.. انتظرت قليلا قبل أن تجيب عليه:

.أنت تقول أن الطفل يشبه ابنك بالضبط كأنه أخ توأم له.

ضحك قائلا بسخرية:

.نعم هو أخيه التوأم.. وأخفيت هذه الحقيقة عنها وأعطيته لك يوم مولده لتربيته هنا طوال

هذه السنين.. ولكن أصابه المرض ليلة أمس فذهبت به إلى المستشفى دون أن تخبريني ثم

تركته هناك.. ويبدو أنك قد نسيت هذا الموضوع تماما.

لم تضحك.. فقط قالت بغموض:

.لا.. لم تعطه لى بالتأكيد.. لكن ربما أعطيته لزوجتك الثالثة.. التى تزوجتها سرا.. والتى

لا أعلم عنها شيئا كما لا تعلم زوجتك الأولى عنى شيئا.

ضحك (راضى) وقرصها من وجنتها قرصة خفيفة مداعبا ثم قال:

.يوما ما.. سيقتلك خيالك هذا.

فوجئت به يخلع ملاسسه.. سألته بضيق:

.هل ستذهب الآن؟

.نعم.. لأنفذ فكرتك.

قالت له بلهجة مليئة بالرجاء:

.ألا يمكن تأجيل ذلك للغد؟ لقد فرحت أنك ستبيت معى الليلة.

.لا تقلقى.. سأبيت هنا الليلة.. سأنهى هذا الأمر وأعود إليك.

.لا أظن.. سوف يضيع الوقت بين المستشفى والفيلا وإقناع زوجتك بالتخلي عن الطفل..

وفى الحالين ستبيت هناك.. سواء عاد الطفل إلى المستشفى أو لم يعد.. ليتنى لم أفكر فى

تلك الفكرة!

احتضنها ثم قبلها وقال:

.أعدك.. سأبيت معك الليلة.

حاولت تصديقه لبرهة لكنها لم تقتنع فعادت تقول له:

لماذا أنت متعجل هكذا فى إعادة الطفل إلى المستشفى؟

لأن هناك أناس يبعثون الآن عنه وبالتأكيد هم فى غاية الحزن على فقدانه.. أنا أب وأعلم هذه المشاعر.

بههدف استعطافه وفى نفس الوقت تذكيره بأنها مطيعة وملتزمة بشروطه الصارمة:
وأنا لست أمًا.. لذا لا أفهم شيئاً عن هذه المشاعر.

فهم (راضى) على الفور محاولتها الذكية لفتح موضوع الإنجاب من جديد.
ستكونين قريباً.. اطمئنى.

لا تقلق.. لقد تعودت.. لم يعد الأمر يهمنى.

قالتها بلهجة تمثيلية وكأنها تقول له (أنا أكذب عليك ويجب أن تفهم ذلك.. يجب أن تعلم
أننى قلقة وأزداد قلقاً بمرور الوقت وأخشى ضياع فرصتى فى الإنجاب بالتقدم فى العمر..
التعود لن يقتل رغبتى فى أن أكون أمًا.. الأمر يهمنى دائماً)

أخرج محفظته من جيبه.. يعلم جيداً أنها تعشق المال وهو الشيء الوحيد القادر على
إسكانها وإسكات مشاعرها.. لبعض الوقت على الأقل.. قال لها:

اطلبنى وجبة ساخنة من المطعم القريب أو اخرجنى واشترى ما تريد.. وأعدك أنى
سأعود لك الليلة عندما أنتهى من هذا الموضوع.

أخذت منه المال وعلى وجهها نظرة لا مبالاة وكأنها تقول (هذا المال لا يهمنى ولكنى سأخذه
لأننى زوجة مطيعة فقط).

لمح النتيجة بجواره.. فقرأ المکتوب فى أسفل الورقة.. (لا تبنى لنفسك أو لغيرك قصور فى
الهواء).. وكان زوجها اختارت هذه الورقة بالذات ليقراها.. نظر إلى التاريخ ليتأكد من ظنه..
لقد شك للحظة أن تكون زوجته قد مزقت أوراق كثيرة من النتيجة حتى تصل لحكمة مناسبة
تعبّر عن لسان حالها.. فهى تعلم جيداً هوسه بقراءة هذه الأشياء.. لكن التاريخ مضبوط..
الحكم لصالح زوجته: براءة.
سألته فجأة:

fb.com/Sa7er.Elkotob/

وماذا لو أنك لم تجد أهله؟

سأعود إليك فوراً.

لا أقصد هذه الإجابة.. أعنى ما الذى تنوى فعله إذا مر الوقت ولم يظهر أهل لهذا

الطفل؟

سأعيده إلى المستشفى فى جميع الأحوال.

سألته سؤال لم يخطر بباله قط:

.. وماذا لو رفضت المستشفى استلامه منك؟

فكر لبرهة ثم قال بحزم:

.. سأصطحبه إلى دار أيتام.. سأنشر إعلان في الجرائد لأى عائلة تريد تبني طفل فى

الخامسة.. سأخلص منه بأى وسيلة.

اندهشت من تفكير زوجها وسألته:

.. لماذا لا تحتفظ به؟

.. لأن لدى ابنا بالفعل.

صدمتها الإجابة فسالته وعلى وجهها نظرات غاضبة:

.. أيعنى هذا أنك لا تريد أن يكون لك ابنا آخر؟

.. بالتأكيد أريد.. أريد ابنا من صلبى.. ابنا من زوجتى الحبيبة.. (جوجو)

وطبع قبلة على جبهتها ثم تابع:

.. أما هذا الولد ليس ابنى.

.. وليكن.. هو فى النهاية طفل بربى.. بلا أهل وبلا مأوى.. وتقول أنه يشبه ابنك إلى حد

كبير.. لماذا ترغب فى التخلص منه بهذه الدرجة؟

و كأن هذا السؤال أصاب المنطقة الحساسة فى عقله الباطن.. تلك المنطقة التى لا يريد

أن يذهب إليها أبداً أو يقترب منها حتى.. لذا شعر أن السؤال بلا إجابة أو أن له ألف إجابة..

والحيرة فى اختيار الإجابة الصحيحة أو المناسبة.. ظل السؤال يتردد داخل عقله كثيرا..

ربما قبل أن تسأله حتى.. لماذا يرغب فى التخلص من هذا الولد بهذه الدرجة؟.. لماذا لم

يُحبه كما أحبه زوجته الأولى؟ لماذا لم يشعر أنه ابنه كما فعلت هى؟.. ربما لأنه متأكد أنه

ليس ابنه حقا.. أما زوجته فالأمر يختلف معها.. إنها تشك فيه.. تشك أنه متزوج من أخرى..

وشكها فى محله.. هو بالفعل متزوج من أخرى.. وتشك أنه أعطى هذا الولد لزوجته الثانية

لترعاه.. هنا شكها ليس فى محله.. لكنها تشك فى النهاية رغم أنها هى الأم.. والمفروض أن

الأم تعرف حملها جيدا وتعرف إن كانت حاملا فى واحد أو اثنان.. بل العكس هو الصحيح..

المفروض أن يشك هو.. لماذا لم يشك هو؟ لماذا لم يفترض أن هذا ابنهما حقا وأنها خبأت

هذه الحقيقة عنه؟ ربما لأنه يثق بها جيدا ويعلم أنها لا يمكن أن تفعل ذلك.. ربما لأنه واثق

أنها كانت حاملا فى طفل واحد فقط.. و ليس توأمين.. لكن ما الدليل على ذلك؟ إنه أيضا

لم يكن يفهم شيئا فى شاشة السونار مثلما قالت عن نفسها.. كان يسمع أيضا حديث الطبيب

ويؤمى برأسه ليُدعى الفهم حتى لا يبدو غيبيا أمامه عندما كان يشير بإصبعه ناحية الشاشة شارحا شكل الطفل الخارجى لهم.. ربما كان الطبيب لا يعلم شيئا عن وجود الطفل الآخر أو أنه أخفى حقيقة التوأمين عنهم.. الأم ربما يمكنها تحسس بطنها طوال الوقت ومعرفة إن كان بداخلها طفل أو اثنين.. تشعر بحركتهم.. بحجمهم.. أما هو فلا يستطيع.. كل هذا بالإضافة إلى أنه لم يحضر عملية الولادة.. كان فى المستشفى وقتها طبعاً لكنه كان خارج غرفة العمليات يقف منتظرا ويدعو الله.. لم يدخل الغرفة بناء على تعليمات المستشفى وهكذا لم يرى شيئا.. فقط بعد العملية جاءت الممرضة تحمل طفلا رضيعا وأعطته له.. بسمل قبل أن يحمله برفق وحنان.. هذا ابنه قد خرج أخيرا إلى الدنيا.. أخبرته الممرضة أن المدام بصحة جيدة وأن الطفل فى غاية الجمال (ما شاء الله.. ما الاسم الذى اخترتموه له؟).. لم يفكر وقتها أن هناك احتمال وجود طفل آخر أنجبته زوجته بالداخل.. وربما هى لا تعلم شيئا عنه.. ربما خدعها طبيب التوليد بأن أخبرهم أنه طفل واحد والواقع أنها أنجبت طفلين.. ربما أعطى الطبيب هذا الطفل الآخر لعائلة أخرى كانت تنتظر ودفعت له المقابل الجيد.. ربما أنجبت زوجته (حنان) طفلا واحدا فقط وهذا الطفل الآخر جاء بطريقة أخرى غير قانونية.. ربما هناك من تلاعب فى الحيوانات المنوية والبويضات داخل المعمل.. ربما كان هناك أكثر من (طفل أنابيب) يخصهم.. ربما بدأت اللعبة الدنيئة منذ خمس سنوات مضت.. وكان هناك توأم آخر لابنه فى رحم امرأة أخرى.. إنه لا يفهم هذه الأمور الطبية المعقدة.. هل هناك احتمال ولو ضئيل لحدوث ذلك؟.. هل يمكن أن تنجب امرأة أخرى فى مكان آخر توأم لابنه الذى حملته زوجته؟.. طفلان توأمان فى رحمين مختلفين؟.. هل هذا ممكن؟.. هل هذا احتمال وارد؟.. هو لم يفكر فى كل هذه الأمور عند رؤية الولد الغامض.. لكن سؤال زوجته الثانية الآن أثار جميع التساؤلات داخل عقله.. هل هذا الولد هو فعلا ابنه؟ أم لا؟.. إنه يشبه ابنه إلى حد كبير لدرجة أنه لم يستطع التمييز بينهما.. لكنه فى النهاية لا يريد.. لماذا؟ لأنه يشعر أن هذا الطفل الجديد ليس ابنه حقا؟ أم أن هناك سببا آخر؟

عندما طالت فترة الصمت والتفكير سألته مجددا:

ما السبب؟

أجابها إجابة واحدة فقط بدلا من كل تلك الخواطر التى مرت بعقله ولا يظن أن زوجته تريد سماعها ولا يملك الوقت لعرضها عليها حتى لو رغبت بذلك:

لأنه ليس ابنى.. هو طفل غريب عنى.. لا أعرف من أين أتى.. وأنا أكره الأشياء الغريبة!

(11)

فى المستشفى.. سأل (راضى) موظف الاستقبال:

. أين مدير هذه المستشفى؟

ابتسم الموظف ابتسامة ترحاب تعود على صنعها طوال سنوات عمله وقال:

. تحت أمرك يا أفندم.. ما الذى تريده؟

. أريد مقابلة المدير هنا.

. هل هناك شكوى معينة يمكننى مساعدتك بها؟

لم يخبره (راضى) أن شكواه هى أنه استلم ابنه مرتين.. فقط قال:

. أريد مقابلة مدير المستشفى.

لماذا؟

. الأمر عاجل وضرورى وخطير.

. للأسف.. المدير ليس موجودا بالمستشفى.

. أين؟

. ليس عندى أى معلومات بهذا الشأن.

. متى سيأتى؟

. لا أعلم.

خمن (راضى) أن الموظف اعتاد قول هذه الإجابة لكل من يسأل عن المدير.. هو يكذب

بالتأكيد حتى لا يضيع وقت مديره.. إجادة الكذب من أهم الشروط لنيل هذه الوظيفة.. قال

ليحث الموظف على الاهتمام:

. إن الأمر عاجل جدا وفى غاية الأهمية ويتعلق بمسألة حياة أو موت شخص عزيز على

المدير نفسه.

تغيرت ملامح الموظف وظهرت عليه تعبيرات الحيرة والارتباك وسأله:

. هل يمكن أن أعرف من هو هذا الشخص؟

. لن أتحدث إلا مع المدير.

. أقسم لك.. المدير ليس هنا.

أدرك (راضى) أنه كان مخطئاً في ظنه.. المدير ليس موجوداً فعلاً.. فهل يرحل أم ينتظر

أم يسأل عن المسئول عن المستشفى في حالة غياب المدير؟

. من الذى..

قطع سؤاله عندما سمع صرخات مذعورة.. ثم رأى أناس يجرون فى أروقة المستشفى فى

حالة ذعر.. الممرضات يصرخن ويختبئن.. و رأى طبيب يدخل إحدى الغرف ويفلق الباب

خلفه ويتبعه آخرون فيطرقون على نفس الباب ليفتح لهم الطبيب ليختبئوا معه.. ثم انطلق

صوت جرس الإنذار بالمستشفى.

سأل (راضى) بقلق:

. ما الذى يحدث؟

التفت إلى موظف الاستقبال.. لم يجده مكانه.. يبدو أنه قد اختبئ أسفل المكتب.

سمع صوت إطلاق رصاص.. ثم سمع صوتاً عالياً يقول:

. أريد ابنى.. أين ابنى؟

ثم ربط ما سمعه بالموقف الذى حدث معه.. هل هذا ممكن؟ هل هذا صوت أبو الطفل الذى

استلمته (حنان)؟

اتجه ناحية الصوت وأسرع فى خطاه.. كان يسير عكس تيار البشر المذعورين.. حتى وصل

لمركز دائرة الرعب.. رأى رجلاً فى الخمسينات من عمره ذو وجه قاس يليق بدور شرير فى

السينما المصرية.. أو دور زعيم عصابة المطايريد فى حضن الجبل فى مسلسل صعيدى يعرض

على الشاشة الصغيرة فى رمضان القادم.. له حاجبين كثيفي الشعر فوقهم خطوط عريضة

كثيرة من التجاعيد.. عينين سوداوين.. احدهما ثابتة تنظر فى اتجاه واحد طوال الوقت..

أنف ضخمة يقع أسفلها شارب كث يعلو شفتين غليظتين عامرتين بالثشققات.. ما تبقى من

أسنانه يغزوها اللون الأصفر والأسود وجميع الدرجات الناتجة عن خلط هذين اللونين بنسب

متفاوتة لكل منهما.. لم يمسه سواك أو فرشاة أسنان منذ نشأته.. ولم تسمع عن اختراع

اسمه معجون الأسنان أو غسول الفم.. يبدو أنه قد دخن فى حياته كل شيء يمكن تدخينه..

لديه حنجرة قوية وأحبال صوتية متينة تمكنه من إعطاء الأوامر لشخص يقف على بعد كيلو

متر منه دون الاستعانة بمكبر صوت.. يرتدى جلباب ريفى أزرق.. يستخدم ذراعه الفليضة..
التي تساوى وزن طفل رضيع.. فى الضغط على رقبة ممرض.. يشك (راضى) أنه قد مات منذ
زمن بالاختناق.. بينما يستخدم ذراعه الأخرى فى تصويب مسدس لرأس ممرض آخر.. و
يستمر فى الصباح:

. أين ابنى يا أولاد الـ (.....)؟

هذا هو الموقف الذى كان يريده (راضى) بالضبط.. لا أقصد التهديد طبعاً.. أعنى مقابلة
أهل الطفل.

لم يكن هدف (راضى) من زيارة المستشفى هو مقابلة المدير فى الأساس.. بل كان مجرد
وسيلة ليستطيع من خلاله التعرف على أهل الطفل ومقابلتهم وفهم أسباب حدوث هذا الخطأ..
و لكن ما هو هدفه يتحقق دون اللجوء إلى المدير.

المهم أن يتأكد (راضى) أنه هو فعلاً أبو الطفل.. كيف يتأكد؟

تقدم (راضى) نحوه فأمره صائحاً:

. توقف عندك.. الزم مكانك والـأ أطلقك عليك الرصاص.

نفذ (راضى) أمره على الفور وقال:

. أنا هنا لمساعدتك.

. لا أريد مساعدة.. أنا أريد ابنى.

. وأنا أتيت من أجل ابنك.

اختفت ملامح الأب العنيفة وقال له بلهجة لينة:

. كيف؟ أين هو؟

أما هؤلاء المحتجزين الواقفين والجالسين حوله كانوا فى غاية الامتنان لـ (راضى) الذى
صار بالنسبة لهم فى تلك اللحظة بمثابة المنقذ.. البطل الشجاع الذى يظهر فى اللحظة
الأخيرة لينقذ الجميع قبل أن يحدث مالا يحمد عقباه.

. فقط أخفض سلاحك واترك الممرض ليستطيع التنفس وسوف أخبرك بكل شيء.

و كأنه لم يسمعه سألته:

. أين ابنى؟

. عندى.

فى تلك اللحظة أطلق سراح رقبة الممرض الذى ظن الجميع أنه قد مات بالفعل.. راح
يستعيد تنفسه الطبيعى وهو يحمد الله أنه نجى.. ربما فكر فى تلك الدقيقة أن يكتب نصف

ثروته لـ (راضى) لأنه أنقذ حياته.. ربما فكر فى الدقيقة التالية أن الأمر لا يستحق كل هذه التضحية.. كلمات الشكر تكفى.

أما الممرض الآخر الذى كان يتوقع خروج الرصاصة فى أى لحظة لتستقر داخل جمجمته أو تنفذ عبرها إلى الحائط فلم يصدق أن الفوهة تركت هدفها أخيرا واتجهت إلى رأس (راضى).

وماذا يفعل ابنى عندك؟

حاول (راضى) الاحتفاظ بهدوء أعصابه فى مواجهة هذا الأب الغاضب.. هو لا يريد إيذائه فى النهاية بالتأكيد.. إنه مجرد أب يريد استعادة ابنه المفقود وربما كان (راضى) سيفعل مثله لو أنه فقد (وحيد) داخل هذه المستشفى.. لكن هذا لم يحدث لذا لن يعرف أبدا.. بل إنهم أعطوه (وحيد) مرتين.. وهذا كرم زائد من المستشفى!

كرم غير طبيعى و غير مألوف إن أردت رأى.

من فضلك أخفض المسدس.. لا تصوبه نحوى أرجوك.. ربما تخرج رصاصة دون أن تدرك.

لقد واجه (راضى) مواقف عصيبة فى حياته من قبل.. هذا ليس أولها.. لذا كانت لهجته حاسمة أقتعت الأب بالمثل لأمره.. وأخفض فوهة مسدسه.

ماذا يفعل ابنى عندك؟

حدث خطأ من المستشفى واستلمت ابنك بدلا من ابنى.. هذا كل ما فى الموضوع.

لم يقتنع الأب واتجه نحوه.. انتهز الجميع هذه الفرصة وفروا هاربين عدا اثنين أو ثلاثة من الشجعان.. قال أحدهم:

لقد اتصلنا بالشرطة وهى فى الطريق الآن.

لم يهتم الأب بما قيل.. كان مشغولا بابنه.. أما (راضى) فقد قال:

لا داعى.. سنخرج الآن ويستلم الأب ابنه وينتهى الأمر.

لا.. لا بد من تسليمه للشرطة.. لقد استخدم سلاح وصوبه نحونا.. روع الآمنين.. ضرب زميلى أثناء تأدية عمله و..

توقفت الكلمات داخل فمه بسبب لكمة صاروخية سريعة من يد الأب إلى أسنانه وربما أطارت بعضها فى تلك اللحظة أو خلخت مكانها فجعلتها آيلة للسقوط.

سقط الرجل أرضا وهو يضع يده على فمه الذى سال منه الدم.. يبكى بصمت وعيونه زائفة تنظر بين الحين والآخر لزملائه الآخرين الذين تراجعوا عن موقفهم وراحوا يشغلون أنفسهم

بأشياء أخرى.. ليتظاهروا بأنهم لم يروا ما حدث لصديقهم.

- أين ابني الآن؟

- عندي.. في فيلتي.

- لماذا؟

- خطأ.. مجرد خطأ.. كما أخبرتك.

- صوب المسدس نحو رأسه وقال:

- ما الذي يضمن لي أن هذه ليست حيلة شجاعة منك لتتقذهم هنا؟

- أخفض (راضى) فوهة المسدس بهدوء ولم يعترض الأب.. كان منتظرا رده:

- أنا أريد إنقاذك أنت.. حتى لا تتورط في جريمة وتندم بعد ذلك.. أنا أب مثلك وأفهم

مشاعرك جيدا وربما لو كنت في موقفك لفعلت المثل.. وربما أكثر.

- اقتنع الأب بحديث (راضى) فتركه يكمل:

- فقط أريد أن أتأكد أن الطفل الذي استلمته بطريق الخطأ هو فعلا ابنك.. لذا دعني

أسألك: منذ متى وابنك مفقود؟

- فقدته اليوم.. قالوا لي أنه هنا مع بقية زملائه.. كان في الرحلة المدرسية الملعونة.. لا بد

أنك سمعت عن هذا الحادث.. الأتوبيس الذي اصطدم بالقطار.

- توقف للحظة ثم سأله:

- هل كان ابنك هنا أيضا بسبب هذه الرحلة؟

- أجابه (راضى):

- لا.

- المهم أن جميع الأطفال المصابين تم نقلهم إلى هنا.. عاد معظمهم إلى منازلهم مع آبائهم

و الباقي يستكملون العلاج.. أما ابني هو الوحيد الذي اختفى رغم أنه مقيد في سجلات

المصابين.. مع أنني لم أتأخر في الوصول إلى هنا منذ علمت بالخبر.. فتشنا كل غرف

المستشفى بحثا عنه.. لم نترك شيئا في هذه المخروبة.

- شعر (راضى) أن هناك احتمال كبير أن يكون الطفل المختفى هو نفسه الطفل الذي أحضرته

زوجته من المستشفى.. هكذا يستلم الأب ابنه وتنتهي مشكلة هذا الطفل الغامض.. أما مسألة

التشابه بين الطفلين فيمكن تجاهلها.. أو اعتبارها لغز جديدا من الألغاز الكثيرة التي تقابلها

كل يوم وتركها بلا حلول أو نضعها أمام بعض العلماء الذين لا يجدون ما يشغلهم.

- فقط يحتاج (راضى) إلى دليل قوى قبل الذهاب إلى الفيلا.. دليل مثل:

. صورة.. هل لديك صورة لابنك؟

. لا.

. خسارة.

. ما فائدة الصورة؟ أنا سوف أرى الطفل وسأعرف إن كان ابني أم لا.

. المشكلة ليست فيك.. المشكلة فيها.. أريد أن أتأكد قبل الذهاب إليها.

. عمن تتحدث؟

. أمه.

. أم ابني؟

. لا.

وقبل أن يسأله الأب سؤال آخر.. سأله (راضى):

. هل ابنك اسمه (وحيد)؟

صدمه بقوله:

. لا.. (برعى).

. وما اسمك أنت؟

. (صميده).

. الموضوع ليس تشابه فى الأسماء.. إذن كيف حدث هذا الخطأ؟

أخرجه (صميده) من شروده وقال:

. هيا بنا لنحضر الطفل.

. انتظر.. ما هو رقم الغرفة التى كان بها ابنك؟

. ١٥٤.. أنا أحفظ رقمها جيدا فقد فتشناها أكثر من..

قاصعه (راضى) قائلا وعلى وجهه ابتسامة انتصار:

. هيا بنا يا رجل.. إنه ابنك بالتأكيد.. الخطأ كان بسبب رقم الغرفة.

ثم تأبط ذراعه وتحركا من مكانهما.. ثم نصحه:

. خيىء هذا المسدس حتى لا تسبب المزيد من المشاكل.. لكى نرحل بهدوء وتستلم ابنك دون

تأخير.

استجاب (صميده) وعمل بنصيحته.. وضع المسدس فى جيبه ثم سأله:

. ما علاقة رقم الغرفة باختفاء ابني؟

حاول (راضى) شرح الأمر له وهما فى طريقهما للخروج:

. ابني وابنك دخلا نفس الغرفة .. (١٥٤) .. أنا أيضا أحفظ رقم الغرفة .. فابني كان نائما فيها ليجرى عملية الزائدة الدودية.

. سلامته ألف سلامة.

. الله يسلمك .. ويبدو أنهم اعتقدوا أن ابنك هو ابني لمجرد أنه كان في نفس الغرفة التي بها ابني .. ولأنك تأخرت فاعتقدوا ..

قاطعه (صميده) مدافعا عن نفسه:

. أنا لم أتأخر .. الخبر هو الذي وصلني متأخرا.

. ولأن الخبر وصلك متأخرا فتأخرت .. فاعتقدوا أن ابنك هو ابني واتصلوا بي.

. وأين ابنك؟

. في المنزل.

. اعتقدت أنه مختفى وقد أبدلوا الأطفال.

. لا .. الحمد لله .. ابني بخير ولقد استلمته هذا الصباح.

. وطالما أنك استلمته .. لماذا اتصلوا بك؟

. لأن ابنك أخبرهم في المستشفى أنني أباه.

سأله (صميده) مندهشا:

. ماذا؟

قال (راضى) بمنتهى البساطة:

. هذا ما حدث.

. كيف؟ لماذا يفعل ابني هذا؟

. شقاوة أطفال حسب ظني .. أو أنه أراد الهروب من المنزل .. أو .. لا أعلم .. أسأله بنفسك

عندما تراه.

. حسنا .. حتى لو كان أخبرهم بذلك .. لماذا استلمته طالما أنه ليس ابنك؟

حاول (راضى) الدفاع عن نفسه ضد هذه التهمة .. استلام طفل ليس ابنه .. أو كما يقولون

في القانون (تهمة اختطاف طفل):

. إنها زوجتي .. أم ابني .. هي التي استلمته.

بدت الدهشة والحيرة الشديدة على وجه (صميده) .. شعر أنه قد سمعه بطريقة خاطئة ..

أو أنه لم يستطع فهمه .. بالتأكيد الأم تستطيع أن تعرف ابنها.

أنقذ (راضى) من الشرح وصولهم إلى سيارته .. قال:

..هيا.. إركب معى.

..لا.. إركب معى سيارتى.

..أنا الذى أعرف طريق الفيلا.

..بسيطة.. سترشدنى للطريق.. لكنى لن أترك سيارتى هنا أبدا.

..لا تقلق.. سأعيدك إلى هنا بسيارتى.

..لا.. اركب أنت معى وسأوفر عليك عناء توصيلى إلى هنا مرة أخرى.

..لا يوجد أى عناء.. ثم إننى لن أترك سيارتى أيضا هنا.

..والعمل؟

..بالتأكيد لن نظل هكذا نتجادل حول أى سيارة نركبها.. حسنا.. ما رأيك؟.. فليركب كل

واحد سيارته وأنا سأقود سيارتى أمامك.

..لا.

..لماذا؟

..أنا أشك فيك.. وفي قصتك العجيبة.. لذا ستركب معى فى سيارتى ونتجه إلى الفيلا وإذا

كان ابنى هناك فعلا سأعيدك إلى هنا لتركب سيارتك وتعود بها.. أما إذا لم يكن ابنى وهذه

حيلة منك فسوف..

ثم أخرج (صميده) المسدس من جيبه وصوبه ناحية رأس (راضى)..

..و..

ركبا الاثنان سيارة (صميده).

(12)

كان (صميده) يقود سيارته عندما حاول (راضى) أن يجذب أطراف الحديث معه فأشار إلى ثلاث صور لثلاث شباب فى مراحل عمرية مختلفة.. معلقة على المرأة الصغيرة أمامهما: أهؤلاء أولادك؟

- نعم.

- وأين صورة (برعى)؟

- ليس له صورة هنا.

- تعجب (راضى) وسأله:

- لماذا؟

- تنهد (صميده) واكتفى بذلك.. ولم يفهم (راضى) معنى هذه التهيدة فعاد يسأله:

- لماذا؟

- تنهد (صميده) مرة أخرى وكان هذه التهيدات إجابات واضحة لا تحتاج إلى ترجمة.. لغة عالمية يجب على جميع البشر إتقانها والتعامل بها.

- فكر (راضى) أن يخبره بالحقيقة المرة.. أنه ليس قارئ أفكار ويجب عليه أن يتحدث بصوت واضح لأن أفكاره ذات صوت منخفض.. فى أدنى مستويات الصوت.. تقل عن الصفر بدرجتين.. لذا لم يفهم حرفاً من تهيدتين وزفير طويل.. لكنه تراجع عن الفكرة وسأله سؤال آخر:

- ما اسمه؟

- وأشار إلى إحدى الصور فنظر (صميده) نحوها ثم أجاب:

- (متولى).

حمد (راضى) ربه أنه نطق الاسم بالحروف.. لم يستخدم تهجئة أخرى في الرد.
كم عمره؟

مات.

البقاء لله.. آسف.. لم أكن أعلم.

لم يهتم (صميده) باعتذاره.. قال شاردا:

مات في سن الثلاثين.. غرقا في البحر.. كان يريد أن يسافر إلى إيطاليا ليكسب بالآلاف
ويتزوج ابنة عمه (نجاة) ويشتري سيارة مثل ابن خاله (جميعدى).. نصحته كثيرا ألا يسافر
بهذه الطريقة.. البحر غدار.. لكنه لم يسمع كلامى.

حاول (راضى) أن يغير الموضوع فسأله عن الشاب الآخر:

وهذا.. ما اسمه؟

(مجاهد).

كم عمره؟

مات.

البقاء لله.. آسف.

شعر (راضى) بالخرج.. تنهد (صميده) مرة أخرى ثم قال مستعيدا ذكرياته الحزينة:
أيام الانفلات الأمنى.. ركب التوك توك في وقت المغرب وخرج ساعيا لرزقه.. قال إن
هناك بنتين اتفقتا معه أنه يوصلهم لأنهما خائفتين على أنفسهن.. قلت له (ابق أنت وسأذهب
بدلا منك.. البلد لم تعد آمنة).. ضحك وقال لى (أتريد أن ترى البنيتين يا حاج؟).

ضحك الأب المجروح وتابع:

كان ولد قليل الأدب.. لكنى كنت أحبه.. كنت أخاف عليه.. وكنت أشك في موضوع البنيتين
هذا.. كان شاب في سن العشرين.. عود أخضر.. يعطى الأمان للجميع.. نصحته ألا يخرج في
هذا الجو المقلق.. لكنه لم يسمع كلامى.

حاول (راضى) أن يقول شيئا لكنه التزم الصمت عندما شعر أن القصة لم تنته:

كانوا بنتين فعلا.. لكنهما بنتين سيئتين.. فوجئ ابنى المسكين بشابين قوين يوقفان
التوك توك ويعترضان طريقه.. لم يهبط ابنى من التوك توك خوفا على البنيتين لكنه فوجئ
بهما تضربانه وتدفعانه خارجه بمساعدة الشابين.. لم يستسلم ابنى فقد كان يعلم أننى دفعت
مبلغا كبيرا فى شراء هذا التوك توك.. خشى أن يخسره ويسبب صدمة لى.. ليته تركه.. لكنه
كان شجاعا وواجه الأربعة وحده.. لكن الشابين النذلين أخرجا أسلحتهما الحادة وراحا يطعنا

ابنى كثيرا ليستسلم.. شوها وجهه وجسده.. ثم تركوه يسيل فى دماء وهربوا جميعا بالتوك
توك.

كان السؤال يلح على عقل (راضى) لكنه منع نفسه.. حتى جاءت الإجابة دون أن يسأل:
.. ستسألنى كيف عرفنا كل هذا.. فى المستشفى وهو يحتضر حكى لنا كل شىء.. وعندما
ذهبنا للقسم لنبلغ عن الحادث ليقبضوا على المجرمون هؤلاء.. وجدنا القسم خاليا.
ثم ضحك ضحكة ساخرة ثم تابع قائلا:

.. وعندما ذهبنا إلى ضابط كبير.. قريبنا.. لجأنا له لعله يساعدنا فى الإمساك بهؤلاء
الملاعين.. قال لنا بالحرف (نحن فى أجازة.. أتم تقوموا بالثورة ضدنا؟ أرونا كيف ستديرون
هذا البلد).

حاول أن يغير (راضى) الموضوع الحزين فسأله عن الشاب الثالث والأخير صاحب الصورة
الثالثة.. لا يحتاج (صميده) إلى النظر للصورة فلم يبق إلا هو.. ومع ذلك ألقى نظره عليها
وقال:

.. هذا (صبرى).

خشى (راضى) أن يسأل عن عمره.. فربما تكون نفس الإجابة المعتادة.
.. مات أيضا.

أجاب الأب دون أن يسأله (راضى) هذه المرة.. قال الأخير:
.. البقاء لله.

.. كان سائرا فى الشارع كباقي البشر.. ذاهبا إلى مدرسته.. كان فى الصف الثالث
الإعدادى.. لا يفكر سوى فى كتبه ومذاكرته.. كان يريد أن يصبح طبيبا.. لم يكن يعلم أن
هناك فتيلة فى انتظاره.. وضعها المجرمون السفلة.. وجدنا أشلاء جثته متناثرة فى الشارع..
لم نعرف أنه ابننا إلا من بقايا ملابسه وممتلكاته.

ثم نظر إلى (راضى) لمدة ثانية وسأله:

.. بالله عليك.. بيم كان على أن أنصحه؟

ثم عاد لتابعة الطريق واستكمال حديثه:

.. الأول نصحته بعدم السفر وقلت له الهجرة غير الشرعية خطر.. الثانى نصحته ألا يخرج
فى هذا الوقت المتأخر ومع ناس لا يعرفهم.. خطر.. لكن الثالث.. بيم كان على أن أنصحه؟ ألا
يذهب إلى المدرسة؟ ألا يسير فى الشارع؟ ألا يخرج من بيته أبدا؟
تتهد (راضى) هذه المرة ثم سأل (صميده):

. هل لديك أبناء آخرون؟

. فقط (برعى) .. هو الابن الوحيد الباقي لى فى هذه الدنيا .. لذا عندما سمعت بحادث
أتوبيس المدرسة .. توقعت أن أضع صورته هنا بجوار أخوته .

فهم (راضى) الآن سر التهديدات الأولى .. قال له :

. اطمئن .. لن تضع صورته هنا .

فى تلك اللحظة .. وصلا الفيلا .

والسؤال : هل هو (برعى) حقا؟

عزيزى القارىء .. ما الإجابة التى تتوقعها لهذا السؤال قبل أن تقرأ الفصل التالى؟

(13)

دخل (راضى) فيلته وحده.. وراح يصيح مناديا زوجته.. خرجت له بسرعة محاولة إسكاته حتى لا يوقظ الطفلين من نومهما..

. اخفض صوتك .

سألها بلهفة رجل يريد التخلص من حمل ثقيل يجثم على قلبه:

. أين (برعى) ؟

قالت مندهشة:

. (برعى) !

انتبه إلى كونها لا تعلم شيئاً عن هذا الاسم فأعاد صياغة السؤال:

. أعنى.. أين (وحيد) والولد الذى معه؟

. نائمان.. لماذا تسأل؟

وقبل أن يجيب بثانية قالت:

. ولماذا حضرت الآن؟.. لقد توقعت أنك ستبيت عند زوجتك الثانية.

دافع عن نفسه صائحاً:

. قلت لك ألف مرة.. أنا لست متزوجاً من أخرى.

هل صدقته؟ أم أنها شعرت بكذبه عليها؟ أم أنها لا تحتاج إلى أى إجابة منه وقد صارت

على يقين من زواجه من أخرى؟ أم أن الموضوع لا يشغل بالها من الأساس؟.. سعادتها بطفلها

العائد تملأ قلبها وعقلها وتغنيها عن التفكير فى أى أمور أخرى.. ربما!

. أيقظيه وإلا سأدخل أنا لإيقاظه.

. من؟

. ذلك الولد الذى أحضرته من المستشفى.

. لماذا؟

. لأسلمه لوالده.

. تقصد لزوجتك الأخرى؟ لا وألف لا.. لن يفارقنى بعد الآن.. أبدا.

اقترب منها وقال لها:

. اسمعنى يا (حنان) يا حبيبتى.. هذا الولد ليس ابننا.. أقسم لك.. لقد ذهبت إلى المستشفى وقابلت هناك والده.. كان يبحث عن ابنه بجنون.. كاد أن يرتكب جريمة فى المستشفى ليستعيد ابنه.. هو ينتظر بالخارج.. لقد وعدته أن أسلمه ابنه.
. هل تعتقد أننى بهذا الغباء لأصدق هذه الـ..

قطعت جملتها عندما سمعت طرقات عنيفة على الباب وصوت غليظ ينادى:

. أستاذ! اذ (راضى).

. من هذا؟

. والد الطفل.. كما أخبرتك.

صاحت فيه غاضبة:

. لا.. لن تأخذ ابنى منى.

ثم أكملت بغضب أكثر حتى بدت فى تلك اللحظة أشبه بأثى نمر مفترسة مستعدة للانقضاض فى أى لحظة على من يقترب من صغارها والفتك به بدون أدنى رحمة:
. على جتى.

" يا أستاذ (راضى).. افتح "

مع الطرقات العنيفة والصياح المزعج وإصرار (حنان) على موقفها.. لم يجد (راضى) حلا آخر سوى أن يفتح الباب للآب.. ربما يستطيع هو إقناعها.

. لماذا تأخرت يا أستاذ (راضى)؟ ما الأمر؟

ثم تلفت (صميده) حوله وقال بشك:

. أين ابنى؟

. أشار (راضى) نحو (حنان) قائلا:

. أعرفك بزوجتى.

مدَّ (صميده) يده نحوها وقال:

. أهلا وسهلا.

لم تمره (حنان) أى اهتمام وكأنه لا يكلمها من الأساس وتجاهلت يده الممتدة لها وسألت زوجها:

. من هذا؟

ما زالت يد (صميده) معلقة فى الهواء بينما (راضى) يرد قائلاً:

. أبو الطفل.. كما أخبرتك.

ضحكت (حنان) قائلة:

. والمفروض أن أصدق؟ هل تتصورنى طفلة صغيرة ساذجة تصدق أى تمثيلية تحدث

أمامها؟.. تجلب لى رجلا من الشارع لتقنعنى أنه والد الطفل.

لوح (صميده) بيده غاضبا وقال:

. ما الموضوع؟.. أنا لا أفهم شيئا.. وأين ابنى؟

قال (راضى):

. أيقظى الولد يا (حنان).

. هل أنا مجنونة لأسلم ابنى لواحدة أخرى؟

صاح (راضى) فى وجهها:

. ليس ابنك.

. ابنى.

. ليس ابنك.

. ابنى.

ضاق صدر (صميده) بما يحدث أمامه فأدخل يده فى جيبه وأخرج سلاحه لينهى هذا

النقاش:

. أستاذ (راضى).. أين ابنى؟ احضره حالا والا أفرغت خزانة هذا المسدس فى رأسك.

صرخت (حنان) من الرعب وقالت:

. ما هذا؟.. هذا مسدس.. مسدس حقيقى!

ورغم أنها كانت غاضبة جدا من زوجها إلا إنها خافت على عمرها واختبأت خلفه.. فالزوج

يصلح للعمل كدرع بشرى فى مثل هذه المواقف الصعبة التى تتخلل الحياة الأسرية الهادئة.

قال (راضى) محاولا السيطرة على الموقف:

. اخفض هذا المسدس.. سأسلمك الولد بدون أى عنف.

فى تلك اللحظة خرج أحد الطفلين من الغرفة.. يبدو أن الصراخ قد أيقظه.. اندفعت الأم

بكل حبها لطفلها لتحميه بجسدها من أى رصاصه طائشة.. تخلت عن الدرع البشرى لتكون
هى درعا بشرية لطفلها:

. ادخل يا حبيبى.. أكمل نومك.

رأى (صميده) الطفل فخبأ مسدسه بسرعة فى جيبه بينما قال (راضى):
. ها هو ابنك.

تملص الولد من حضن (حنان) واندفع صائحا:
. بابا.

قال (راضى) بسعادة ناظرا نحو (صميده):
. أرايت؟

وظل (راضى) يتابع الولد الصغير وهو يسرع خطواته ليلتقى بأبيه (صميده) ثم..
فجأة..

لم يكمل طريقه..

لقد توقف عنده هو.. و احتضن ساقه بحب وهو يقول:
. بابا.

نظر (راضى) لأسفل.. إلى وجه الطفل.. ثم أشار نحو (صميده) وقال:
. هذا أبوك.

اندesh الطفل مما قيل له ولم يرد بينما قال (صميده) بغضب:
. هذا ليس ابنى يا أستاذ.

(14)

الحيرة!

هذه الكلمة يمكن التعبير بها عن مشاعر الثلاثة فى وقت واحد رغم اختلاف الأسباب عند كل واحد منهم.. لكن الحيرة فى النهاية كانت سيدة الموقف. /
أولاً: (حنان).. كانت تعتقد أن كل ما يحدث أمامها مجرد تمثيلية من صنع زوجها.. ربما استأجر رجل قابله صدفة فى الشارع أو ممثل مغمور ليؤدى أمامها دور الأب ثم يستلم الابن وبعد خروجهم يُعيد له زوجته الثانية.. لكنها لم تتوقع أن يخرج الممثل عن النص ويقول أن هذا ليس ابنه.. هذا يعنى أن هناك احتمال أنه أب حقيقى فقد ابنه وظن أنه سيجده هنا.. واستغل زوجها هذا الموقف الحقيقى لصالحه وأقنع الأب أنه سيجد ابنه هنا بالفعل.. لكن لماذا يفعل زوجها هذا؟

ثانياً: (راضى).. لقد ظن أن (صميده) هو والد الطفل حقاً.. كل المعطيات تشير إلى هذه النتيجة.. طفل واحد فقط مفقود من المستشفى ولم يعثروا عليه إطلاقاً.. وهناك طفل تم تسليمه خطأ لهما.. الاحتمال كبير أن يكونا الطفلين هما نفس الطفل.. الأب يستلم ابنه وتنتهى هذه القصة.. لكن إذا كان هذا ليس ابنه.. فأين ابنه إذن؟ ومن أين أتى هذا الطفل الغامض؟

ثالثاً: (صميده).. كان يتوقع بنسبة كبيرة أن يجد ابنه هنا.. فذلك الرجل الذى يدعى (راضى) يبدو صادقا ومحترما وزوجته محترمة أيضاً.. فلماذا إذن يعبثون معه؟
بعد انتهاء موقف (الحيرة) جاءت (المواجهة).. قال (صميده) بغضب:

..أين ابنى يا أستاذ؟

..أليس هذا ابنك؟

بينما سألت (حنان) زوجها:

.. من هذا يا (راضى)؟

حمل (راضى) الطفل الصغير ووضعهُ أمام عيني (صميده) .. خاصة العين التي تتحرك حدقتها بسهولة ويُسر في جميع الاتجاهات .. ربما كانت العين الثابتة لا تعمل .. سأله:

.. هل أنت متأكد أنه ليس ابنك؟

صاح (صميده) بغضب:

.. طبعاً متأكد يا أستاذ.

كانت (حنان) تحاول فهم ما يحدث أمامها بينما زوجها يقول:

.. ربما كان الآخر.

.. ماذا؟

حاول (راضى) أن يشرح له:

.. لدينا طفل آخر .. ربما يكون هو.

ابتسمت (حنان) لأنها تعلم جيداً أن الطفلين متشابهين تماماً، وهذا يعني أن النتيجة ستكون واحدة .. لذا تركت زوجها يذهب لإحضار الطفل الآخر .. لم تعترض طريقه هذه المرة .. وبدأت تستمع بالمشاهدة .. خاصة عندما قال (صميده):

.. طفل آخر!! كيف؟ ألم تقل لى أنك استلمت طفلاً واحداً فقط بدلاً من طفلك؟ هل لديك

أكثر من طفل؟

ثم نظر إلى (حنان) وعاد ينظر إلى زوجها وقال:

.. هل أنتم عصابة تختطف الأطفال ثم تطلب فدية؟

التفت (راضى) له وقال:

.. لا لا .. سأشرح لك كل شيء حالاً.

وعاد لاستكمال طريقه إلى غرفة الأطفال.

سألها (صميده) بشك وريبة:

.. أين ذهب؟

ابتسمت وقالت:

.. ذهب ليحضر لك الطفل الآخر.

أخرج (صميده) مسدسه مرة أخرى وصوبه نحوها وقال:

.. ما الذى يفعله بالداخل؟ ما الذى يحدث هنا؟

اندفع الابن يخبثاً خلف أمه التي صاحت تنادى زوجها مذعورة فخرج بسرعة من الغرفة ورأى ما يحدث فقال:

. أخفض سلاحك أرجوك.

نفذ (صميده) أمره وسأله بشك:

. ما الذى تفعله عندك؟

دخل (راضى) الغرفة مرة أخرى ليخرج بعدها بثوان مصطحبا الطفل الآخر وقال:

. ها هو ابنك.

. بابا.. من هذا؟

قالتها الطفل سائلا أبيه عن (صميده) الذى بدا حائرا:

. إنه يقول لك (يا بابا) مثلما فعل الطفل الأول.

. لا تشغل بالك بهذه الأمور.

ثم قبض على ذراع الطفل وجذبه نحو (صميده) وسأله:

. هل هذا ابنك؟

تأمل (صميده) ملامح الطفل الثانى جيدا ثم نظر إلى الطفل الأول الذى كان يقف بجوار أمه ناظرا له برعب.. ثم سأله:

. هل أنت مجنون؟

تفاضى (راضى) عن السؤال والإهانة وقال بعصبية:

. ابنك أم لا؟

. إنهم توءمان.. كيف يمكن أن يكون أحدهما ابنى؟ هل أنت حمار؟

انطلقت ضحكة (حنان) ترج المكان وكأنها أخرجت كل انفعالاتها فى تلك الضحكة أو لتشعر أنها المنتصرة فى هذا المشهد العبثى.. لتثبت لزوجها صدق حديثها.. إنهما توءمان بالفعل.

وشهد الشاهد الذى أحضره زوجها بنفسه.

. ثم إن الطفلين يتناديانك بـ (بابا) فكيف يكونا طفلاى؟.. هل أنت مختل عقليا؟ تريد أن

تعطى طفلاك لأى رجل تقابله؟ أم أنك..

ثم تلفت حوله بقلق متوجسا حدوث شئ:

. فعلت كل هذا للقبض على.. اتصلت بالشرطة وأنت بالداخل.. أقتعتنى فى المستشفى أن

أتى عندك لتخرجنى منها بسهولة دون أى عنف.. أنقذت الموقف بحركة بطولية ذكية.. وأنا

كنت غيبا وصدقت الخدعة.. وطبعاً الشرطة فى الطريق إلى هنا الآن.. سأجدهم محاصرين المكان فى أى لحظة.

وبسرعة.. دون أن ينتبه أحدا لما يتوى فعله.. اندفع (صميده) نحو (راضى) وأخرج مسدسه ليصوب فوهته نحو رأسه:
ولكن.. لن أموت وحدى.

(15)

شعر (راضى) بالفوهة الباردة للمسدس تلتصق بجبهته فصاح مذعورا:
.. أرجوك.. اهدأ.. وأخفض مسدسك.
.. لن أفعل حتى أرى ابنى.
لمح (صميذة) الطفلين يتحركان بهدوء بصحبة أمهما فصاح:
.. إياك أن تتحركوا.
قال (راضى):
.. أنا لا أعرف أين ابنك.
.. إذن لماذا أخبرتني أنك تعرف مكانه؟
.. لأنى كنت أعتقد أنه هذا الولد.
.. لا.. هذان توءمان وهما أبناؤك.. لماذا فعلت كل هذا؟.. لكى تكسب وقتا وتبعدنى عن
المستشفى لتسلمنى للشرطة.
.. لا والله أبدا.. لا.
شعر (راضى) بالندم فى تلك اللحظة.. لقد ورط نفسه مع هذا الرجل.. كان يظن أنه أبو
الطفل.. لكنه لم يفكر فى الاحتمالات الأخرى.. ما العمل الآن؟
.. لن ينتهى هذا الموقف على خير أبدا.. خاصة أنه لا يريد أن يبيع سلاحه عن جمجمته..
لايد أن يجد حيلة ليبعد عنه أو ليتصل بالشرطة أو ليدخل مكتبه ويحضر مسدسه من الخزانة
ويهدده به.
.. ستأتى معى إلى المستشفى.. إذا لم يحضروا ابنى فسوف أفجر رأسك أمامهم.
.. ما دخلى أنا باختفاء ابنك؟

..لأنك ساعدتهم فى..

وفجأة.. انطلقت نغمة هاتف محمول فى المكان.. موسيقى تتر مسلسل (الضوء الشارد)..
أخرج (صميده) هاتفه المحمول من جيبه.. حاول (راضى) أن يستغل الفرصة ويهرب لكن
الأول كان حذرا للغاية.. المسدس لا يزال مصوبا بدقة.. والرصاص قد تتطلق فى أى لحظة.

..آلو.. نعم.. أنا.. ماذا؟.. أين؟.. حسنا.. سأتى حالا.

و أنهى المكالمة ثم نظر فى عيني (راضى) وقال:

.. هل هذه هى خطتكم إذن؟

بدا على (راضى) عدم الفهم فقال (صميده):

.. اتصلوا بى من المستشفى.. يخبرونى أنهم وجدوا ابنى.. هل هذا ما اتقنت عليه مع

الشرطة؟

.. لا لا.. لابد أنهم قد وجدوه فعلا.. هيا يا رجل.. اذهب لاستلام ابنك.

.. ستأتى معى.. لابد أن هذا فخا.

.. ليس فخا.. صدقتى.. أنا لم أتصل بأحد.

.. لا.. ستأتى معى وإذا لم أجد ابنى سأقتلك.

فى تلك اللحظة خطر ببال (راضى) احتمال أن يكون هذا بالفعل فخا من الشرطة كما
يظن (صميده).. هو لم يبلغ الشرطة لكن العاملين بالمستشفى فعلوا.. وربما اتصلوا به ليذهب
إليهم فيقع فى قبضتهم بسهولة.

لم يجدوا ابنه.. ما يهمهم هو القبض على الرجل المسلح الذى هددهم بالقتل منذ دقائق..
ربما تحدث معركة دامية هناك.. و (راضى) سيكون فى قلب الأحداث بجوار الهدف.

قال (صميده) عبر الهاتف:

..آلو.. أين ابنى؟

.. أهلا و سهلا.. ابنك موجود معنا الآن.. تحت رعايتنا الكاملة.. نعتذر لحضرتك عما

حدث.. وفى انتظار تشريفك المستشفى لاستلامه.

.. أريد أن أسمع صوته.

.. حضرتك.. نحن فى مستشفى.. لم نختطف ابنك لا سمح الله.

.. أريد أن أسمعه لأتأكد أنكم قد وجدتموه فعلا.

.. سيدى الفاضل.. لماذا تتصرف هكذا؟.. لقد وجدنا ابنك ويمكنك سماع صوته ورؤيته عند استلامه.

.. ما الذى يضمن لى أنكم لا تكذبون؟

.. ولماذا نكذب؟

.. لتقبضوا على سبب ما فعلته.

.. سيدى الفاضل.. نحن نقدر موقفك.. رد فعلك كان طبيعيا جدا بالنسبة لأب فقد ابنه.. ونحن لا نلوم الأشخاص على لحظات انفعالاتهم.. وبالتأكيد لا نريد للشرطة أن تتدخل فى الموضوع حفاظا على سمعة المستشفى.. لا نريد أن يعلم أحد أن أبا فقد ابنه فى المستشفى ولو لدقائق.. هذه جريمة إهمال لا تغتفر.. ولا نحب أن تشم الصحافة خبرا كهذا. اقتنع (صميده) بحديث الرجل.. لكنه مازال مصرا على أن يسمع..

.. صوت ابنى.

.. حسنا.. ثوانى.. ابنك ليس بجوار الهاتف.

بعد أقل من دقيقة سمع صوت ابنه بالفعل.. شعر أن الدموع تريد أن تتطلق من عينيه لكنه منعها بصعوبة.. لقد توقع أنه لن يسمع صوته مرة أخرى منذ أن علم بوقوع الحادث.. الآن فقط شعر أن صورة ابنه الصغير لن توضع بجوار صور أخوته.

خرج الطفل الصغير (برعى) من بوابة المستشفى متجها نحو سيارة أبيه.. لم يقتنع (صميده) بالمجازفة والدخول إلى هناك لاستلام الولد.. كان حذرا لأقصى درجة.

.. أهلا حبيبى.. لقد أقلقتنى عليك.. أين كنت؟

وسط أحضان وقبلات أبيه قال:

.. كنت فى المستشفى.

.. أعلم.. أنا أسألك أين كنت فى الساعات الماضية.. وقت اختفاك.. لقد بحثنا عنك فى

كل شبر بالمستشفى.. أين كنت؟

بعد تفكير عميق أجاب الطفل:

.. فى المستشفى.

.. أين بالضبط؟

.. فى الغرفة التى كنت بها.

.. لا.. لم نجدك فيها ولا فى أى غرفة أخرى.. لقد بحثنا عنك لساعات.. أين ذهبت؟
.. كنت فى سريرى.. لم أتحرك من مكانى إلا عندما أخبرونى أنك تريد أن تكلمنى عبر الهاتف.

حاول (صميده) ألا يفقد أعصابه وحاول أيضا أن يسأله مرة أخرى نفس السؤال بطرق مختلفة لكنه لم يحصل على إجابة شافية مهما حاول..

من قال أن الأطفال يعطونك أى معلومة مفيدة إذا سألتهم؟
أما إذا تركتهم.. سوف يخبرونك بكل المعلومات التى يعرفونها دون أن تسألهم.
وهكذا استسلم (صميده) فى النهاية رافعا الراية البيضاء.. المهم أن ابنه عاد سليما معافى.. أين كان؟ لا يهم معرفة الإجابة.

اعتذر لـ (راضى) عما بدر منه.. وانتهى الموقف العصيب بينهما بهذه النهاية السعيدة.. مصافحة ومعانقة وتبادل أرقام الهواتف مع وعود بالتواصل.. وعود لن يتم الوفاء بها فى الغالب وكلاهما يعرفان ذلك.. ربما يمسحان الأرقام فور خروجهما من بوابة المستشفى.
قال (صميده):

.. لا تفرط فى أولادك.. المال والبنون زينة.
كاد أن يرد (راضى) عليه بجملة (ومن قال أنى أريد التفريط فى ابنى؟ أنت لا تفهم شيئا ولا تعرف شيئا عن الحقيقة) لكنه اكتفى بهزة رأس.. لن يفيد ذلك الرجل بشيء لذا ليس من الضروري أن يحكى له قصة (استلمت ابنى مرتين).. هو فى الغالب لن يصدق.. وربما يتأكد بعدها أنه مجنون فعلا.

دخل (راضى) المستشفى بعد مغادرة (صميده) وابنه.. سأل عن المدير وتوقع نفس الإجابة المعتادة وكان مستعدا لخوض نفس الحيلة السابقة لكنه فوجئ بسماع جملة:
.. نعم هنا.

ربما غير الموظف إجابته عندما قال أن الأمر عاجل وخطير.. لكنه تذكر أنه كان موظفا آخر.. ربما هذا الموظف صادقا.. لم يحترف الكذب بعد.. على أى حال المدير هنا.
أريد مقابلته؟

.. لأى سبب؟

.. السبب شخصى.

وقبل أن يقول الموظف أى إجابة تابع:

.. لا يمكن تأجيله.

.. حسنا .. انتظر هنا قليلا .

أجرى الموظف بعض المكالمات الهاتفية .. بعد قليل جاءه رجل قال له :

.. نعم .. أى خدمة ؟

.. أريد مقابلة المدير .

.. أنا المدير .

كانت مفاجأة بالنسبة لـ (راضى) .. نهض من مقعده وسأله :

.. حضرتك مدير المستشفى ؟

ابتسم الرجل وأجاب :

.. نعم .. أنا د . (نظمى) مدير المستشفى .. أى خدمة ؟ .. سمعت أنك تريد مقابلتى .

شك (راضى) أن يكون هذا الرجل هو المدير .. ربما هى حيلة .. رجل يدعى أنه المدير .. ربما

هو السكرتير .. ليعرف إن كان الموضوع مهما حقاً أم لا .

.. لكنى توقعت أن أقابلك فى مكتبك .

ابتسم الرجل وقال :

.. كنت أفقد أحوال المستشفى عندما سمعت أنك تريد مقابلتى .. أكان لابد أن أعود إلى

مكتبى لأقابلك هناك ؟

شعر (راضى) بالحرَج وقال :

.. هل أنهيت جولتك ؟ .. فأنا أريد أن أجلس معك على انفراد فى مكتبك لأن الموضوع شخصى

ولا أريد أن يسمعه أحد .

ابتسم د . (نظمى) وقال :

.. لا بأس .

رجل فى نهاية الخمسينات من العمر .. أشيب الشعر .. أبيض الوجه .. لا تشعر أنه مصريا ..

لا يملك تلك الملامح التى تجعلك تظن أنه قد شرب من نيلها وجرب أن يفنى لها وفى عز حزنه

يسير فى شوارعها ويشكو لها .. كما تقول المطربة (شيرين) فى أغنيتها الشهيرة .. لديه عينين

زرقاوين .. يرتدى نظارة طبية طوال الوقت تشعر أنها صارت جزءا من وجهه .. ربما لو خلعها

لتغير شكله ولن يتعرفه أهله وقتها .. أنف مفلطح ينبت أسفله شارب رفيع .. مبتسما معظم

الوقت حتى تشعر أن شفتيه قد تعودتا على هذا الوضع .. فتراه مبتسما حتى فى أوقات صمته

أو تأمله.. وليس من المستبعد أن تجد نفس الابتسامة على شفثيه أثناء نومه أيضا.. لذا لم يكن صعبا عليه صنع تلك الابتسامة فى الصورة الكبيرة المعلقة فوق مكتبه الضخم.. لديه لحية كبيرة تسلل بعض الشيب إليها.. توفر له مظهر راهب العلم فى ذهن من يراه للمرة الأولى.. وكما نعرف أن (الانطباعات الأولى تدوم).. لديه لُغد كبير لم تستطع اللحية إخفائه.. يرتدى قميصا أبيضاً وبنطلون أسود وحذاء أسود.. ملابس أنيقة تتسم بالبساطة.. لا يحتاج أن يرتدى البالطو و يعلق السماعة حول رقبته ليثبت لك أنه طبيباً.. ولا يحتاج أن يصيح فى جميع من حوله ليثبت لك أنه المدير.. لا تنتظر أن ترى الموظفين يهربون من أمامه ويسقط أحدهم متعثراً من شدة ارتباكه فتتناثر أوراق الملفات التى يحملها وتطير فى كل مكان فيحاول جمعها بسرعة قبل أن يصل له بينما يقفز أحدهم من النافذة خوفاً منه فتعلم وقتها أنه المدير حقاً.. يكفى أن تقارن بين وجهه ووجه الرجل فى الصورة الكبيرة فتعرف أنهما واحداً.. ولا يجلس على مكتب المدير إلا المدير!

..هل تحب الليمون أم الشاى أم الد..

..لا.. شكراً.

..لا بد أن تشرب شيئاً.. ليمون إذن؟

..حسناً.

بعد عصير الليمون.. قال المدير بابتسامة تتسع تدريجياً:

..نعم.. تفضل.. لا أحد يسمعك هنا غيرى.. بم يمكننى أن أخدمك؟

بدون أى مقدمات.. قال (راضى):

..لقد استلمت ابنى مرتين.

..ما المشكلة فى ذلك؟

لم يتوقع (راضى) هذه الإجابة.. لذا عرف أن د.. (نظمى) لم يفهم جملته.

..استلمته من هنا مرتين.

..حسناً.

..فى نفس اليوم.

..لا أفهم بعد ما هى أبعاد المشكلة.. أرجو أن تدخل إلى صلب الموضوع.

هذه هى المشكلة.. هذا هو صلب الموضوع.. لقد استلمته من هنا مرتين برغم أننى أحضرته

إلى هنا مرة واحدة فقط.

ومن الذى أحضره فى المرة الثانية؟ هل حضر الطفل وحده؟

. أنت لا تفهم المشكلة.
. امهمم.. حسنا.. اشرح لى بطريقة أفضل.
التقط (راضى) نفسا عميقا ثم قال:
. لقد استلمت ابنى مرتين.. أى أن لدى ابنى مرتين فى البيت الآن.

شرح (راضى) لمدير المستشفى بالتفصيل الممل ما حدث.. منذ شعر ابنه بالآلام شديدة فى الليلة الماضية وإحضاره للمستشفى لإجراء عملية الزائدة الدودية.. حتى وصل فى حكايته للحظة التى يجلس فيها أمامه الآن.

كان د.(نظمى) ينصت له باهتمام شديد.. دون أن يقاطعه و لولمة.. لم تقارقه الابتسامة طوال تلك المدة لدرجة أن (راضى) لم يعلم إن كان يصدقه أم لا.. هل هذه ابتسامة تفهم؟ أم ابتسامة سخرية؟ أم ابتسامة عادية؟ أم ماذا؟

فى النهاية توقف.. أفرغ (راضى) ما فى جعبته.. وحان الدور على د.(نظمى) ليلقى بكلمته المنتظرة.. نهض من مكتبه ودار نصف دورة حول مكتبه ثم قال:

. هل تعلم ما هو عمر هذه المستشفى؟

ودون أن ينتظر أى إجابة من (راضى) حتى لو كانت (لا أعلم) قال:

. هل تعلم كم ضحيت من أجل رفع شأن هذه المستشفى؟ هل تعلم أنني لا أنام تقريبا بسبب قلقى وانشغالى بهذه المستشفى؟ هل تعلم أنني أختار الأطباء للعمل فى هذه المستشفى بعد اجتيازهم اختبارات فى غاية الصعوبة يشرف عليها أكفأ الأطباء فى العالم؟ هل تعلم أن هذه المستشفى حصلت على شهادات تميز من هيئات ومؤسسات طبية عالمية ذات شهرة واسعة؟ هل تعلم أن هذه المستشفى تعد من أفضل المستشفيات فى الوطن العربى وأسمى لجعلها من أفضل مستشفيات العالم؟ هل تعلم أن..

شعر (راضى) أن المدير يبالغ فى مدح هذه المستشفى وأن ٩٩,٩٩ ٪ من حديثه غير صحيح لذا لم يتحمل سماع المزيد وقال:

. أنا لا أقد..

صاح المدير بغضب:

. لا تقاطعنى من فضلك.. لقد سمعتك دون أن أقاطعك.. لذا أنتظر منك أن تفعل المثل.

هذه هى اللحظة التى اختفت فيها الابتسامة.. و إنها للحظة نادرة تستحق التسجيل فى

إحدى الصور.. لقد لمح (راضى) شفثيه أخيرا بدون الابتسامة البلاستيكية.

فكر (راضى) أن يخرج المدير ويذكره بأن مستشفى العظيمة التى يتفاخر بها كانت تعاني منذ دقائق من مشكلة أب غاضب يبحث عن ابنه الذى دخل إلى المستشفى واختفى.. (أين كان (برعى) كل هذه المدة؟ ما كل هذا الإهمال!) لكن (راضى) تراجع عن الفكرة ورأى أن (الطيب أحسن).. لا داعى من إثارة غضب المدير.. سيعصر (راضى) طن ليمون على نفسه ويسمع قصائد مدح المستشفى فى سبيل التخلص من الطفل الفامض فى النهاية.

..أتعلم أين كنت خلال اليومين الماضيين؟

يعلم (راضى) جيدا أن د.(نظمى) لا ينتظر منه إجابة لذا ظل صامتا.. وبالفعل أجاب

على سؤاله بنفسه:

..كنت أتماقد على أحدث الأجهزة التى ظهرت بالأسواق الطبية بالخارج لإحضارها إلى هنا لنواكب التطور ولتكون هذه المستشفى هى أول مستشفى مصرية تستخدم هذه الأجهزة.. ثم تأتى أنت اليوم وفى هذه الساعة تخبرنى بكل بساطة بأن مستشفى من أسوأ المستشفيات التى دخلتها وتشكو لى من الإهمال الشديد بها.. وتدعى أننا نملك أسوأ قاعدة بيانات عرفتها.. والسبب؟.. تقول أنك استلمت ابنك مرتين.. كيف؟.. لا أعلم.. أنت لم تقل مثلا أنك استلمت الأدوية مرتين أو أننا أعطينا العلاج لابنك مرتين.. بل تقول - ويا للعجب - أنك استلمته مرتين.

ثم التفت د.(نظمى) إليه متابعا:

..هل أتيت إلى هنا يا أستاذ لتهدر وقتى بسماع قصتك الطريفة؟

..هذه ليست قصة.. هذه هى الحقيقة.

شعر (راضى) أن د.(نظمى) يحاول مجاراته كأنه يتحدث إلى مجنون ولا يريد إغضابه

بعدم تصديقه:

..حسنا.. وما هو المطلوب منى؟

ورغم أن شعور (راضى) لم يتغير إلا أنه أجاب سؤاله:

..المطلوب منكم هو أن تستلموا هذا الولد الإضافى.. لا أريد سوى ابنى فقط.

عاد د.(نظمى) إلى مقعده وقال مبتسما:

..حسنا.. أعده لنا.

ثم ضحك وتابع:

..مع أننا نرفع شعار (البضاعة المبدأ..) أقصد (المريض الذى يخرج من المستشفى لا يُرد ولا

يستبدل) لكننا سنعتبر هذا استثناء.. من أجلك.. (من أجلك أنت) .. وكما يقولون (الزبون..)
أقصد (المريض دائما على حق).

ابتلع (راضى) السخرية الواضحة فى كلمات د. (نظمى) وتركه يعيش للحظة ويخرج
إبداعاته الفكاهية:

.. ولو أن لديك أى أولاد آخرون استلمتهم بالزيادة.. تفضل مشكورا بإرجاعهم.

عندما صمت د. (نظمى) توقع (راضى) أن الفقرة الكوميدية قد انتهت.

.. أنا لم أت هنا اليوم لأمازحك.

.. أستاذ (راضى) هل تعانى من أى مشاكل فى البيت أو العمل؟ هل عانى أحدا من أقاربك

من مشاكل نفسية أو عصبية أو أمراض وراثية مثل:..

قاطعه (راضى) قائلا بغضب:

.. أنا لست مجنوناً.

.. أنا لم أقل ذلك.. لكن.. هل تود أن نجرى فحصا شاملا لك؟ .. لدينا هنا جميع التخصصات

وعلى أعلى مستوى.. ولدينا هنا أفضل أطباء فى قسم الأمراض النفسية والعصبية.

.. أنا لم أت هنا للعلاج.

.. حسنا.. لم آتيت إذن؟

.. لأعيد لكم ذلك الطفل الذى استلمته منكم وليس ابنى.

.. حسنا.. أين هو هذا الطفل؟

ثم تلفت د. (نظمى) حوله بطريقة ساخرة:

.. هل هو معنا الآن؟ هل يمكننى رؤيته؟

تمالك (راضى) أعصابه هذه المرة وأجاب بهدوء:

.. لا.. إنه فى البيت.

.. هل تركت الطفل وحده فى البيت؟

.. لا.. مع ابنى.

.. وكم عُمر ابنك؟

.. لا تقلق.. الطفلان فى رعاية زوجتى.

.. حسنا.. وهل زوجتك توافقك نفس الرأى؟

.. لا.. تظن أنه ابنها وأنى خبأت عنها هذه الحقيقة طوال السنوات الماضية.

.. حسنا.. سيأتى معك رجال من المستشفى لاستلام الطفل.

وافق (راضى) فى البداية على هذا الاقتراح الأخير.. لأن زوجته لن توافق بسهولة على التخلّى عن الطفل.. سوف يساعد الرجل فى المهمة.. لكنه بعد تفكير شعر بالشك فى نية د.(نظمى).. لماذا اقترح الآن هذا الاقتراح وتخلّى عن اقتراح أن يحضر الطفل بنفسه؟.. ربما هؤلاء الرجال هم ممرضين أقوياء مجهزين للقبض على المجانين الخطرين.. لماذا تريد إحضار رجال لاستلام طفل صغير يمكننى أن أحضره بسهولة؟ قال د.(نظمى) بهدوء:

.. حسنا.. أحضره.

لم يتوقع (راضى) ذلك.. شعر بحيرة شديدة فى الرد.. إنه يريد إحضاره فعلا لكنه لا يستطيع لأن زوجته متمسكة بالولد لأقصى درجة.. إنه يحتاج فعلا لرجال أقوياء لانتزاعه من أحضانها.. لكن هؤلاء الرجال ربما يقتنعوا بما ستقوله زوجته.. سيصدقوا أن الطفلين توءمين ويظهر أمامهم فى النهاية أنه المجنون الذى يريد التصريط فى أحد أطفاله.

.. حسنا.. وبعد أن أحضره.. ماذا ستفعلون مع الطفل؟

.. ليس هذا من شأنك.. أنت تقول أنه يخصنا واستلمته عن طريق الخطأ.. فقط أعد له لنا.. حسنا.. لن أعيده لكم حتى أتأكد أنه سيصل لوالديه.. لذا سأترك اسمى ورقم هاتفى لتتصلوا بى فى حالة ظهور والدى الطفل.. وسأكون سعيدا للغاية فى إعادة الطفل لأهله وأظن أن زوجتى ستكون سعيدة أيضا.

هكذا أنهى (راضى) المحادثة بطريقة ظريفة دون إحراج نفسه فى مسألة صعوبة إعادة الطفل.. ثم أعطى المدير كارتا شخصيا به رقم هاتفه المحمول.. سأنتظر اتصالكم.

ما الذى استفاده (راضى) من هذه المقابلة؟ لا شيء.. لكن.. ربما يظهر والدى الطفل.. ربما كانت هذه المقابلة خطوة فى طريق طويل تنتهى بإعادة الطفل لأهله.. من يدري؟.. ربما.

ركب سيارته وفكر: هل يعود لزوجته الأولى أم الثانية؟ (حنان) أم (جوجو)؟ ثم استخدم العملة المعدنية . التى يحتفظ بها دائما فى جيبه . ليقوم بعمل قرعة كعادته عندما يكون حائرا فى أمر ما .
اختار لكل واحدة من زوجاته وجهها من العملة.. (حنان . صورة) (جوجو . كتابة).. ثم

رفعها في الهواء ثم سقطت بفعل الجاذبية ليلتقطها بكفه.. لكن قبل أن ينظر للنتيجة تذكر أنه قد وعد زوجته الثانية بالعودة لها هذه الليلة.
لا قرعة.

وضع العملة بهدوء في جيبه وقرر أن يفى بوعده.. عندما انطلقت النغمة من هاتفه المحمول.. كانت زوجته الأولى هي المتصلة.. ماذا يفعل؟ هل يرد؟ هل يخبرها أنه أت في الطريق وينسى وعده لزوجته الأخرى تماما؟
آلو.

آلو.. هل أنت بخير؟

أسعدت سؤالها عنه واهتمامها بالاطمئنان عليه.. يبدو أنه لن يفى بوعده.

نعم.. أنا بخير.. وسعيد جدا بهذا الاهتمام.

لقد كان الرجل يحمل مسدسا.. خشيت أن يكون قد قتلك.

لا تقلقى.. أنا بخير.

ثم تابع مبتسما:

لم أكن أعلم أنك تخافين علىّ لهذه الدرجة.

كنت خائفة أن يقتلك.. ثم يأتي إلى هنا ويقتل الأطفال انتقاما منك أو انتقاما لفقدان

ابنه.

أى أنها كانت خائفة على أطفالها وربما على نفسها أيضا.. لم يكن قلقها الأساسي عليه..

خيبت آماله سواء كان حديثها جادا أو مزاحا.

لا.. اطمئنى.. لن يأتي ليقتل أطفالك.. لقد وجد ابنه بالفعل وعاد إلى بيته.

الحمد لله.

ظلت صامئة لفترة.. اعتقد (راضى) أن الخط قد انقطع.. فقال:

آلو.. (حنان).

نعم.

لقد ظننت أن الخط قد..

قاطعته قائلة:

-(راضى).

نعم.

هل يمكن أن أسألك سؤال وتجيبني بصراحة؟

هذه المقدمات لا يجيها (راضى) أبدا.. إن أردت أن تسأل سؤال فلتسأله على الفور.. لكن أن تطلب منه السماح لها بأن تسأل ثم تطلب منه أن يجيها بصراحة فهذا أمر مقلق!

نعم.. تفضلنى.

عدنى أولا.

هذا الإصرار يزيد من معدل القلق لديه.

أعدك.

توقع أن تسأله عن زواجه من أخرى غيرها.. لكن لحسن حظه سألته سؤال آخر لا يحتاج إلى الكذب.

لماذا تفعل هذا؟

السؤال ليس واضحا وخشى أن يرد على سؤال لم تسأله من الأساس لذا سألتها:

ماذا تعنين؟

لماذا تريد التخلص من الولد؟

لم يحتاج إلى تفكير حتى لا يجعلها تشك في الأمر وتظنه يكذب.. أجاب على الفور:

لأنه ليس ابنى.

لقد وعدتني أن تجيب بصراحة.

وهاأنذا أجيبك بصراحة.

صمتت لبرهة فقال لها محاولا إقناعها:

صدقينى.. ليس ابنى.. ولا أعرف عنه شيئا.

حتى لو أنك تظن أنه ليس ابنتك.. ليس هذا مبررا كافيا لإصرارك على التخلص منه.

أقول لك أنه ليس ابنى.. لا أعرف من أين أتى هذا الولد.. فما الذى يجعلنى مضطرا

للاحتفاظ به؟

يكفى أنه يشبه ابننا.. يكفى أننى أراه ابننا.. أليست هذه أسباب كافية؟

لا.. بالعكس.. هذه الأسباب هى التى تدفعنى للتخلص منه.. فظنك أنه ابننا يعنى أننى

فعلا قد خنتك.. وأخفيت عنك حقيقة أنك كنت حاملا فى توعم.. وأننى حرمتك من ابنتك

طوال هذه السنين.. كل هذه التهم لا أقبلها إطلاقا.. لذا سأسعى بكل جهدى للبحث عن أهل

هذا الطفل.. لأثبت لك أننى كنت زوجا وفيئا مخلصا لك طوال الوقت.

(راضى).. مهما فعلت ومهما حاولت أن تثبت لى أنه ليس ابنى.. سأظل دائما على رأيى..

ولن أغيره حتى لو أحضرت لى أناس يخبرونى أنهم أهل الطفل.. هذا الطفل هو ابنى.. لى

يقين تام أنه كذلك مهما قلت أو أقسمت.. ولن أفرط فيه أبدا ما دمت حية.. وإذا أخذ أحد منى فسيكون هذا على جثتى.

ثم ضغطت على الزر بعصبية لتنتهى المكالمة.

نظر (راضى) إلى شاشة هاتفه المحمول.. لقد أرادت ألا تسمع منه أى تعقيب لذا أنهت المكالمة فجأة.. فكر فى الخطوة التالية.. ما العمل الآن؟

هل يتقاضى عن أمر هذا الولد ويتركه يعيش مع زوجته ويستسلم للأمر؟ لكنه لا يعرف أى شيئا عنه.. لكنها متيقنة أنه ابنها.. وهو متأكد أنه ليس كذلك.. إنها كانت حامل فى طفل واحد.. لم يخبره الطبيب أبدا أنها كانت حامل فى توأم!

طرد كل هذه الأفكار من رأسه وأدار محرك سيارته ليذهب إلى زوجته الثانية.. لينسى معها كل همومه.. لا يمكن أن يذهب إلى زوجته الأولى الآن فبالتأكيد سيتشاجرا وهو يريد الراحة والنوم.. أما إذا سألتها غدا أين بات ليلته.. سيخبرها أنه بات فى مكتبه بالشركة.. كما كذب عليها من قبل مرات ومرات ومرات.

وانطلق بسيارته.. دون أن ينتبه إلى ذلك الرجل الذى يجلس بهدوء على المقعد الخلفى.

(16)

مهلاً.. لقد تذكرت شيئاً! أنا لم أصف لكم (راضى) حتى الآن!
يا للعجب! لقد وصفت شخصيات ثانوية فى الرواية ولم أصف لكم بطل الرواية الرئيسى!
إذا كنت من القراء الذين يرون أن الوصف التفصيلى لشكل البطل وتاريخ حياته يسبب
الشعور بالملل يصاحبه عُسْر شديد فى الاستمتاع.. فتجاوز هذا الجزء من الرواية.
أما إذا كنت من القراء الذين يستمتعون بالقراءة ولا يهتموا حرفاً من الرواية.. أو يرون
أن كل جملة لها فائدة.. سواء فى فهم أحداث الرواية أو حياة البطل أو الحياة نفسها بصفة
عامة.. فأشكرك على اهتمامك وأتمنى أن ينال هذا الجزء بالذات إعجابك.
ولهؤلاء أقول:
ابقوا معنا.. لا تغادروا أماكنكم.. نأتيكم بعد الفاصل.

ما الذى يمكن أن أقوله عن (راضى)؟
بالنسبة لوصف الشكل الخارجى.. وسيم.. رفيع.. طويل.. أسمر البشرة.. سُمرة خفيفة..
عينان بنيتان.. أنف دقيق.. حليق الوجه.
هذا كل شئ.. هل نسيت شيئاً؟
آه.. فى الثلاثينات من عمره.
أما بالنسبة لشخصيته.. وتاريخ حياته.. سأحاول التحدث عنها بإيجاز.
نبدأ بمرحلة الطفولة.. لقد وُلِدَ فى الد..
ماذا؟

لا تريدون تفاصيل حياته بهذا الشكل؟ ترغبون في اجتياز هذه المرحلة؟ تتصورون أن هذه المرحلة ليست مهمة؟

من قال هذا؟! إن مرحلة الطفولة هي أهم مرحلة في تاريخ حياة أي إنسان.. يتعلم فيها أهم الأشياء والتي تبقى معه للأبد.. تتشكل شخصيته في تلك السن الصغيرة.. لدرجة أن الأطباء النفسيين يسألون دائما عن مرحلة الطفولة ليستطيعوا فهم وتحليل ومعرفة أسباب المخاوف الغير منطقية والعقد النفسية لدى مرضاهم.

على أي حال.. سنكتفى بسطر أو سطرين في هذه المرحلة.. سنقول فقط أنه كان طفلا مدللا.. لم يكن لديه أي أخوات.. لذا نال كل ما يخطر على بال أي طفل.. أبواه ثريان لذا حاولا بقدر الامكان أن ينال ابنهما الوحيد أفضل تعليم وأفضل تربية.. حسب تصورهما وطريقة تفكيرهما.

لماذا لم ينجح غيره؟.. لا أعلم السبب.. ربما لا يوجد سبب.. أو أن هناك سرا غامضا وراء ذلك.. الله أعلم.. أنا أخبركم بما يعرفه الناس عنهم فقط.

الأب والأم أقارب.. أبناء عمومة.. وطلبا منهما أن حياتهما كانت أكثر من رائعة لذا قررا أن يزوجا ابنهما بنفس الطريقة.. زواج أقارب.. ليحافظوا على ثروة العائلة واتحادها في نفس الوقت.. لذا أقتعوه بالزواج من (شيرين) ابنة عمه المليونير الشهير (وحيد).. أغنى أثرياء العائلة.

لم يكن (راضى) يشعر بأي ميل نحو تلك الفتاة.. كانت مثل أخته.. أو إذا أردنا الدقة كانت مثل أخيه.

كان يراها ولدا في تصرفاتها.. ليست بنتا على الإطلاق.. وكان يتعامل معها على هذا الأساس.. كان يرى منها خشونة في التصرف والتعامل.. ربما لم يرها في أصدقائه البنين المشاغبين.

اسمها (شيرين) لكنه كان يعتمد أن ينطقها (شرين) بتشديد الراء.. مفسرا ذلك بأنه يراها شرا مضاعفا.. كان يمزح مع والدته قائلا:
- إنها ليست شرا واحدا.. بل شرين.

بحث أمه على الانترنت لتجبره بمعنى الاسم ليتوقف عن المزاح بشأنه:
- اسم أصله فارسي.. يعنى الحلوة العذبة الجميلة والعنب الكثير الحلاوة وأطلقوه على نوع من الحلوى الفارسية.

- هذا المعنى لا يناسبها على الإطلاق.

وظل معجبا بالاسم الذى أطلقه عليها.. (شيرين).. حتى أنه كان يناديهها به عندما لا يراه أحد.. لأنه يعلم جيدا أنه سيعاقب بشدة إذا سمعه أحدا من أقاربه.

كانت الطفلة (شيرين) تغضب بشدة عندما تسمع هذا الاسم منه.. كانت تبكى كأتى طفلة صغيرة بريئة فى سنها.. أحيانا أخرى تخبر والديه فيعنفونه أو يعاقبونه.. أما فى معظم الأوقات كانت تتصرف معه بطريقة لا تليق بالبنات أبدا.. صفعات ولكمات وركلات.. شجار صبيانى عنيف.. لا تكتفى بالسباب وجذب الشعر كبقية البنات.

لم يرها منذ الشهادة الإعدادية.. سافرت مع والديها للخارج وظن أنه قد ارتاح من شكلها للأبد.. لم يحزن على فراقها بالتأكيد.

فى الثانوية العامة.. تعلق قلبه بزميلته فى المدرسة.. اسمها (زينب).. أصغر منه بعامين.. كان يراها أجمل طالبة فى المدرسة.. وقع فى هواها بمجرد أن وقعت عينه عليها.. وهكذا بدأت أول قصة حب فى حياته.. حب مراقبين فى الثانوية.. ولك أن تتخيل..!.. قلوب خضراء متأهبة للحب.

عند تخرجه من كلية التجارة.. فوجئ باقتراح والديه لاسم (شيرين) كمروس مناسبة له.. صاحبة قائمة طويلة من المميزات.. فهى من بنات العائلة.. ويعرفون أصلها وفصلها.. سترث الكثير من ملايين أبيها.. و.. و.. و.. لكنه رفض الفكرة تماما وقال:
لن أتزوج رجلا.

وراح يشرح لهم كيف كانت ذكرا فى سلوكها معه.. وأنه لم يتخيلها أبدا زوجة له.. ولا زوجة لأى أحد.

أنا أريد امرأة.

كان يود أن يخبرهم بالحقيقة ويقول:

أنا أريد (زينب).

لكنه شعر أن الوقت لم يحن بعد.. لا يمكن مقارنة حال أسرة (زينب) الفقيرة بحال أسرة (شيرين) فاحشة الثراء.. هناك فرق يتعدى ملايين من السنين الضوئية.. لذا عليه أولا: إقناع والديه بأن (شيرين) لا تناسبه إطلاقا.. ثانيا: عليه إقناعهم بأنه سيختار عروسه بنفسه ولن تكون من العائلة.. ثالثا: بعد مدة طويلة من نسيان موضوع (شيرين) عليه إقناعهم بأن (زينب) هى العروس التى اختارها.

(شيرين) فتاة رائعة الجمال.. لا تقل عنها هذا.

يا ماما.. إنها ليست فتاة.. إنها لا تحمل صفة (أنثى) سوى في البطاقة فقط.. ويعتبر هذا تزوير في أوراق رسمية.
لقد عادت مع والديها منذ أسبوع.. سندهب لزيارتهم وسأتى معنا.. وستراها بنفسك وستعلم أنها في منتهى الأئوثة.
وقد كان..

ورأها (راضى) ولم يتعرفها..

كان يتوقع أن يرى فتاة فى ملابس الرجال.. ضخمة الجثة.. مفتولة العضلات.. ربما صلعاء.. لا مانع من وجود شارب ولحية خفيفة نمت على استحياء.. تصافحه كلاعب مصارعة حرة حاصل على حزام بطل العالم للوزن الثقيل.. ربما تكسر له عظام السلاميات مع مشط اليد أثناء المصافحة.. لذا فكر فى الاكتفاء بهز الرأس وإلقاء التحية.. لا داعى من المصافحة على الإطلاق.. وحمد الله أنه لن يكون هناك عناق بسبب التقاليد الشرقية فهى بنت فى النهاية حسب ما يدعون وإلا ستحطم له عموده الفقرى أو قفصه الصدرى على الأقل.. ربما أيضا تحدثه بحنجرة بائع متجول فى سوق الخضار.. وربما تعلمت بعض السباب الأمريكى الذى لن يفهمه وربما يومئ برأسه لها دليلا على تأييدها فى الرأى.. وربما تبصق على الأرض بين الحين والآخر.. هكذا تخيلها.. لم يتصور أبدا أنه سيرى فتاة تتفجر أنوثة.. تسير كفراشة رقيقة تتهاذى بين الأزهار فى أجمل أيام الربيع.. ترتدى مثل نجمات السينما العالمية.. أجمل بكثير جدا!!!!!! من (زينب) التى عشقتها فى الثانوية العامة.. أين كان عقله وقتها؟.. شعر أن الأخيرة تشبه (أحدب نوتردام) إذا قورنت بجمال (شيرين).

كانت فى غاية الأناقة والرفقة والرشاقة وخفة الظل.. مثقفة.. ذكية.. لبقة.. جذابة.. وفوق كل هذا (ثرية).. ضع تحت كلمة (ثرية) ألف خط.. مليار خط.. ما الذى يريده (راضى) أكثر من هذا؟ كانت لديها جميع مواصفات فتاة أحلامه بالإضافة إلى بضع صفات أخرى لم تخطر بباله.

لم يستطع الشاب أن يبعد نظره عنها طوال مدة الزيارة وكأنه يريد التهامها بعينيها التهاما.. حزن أنه اكتفى بمصافحتها فقط.. تمنى لو أنه يستطيع معانقتها وتقيلها وما أكثر من ذلك.. فى الحدود الاجتماعية المسموح بها والغير مسموح.. نسى (زينب) وأهلها وأهله وأهل الأرض جميعا.. صار الكون كله هو (شيرين) فقط.. لا يرى غيرها.. لا يريد أن يرى سواها بعد الآن.. لا يريد أن يسمع سواها... لا يريد أن يتحدث إلا معها.

" كيف حالك يا (راضى)؟ "

عندما نطقت (شيرين) اسمه فى تلك اللحظة التاريخية.. شعر (راضى) الشاب . لأول مرة فى حياته . أن اسمه أحلى اسم فى أسماء الرجال على كوكب الأرض منذ بدء الخليقة . الحمد لله .. كيف أخبرك أنت يا (شيرين)؟ رأى أعذب ابتسامة فى الوجود وهى تقول: (شرين) .

يا إلهى!.. إنها لازالت تتذكر! كان (راضى) يأمل أن تكون قد نسيت. ندم فى تلك اللحظة على اختراعه هذا الاسم ومناداتها به.. ندم على كل سخافات القديمة معها.. بل ندم على مرحلة طفولته كلها.. وشعر أن ندم العمر كله لن يكفيه.. لكنه التمس العذر لنفسه.. لقد كان طفلا.. وكيف له أن يتخيل أنها ستتغير إلى هذا الحد المذهل.. أو أنها ستتغير أصلا.. لقد كان مستعدا أن يراهن بحياته لوالديه منذ ساعات أنها لم تتغير.. الحمد لله أنه لم يراهن.. من يصدق حدوث مثل هذا التغيير الكبير؟ كنا أطفالا .

قالها باقتضاب.. فردت (شيرين) عليه بابتسامة مقتضية والتفتت إلى أبويه لتتحدث معهما.. انشغلت عنه تماما وكأنه ليس موجودا.. تمنى فى تلك اللحظة أن تأخذ بثأرها منه لتنسى بعدها كل شيء.. فلتصفعه.. فلتلكمه.. فلتتركه.. فلتضربه بأى أداة حادة تجدها.. فلتنقذه من نافذة الشقة بالدور السابع فى العمارة التى يملكها والدها.. أو تنقذه من أعلى العمارة نفسها.. المهم أن تنسى ما مضى وتحذثه بعدها بقلب صاف لا يحمل أى ضغينة نحوه.. لكن لا تتركه هكذا دون تصفية حسابات وتظل نارها ساكنة تحت التراب لسنوات قادمة . هل مازلت غاضبة منى؟

fb.com/Sa7er.Elкотob/

التفتت له وأجابته:

لا.. لماذا تسأل؟

وهكذا عادت للتحدث معه وراحا يتذكران سويا مرحلة الطفولة.. اكتشف أن قلبها أبيضاً.. لا تفكر فى أى ثأر.. ذكية لأبعد الحدود.. اجتماعية لدرجة أن لديها أصدقاء فى كل مكان بالعالم.. مثقفة لدرجة أنها يمكن أن تتحدث معه فى أى موضوع يفتحه.. ومر الوقت بسرعة دون أن يشعر بذلك.. كان يود ألا تنتهى هذه الزيارة أبداً.. لاحظ أن والديه كانا سعيدين بانسجامهم معا.. وكان يود أن يخبرهما أنه أكثر سعادة منهما.. بل أكثر سعادة من أى كائن حى على سطح الأرض فى تلك اللحظة.

كان يود أن يقترح على والديه أن يفاتحا عمه فى موضوع زواجه منها فى هذه الزيارة..

خير البر عاجله كما تعلمون.. وهذه العروس الممتازة لا يمكن تقويتها.. إنها فرصة العمر التي يقولون أنها تأتي مرة واحدة ولا تأتي بعد ذلك أبدا مهما انتظرت أو بحثت بنفسك.. وبالتأكيد هناك مئات العرسان المسجلين في قائمة الانتظار.. يقفون على الأبواب ليل نهار في انتظار إشارة الموافقة لأى واحد منهم.

عند الانصراف.. صافحها بحرارة مودعا إياها.. منع نفسه بصعوبة شديدة من معانقتها وتقبيلا.. كان يود فعلها وفكر في تبرير ذلك لعمه بأنه يعتقد أن هذه هى التحية الأمريكية كما يرى فى الأفلام.. لكنه خشى أن يفضب عمه منه.. ويؤدى ذلك إلى رفض الزواج باعتباره همجيا.. لذا اكتفى بالمصافحة.. والتمتع بدفء يدها الناعمة الرقيقة للحظات.. شعر وهو خارجا مع والديه أنه قد ترك قلبه هناك.. عند قدميها بالتحديد.

ما رأيك؟ هل أعجبتك؟

أجاب سؤال أمه بكلمة واحدة:

طبعاً.

لم تكن الأم تحتاج إلى هذه الإجابة.. فقط كانت تريد أن تثبت لابنها أنها كانت محقة فى اختيارها.

لكن هل تعتقدين أن عمى سيوافق؟

أجاب والده هذه المرة وقال:

ولماذا لا يوافق؟ أنا أخوه وأنت ابن أخوه.. نحن عائلة.

هذا ليس سببا كافيا.

شعر (راضى) أن الموافقة مستحيلة.. مع كل هذه الموصفات التى لديها مقارنة بما لديه.. ومع ثراء والدها الخيالى مقارنة بثراء والده المتواضع.. إذن الأمل ضعيف جدا.. يكاد يكون معدوما.

لكن..

" وافقوا "

قالتها أمه لتبشره بعد أسبوع كامل من انتظار الرد وفقدان الأمل.. سألها ليتأكد:

.. أنت تتحدثين عن زواجى من (شيرين) .. أليس كذلك؟

أومأت برأسها.. لم يصدق.. قال:

.. أريد أن أسمعها جملة كاملة.

نعم.. وافقوا يا ولدى.. مبروك.. ألف مبروك.

لا.. لابد أن هذه دعاية ثقيلة من والدته.. لا يمكن أن يحدث هذا.. أو أنهم يصورون حلقة من حلقات (الكاميرا الخفية) وسيخرجون من كل مكان الآن ليبتسموا في وجهه ويشيرون نحو أماكن الكاميرات المخبأة.. رافعين أصابع الإبهام في لحظة واحدة مع ابتسامات سمجة.. ثم يسألون السؤال التقليدي:

.. تحب أن نذيع أم لا؟

فيقوم بضربهم جميعا لأن هذا أسخف مقلب شاهده في حياته مع رفضه التام إذاعة الحلقة وتهديدهم بمقاضاة أسرة البرنامج في حالة إذاعتها.
نظر حوله.. لا توجد أى كاميرات.. وهذا الموضوع الحساس لا يصلح لأن يكون حلقة ممتعة في برنامج رمضان..

ربما يحلم.. لكن هذا ليس حلما!

إذن اليوم هو أول إبريل بالتأكيد وهذه هى كذبة العام.. نظر إلى النتيجة المعلقة على الحائط.. إنهم فى شهر يناير.. قرأ المكتوب أسفل الورقة:
" لا يوجد مستحيل "

كانت أيام الخطوبة أجمل أيام حياته!

لكن ظل يرأوده دائما خاطر أن كل هذا حلم.. كل هذا غير حقيقى.. لا يمكن أن يكون هذا ما يحدث بالفعل.. لابد أنه حلم جميل طويل وسوف يستيقظ فجأة ويكتشف أنه متزوجا من (زينب) تلك الفتاة القبيحة الفقيرة التى أحبها بغيا فى الثانوية العامة بتقدير سخيى جدا مع مرتبة الخَرْف الأولى وأنجب منها ثلاث أطفال حمقى يلهو الذباب ويمرح بسعادة على وجوههم.. هذا أقرب للواقع مما يحدث معه.

كان يشعر أنه يعيش فى الجنة عندما يكون برفقتها.. وهذا يجعل حياته غير قابلة للتصديق.. لابد أن هناك عشر ملايين شاب يحسدونه على الأقل.

وكان السؤال يلح دائما على خاطره.. (لماذا أنا؟)

فبالتأكيد هناك ملايين قد رأوها حول العالم.. منهم آلاف حلموا بها.. ومنهم مئات تشجعوا وتقدموا لها.. ومنهم عشرات جديرين بالزواج منها.. فلماذا وافقت عليه هو بالذات دون غيره؟

س: ربما لتأخذ بثأرها القديم منه؟

ج: احتمال.

هل ستأتى لحظة معينة وتفسخ الخطوبة وهكذا تثار لنفسها منه عندما تتركه جريحا مهانا فاقدر النطق من الصدمة؟ لكن لم كل هذا المشقة والانتظار؟.. كان يمكن أن تنتقم منه برفضه من الأساس..

أم أنها أرادت صدمة قوية لذا لايد أن تكون الخدعة قوية؟
الرفض فى البداية لن يكون به أى إهانة.. واحد من عشرات أو مئات تم رفضهم.. أما إذا خطبها وعلم الجميع بذلك ثم طرده من جنتها.. سيعلم وقتها الجميع بخيبتها الشديدة.
ربما أرادت أن تريه جنتها أولا قبل أن تطرده منها؟
وظل السؤال يلح على عقله حتى قرر أن يواجهها به:
لماذا أنا؟

ضحكت (شيرين) ضحكتها العذبة الشهيرة.. فأعاد السؤال عليها:

لماذا أنا؟

أجابت ببساطة:

لأنى أحبيتك.

فقط؟

ليس هذا سببا كافيا؟

أشاح بوجهه بعيدا عنها مفكرا فى إجابتها.. لمح النتيجة هناك معلقة على الحائط.. دفعه الفضول لقراءة المكتوب.. كان الخط صغيرا ومكانها بعيدا.. انتظر اللحظة المناسبة ليفادر مكانه ويقرأه.

" أينما ولد الحب فلا مكان للخوف "

كان يمتنى أن يجد حكمة عن (الثقة بالنفس).. فهو لا يصدق أنها أحبته هو بالذات.. خاصة مع تاريخه الأسود معها.. هل يمكن أن تكون قد نسيت ذكريات الطفولة بهذه السهولة؟ أم أنها أحبته منذ أن كانت طفلة؟ أم أنها تنتظر الوقت المناسب لتثار لنفسها منه؟ يوم الفرح مثلا؟.. ربما لن تحضر وتتركه وحيدا فى الكوشة بينما تكون هى على سلم الطائرة؟ أم أنها ستتزوج ثم تريه الوجه الآخر منذ ليلة الدخلة وتمارس دور الزوجة المملة الكئيبة المتسلطة المزعجة سليطة اللسان حتى يرغب فى الطلاق منها.. ومؤخر الصداق الكبير سيمنعه من ذلك.. فإما الإفلاس أو الصبر؟

س: هل أحبه حقاً؟

ج: احتمال.

ومرت الأيام حتى أتى يوم الاعتراف.

" أريد أن أعترف لك "

قالتها (شيرين) .. فشعر (راضى) أنه كان ذكياً.. ها قد أتت اللحظة أخيراً.. لقد كان محقاً منذ البداية.. لا بد أن هناك سر وراء موافقتها عليه.

لا يعلم إن كانت قد لاحظت الابتسامة على شفثيه أم لا.. ابتسامة تحمل معنى (لقد كنت محقاً) .. ربما لو كان بمفرده لقفز عالياً في الهواء صائحاً (YES) . أخبرينى.

قالت وهي تطرق برأسها إلى الأرض:

. عدنى ألا تخبر أحداً.

لا بد أنه سر كارثي! ظل (راضى) يتخيل مئات الاحتمالات داخل عقله.. أولها أنها ليست كما يتصور الجميع.. لا بد أنها كما كان يتصورها.. هل ستخبره الآن أن لديها أعضاء ذكورية؟..

قال مستجيباً لطلبها:

. أعدك.

لقد طلبت منه أن يعدها ألا يخبر أحداً.. لكنها لم تطلب منه أن يعدها بألا يتخلى عنها عندما يعلم السر.. هناك فرق طبعاً.. وهناك وعود يمكن الوفاء بها وأخرى لا.

. أبى لا يعلم هذا السر.

. وما هو؟

(17)

بعد لحظات من الصمت الرهيب مرت كسنوات بالنسبة إلى (راضى) .. أخبرته
(شيرين):

. أنا لست عذراء.

كانت مشاعره متناقضة فى تلك اللحظة.. هل يفرح أم يحزن؟.. يفرح لأن تخمينه كان
خاطئاً.. إنها أنثى فى النهاية.. أنثى بمعنى الكلمة.. أنثى كاملة لدرجة أن هناك شاب آخر
استمتع بهذه الأنوثة قبله.. أم يحزن لنفس السبب؟

. هاه.. قل شيئاً.

. هل أتيك يعلم هذا؟

. لقد أخبرتك منذ لحظة أنه لا يعلم.

. أم.

نهض (راضى) من مكانه وراح يقلب الأمر فى رأسه.. ثم قال:

. لا بأس.. من منا لا يخطئ؟

هو أيضاً أخطأ.. كان يحدث بنات كثيرات طوال الوقت ويعاكسهن رغم تحذيرات والده..
و هناك واحدة منهم قد قبلها.. (زينب) .. فى الواقع لم يقبلها بالمعنى الواقعى الدقيق للكلمة..
فهى نفسها لا تعلم أنه قد قبلها.. لأنه فقط قبل صورتها.. ولم تكن صورتها الفوتوغرافية إن
أردنا الدقة.. لأنه فشل فى الحصول على واحدة.. هو فقط قبل الصورة التى رسمها بقلمه
الرصاص والألوان الفلوماستر لـ (زينب) من خياله على الورقة المنزوعة من كراسة الرسم..
لكنه حلم بها كثيراً جداً فى أوضاع غاية فى الإثارة أثناء نومه.. ولو أنه كان فى أمريكا.. مثل
خطيبته. لقبيل (زينب) بمنتهى الحرية وفعل ما يحلوه معها.. بالتأكيد المجتمع الذى عاشت

فيه خطيبته كان سببا في ارتكابها الخطيئة.. من الصعب أن تكون مختلفة عن بقية زميلاتك.. بالرغم من تربية والدها الصارمة لها.. وهكذا التمس (راضى) لها العذر.
"من هو؟"

سؤال سخيف لكنه لم يجد غيره.. سؤال ليشجعها على مزيد من الاعتراف بخصوص هذه الجريمة الشنعاء.. إنه لا يريد معرفة التفاصيل الجنسية بالتأكيد.. هو فقط يريد معرفة قصة حبها له.. وهل مازالت متعلقة به أم لا.. ومتى ولماذا فعلت ذلك معه.

لكنها صدمته بقولها:

. أى واحد فيهم؟

. هل هم كثير؟

هزت رأسها يمينا ويسارا كأنها حائرة في اختيار الإجابة المناسبة.. لذا دفعته ليسألها:

. كم عددهم؟

أجاب دون تفكير:

. لم أقم بالعد.

. هل العدد كبير لهذه الدرجة؟

أجاب بسرعة:

. لا.. لا أقصد.. فقط لم أقم بالعد.. إنه عدد يتراوح بين العشرة.. خمس عشر.. عشرين.

الصددمات تتوالى.. خشى أن تستمر في العدد (خمس وعشرين.. ثلاثين.. خمس وثلاثين..)

حتى تصل إلى المائة.. لكنها رأفت بحاله وتوقفت عند العشرين.

. هل تريد أن أعدهم لك بدقة؟

ودون أن يجيبها.. راحت تذكر أسمائهم أمامه محاولة تذكرهم وتعدّ على أصابع يديها..

خشى أن تستكمل العد على أصابع قدميها.

وصلت (شيرين) للتاسع ثم قالت:

. لا.. هذا ذكرته من قبل.. لا يمكن أن أعدّ مرتين.. أوف.. حسنا.. سأعدّ من جديد.

وراحت تذكر نفس الأسماء مرة أخرى.. حتى انتهت أصابع يديها وبدأت دورة جديدة على

نفس الأصابع حتى وصلت إلى السابع عشر.

. أظن أنهم سبع عشر.. لا أتذكر أحدا آخر.. لو تذكرته سأخبرك.

ألهذه الدرجة كانت تعيش حياتها في الفسق والمجون؟ لا تتذكر عدد الذين ناموا معها..

وربما تكون قد نسيت اسما أو اسمين أو أكثر.. الله وحده أعلم.. ثم سأل نفسه (وهل يفرق

(العدد؟) هي في النهاية أخطأت.. أخطأت كثيرا.. و من يخطئ مرة مثل من يخطئ عشرا.. ومن يقبل خطيئة واحدة يتقبل عشر خطايا.. فهل سيقبلها فعلا بعد هذا العدد أم سيغير رأيه؟

سبع عشر!

إن العدد كبير حقا!

أكبر من عدد البنات اللاتي تحدث معهن في حياته الجامعية.. أكبر من عدد المواد التي رسب فيها طوال حياته.. أكبر من عدد اللاعبين في فريق كرة قدم أو يد أو سلة أو طائرة.. أكبر من عدد حلقات الموسم الأول من مسلسل Don't Trust the B---- in Apartment 23.. أكبر من عدد السنوات التي قضتها في أمريكا.

لكنها ليست الفتاة الوحيدة التي أخطأت في التاريخ.. يعرف بنات كثيرات يخطئن طوال الوقت.. الفرق بينها وبينهن هي أنها تخطئ في العلن هناك في مجتمع حر يدعم الحرية الجنسية.. أما هنا فإنهن يخطئن في السر دون أن يعلم أحد بفضائهن.. فلو علم أحدا بها لطارت الرقاب.. سواء رقبة الفتاة أو رقبة حبيبها أو رقاب الذين حرضوها على الرذيلة أو رقاب الذين لم يحسنون التربية أو رقاب جيرانهم لأنهم شاهدوهم أثناء قطع رقابهم. ربما لو علم عمه (وحيد) بخطايا ابنته لدفنها حية وتخلص من عارها.. أم أن الغربة والحياة الطويلة في أمريكا قد غيرته وغيّرت دماؤه الحارة.. ربما كان يعلم بالفعل وهي تكذب عليه الآن حتى لا يظهر عمه أمامه كرجل بارد.

واستمر (راضى) في التفكير.. وتذكر (زينب).. من يدري؟.. ربما كانت الآن على علاقة بشاب أو اثنتين.. وربما لو تزوج أي واحدة أخرى غير (شيرين) أو (زينب) لاكتشف في ليلة الدخلة أنها ليست عذراء.

على الأقل (شيرين) أخبرته بكل شيء قبل الزواج.. لم تخدعه.. قد تأخرت في إخباره ولكنها لم تتأخر كثيرا.. فيمكنه الخروج الآن ونسيان الموضوع ولا يعود إلى هنا أبدا.. والخطوبة يمكن فسحها بسهولة.. ربما تتخاضم العائلتان لفترة.. ربما يتصالحا فيما بعد أو لا.. المهم أنها ستكون خسارة صغيرة.. وسينسى الجميع الموضوع بمرور الزمن.. وسوف تجد من اليوم التالي عريسا يقبل كل شروطها ويوافق على الزواج حتى بعد سماع اعترافاتها القذرة.. حتى لو أخبرته أنها كانت تنام مع عشر رجال قبل الأكل وبعده.

(راضى) أمام خياران:

الأول: الرفض.. لن يقولها بطريقة مباشرة الآن.. لن يصفعا على وجهها أو ينعثا

بأى لفظ بذىء.. لا طبعاً.. سيقول كلمتين هادئتين بابتسامة صفراء دليل على الموافقة فى الاستمرار.. لكنها ستعلم جيداً أنه يقصد العكس من تعبيرات وجهه التى يحاول إخفائها.. سيودّعها بقبلات باردة.. تعلم جيداً أنها آخر قبلات منه.. يودّعها ويعدّها برؤيتها قريباً وهى تعلم أنه لن يعود أبداً.. ثم الباب.. يمكن فتحه بسهولة.. ثم يفلقه خلفه وهو يعلم أنه لن يفتحه مرة أخرى.

الخيار الثانى: القبول.. يجلس معها بهدوء.. يدرّشان فى أى موضوع.. وكأنه لم يسمع شيئاً منها وسيحاول نسيان ما قالته بمرور الوقت.. حتى يستطيع أن يعيش معها حياة طبيعية هادئة سعيدة.. لا تمارده فيها أشباح علاقاتها الغرامية السابقة.. أو شكوك من وجود علاقات حالية أو مستقبلية.

هاهـ.

كانت (شيرين) تنتظر رأيه بعد فترة الصمت الطويلة.. ربما غير رأيه بعد سماع العدد.. قال:

..لا بأس.. وكفى أنك اعترفت لى ولم تكذبى على.. متى سنتزوج؟ نهضت (شيرين) من مكانها واندفعت نحوه تقبله قبلات حب وسعادة.. كنت أعلم أنك نبيل ومخلص فى حبك لى.. وستحافظ على سمعتى.. لأنك ابن عمى فى الأساس.

الآن صار كل شىء واضحاً وطبيعياً.. هى لم توافق عليه بسبب جمال عينيّه أو رشاقة خطواته.. لقد وافقت عليه لأنه ابن عمها الذى سيحافظ على سرها.. يسترها.. لن يسبب لها فضيحة فى العائلة.. ولن يستغل أسرارها فى إذلالها أو ابتزازها.. لن يفكر فى نشر مذكراتها حتى لو حصل على مبلغ مالى ضخم مع نسبة كبيرة على المبيعات عند نفاذ كل طبعة.. لن يوافق على الظهور فى برنامج تليفزيونى للتحدث عن نباتات فى الخارج.. حتى لو وعدوه بتمويه صورته على الشاشة حتى لا يتعرفه أحد.. مع الحصول على نسبة من عائد الإعلانات التى ستعرض فى فواصل الحلقة.

الآن فقط عرف.. الآن فقط فهم! هذا هو الواقع المرير.. على الأقل مفهومهما.. أفضل من الحلم الجميل عسير التصديق الذى كان يعيشه.

أثناء قبلاتها الحارة لمح النتيجة أمامه.. قرأ المكتوب أسفل ورقة هذا اليوم:

"من يضع نفسه فى مواضيع التهم لا يلوم من أساء الظن"

..ما الذى يعنيه هذا؟

توقفت عن القبلات وسألته:

ماذا تقول؟

لا شيء يا حبيبتي.

لم تنتهي الاعترافات عند هذا الحد..

كان هناك المزيد.

بعد أسبوع تقريبا من جلسة الاعترافات السابقة قالت له:

أريد أن أخبرك أمرا..

كانت تجلس في نفس المقعد الذي كانت تجلس عليه عندما أخبرته بأسرارها.. هذا المقعد

في غرفة صالون شقة عمه يستحق أن يطلق عليه (راضى) لقب (مقعد الاعترافات):

ما الأمر؟ هل هناك سرا آخر تودين اخباري به؟

أومأت برأسها إيجابا.. تهاوى على أقرب مقعد له.. ما السر الجديد هذه المرة؟ هل هناك

آخرين؟ هل أقامت علاقات غرامية أثناء فترة الخطوبة؟ ألم تستطع الصبر حتى الزواج منه؟

لماذا لم تفعلها معه حتى الآن وهو أولى منهم جميعا؟ أهى شريفة مع خطيبها وخاطنة مع

الآخرين؟

أخبريني.

عدنى أولا.

لقد حفظ الوعد.. يبدو أنه سيعتاد على قوله كثيرا إذا استمر في هذا الطريق للنهاية:

أعدك ألا أخبر أحدا.

وكان هذا هو الوعد الذي أرادته بالضبط.. لم تطلب منه وعدا بأن يستمر معها.. ربما لأنها

تعلم أن هذا فوق طاقته وله حرية الاختيار في النهاية.. هى فقط تخشى أن يفتضح أمرها..

لا يهمها الزواج نفسه.

أنا..

وانتظر..

وانتظر...

أنت ماذا؟

تلمثمت وابتلعت ريقها ثم نهضت من مقعدها وأعطته ظهرها حتى لا ترى رد فعله.. وهذا

يعنى أن السر هذه المرة أقوى بكثير من المرة السابقة.. وهذا أثار قلقه أكثر..
قبل أن أخبرك.. أريدك أن تعلم جيدا أنك حر تماما فى اختيار قرارك سواء بالاستمرار
أو إنهاء ما بيننا.. لن أجبرك على شيء.. وسأتحمل جميع العواقب.. طالما أنك ستفى بوعدك
بعدم إخبار أحدا.

يبدو أن الأمر هذه المرة أسوأ بكثير.. ثم تذكر مخاوفه السابقة.. هل قررت أن تصبح رجلا؟
هل قررت الآن فقط أن تقوم بعملية تحويل وتغير جنسها؟ بعد أن نامت مع طوب الأرض وحان
دوره فتقرر فجأة أن تعود لطبيعتها؟ ربما ظلت الهواجس تطاردها والقلق والحيرة يعصفان بها
والاضطراب الجنسي يؤرقها طوال عمرها والآن فقط قررت أن تتخذ القرار باختيار الجنس
المناسب لها لتعيش حياة طبيعية كسائر البشر؟ الآن فقط قررت أن تكون رجلا مثله ليكون هو
أسوأ رجال الأرض حظا! يتزوج من امرأة خاطئة.. وليتها ظلت امرأة!

. أخبرينى.

. أنا..

. نعم.. أنت ماذا؟

. أنا مصابة بالإيدز.

وهكذا انتهت قصة خطوبة (راضى).

خرج بهدوء شديد من الباب دون أن يقول لها كلمة أو حرفا.. أو حتى قبلة وداع صامتة..
فهو يعلم أن هذا المرض - حفظنا الله منه وإياكم - قد ينتقل بطرق عديدة.. لا يعلم إن كانت
القبلات منها أم لا.. لكنه يتذكر جيدا ما تعلمه من الإعلانات التحذيرية والأفلام السينمائية
أن الممارسة الجنسية من أهم أسباب انتقال الفيروس من شخص لآخر.. وهو يخاف على
روحه بالتأكيد.. ملايين أبيها لن تنفعه إذا أصيب بهذا المرض.

الحب يصنع المعجزات.. لكن من قال أنه يحبها لهذه الدرجة؟ هل تبحث عن شخص آخر
يؤمن بالحب والمعجزات.

وفى اليوم التالى قام بفحص دمه ليتأكد من خلوه من أى أمراض.. من يضمن له أنها لم
تنتقل له المرض اللعين؟

ظل يومان لا يرد على مكالماتها.. فى النهاية وجد رسالة نصية منها على هاتفه المحمول
تقول فيها:

. كل شيء قسمة ونصيب.. لقد أخبرت أبى أننى أحببت شخصا آخر.

فكر كثيرا كيف يرد على رسالتها.. هل يعتذر لها؟ هل يتمنى لها حياة أفضل مع شخص

آخر غيره؟ هل يتمنى لها الشفاء العاجل والعمر الطويل؟ هل يودّعها؟ هل يخبرها أن فسخ الخطوبة أفضل لها وله؟ هل يخبرها أنه لا يزال يحبها لكنه لن يستطيع الزواج منها؟ هل يخبرها أنه سيظل يحبها للأبد؟ هل يخبرها أنه لن ينساها أبداً؟.. فى النهاية وبعد حيرة طويلة كتب لها:

..لن أخبر أحدا كما وعدتك.

ثم شعر أنها رسالة فضيحة للغاية.. لا يوجد أسوأ من ذلك.. من قال أنها تريد الاطمئنان على سرها وأنه لن يفضحها؟.. بالتأكيد هناك رسائل أفضل من تلك الرسالة.. ثم جال بعقله خاطر مخيف.. ماذا لو أن أحداً آخر غيرها قرأ هذه الرسالة؟.. ربما يقرأها عمه ويستفسر منها عن هذا الوعد الذى قطعه خطيبها لها.. ربما تتسبب هذه الرسالة فى مشاكل كثيرة.. تمنى لو أنه عاد بالزمن ومنع نفسه من كتابتها أو كتب أفضل منها أو لم يكتب أى حرف من الأساس.. تمنى لو أنه يستطيع أن يطير فى الهواء ويمنع هذه الرسالة من الوصول إلى هاتفها المحمول.

بعد دقائق من الندم سمع النغمة المميزة لوصول رسالة جديدة.. فرح بسماع هذا الصوت.. هذا يعنى أنها قرأت رسالته وردّت.. بالتأكيد هى التى ردّت.. لو أن عمه هو الذى قرأها كان سيتصل به.. لن يكتفى برسالة.

فتح هاتفه بسرعة ليقرأ الرسالة:

.. أنت محظوظ.. لأنك أفضل عميل فى مصر قمنا بعمل برنامج خاص بك.. للاشتراك

اتصل مجاناً على..

لم يكمل قراءة الرسالة.. لقد توقع أنها رسالة جديدة من (شيرين).

يا لشركة الهواتف اللعينة!

لو أن لديه ثروة مثل ثروة عمه.. لاشترى شركة الهواتف هذه أو أنشأ واحدة أخرى

تنافسها.

ثم نغمة وصول رسالة جديدة.

كانت منها هذه المرة.. كانت مختصرة لأبعد حد.. مجرد حرفين

OK.

على الأقل اطمئن أنها قرأت الرسالة.. لم يقرأها أحداً غيرها.

نسى (راضى) ابنة عمه (شيرين)..

فقد ذاكرته لأيام بعد خروجها من حياته.. قال الأطباء أنها صدمة عصبية.. هروب من الواقع الأليم.. فقدان ذاكرة مؤقت.. لا يتذكر أى شىء نهائيا عن الأيام التى تلت فسخ الخطوبة.

وراح يبحث عن حبه القديم.. (زينب).. الحب الأول.. حب المراهقة.. حب الثانوية العامة.. كيف هى الآن؟

اكتشف أنها تزوجت وأنجبت ثلاث أطفال.. توائم فى بطن واحدة.

وهكذا انتهت قصة الحب الأول لـ (راضى).

رشحت له أمه بنات أخريات من العائلة.. لم يوافق على أى واحدة منهن.. حتى جاء الدور على ترشيح اسم (حنان) له.. رآها فى مناسبة عائلية.. فى فرح أحد الأقارب.

وافق على مضض.. وافق لأنه فقط لم يجد أفضل منها.. جمالها عادى.. ليست أجمل من (شيرين) الغزال أو (زينب) الأرنبية.

أما (شيرين) فقد عادت مع والديها إلى أمريكا منذ زمن.. ربما وصلها خبر خطوبته أو لا.. لا يظن أنها كانت تعقد آمالا على رجوعه لها.. بالتأكيد هو يمتنى العيش فى أحضانها لكنه لا يريد الموت فيها أيضا.

لم يسمع أنها تزوجت أو خطبت لأحد.. أو ربما هم كانوا يخفون أخبارها عنه بسبب حساسية الموقف.. ربما تعلم العائلة كلها أخبارها عدا هو.

ثم تزوج (حنان)..

ومرت الشهور دون أى إشارات لحدوث حمل.. بعد التحاليل اكتشفوا مشكلة عدم الإنجاب وفكروا فى اللجوء لتقنية (طفل الأنابيب) كما ذكرنا من قبل.

ثم سمع بخبر وفاة (شيرين)..

لكنه لم يسمع تفاصيل موتها.. لكنه استطاع التخمين.. هو يعرف عنها أكثر من الآخرين.. هو يعرف سرها العظيم والذى جعلها لم تتزوج أحدا.. لقد توقع سماع خبر موتها فى أى لحظة منذ أخبرته بمرضها.. إنه يعتبرها عاشت طويلا.. أكثر من المدة التى خمنها لها.. فالإصابة بهذا المرض فى حد ذاتها شهادة وفاة.

لم يرى أبيها بعد ذلك سوى مرة واحدة.. كان فى زيارة قصيرة كالعادة إلى مصر وسيعود مرة أخرى إلى أمريكا.. كانت مناسبة عائلية حضرها معظم أقاربه.. لم يتوقع رؤية عمه (وحيد) هناك.. ربما لأنه لم يعرف من الأساس أن عمه موجود فى ذلك الوقت بمصر.

كانت مفاجأة له أن قابله عمه بترحاب شديد... من الواضح أن (شيرين) نسبت سبب قسح الخطوبة لنفسها فعلا.. أخبرت والدها أنها أحببت أحدا آخر غير (راضى).. لكن من ذلك الحبيب الوهمي؟ أم أنها ذكرت سببا آخر لفسخ الخطوبة؟

(لم أعد أحب راضى) مثلا.. احتمال وارد.

لم يستطع (راضى) كتمان السؤال بداخله فسأل عمه هامسا:
. كيف ماتت؟

التفت عمه وقال له:

. قضاء الله وقدره.

قال (راضى) بصوت أقل خفوتا:

. إيدز؟

كان يريد أن يعرف هل كان أباه يعلم بهذا الموضوع أم لا.. نظر له عمه بشدة وحيرة وهذا يعنى أنه لم يكن يعلم.

. لا لا.. حادث سيارة.

ثم استدرك فى ذهول:

. لماذا قلت الـ..

لقد وعدناه لكنها الآن ميتة.. فى هذه الحالة سمح لنفسه بأن يبوح بسرهما.. فقط لأبيها.. لن يفضحها على الملأ بعد موتها.. حتى لو أنه لم يعدها بشيء.. فقط يريد أن يعرف إن كان عمه على علم بهذا السر أم لا.

. لقد أخبرتني بكل شيء.

انتبه عمه لحديثه وسأله باهتمام شديد:

. من أخبرتك بماذا؟

همس (راضى) قائلا:

. هى أخبرتني بموضوع مرضها.

نهض عمه من مقعده وجذبه من يده ليشجعه على النهوض ثم اصططحبه إلى الشرفة ليتحدثا بحريتهما بعيدا عن الآخرين:

. أخبرني.. ما الحكاية بالضبط؟

. كما أخبرتك.. هى أخبرتني بأنها مريضة به.

. متى أخبرتك؟

. قبل فسخ الخطوبة.

. ألهذا السبب فسخت الخطوبة؟

..أأأ..

شعر (راضى) أنه قد وضع نفسه فى موقف محرج.. ليته ما سأل من البداية.. لكن عمه ابتسم وقال:

. معك حق.. لو كنت مكانك لفعلت ذلك.. لو أن زوجتى نفسها أخبرتنى أنها مصابة به لطلقتها على الفور.

ثم شرد ببصره بعيدا فى تفكير وتابع:

. لكن.. لماذا تكذب عليك؟

. ماذا؟ تكذب!

. نعم.. لقد كذبت عليك.

. ربما حضرتك لم تكن تعلم بشأن مرضها.. لكنها بالتأكيد لم تكذب.

ابتسم عمه وربت على كتفه قائلا:

. أعلم أن الأمر عسير التصديق.. فلا أحد يكذب ويقول أنه مصاب بهذا المرض اللعين..

كفانا الله شره.. فهو منتشر جدا هناك.. لكن ابنتى كانت سليمة تماما.. والدليل على ذلك أنها تتبرع دائما بدمها كل فترة.

سأله مذهولا:

. هل أنت متأكد؟

. طبعاً يا ولدى.. لقد كنت معها.. لقد كانت انसानه رائعه.. تحب الخير للجميع.. وتريد أن

تخدم كل محتاج.. كانت تتبرع للمستشفيات باستمرار سواء بمجهودها أو بأموالها أو بدمها نفسه.

شعر (راضى) فى تلك اللحظة بصدمة شديدة.. كأنه سقط من الدور التسعين بدون

متطاد على أرض مزروعة بالصبار.. كل ما قالته بشأن مرضها كذب!

. لماذا؟

. لماذا تتبرع!

. لماذا كذبت؟

. لا أعلم.. لقد كانت تتصرف بغرابة شديدة أثناء فترة مكوثها بمصر.. وفى يوم أخبرتنى

أنها أحببت أحدا آخر.. ولهذا قررت أن تنسخ خطوبتها منك.. ويبدو أنها قد تلقت صدمة

جديدة من هذا الحبيب المجهول.. فهى كانت تشك دائما أن الشباب يحيونها ويتوددون إليها بسبب ثروتى.. لا من أجلها.. وظل هذا الهاجس يسيطر عليها طول الوقت.. أنت الوحيد الذى أحبتة.. لأنك كنت تعاملها بخشونة بخلاف بقية الأولاد.. وعندما كانت فى أمريكا فعلت المستحيل لكى تصبح أجمل فتاة فى العالم لتفاجئك بنفسها عند العودة.. كانت تعدّ الأيام قبل نزولها مصر.. كانت الرحلة كلها من أجلك.. من أجل أن تراها فى شكلها الجديد.. كانت ترى زواجكما مستحيلا لأنك لن توفق أبدا أن تتزوج من (شرين).. هل تتذكر هذا الاسم؟
يا للذكريات! ضحك (راضى) بمرارة شديدة.. ضحك ممتلئ بالدموع.. بكاء يفيض بالضحكات.. وتذكر مرحلة طفولته.. يااااا.. كم تؤثر تلك المرحلة على حياتنا كلها!
ألم أقل لكم.. أعزائى القراء.. أن مرحلة الطفولة مهمة فى حياة أى انسان؟ ولكنكم جعلتمونى أختصرها فى سطرين!

إن (شيرين) عاشت حياتها فى أمريكا تحاول جاهدة أن تنسى مرحلة طفولتها.. أن تغير شكلها القديم الذى عرفها به (راضى).. أن تغير من طريقة تعاملها الجافة مع الناس لكى تنال إعجاب (راضى).. أن تكون عروس فاتنة جذابة تبهر (راضى) وتجعله يخر على الأرض مصعوقا من الدهشة أمام جمالها.. واكتشفت أن كراهيتها له فى طفولتها كان أساسها حبها له وهو لم يكن يشعر بأى شئ نحوها.

نعود للمليونير الذى قال:

. كنت أسألها (لماذا لا تحبين أى شاب أمريكى من الشباب الذين تقابليهم؟) .. كانت تضحك وتقول: لأن كلهم يفكرون فى الجنس.. كلهم يريدون من الفتاة موعد غرامى بعده سهرة حلوة فى منزله ثم لا يتصل بها فى اليوم التالى لأنه يبحث عن أخرى غيرها.. أما أنا فقرررت أن أحافظ على نفسى من أجل زوجى (راضى).

شعر (راضى) بفصحة مريرة فى حلقه وسأله بصوت متحرج:

. هل تعنى.. أنها.. كانت.. عذراء؟

صاح الأب بكل ثقة:

. طبعاً.

إذن (شيرين) كانت تختبره.. نجح فى الاختبار الأول.. لكنه فشل فى الاختبار الثانى.

تابع عمه قائلاً:

. لقد عاشت كمديسة وسط وحوش صغيرة السن فى منتهى الوسامة.

وأنجبت (حنان) ولدا.. وأقنعها (راضى) أن تسميه (وحيد) .. على اسم عمه المليونير.
كانت (حنان) تعلم بموضوع خطوبته السابقة من ابنة عمه (شيرين) .. لكنه أخبرها أنه هو
الذى فسخ الخطوبة.. لم يعد يحب (شيرين) .. بل إنه صار يكرهها عندما علم بأسرار مشينة
عن حياتها الماجنة بأمريكا.. وطبعاً لم يعلم أحداً بهذه الأسرار لأنه وعدها بعدم إفشائها.
عندما ماتت (شيرين) زال الخطر نهائياً.. زالت الشكوك من صدر (حنان) تماماً.. لذا
وافقت على تسمية ابنها على اسم عم زوجها.. فهو فى النهاية قريب مشترك بينهما.. وربما
ينال شيئاً من الرضا بسبب هذا الاسم.

احتضن (راضى) طفله لأول مرة.. ثم تذكر (شيرين) .. لا يعلم السبب.. أو أنه قد تذكرها
لأنه تخيل فى تلك اللحظة أن هذا الطفل كان من المفترض أن يكون ابن (شيرين) .. بالتأكيد
لن يكون طفل أنابيب مثله بالضبط.. لكن كان من المفترض أن يتزوجها وينجب منها كأي
زوجين طبيعيين.

ثم تهدد تهيدة طويلة.. على الأقل سيحمل ابنه اسم (وحيد) .. مثل اسم أبيها.
و بعد خمس سنوات..

ظهر (وحيد) آخر فى الصورة.. من أين أتى؟ لا يعلم.

xxx

سأل (راضى) نفسه وهو يقود سيارته فى تلك اللحظة التى وقفنا عندها فى السرد:
.. لو أن (شيرين) زوجتى.. ورأت طفلاً فى المستشفى يشبه ابنها (وحيد) .. هل كانت
ستصطحبه معها إلى البيت كما فعلت (حنان)؟
أم أن (شيرين) كانت ستصرف بحكمة أفضل منها وتتركه هناك؟
ثم سأل نفسه ماذا لو أن (جوجو) هى زوجته الأولى وحدث ذلك معها؟ هل كانت ستحتفظ
بالطفل؟

ثم تذكر أن يتصل بها.. حتى لا تنام وتكون جاهزة فى انتظاره.. أمسك هاتفه المحمول
واتصل بها:

..ألو.. (جوجو) حبيبتى.. أنا فى الطريق.. كما وعدتك.

.. أرجو أن تأتى بسرعة وتحضر معك مسدسك.

لماذا؟

.. يحاولون اقتحام الشقة.. يريدون اغتصابى.

(18)

قال (راضى) وهو يمسك هاتفه المحمول بيد ويقبض على عجلة القيادة باليد الأخرى:
.. ماذا تقولين؟

بدا القلق والرعب فى صوت (جوجو) وهى تقول له:
.. أقول لك.. تعالى بسرعة.. قبل فوات الأوان.. انقذنى يا حبيبى.. إنهم سيدخلون الشقة
بين لحظة وأخرى.. يريدون اغتصابى.

.. كم عددهم؟

.. خمسة.

.. هل هم شباب أم كبار السن؟

.. شباب.

.. كيف عرفت؟

.. من العين السحرية.

.. هل اتصلت بالشرطة؟

.. لا.

.. لماذا؟

.. كنت أعلم أنك ستأتى لانقاذى.

.. حسنا.. سأتى حالا.

.. أسرع.. إنهم على وشك تحطيم الباب والدخول.

.. حالا.. ستجدينى أمامك.

.. بسرعة.. لقد دخلوا بالفعل.

.وأين أنت؟
 . اختبأت تحت السرير .
 .ولماذا لم تختبئى فى الدولاب؟
 . ظننت أنه مكان واضح لهم.. سوف يبحثون هناك.
 .وهل تحت السرير مكانا آمنا لك؟
 . هذا ما استطلعت التفكير فيه .
 . أين هم الآن؟
 . لا أعلم.. ولكنى أسمع خطواتهم تقترب.. تقترب.. يا إلهى.. لقد دخلوا.
 . أخفضى صوتك.. حتى لا يسمعونك .
 . حاضر.. حاضر .
 . هل ترينهم؟
 . أرى أقدامهم فقط من مكانى .
 . ماذا يرتدون؟ أخبرينى .
 . بناتيل وأحذية.. ما هذا السؤال السخيف؟
 . أقصد.. هل هناك أى شىء مميز فيهم؟
 . لا.. ولكن.. ليسوا خمسة كما ظننت.. إنهم..
 . كم؟
 . انتظر.. سأعدّ.. اثنين.. أربعة.. ستة.. ثمانية.. عشرة.. اثنى عشر..
 . هل تعدّين الأقدام؟
 . خمسة عشر قدما .
 . ماذا؟.. سبعة رجال ونصف.. هل أحدهم يساق واحد وأتى لاغتصابك؟
 . لا.. كان يضع قدمه الأخرى على السرير.. ها هى ظهرت القدم السادسة عشر .
 . ثمانية رجال .
 . نعم يا حبيبى.. أرجو أن تأتى بسرعة قبل أن يلتهمونى حية .
 . لا تقلقى.. أنا فى الطريق .
 . بسرعة.. لقد اكتشفوا مكانى.. آه.. إنهم يمسكون بى.. يحاولون تمزيق ملابسى.. آه..
 . أين أنت يا (راضى) الآن؟.. تعالى بسرعة.. لقد مزقوا الروب الحريرى.. لقد مزقوا قميص
 النوم .

. المتوحشين.. الأندال.. الأوغاد.. أى قميص فيهم؟

. التركى التركواز القصير.

. اللعنة.. إنه المفضل عندى.

. أعلم يا حبيبى أنك تحبه.. ولهذا ارتديته.

. اعطى الهاتف لأحدهم.. دعينى أكلهم.

. حاضر.

. أنا لا أعلم من أنتم.. ولا أعلم ماذا تريدون.. إذا كنتم تبحثون عن فدية.. يمكن أن أخبركم ويمتئى الصراحة أنى مفلس و(على الحديد).. ولكنى أملك الكثير جدا من المهارات الخاصة.. مهارات اكتسبتها من تكرار مشاهدة أفلام (ليام نيسون) الأخيرة.. مهارات تجعلنى كابوس على أمثالك من حثالة البشر.. إذا تركتم حبيبتى الآن سينتهى كل شئ و(صافى يا لبن).. لكن إذا لم تفعلوا سوف أبحث عنكم وسوف أجدكم.. وسوف أقتلكم جميعا وأمزقكم إربا إربا.

. (جود لوك) Good luck يا حبيبى.

قالتها (جوجو) ثم أطلقت ضحكة نسائية مثيرة وأتبعها قائلة:

. فى انتظارك يا حياتى.

. سلام يا حبى.

دخل (راضى) شقته وبحث عن زوجته فى كل مكان حتى وجدها فى غرفة النوم.. كانت على الأرض وملابسها ممزقة بعنف فى أجزاء عديدة كاشفة عن الكثير من مفاتن جسدها.. شعرها مبعثر للغاية لكنها فى نفس الوقت بكامل زينتها وتفوح منها رائحة ذكية.

حاول مساعدتها على النهوض وسألها:

. أين هم؟

. لقد رحلوا عندما سمعوا صوت إطلاق النار.. فروا هاربين.. الحمد لله أن المسدس كان

معك.

لم يكن يحمل مسدسا.. لكن الخيال جميل كما تعلمون!

. لا تقلقى.. أنا هنا ولن أتركك.. هل اعتدوا عليك؟

. لا.. ولكن لو أنك تأخرت ثانية واحدة لكانوا فعلوها.

ثم تأمل ملابسها الممزقة والأجزاء الكثيرة الظاهرة من جسدها فقالت له:

. لقد وصلت فى الوقت المناسب يا حبيبى.

نظر لها بشهوة ثم راح يخلع بذلته وقال:

. نعم فى الوقت المناسب!

قالت زوجته وهى تعدل ملابسها لتستر نفسها:

. ما الذى تريده؟ نحن لم نتزوج بعد.

. سوف نتزوج.

راحت تغطى الأجزاء المكشوفة من جسدها بيديها:

. أنت لم تطلب يدى من والدى حتى الآن.

فك أزرار قميصه وقال:

. سوف أطلبها.

نهضت زوجته لتهرب من قبضته:

. لن تلمسنى.. قبل أن نتزوج.

خلع قميصه وجرى ورائها:

. تعالى هنا.. أنا أحبك.

. وأنا أيضا أحبك.. لكنك لن تفعل شيئا حتى نكتب الكتاب.. لأن الحلال أجمل سأنتظر!

نزع عنها القميص التركى التركواز القصير وقال:

. لن تهربى منى.

راحت تضربه وتقول:

. لا.. لا تفعل.. دعنى.. اتركنى.

كانت زوجته تضربه برقة وخفة ونعومة.. بالكاد تلمسه.. ثم انهارت أمام أحضانه فراحت تقبله وتركتة يفتصبها بمنتهى السعادة.. كان أجمل اغتصاب حدث منذ يوم زواجهما.. لكنها ستعمل على تطوير الفكرة فى وقت فراغها.. لتكون أكثر إثارة فى المرات القادمة.. وهى لديها وقت فراغ كبير.. و خيال أكبر.

لم يلتزم زوجها بنص الحوار الذى كتبتة له والمستوحى من فيلم Taken وأفلام أخرى.. ربما لأنه سيء فى الحفظ.. لذا ستحاول أن تقلل الحوار المكتوب له.. بالتأكيد لديه ضغوط كثيرة فى العمل أو لم يكن لديه الوقت الكافى لحفظ الدور جيدا.. بالإضافة لمشاكله مع زوجته الأولى والتى كان آخرها مشكلة الطفل الغامض.. كل هذه أسباب كافية لنسيانه سطور كثيرة من الحوار الذى كتبتة له.

ستحاول أن تكتب فى المرة القادمة سيناريو به دورا أكبر لها وحوار أطول.. وتقلل من حوارها حتى لا ترهقه بمسألة الحفظ.. من الأسهل لها دائما أن تحفظ دورها فهي لديها كل الوقت.. ولا شيء يشغلها غير إمتاع زوجها.

ستزيد أيضا من حجم الإثارة والمتعة والتشويق.. ماذا عن زيادة عدد أفراد المقتصبين؟ بدلا من ثمانية فليكونوا عشرة.. اثني عشر.. ماذا لو أنهم قاموا باغتصابها بالفعل؟ ماذا لو أنه شاركهم عملية الاغتصاب بدلا من الدفاع عنها؟ ماذا لو أنهم اغتصبوها بطرق غير تقليدية؟ ماذا لو.....؟

إن (جوجو) متحمسة للغاية للسيناريو الجديد!

كانت (جمالات) أو كما يناديها زوجها (جوجو) تهوى هذه التمثيليات الجنسية.. تستعين بحصيلتها الضخمة من مشاهدة الأفلام والمسلسلات وقراءة الروايات.. بالإضافة لخيالها الجامح الذى تعتمد عليه بشكل أساسى فى كتابة القصة والسيناريو والحوار لكل مشهد جنسى يمثلونه.

سيناريو لا يقرأه أحد سواهما.

أحب (راضى) فيها ذلك الهوس بالجنس ورغبتها فى تغيير نمط الحياة الزوجية الرتيب إلى حياة مليئة بالمتعة والإثارة والمفاجآت والإبداع.. لم يكن يشعر معها بلحظة ملل واحدة.

(جوجو) تقهر الملل.. all the time.

فى هذا اليوم مثلا.. كان دوره هو دور الحبيب الذى يتصل بحبيبته ليطمئن عليها ويدردش معها قليلا فيجدها تصرخ وتطلب منه الحضور بسرعة ومعه مسدس من أجل إنقاذها.. هناك عصابة من الأشرار الوهميين الذين يحاولون اغتصابها.. لكنهم يهربوا عندما سماعهم صوت الرصاص.. ينتهز البطل الفرصة ويقوم باغتصاب حبيبته تحت اسم الحب.. كثير من التمتع قبل أن تستسلم البطلة لرغباتها المكبوتة.. ويسبحان معا فى بحر الغرام.

طبعاً لا توجد عصابة، ولا مسدس، ولا اغتصاب.. لكن الفكرة والمشهد مثيران لهما.. وربما يقومان بتمثيله مرة أخرى فى ليلة قادمة.

قد يلتزم (راضى) بالحوار الذى كتبه له (جوجو).. أو يرتجل ويخترع حوار من ابتكاره.. أو يستعين بأى جملة من أى فيلم شاهده قريبا.

كانت (جوجو) تكتب له الدور الذى سيؤديه.. الحوار الذى سيقوله.. تشتري أحيانا الملابس

المناسبة لدوريهما.. كل هذه التمثيليات تتم بالكامل داخل شقتهم.. لا يعلم بها أحدا من الجيران.

(جوجو) لديها خيال خصب يجعلها مؤهلة لتكون كاتبة.. لكنها كاتبة لنوع خاص جدا من الروايات.. الروايات الخلية.. وهذا النوع بالذات ليس مقبولا هنا فى مصر أو فى الدول العربية بصفة عامة.

كانت تشاهد أى فيلم عادى ثم تحوله بخيالها إلى فيلم خليع حتى لو كان فيلما حربيا.. تكتب الجمل التى أعجبتها.. ثم تحولها إلى جمل خلية ذات دلالة جنسية. كيف قابلها (راضى) لأول مرة؟

كان قد نشر إعلانا عن حاجته لسكرتيرة.. تقدمت (جمالات) مثل العشرات فى ذلك اليوم.. لكنها الوحيدة التى لفتت انتباهه.

إذا كنت قد ظننت أن جمالها خارقا.. يوسفنى أن أصدمك بأن جمالها متواضع.. وربما ليست جميلة فى نظر آخرين.. لكنها كانت من ذلك النوع الذى يستطيع أن يلفت نظر الرجال لها أينما حلت.. جذابة بمعنى الكلمة.

نالت الوظيفة من أول مقابلة معها.. أعجبت أنافقتها.. جاذبيتها.. ثقافتها.. حبها للعمل.. تفانيها فيه.. شعر أنها تريد أن تقضى يومها كله على المقعد خلف مكتبها.. وكأنها لا تود العودة إلى منزلها.

وبمرور الوقت أصبح هو أيضا لا يود العودة إلى منزله من أجل البقاء معها لفترة أطول.. كان يستمتع بالحديث معها.. الإنصات لها.. صوتها الناعم الجميل يدغدغ أذنه.. كانت لها طريقة مميزة فى نطق الكلمات كأنها تقبلها أثناء خروجها من شفيتها.. كانت ترتدى ملابس عادية لكنها تجعلها فى غاية الإثارة.. كانت تتعمد أن تقوم بحركات تثير شهوته.. كأن تقترب بأنفها من رقبته أثناء عرض الملفات عليه وهو جالسا على مقعده خلف مكتبه.. فتلفح أنفاسها الحارة رقبته ويشم عطرها الأخاذ رغما عنه.. مثال آخر كانت تتعمد أحيانا أن تنكأ أعلى زر فى بلوزتها وكأنها نسيت أنه لم تنكه له ثم تنحنى أمامه لتضع فنجان القهوة الذى طلبه فتجعله يختلس النظر إلى ما بدا من صدرها.. مرة تسمح له بالتلصص.. مرة أخرى تزجره بنظرة عتاب من عينيها ثم تغلق بعدها الزر اللعين الذى تنساه كثيرا.. أرهقته لعبة القط والفأر الذى تمارسها معه فقرر نقلها إلى قسم آخر فى شركته لكى يرتاح من الأعباء الأنثوية.. لكنه فى نفس اليوم شعر بالغيرة عليها.. لا يمكن أن تكون فى مكان آخر بعيدا عن عينيه.. حتى لو كانت فى شركته.. تحت إدارته.. إنه يريد الاحتفاظ بها أمامه طوال الوقت.. شعر أنه يريد

أكثر من مجرد سكرتيرة فى حياته.. يريد أن يمتلكها.. وخشى أن يلاحظ الموظفين ذلك فقرر فصلها فوراً عن العمل..

وأصبحت زوجته فى نهاية اليوم نفسه.

وافقت (جمالات) على جميع شروطه..

أولاً: لا عمل.. هى فى الأساس لم تكن تريد العمل كسكرتيرة.. لقد عانت كثيراً فى العمل بتلك المهنة.. وعندما تقدمت للعمل فى شركته كان هدفها الأساسى أن تحظى به هو.. ولهذا وافقت على المرتب الضئيل الذى عرضه عليها.. كانت تخطط لما هو أكثر من ذلك.. (مصرف البيت) بالتأكيد سيكون أكبر من مرتب سكرتيرة.. شعرت أنها قادرة على اصطياده.. رأت فى عينيه نظرات الزوج البائس الجائع الذى يعيش حياة هادئة رتيبة مملة كثيبة ويرغب من داخله فى حياة أخرى مع انसानة تفهم رغباته وتشبعها.

ثانياً: الزواج سرى.. على يد مأذون واثنين شهود.. لكن لا أحد يعلم بهذه الزيجة سوى والدتها.. هو رجل متزوج ولا يريد أن تعلم زوجته الأولى بهذا الأمر.. لكنه وعدها أن هذا وضع مؤقت.. لن يستمر للأبد.. سوف تأتى لحظة مناسبة ليخبروا فيها الجميع.

ثالثاً: لا أطفال.. لديه طفل بالفعل من زوجته الأولى.. قبلت (جمالات) هذا الشرط بصعوبة.. أقتنعها (راضى) بأن الإنجاب مرتبط بإعلان الزواج.. أى أن هذا الشرط مؤقت أيضاً.. وافقت لكنها قررت أن تخطط لتجاوز هذا الشرط فى المستقبل.. المهم أن تستخدم الخطة المناسبة فى الوقت المناسب حتى لا تخسر كل شىء.

" ما الذى فعلته فى موضوع الولد؟ "

سألتها هذا السؤال وهى نائمة بجواره على السرير.. يستتران جسديهما بغطاء خفيف.. لا جديد.

ما الذى حدث؟

حكى لها ما حدث بالتفصيل.. رحلته للمستشفى و(صميدة) و(نظمى).. فسألتها: أفهم من ذلك أن هذا الولد بلا أهل.

لا.. بالتأكيد له أهل.. لكننا لم نعثر عليهم بعد.

وأين هو الآن؟

مع (حنان).. مازالت معتقدة أنه ابنها.. بسبب التشابه الشديد بينه وبين (وحيد).

وما الذى تنوى فعله؟

لا أعلم.. لقد أخبرت مدير المستشفى.. وسوف يتصل بى عند ظهور أهل لهذا الطفل.

فكرت (جوجو) لبرهة ثم تساءلت:

وماذا ستفعل لو لم يظهر أحد؟

..بالتأكيد سيظهر.

وماذا لو..؟

فكر (راضى) ولم يجد إجابة.. فسألته:

هل ستربى هذا الولد؟

صاح معترضاً بشدة:

لا طبعاً.

لماذا؟

..لأنه ليس ابنى.. هل هذا سؤال؟

ولكنك تقول أنه يشبه ابنك إلى حد كبير.

نعم.. ولكنه ليس ابنى.. أنا أنجبت طفلاً واحداً فقط.

سألته السؤال الذى يخشى أن يواجه نفسه به:

هل أنت متأكد؟

مرت فترة من الصمت قبل أن تقول له بلهجة جادة.. لا تحمل ذرة مزاح:

أحضر لى هذا الولد.

التفت إليها بحدة وسألها باهتمام:

لماذا؟ هل تعرفين طريقة للوصول إلى أهله؟

لا.

سألها بحذر:

هل تفكرين فى مساعدتى فى التخلص منه؟

صاحت مندهشة:

لا طبعاً.. بالعكس.

سألها بقلق:

ما الذى تعنيه؟

أحضر لى هذا الولد، وسأربيه أنا بدلا من (حنان) حتى يظهر أهله.

لا لا.. هذه فكرة غير مقبولة على الإطلاق.

لماذا؟

لأنه ليس ابنك أيضا.. لماذا تربين طفلا ليست طفلك؟

قالت مبدية حسرتها:

لأننى لا أملك واحدا.

انتظرت أن يقول لها شيئا لكنه خيب أملها الطويل.. فقالت محاولة إقناعه:

أنا لدى وقت فراغ كبير جدا.. وأعانى من الوحدة القاتلة والملل المدمر.. لماذا لا تحضره لى حتى أدرب نفسى على تربية الأطفال معه؟.. إن لدى عاطفة أمومة قوية جدا أريد أن أشبعها.

داعب شعرها الناعم وقال:

سوف تشبعينها مع طفلك.. كل شيء بأوانه.. عندما نعلن أمر زواجنا للجميع يمكنك وقتها إنجاب ما تشاءين من الأطفال.. حتى لو أردت ستة كاملة.. لن أعترض وقتها.

انتهزت الفرصة فسألته:

ولماذا ليس الآن؟

كما أخبرتك كثيرا من قبل.. إنجاب أطفال الآن سيفسد كل شيء.. لو علمت عائلتى بأمر زواجنا سنخلق لأنفسنا مشاكل لا حصر لها.

لن يعلم أحدا بأمر زواجنا.. سوف نتجب الطفل فى السر.. مثل زواجنا بالضبط.

ضحك (راضى) ضحكة خافتة وقال:

لا يوجد طفل فى السر.. هناك عشرات من الأوراق يجب توقيعها.. هناك مئات سوف

يسألونك عن اسم والد الطفل.. بداية من الطبيب الذى سيتابع معك الحمل.. صديقاتك..

جيرانك.. ولا تنس أمر الولادة وتسجيل الطفل فى شهادة رسمية والتطعيمات.. إلخ.. وأنا لست

مستعدا لكشف أمر زواجنا الآن.. لكن أعدك أن ذلك لن يستمر طويلا.

حسنا.. احضر لى هذا الولد لأنه لا يحتاج إلى أى أوراق وقد أخذ جميع التطعيمات..

سوف يعيش معى هنا.. لن يخرج إلا معى.. وحتى لو خرج معك لن يشك أحدا فى الأمر.. أنت

تقول أنه يشبه ابنك تماما.. لذا سيظن من يراه معك أنه ابنك فعلا.. لن يشك أحدا.

مستحيل أن أفعل هذا.. أولا: لن أربى طفلا ليس طفلى سواء هنا أو هناك.. ثانيا: أنا لا

أعلم شيئا عن هذا الطفل لذا لست مطمئنا له.. ثالثا: لو خرج معى قد يراه أحدا بالصدفة

ويبدأ فى مداعبته وإلقاء أسئلة فيعرف على الفور من إجاباته أنه ليس (وحيد)، ويخبر العائلة

بشأن ابن جديد لى لا يعلم به أحد ثم يشك الجميع فى سلوكى.. وقد تراه زوجتى نفسها

بالصدفة معى فتعلم أنى الذى أخذته منها فأثبت بذلك اتهامها لى.. رابعا: لو أحضرت لك

هذا الولد سوف تتعلمين به.. وأنا أيضا سأتعلق به لأنه يشبه ابنى إلى حد كبير.. وقتها لن

نستطيع الاستغناء عنه أبدا.. لذا لا بد أن نعيده لأهله.

. لكن أهله لم يظهروا بعد.. وطالما أنك ستربيته مع (حنان) فلماذا لا أربيه أنا بدلا منها؟
ألا يكفيها أنها أنجبت منك؟ وأنت تحرمنى من الإنجاب.. فلتدع ولدا منها لى.. أين العدل؟
لا بد أن تقسم الأولاد علينا بالتساوى.

حقّ (راضى) فى وجهها بدهشة منقطعة النظير.. لا يصدق ما يسمعه.. خاصة حديثها
عن العدل وتقسيم الأولاد على زوجتيه بالتساوى كأنهما ميراث.. رفع الغطاء وطلوحه بعيدا
بعضف ونهض من السرير قائلا لها بغضب:

. أنت مجنونة مثلها.. كل النساء مجانين.

. إلى أين؟

. سأستحم.

. أريد الولد.

لم يهتم بالرد عليها.. وخرج من الغرفة.

دفنت رأسها فى وسادتها وانتحبت.

. أريد طفلا.

بعد دقيقة أو أقل.. شعرت بيده تربت على كتفها العارى فعرفت أنه لم يستمع تركها
حزينة.. كانت تعلم مدى حبه الشديد لها وتعلقه بها ويتمثلياتها.. لذا شعرت فى تلك اللحظة
أنها سوف تنتصر فى هذه القضية لو أنها ترافعت جيدا واستخدمت جميع أسلحتها.. قالت
(جوجو) بدلال:

. لا تلمسنى.. أنا خاصمتك.

مرر يده على ظهرها العارى كله فحاولت الابتعاد بجسدها عن مرمى يده وقالت مهددة:

. وسأحرمك منى حتى تحضر لى هذا الولد.

بدأت تمتد اليد إلى مناطق أخرى من جسدها فأغاضها أنه يتجاهلها.. لا يرد عليها ويريد
فقط الاستمتاع بجسدها.. فشددت الغطاء عليها لتستر نفسها منه.. ولتجرب جزء ضئلا من
العقاب الذى تنوى تنفيذه معه:

. قلت لك.. سأحرمك منى.. ألا تصدقتى؟

حاول جذب الغطاء عنها بهدوء لكنها كانت حريصة للغاية.. كانت تقبض عليه بقوة وتعطى
جسدها بالكامل لتنفذ العقاب الأثنوى منذ تلك اللحظة..

ثم فجأة..

سمعت صوتا..

أرهفت السمع..

إن الصوت صادرا من الحمام.. هذه مياه.

. (راضى).. هل تسمع هذا الصوت؟ هل نسيت صنبورا مفتوحا؟

لم تتلق أى رد، وما زالت محاولات جذب الغطاء مستمرة وهى تقاوم بشدة.. فكرت فى تلك اللحظة أن زوجها لا يهيمه غرق الحمام أو الشقة كلها.. أو ربما يعتقد أن هذه حيلة منها لإلهائه عنها مثل حيلة (بُصّ العصفورة) كأن يذهب للحمام فيعود ليجدها بكامل ملابسها.. كيد نساء.. لكنها قالت بجدية حتى لا يظن أنها حيلة نسائية:

. اذهب وتأكد من..

ثم صمتت عندما سمعت صوتا آخر صادرا من حمامها.. يبدو كصوت رجل يدندن أثناء استحمامه.. ثم فكرت فى هذا الاحتمال فبدأ لها غير منطقيًا.. لا يوجد ثالث معهما فى الشقة.. لابد أن هذا الصوت صادرا من حمام شقة أحد الجيران.. لكن هذا يحدث لأول مرة معها.. لم تكن تسمعهم بهذا الوضوح من قبل بالرغم من عيشها فى هذه الشقة لسنوات.. لدرجة أنها ظنت أنه لا يوجد جيران لها فى العمارة.. لولا أنها كانت تقابلهم بالصدفة مرات معدودة أثناء صعودها أو هبوطها على الدرج لظنت أنها تعيش وحدها فى هذا المبنى.. لكن الجدران ليست رقيقة إلى هذا الحد لتتلق الأصوات! هذا يعنى أن حمام الجيران بجوار غرفة نومها أو أن جارهم صاحب حنجرة فولاذية وأحبال صوتية متينة أو أنه يستخدم مكبرات صوت أثناء استحمامه.. قالت (جوجو):

. (راضى).. هل تسمع هذا الغناء؟

لم تتلق أى رد والجذب مستمر.. شعرت بالقلق.. قالت:

. (راضى).. (راضى)..

انتهت فى تلك اللحظة أن زوجها لم يرد عليها منذ زمن.. فشعرت بالخوف وقالت:

. (راضى).. أجبنى.

توقفت محاولات الجذب.. ثم أدركت فى تلك الثانية أن الصوت الذى يغنى فى الحمام يشبه صوت زوجها.. إلى حد كبير.

رفعت الغطاء فجأة وقد تملكها الخوف.. صاحت:

. (راضى)..

الفناء لا يزال مستمرا.. قادمة من الحمام..

. (مستهون بالستات يا أخويا....)

إنه صوت زوجها فعلا.. يدندن تحت الدُش بأغنية (أبو الليف) الشهيرة.. هي تعلم جيدا كم يعيش هذه الأغنية.. لكن كيف هذا؟ لقد كان معها فى الغرفة عندما.. نهضت من سريرها مفزوعة وتلفتت حولها فى الغرفة باحثة عن.. لا تدرى.. لكنها خائفة.. خائفة للغاية.. هرعت إلى الحمام فوجدت زوجها هناك يستحم والصابون يغمر جسده كله.. أراحت الستار وسألته:

هل كنت فى الغرفة منذ ثوان؟

التفت لها فرأها عارية تماما.. لم يهتم بإجابة سؤالها.. ظن أنها حيلة نسائية منها لتُصالحه.. قالت بكل توتر وهلق وخوف:

أنت كنت فى الغرفة منذ لحظات تحاول جذب الغطاء.. أليس كذلك؟ أم أن هناك أحدا غيرنا فى الشقة؟

خمن أنها تمثيلية جنسية جديدة من تأليفها.. ربما تمثيلية الفتاة المذعورة التى تعيش وحدها ويهاجمها اللص ليلا وبدلا من سرقة شقتها يقوم باغتصابها.. رفض أن يجاريها فى خيالها هذه المرة وأكمل غنائته: (.... دولا مجانين).

لم تسمح (جوجو) لزوجها بالخروج فى تلك الليلة.. حتى لو كان غاضبا منها سوف تصالحه.. سوف تستخدم الطرق السهلة وحتى الصعبة لنيل رضاه.. لا يمكن أن يبيت وحدها فى الشقة بعد هذا الخوف الذى اجتاحتها.. حكى له ما حدث معها فاعتقد أنها تمثيلية من تأليفها.. هذه ليست أول مرة بالنسبة له.. ثم إنه يعلم جيدا أن النساء تعشق تقمص دور (المذعورة) أمام الرجال حتى لو لم تكن خائفات فعلا.. إنهن يطلبن الحماية والإحساس بالأمان طوال الوقت.. وفى المقابل يعشق الرجال ذلك فيهن.. ويستمتعوا بحمايتهن وبث الطمأنينة لهن.. إن الاحتواء مفيد للطرفين.

كان لدى (راضى) صديق يدعى (معز) أو (ميزو) يخبره دائما بنظرية (أحضان أفلام الرعب).. الرجل يشجع المرأة على مشاهدة أفلام الرعب حتى تختفى داخل أحضانه أثناء المشاهد المرعبة.. وتلتصق به حتى بعد نهاية الفيلم طلبا للأمان والطمأنينة.. تصطحبه أينما ذهب بسبب خوفها الشديد مما شاهده.

كانت (جوجو) مستعدة لفعل المستحيل من أجل أن يبيت معها فى تلك الليلة.. حتى لو

اضطرت للرقص من أجله حتى ساعات الفجر الأولى أو أن تحكى له حكايات مثيرة حتى سماع صباح الديك.

ستتظاهر أمامه أنها نسيت موضوع (الولد) تماما ولم تعد بحاجة إلى طفل وأن الأطفال مزعجون.. وسوف يصدقها بالتأكيد.. إن التمثيل هو موهبتها الأولى.. المهم أن تحظى برفقة زوجها وتمر هذه الليلة المربعة على خير.

فى الصباح.. تناول (راضى) وجبة إفطار شهية أعدتها له (جوجو) بنفسها.. فهي تهوى الطبخ مثل التمثيل وتأليف القصص.. وضعتها له فى سريره كى لا يتحرك من مكانه.. من باب التدليل المفرط.

تذكر (حنان) فى تلك اللحظات.. كانت لتعاقبه إذا رأت هذا التصرف فهي لا تقبل بوجود أى طعام أو شراب فى غرفة النوم.. تهتم بالنظام والنظافة لأقصى حد.

فتح دولابه ليرتدى ملابس الخروج ليذهب لشركته التى تركها يوما كاملا.. الله وحده أعلم ما الذى حدث هناك.. لقد شغله موضوع الولد تماما.. أما (جوجو) فكانت تحاول إقناعه بالموثوق معها بقية اليوم.. هى لا زالت خائفة.. ووعدته بعمل الكثير من أجله.

كان الإغراء شديدا لكنه يعلم جيدا أن المتعة ليست كل شيء فى هذه الدنيا.. الشقاء عنصر أساسى فيها.. يجب أن يعود لعمله حتى يستطيع توفير كل هذه المتع لنفسه.. (جوجو) نفسها أول من سيخلي عنه إذا أفلست شركته.. وهو لا يريد أن يتخلى عنه.. أو تضطرها الظروف لذلك.

مدّ يده نحو تلك البدلة عندما سمع صوت هاتفه المحمول.. التفت إلى الكومود فرأى يد (جوجو) تمسك بالهاتف وتقرأ الاسم فقالت بنبرة ساخرة:
.الهانم.

الغيظ والغيرة يشعان من عينيها.. كانت تفكر فى اختيار سبة قوية أو لقب سخيف يناسب ضررتها لكنها خشيت أن تغضب زوجها.. أردفت:
.لقد تذكرت الآن فقط أن تتصل بك.

كان (راضى) متعجبا من اتصال (حنان) فى تلك الساعة المبكرة من الصباح..
..آلو..

.(راضى).. أين أنت؟

تلقت حوله لا شعوريا.. كأنه يتوقع أن يجدها بجواره أو خلفه تراقبه.. ثم تذكر أنه وافقا فى غرفة نومه.. أجاب:

. فى الشركة .. لماذا؟

اقتربت منه (جوجو) وراحت تداعبه وتحببته بقوة .. لا يعلم إن كانت تفعل ذلك من باب
العشق أم باب التصنت على المكالمة.

. أرجوك .. تعالى.

. لماذا؟

. أنا أسفة .. لقد ظلمتك.

. هل تأكدت أخيرا أنتى ..

أزاح ذراعى (جوجو) عنه برفق حتى لا يفضيها ثم تابع:

.... لا أخونك؟

ابتعد عن (جوجو) وكأنه يخشى أن تراهما زوجته الأولى من خلال حاسة سادسة أو أن
تسمع صوت قبلاط وهممة زوجته الثانية.

. (راضى) .. إنها ليسا توأمين.

(19)

قضت (حنان) ليلتها الماضية مع والدتها..
ألم أحكِ لكم ما حدث؟ حسنا.. ربما أردت أن أوفر عليكم الكثير من الثثرة أو تكرار وصف المشاهد.. يكفى أن حكيت لكم دهشة (حنان) الأم عندما رأت الطفلين أمامها.. ثم حكيت دهشة (راضى) الأب.. لست مملا لدرجة أن أحكى لكم عن دهشة الجدة أيضا؟ باختصار.. كان هناك الكثير من (سبحان الله) و (لا أصدق نفسى) و (هل هذا معقول؟) وكل الجمل والعبارات التى تدل على الحيرة والدهشة قالتها الجدة.
ظلت (حنان) تحكى لأُمها وتشرح وتحلل تصرفات زوجها المريبة طوال الخمس سنوات الماضية وشكوكها الكثيرة نحوه.. أما أمها فكانت تلوم نفسها لأنها وافقت من البداية على هذه الزيجة.. هى لم تستبعد خيانة (راضى).. لكنها لا تتخيل أن يكون غدا لدرجة أن يختلف ابنه من أجل زوجته الثانية..
ولم تصدق أن ابنتها قد أنجبت توءمين حتى رأتهما بنفسها نائمين فى السرير.
عندما استيقظ الطفلان وتعرّفا على جدتهما.. قالت متعجبة:
.كيف؟ المفروض أن واحدا فقط هو الذى يعرفنى!
.يبدو أن (راضى) كان شهما فى بعض النواحي.. لقد أخبر الطفل الآخر أنتى أمه وطالما أنه أخبره بذلك فمن المرجح أنه أخبره أنك جدته.
و بَمَ كان يجب إذا سأله الطفل عنك؟
.لا أعلم.
.هل قال أنك سافرت؟ أو..
.لم أستطع الحصول على معلومة مفيدة منه فى هذا الشأن فهو طفل فى النهاية.

.. هل أخبرك باسم الزوجة الثانية؟ تلك التي كانت ترعاه طوال هذه المدة.
 لا.. ربما سيخبرني بكل شيء يوما ما.. الأطفال لا يكتُمون الأسرار.. فقط يقولونها وقتما يريدون.. ودون أن يسألهم أحد عنها.. سوف أنتظر.
 هل تستطيعين التفريق بينهم؟
 حتى الآن.. نعم.
 فى الصباح.. اقترحت الجدة على ابنتها أن تأتى معها لبيت أبيها.. لكنها فوجئت بإصرارها على المكوث فى الفيلا.. خشية أن يأتى (راضى) بزوجه الثانية ويعيشا فيها.
 لن أترك بيتى يا ماما.. هو الذى يجب أن يرحل.
 غادرت الجدة الفيلا بعد أن وعدت ابنتها أنها سوف تقوم بعمل اللازم.. سوف تلقن (راضى) درسا لن ينساه طوال حياته جزاء خيانتة وإخفاء أمر حفيدها الآخر عنهم طوال هذه السنين وخطفه من أمه وإعطائه لواحدة أخرى لتربيته.. تهم كثيرة لو ثبتت عليه لألقته فى السجن لسنوات طويلة.. ختمت حديثها بقول:
 سيدفع كل ملهم لديه من أجل تعويضك وسأسجنه ما تبقى له من العمر.. ولن يكفينى هذا.. اطمئنى.

لم يخطر ببالها أن ابنتها سوف تتصل بها بعد ساعات من خروجها.. لتقول لها:
 ماما.. لقد ظلمنا (راضى).. إنه برىء.

ما الذى حدث بالضبط؟
 كانت (حنان) توصل أمها حتى باب الفيلا واستمر حديثهما هناك لدقائق.. وعندما عادت سمعت صوت شجار الطفلين.
 لم يخطر ببالها ما حدث.
 كانا الطفلين يتشاجران على الملابس..
 هذه ملابسى.. لماذا ترتديها؟
 بل هذه ملابسى.. لماذا ترتديها أنت؟
 وظل الطفلان يجذبان ملابس بعضهما البعض بعنف شديد.. لذا عندما عادت (حنان) إليهما وجدتهما شبه عاريين.. كل واحد منهما يرتدى فقط ذلك السروال القطنى الأبيض الذى يغطى عوراتهما.. الآن فقط لم تعد تستطيع التفريق بينهما.

وجدت الملابس التى خلعاها فى كل مكان بالحجرة.. وهما لا يزالان يتشاجران ويدوران حول بعضهما البعض.

أوقفت الشجار بينهما بصيحة غضب واحدة ثم أمرتهما بأن:

. كل واحد منكما يرتدى ملابسه.

فاتجها الطفلين نحو نفس الملابس وراحا يتنازعا عليها.

. هذه ملابسى.

. لا.. إنها ملابسى.

صاحت بغضب هادر:

. فليرتدى كل واحد فيكما الملابس التى خلعاها الآن.

اعتقدت أنها بهذه الطريقة قد حلت المشكلة لكنها فوجئت بأن الشجار مستمرا والكذب لا

ينقطع:

. أنا الذى كنت أرتدى هذه.

. بل أنا.

. بل أنا.

صرخت بغضب:

. كفى.

نظرت إليهما.. لم تجد أى فارق بينهما.. حتى فى تصفيفة الشعر.. كأنهما ذهبا إلى نفس

الحلاق فى ساعة واحدة.

استسلمت فى النهاية وساعدت كل واحد منهما على ارتداء ملابس جديدة نظيفة بدلا من

الملابس التى خلعاها.. كانت تريد إجبارهم على ارتداء الملابس القديمة من أجل هدف واحد

فقط: التفريق بينهم وتمييزهم.. لتعرف أيهما أتى فى الصباح وأيهما أتى فى الظهيرة.. لكن

طالما أنها لم تستطع تحقيق هدفها لذا لا داعى من ارتداء هذه الملابس.. فالملابس مصيرها

الفسيل طالما أنها قد خلعت.

بالملابس الجديدة أصبح التمييز بينهم صعبا جدا.. لكنها بالتأكيد تستطيع معرفة ابنها

الذى ربته من خلال اختبار بسيط..

قالت لأحدهما:

. أحضر دمية الدب البنى.

. حاضر يا ماما.

اتجه الطفل نحو الدولاب دون تردد، وفتح الدرج الثانى.. ليس الأول أو الثالث.. وأخرج الدمية المطلوبة وأعطائها لأمه.. هذا إذن هو ابنها الذى عاش معها!
لم تعد تعلم هل هو الطفل الذى أحضرته فى الصباح أم فى الظهر.. لكنها تعلم جيدا أنه الطفل الذى تربي على يديها.. ولهذا يحفظ أماكن ألعابه جيدا.
احتضنته بقوة.. فصاح الطفل الآخر فى غيرة مريرة:

..و أنا يا ماما.. ألن تلعبى معى؟

فكرت.. لم لا تجرى اختبار للطفل الآخر أيضا؟ هى فى النهاية تعلم جيدا أنه لن يستطيع الإجابة على سؤالها.. لكن ما المانع من السؤال؟ قالت بلهجة أمرة للطفل الأول:
. اذهب أنت إلى السرير.

أطاعها الطفل على الفور وعاد إلى سرير.. كان سعيدا أنه لعب مع أمه.. أما الطفل الثانى أسرع نحوها ليلعب هو الآخر معها.. كان يشعر بغيرة شديدة لأنها طلبت من الأول فقط ولم تطلب منه.. أما الآن فهما متساويان فى اللعب.. هو راض تماما.
. أين لعبة القطار؟

فوجئت (حنان) بالطفل يتجه نحو المكتب عكس توقعها.. ليس الدولاب كما فعل أخيه.. وفتح الباب الأيمن وليس الأيسر.. هو يعرف المكان جيدا إذن.. فقد أخرج اللعبة من الرف الثانى.. حيث تضعها هناك دائما خلف السيارات.. مدّ يده الصغيرة وأخرجه من هناك وأعطاه لأمه.. التى كانت مذهولة مما تراه أمامها.
إن الطفلان قد نجحا فى الاختبارين!
ما معنى هذا؟!

بعد تفكير عميق فى هذا الأمر المريب.. خمنت (حنان) أن زوجها كان يحضر الطفل الآخر إلى الفيلا فى الوقت الذى لا يكونا فيه هى وابنها الأول.
وهكذا كان الطفل الآخر يلعب بنفس الألعاب.. ولهذا يعرف مكانها جيدا.
وربما كان (راضى) يحضر زوجته الأخرى أيضا مع الطفل.. يقضوا بعض الوقت هنا ثم يعودوا الثلاثة مرة أخرى لبيتهم.. قبل عودة (حنان) وطفلها الأول.
يحافظوا على إعادة كل الألعاب والأشياء إلى أماكنها.. ينظفوا جميع الأماكن التى دخلوها.. فلا يتركوا أى أثر يدل على دخولهم المكان وقضاء وقت فيه.. أو بمعنى أدق لا يتركوا

أى أثر لدخول طفل وامرأة أخرى إلى المكان.. لأن (راضى) - فى جميع الأحوال - يعيش هنا.. سواء مع زوجته الأولى أو الثانية.

وربما لهذا لم يكن يتذمر من طول غيابها عند أمها!
إن الطفلان قد لعبا فى نفس المكان بنفس الألعاب لكن كل واحد منهما كان برفقة أم مختلفة.. واحد منهما عاش معظم حياته هنا أم الآخر فكان يأتى فى فترات غيابهم عن الفيلا.

فكرت (حنان) أن تسأل الطفلين أسئلة أخرى.. أسئلة تخص حياتها مع ابنها.. أسئلة ليست لها أى علاقة بالفيلا.. ولا يمكن للطفل الآخر معرفة أو تخمين حلها.. لأنه لم يعيش معها.

أسئلة من نوعية (أين نذهب فى العيد) (ماهى أكثر أغنية أغنيها لك؟) (ما هى الحدوتة المفضلة التى تحب أن أحكيها لك؟) (من أين اشتري لك الآيس كريم؟) (كم المصروف الذى أعطيه لك؟) (ما هو فيلم الكارتون الذى أشغله لك باستمرار؟) .. إلخ.

كانت تسأل كل طفل سؤالا مختلفا عن الآخر.. وأحيانا تسأل الطفلين فى وقت واحد نفس السؤال.. وفى جميع الحالات كانت الإجابات صحيحة من الطفلين.. حتى فى الأسئلة المشتركة بينهما.. كانا يجيبان بنفس الإجابة فى نفس اللحظة!

فكرت (حنان) فى هذا الأمر الغريب: كيف يجيب الطفلان بنفس الإجابات مع أنها متأكدة أنها عاشت مع طفل واحد فقط؟

فى النهاية هداها تفكيرها إلى تفسير منطقي: زوجها كان يبدل الطفلين طوال الوقت.. ربما كان تصرفا عجيبا من زوجها لكنه التفسير المنطقي الوحيد.
ربما فعل ذلك ليجعل الاثنان ينعمان بحب أمهما الحقيقية.. وفى نفس الوقت لا يحرم الأخرى من الطفل.

كان يعدل بين طفليه.. فينعمان بالحب طوال الوقت من أمين مختلفتين.
فى هذه اللحظة ابتسمت بسعادة كبيرة عندما اكتشفت أنها لم تحرم من ابنها الآخر بصفة دائمة.. لقد كانت تراه بين الوقت والآخر.. لم يحرمها منه بصفة مطلقة.. كانت تلعب مع الاثنين وتنتقل حبيها بينهما طوال الوقت دون أن تدري.

وإذا كان هذا صحيحا فهذا يعنى أن الطفلان كانا ينامان مع الأم الأخرى ولكن بالتأكيد لم يقل لهما أنها أمهما حتى لا يحدث خلط.. ربما قال أنها خالتهن مثلا.. (طانط)
ولكن..

إنهما طفلان فى النهاية.. كيف لم يخطأ أى طفل منهما أمامها فى مرة من المرات ويذكر اسم هذه الـ (طانط) أمامها؟ أو يطلبها الذهاب إليها؟ أو يحكيها عن بيئاتهم عندها ليالى كثيرة؟

كيف؟

إن الأطفال يخطئون طوال الوقت.. و يفشون أسرار البيوت لأى أحد.. حتى لو كانوا لا يعرفونه.. وإذا طلبت منهم كتمان سر فإنك بهذا تحرضهم على إفشائه وإخبار الجميع به.. إنهم أطفال وهذه هى طبائعهم!

كيف كان زوجها حريصا إلى هذا الحد؟ كيف لم يتحدث أى من الطفلين معها عن المنزل الآخر الذى يذهبان إليه؟ كيف؟

و أين كانا طفلانها يعيشا طوال هذه الفترة؟ و أيهما كان يعيش معها المدة الأطول؟ بالتأكيد أحدهما ظل معها مدة طويلة فهى لم تكن تترك ابنها بسهولة وزوجها لم يكن يصطحب ابنهم أثناء خروجه أكثر منها.

لقد ظل ابنها معها شهورا طويلة لا يخرج من الفيلا.. خاصة بعد الإصابة التى تعرض لها عندما سقط من الأرجوحة.

الأرجوحة! الإصابة! الندبة التى نتجت عن خياطة الجرح! و برقت الفكرة فى رأسها.. لقد حُلَّت المشكلة! قررت الكشف عن ساقى الطفلين لتعرف أيهما كان معها فى تلك الفترة الطويلة.. الندبة كانت فى الساق اليمنى.. إنها تتذكر ذلك جيدا.. ثم طلبت من الطفلين أن يكشفوا عن ساقيهما اليمنى فى وقت واحد، وأطاعا الطفلين أمرها.

و..

نظرت (حنان) إلى الساقين.. و صرخت مما رآته أمامها.

(20)

دخل (راضى) بهو الفيلا.. وقال:

. (حنان) .. لقد أتيت.

. أنا هنا يا (راضى).

اتجه إلى غرفة الأطفال حيث أتاها صوتها.. رآها جالسة على مقعد أمام طفلها اللذين

يلهوان على الأرض بألعابهما الكثيرة.. ابتسم قائلاً:

. هاه.. هل عدت إلى رشذك؟ هل صدقت أنهما ليسا توءمان؟

قالت الأم باستسلام:

. نعم.. صدقت.

. الحمد لله أنك اقتنعت أخيراً.. لم أصدق نفسى عندما أخبرتنى.. كنت أظن أنها خدعة

منك.

. لا.

. كيف عرفت؟ هل اتصلت بالطبيب وأكد لك كلامى؟

. لا.. لم أتصل بأحد.

. إذن فكرت واقتنعت وحدك بما قلته؟

. لا.

. حسناً.. كيف اقتنعت؟

تأخرت فى إجابتها فقال:

. لا تشغلى بالك بالإجابة.. لا أريد أن أعرف كيف.. المهم أنك اقتنعت أنهما ليسا توءمين..

وبالتالى أصبحت برىء أيضاً من تهمة الزواج من أخرى.

لم ترد فسألها:

. هل مازلت تظنين أنى متزوج من أخرى غيرك؟

أجابت بخفوت:

لا.

حمد الله فى سره أنها لم تعد تشك به.. لكنه فوجيء بها تقول:

. هل تتذكر حادثة الأرجوحة؟

. إمممم.

. عندما سقط (وحيد) منها وأصيب ساقه اليمنى وذهبنا بسرعة للطبيب ليعالجها.. نتج

عن ذلك ندبة يمكن ملاحظتها.. ولا يمكن محوها.

. فهمتك.. هكذا يمكننا معرفة أيهما ابننا.. لكى نأخذ الطفل الآخر ونعيده الى المستشفى

ليعود إلى أحضان والديه.. لا بد أنهما قلقان عليه الآن.. حتى لو لم يظهرها فسنتركه هناك..

المدير سوف يهتم بأمره ويبحث عن والديه.

ثم التفت إلى الطفلين وقال:

. أتعلمين؟ لقد كنت فى حيرة وقتل طوال الوقت بسبب هذا التشابه.. كنت أخشى أنك

لا تستطيعين التمييز بينهما.. ولكن الآن وبعد تذكرك لهذا الحادث يمكننا التفريق بينهما

بسهولة.. دون أن نضطر لطرح أى أسئلة عليهما.. حتى لو بدلا ملابسهما أو كانا نائمين فسوف

نستطيع التمييز بينهما بواسطة هذه الندبة.

لم ترد (حنان).. أما (راضى) فقد اتجه إلى الولدين.. كشف عن ساق أقرب واحد له..

قال الأب:

. تعالى يا حبيبى.. لا تخف.

زمجر الطفل لأنه عطّله عن اللعب:

. دعنى يا بابا.

وجد (راضى) الندبة فى ساقه اليمنى فاحتضنه بحنان جارف وقال:

. ابنى حبيبى.

أما الطفل الآخر فشعر بالغيرة.. ترك أعباءه ونهض من مكانه وراح يحتضن (راضى) هو

الآخر.. لكنه لم يجد نفس العاطفة من الأب.. فقد عامله (راضى) بجفاء ونفور.

. لا تقلقى يا (حنان).. سأعيده إلى المستشفى وينتهى كل شئ..

قالا الطفلان فى نفس واحد:

. لا أريد أن أذهب إلى المستشفى.

ترك (راضى) الطفل الأول ثم أمسك يد الطفل الآخر الذى كان حزينا بسبب المعاملة السيئة له:

. تعالى يا حبيبى.. لا تحزن.. سوف نذهب معا إلى مكان جميل جدا.

قال الطفل الأول فى غيرة:

. أريد أن أذهب معكما.

. لا.. أنت لا.. ابق هنا مع أمك.

حزن الطفل الأول بينما كان الطفل الثانى سعيدا للغاية.. لا يعلم أنه سوف يأخذه ليركه فى المستشفى ويرحل.. لو علم ذلك لجلس بجوار أخيه يبكى.. قالت الأم بغموض:

. هذا هو ابنك.

توقف (راضى) مكانه ثم سألها:

. كيف؟ لقد رأيت الندبة فى ساق الآخر.. واضحة للغاية.

. اكتشف عن ساقه هو أيضا وبعبدا اتخذ قرارك بشأن المستشفى.

قال الأب مندهشا:

. ماذا تقولين؟.. لا أفهم.

لم ترد.. فهبط (راضى) على ركبتيه وكشف عن الساق اليمنى للولد الذى كان سيعيده للمستشفى.. فرأى الندبة أيضا.

شعر بدهشة وذهول لا حد لهما.. فراح يكشف ساق الأول مرة أخرى.. ويقارن بين الندبتين.. كانا لهما نفس الشكل فى نفس المكان بالضبط من الساقين!

قال بكل ذهول العالم:

. كيف؟

قالت الأم وكأنها تستكمل كلامها:

. ولأننى متأكدة أنك لن تجرح أخيه التوأم فى نفس مكان الإصابة ليكون مثل أخيه بالضبط.. ولأن الجرح لن يلتئم بنفس الشكل بكل هذه الدقة.. تأكدت حينها أنهما ليسا توأمين كما ظننت فى البداية.

لم يفهم (راضى) ما الذى تريد (حنان) قوله من حديثها هذا..

قالت لتنتهى حيرة زوجها أو لتوقعه فى حيرة أكبر:

. إنها ليسا توأمين.. إنهما الطفل نفسه.

(21)

قالت (حنان) شارحة نظريتها الغامضة:

..إنهما الطفل نفسه.. كلاهما ابني (وحيد).. كلاهما الولد الذي أنجبناه ورببناه سويا طوال السنوات الماضية.. كلاهما الطفل الذي اشترينا له كل هذه الدمى والألعاب ويعرف مكانها جيدا.. كلاهما الطفل الذي ينام في حضني كل ليلة وأحكي له الحوادث التي يحفظها جيدا ولكنه لا يملّ سماعها.. كلاهما الطفل الذي أغنى له أغاني معينة يحفظها جيدا ويكررها معي بنفس الطريقة التي اعتدت سماعها منه.. كلاهما (وحيد) الذي سقط من الأرجوحة وصارت لديه ندبة ستلازمه طوال العمر.. إلا إذا كنت أنت الذي خبأت التوهم مني وجرحته في نفس المكان ثم عالجته ليصبحا متشابهين بهذا الشكل.

لا طبعاً.. أنا لا يمكن أن أؤذي ابني أبداً.

ولهذا اقتنعت أنهما ليسا توأمين وأنهما الطفل ذاته.

جلس الأب على المقعد وهو في حيرة شديدة:

لا.. لا أصدق ما تقولينه.. لست مقتنعة به على الإطلاق.

فكر معي يا (راضى).. لقد أنجبت طفلاً واحداً.. لا يمكن أن يكون هناك توهم لا نعلم عنه شيئاً.. وحتى لو كان هناك توهم فلا يمكن أن يتشابه معه بهذه الطريقة.. يشبهه تماماً في كل شيء.. وتحدث له نفس الإصابة.. ويعرف كل شيء عن الفيلة كأنه تربى فيها.. يعرف أماكن الدمى والألعاب ومسمياتها كما علمناها له بالضبط.. حتى الأسماء الغريبة التي أطلقناها على بعض الألعاب يعرفها أيضاً.. إن الطفلان يملكان ذاكرة واحدة كأنهما تربيا معاً على أيدينا.. وليس عند أي أحد آخر.

قال الزوج محتجاً:

..وأنا متأكد أنتى ربيت ولدا واحد طوال هذا الوقت.. لم أرى هذا الآخر أبدا.

قالت (حنان) وجسدها يرتجف من هول الفكرة التى تود طرحها:

..ربما كان موجودا طوال الوقت دون أن ننتبه له.

..كيف هذا؟

اتسعت عيناها وقالت هامسة:

..ربما كان التوأم الخفى.

..توأم خفى!

..نعم.. توأم خرج إلى الحياة فى نفس اليوم وعاش خفيا معنا فى الفيلا.. لا نراه ولكنه

يرانا.. يسمعنا ولكننا لا نسمعه.. يتحرك فى أرجاء المكان دون أن يلحظه أحد.. يسافر معنا..

يرحل معنا.. يعود معنا.. لكننا لا نشعر بوجوده أبدا.

حاول (راضى) مجاراتها وسألها:

..وكيف كان يأكل أو يشرب؟

ارتجف جسدها مرة أخرى وقالت بعد تفكير لثوان:

..ربما عندما يكون فى هذه الحالة الخفية لا يأكل ولا يشرب مثلنا.. أو ربما كان يأكل

ويشرب ولا نشعر به.

..كيف؟

..ربما كان يأكل من الطعام الذى نسينا أن نذكر اسم الله عليه قبل تناوله.

..على أساس أن هذا التوأم شيطان!

تلفتت (حنان) حولها بحركة تلقائية كأنها تتأكد من خلو المكان من أى كائنات أخرى..

أو كأنها تتوقع رؤية أحدهم.. فقد كانت تسمع كثيرا من جدتها أنهم يأتون عندما يذكر أحد

سيرتهم.

..أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

..لماذا تتلفتين حولك يا (حنان)؟.. إنك تقولين أن الشيطان متجسد فى صورة ابنك..

فانظرى له إذن.

نظرت (حنان) إلى الطفلين وأمرتهم بأن:

..عودوا إلى ألعابكم.

أطاعها الطفلان.. ثم نهضت (حنان) واصطلحت زوجها إلى خارج الغرفة ليتناقشا

بحرية.. بعيدا عن أذان الأطفال.

جلسا الاثنان على مقعدان متقابلان فى بهو الفيلا.. قالت له:

هل هذا ما فهمته من حديثي؟ أن ابني شيطان؟

لم يرد (راضى).. وانتظر شرح نظريتها.. صمتت لبرهة ثم قالت:

مسألة الأكل هذه يمكن تفسيرها.. ربما كان يأكل طعاما خفيا لا نراه.. أو ربما كان غذاؤه

مختلف عن غذائنا.. ربما كان مثل الملائكة.

الآن أصبح ابنك ملاك.. ومنذ دقيقتين كان شيطاننا.. أظن أن الاحتمال القادم هو أنه

كائن فضائى.

فكرت (حنان) فى الاحتمال الذى طرحه زوجها وقالت مبتسمة:

تمام.. أصبحت تفكر مثلى.. ربما كان كائن فضائى.. كائن جاء إلى كوكب الأرض..

ويتشكل فى صورة ابنى واستولى على نسخة من ذاكرته.. ولكن.. لماذا يفعل كائن فضائى هذا؟

ما الفائدة من تكرره فى هيئة طفل أرضى صغير اسمه (وحيد)؟.. ابنى.. هوفى النهاية مجرد

طفل.. لو وضعت نفسى مكانه وتخيلت نفسى كائنا فضائيا كنت..

قاطعها زوجها عندما شعر أنها شطحت فى خيالها:

نععممممم.

أقول مثلا.. لو أننى كائنا فضائيا.. بالتأكيد كنت سأتكرر فى هيئة رجل ذا شأن فى كوكب

الأرض.. رئيس الولايات المتحدة الأمريكية مثلا.. أو فى هيئة عالم فلكى.. أو رجل دين له تأثير

على الكثير من البشر.. لن أتكرر أبدا فى هيئة طفل.. إلا إذا كان هذا الطفل سيصبح ذا شأن

فى المستقبل.. سيرت الحكم فى دولة كبرى أو..

ثم التفتت إلى زوجها وقالت:

لا أظن أن هذا ينطبق على ابننا.

قال زوجها ساخرا:

من قال هذا؟ لقد قررت منذ زمن أن أسلم الحكم لابنى.

ها ها ها.. لست مضحكا.

وما تقولينه أيضا ليس مضحكا.

قالت بلهجة جادة:

أنا لا أمازحك هنا.. أنا أفكر بكل جدية.

حسنا.. إذا كنت تتحدثين بجدية.. فإن الكائن الفضائى سوف يحتل جسد الطفل نفسه..

أو يتخلص منه ويتشكل فى صورته.. لا أن يتشكل فى هيئة توأم آخر مثيرا للشكوك.

اقتنعت بنظريته لكنها لم تستسلم فقد طرحت احتمال جديد.. أكثر إرعاباً:
ربما كان هذا هو أخوه الذى تحت الأرض.. أو قرينه.

احتج الزوج وقال:

.. ما هذا التخريف؟!

.. لا تقل (تخريف) .. حافظ على كلامك وانتبه له.

.. هل تدركين ما تقولينه؟

.. نعم.. وأحاول جاهدة البحث عن تفسير لهذه المعضلة.

.. وهل ما قلته تفسير؟

نهضت الزوجة من مقعدها لتجلس بجواره وكأنها تستمد منه الأمان وقالت:

.. هل أنت خبير فى الماورائيات؟

.. لا.

.. إذن استمع لى.

تلقت حولها بقلق مرة أخرى.. ثم عادت إليه وقالت هامسة:

ربما كان هذا هو أخوه الذى يعيش تحت الأرض.. يرى كل شىء يحدث لأخيه.. من خلال

النظر لأعلى طوال الوقت.. يتابع حياته بشكل دائم.. لذا لديه كل هذه المعلومات عن حياتنا..

ثم أتى اليوم الذى قرر فيه الصعود إلى السطح ليشاركه هذه الحياة.. ربما بسبب الفيرة..

فبالتأكيد حياة ابنى فوق الأرض أفضل من حياة أخيه تحت الأرض.. فصعد ليشاركه هذه

الحياة.

.. ماذا؟

.. وربما كان هذا هو أخيه التوعم الميت.. الذى مات فور ولادته مباشرة ولم يشأ الطبيب

إخبارنا بشأنه حتى لا نحزن على فقدانه وقام بدهنه سرا.. لكن هذا التوعم الميت عاش تحت

الأرض نفس الحياة.

.. نفس الحياة!!

.. نعم.. مع والدين مثلاً بالضبط.. من نفس العائلة.. تربي نفس التربية.. فى نفس هذا

المكان بالضبط.. فى نفس هذه البيئة بالضبط.. لكن.. فى الأرض السفلى!

.. الأرض السفلى!

.. نعم.. ثم صعد إلى أرضنا هذه لسبب ما.. لا أعلمه.

.. و توتة توتة فرغت الحدودة.

ونفض (راضى) فجأة من جوارها.. قالت له بغضب:

.. أنا لا أحكى حواديت.

لوح بيده قائلاً:

.. أرجوكى توقفى عن مشاهدة أفلام الرعب.. وقراءة سلسلة الروايات الخيالية المزعجة..

لقد أثرت على عقلك وتفكيرك.

.. أنا لا أخترع قصصاً.. أنا أحاول الوصول لتفسير.

.. تفسير لآى شىء بالضبط؟! الموضوع أبسط من ذلك بكثير.. أنت تحاولين تعقيد الأمور.

توقف لثانية ربما لالتقاط نفس عميق ثم قال شاعراً بالحسرة:

.. وأنا الذى ظننت أنك عدت إلى رشدك وتأكدت أن الطفل ليس ابننا وأنهما ليسا توءمين..

لم أكن أتصور أن يصل تفكيرك وخیالك الجامح إلى الاعتقاد بأن الطفلين هما طفلاً واحداً فى الأساس.. أو أن الطفل الآخر شيطانا.. أو ملاكاً.. أو الأخ الذى كان يعيش تحت الأرض وخرج الآن.

.. (راضى).. أنت لم ترى ما رأيته ولم تسمع ما سمعته.. إن الطفلان يمتلكان نفس الجسد..

نفس العقل.. نفس الذاكرة.. نفس الـ..

بترت جملتها فجأة.. بدت وكأنها تذكرت شيئاً ما.. فسألها زوجها بقلق:

ماذا؟

.. لقد تذكرت اختلاف بينهم.

أجاب زوجها فرحاً:

.. أهاه.. هل صدقت الآن؟ إنهم مختلفين.

.. إن طفلاً منهما يعرف أغنية (ماما زمانها جاية) مع أننى لم أغنها له قط.. يقول أنك

الذى كنت تغنيها له.. بينما الطفل الآخر لا يعرف عنها شيئاً.

.. هل هذا هو الاختلاف الذى تقصدينه؟

.. نعم.

.. خسارة! لقد ظننت أنك وجدت اختلافاً جوهرياً.

.. ماذا تقصد؟

.. أولاً: اختلاف تافه.. أغنية ربما يسمعها الطفل الثانى فيحفظها فيصبح مثل الأول.. أو

أن ينسى الطفل الأول الأغنية فيصبح مثل الطفل الثانى.

.. احتمال! لكن كيف حدث هذا الاختلاف؟

تابع (راضى) حديثه قائلاً:

. ثانياً: هذه الأغنية قد غنيتها لابننا بينما كنت فى المستشفى تجلبين لنا طفلاً آخرًا.. أى أن الطفل الذى يحفظ هذه الأغنية هو الطفل الذى أحضرته فى الصباح.. ابننا.
. غريبة!

ثم تذكرت شيئاً آخر فاستدعت الطفلين فخرجا على الفور من الغرفة.. نظرت لهما وقالت:

. هل تتذكرون حكاية (هيفاء...)

صاح أحد الطفلين بكل مرح وقال:

. (.. الجميلة).

ابتسمت الأم.

إذن هذا هو الطفل الذى كان معها فى الصباح.. بينما وقف الطفل الآخر حائراً.. لم يسمع هذا الاسم من قبل.. لكنه فكر فى تقليد أخيه لينال ابتسامة من أمه.. قال:
. جميبيبيبي!

احتضنت الأم الطفل الأول.. ثم سألت أسئلة أخرى لهما بخصوص الحكايات التى حكتهما لهما من قبل فوجدت نفس الإجابات من الطفلين.. قالت لزوجها:
. إذن الاختلاف الوحيد بينهما هو أغنية وحدوته!

سخر زوجها قائلاً:

. برنامج أبله فضيلة!

قالت بجدية:

. لا.. بل أقصد أغنيتك وقصتى.. وهذا يعنى أن الذاكرة اختلفت بينهما منذ صعود الطفل الآخر إلى السطح.. أصبح لكل طفل ذاكرته الخاصة به منذ تلك اللحظة.. فلو حدث أى شئ لأى طفل منهما الآن فلن يعلم به الطفل الآخر.

. مهما قلت لى.. لن أصدق أبداً أى نظرية من نظرياتك هذه.

. اختبرهم بنفسك وسوف تصل للحالة التى وصلت إليها الآن.. جرب واسألهم وسوف تسمع نفس الإجابات من الطفلين معاً.

قال (راضى) مستكراً:

. أسألهم عن ماذا؟

. أى شئ تريد.. أى شئ لا يعرفه سوى ابننا (وحيد) ولا يعرفه أى طفل آخر.

لماذا؟

لتصدق أنهما طفل واحد.

ما الذى..

قاطعته قائلة:

أرجوك.. اسألهم.

نُجحت لهجة الرجاء فى إقناعه.. واستجاب لطلبها فقال:

حسنا.. احضرى ألبوم الصور.

فهمت فكرته فهرعت لإحضاره.. فتح الألبوم أمام الطفلين وراح يسألهم عن الأشخاص الموجودين فى كل صورة.. أحيانا يسأل كل طفل سؤال له وحده.. وأحيانا يسأل الطفلين سؤالاً واحداً ويطلب منهم الإجابة فى نفس الوقت.

من هذا؟.. من هذه؟ من هؤلاء؟ من ناحية اليمين.. نعم.. والذى بجواره؟.. والذى يجلس هناك.. نعم.. من هذا أيضاً؟.. حسنا.. لنذهب لصورة أخرى.. ولتكن تلك.. من هذه السيدة؟.. من هذا الرجل؟.. حسنا.. ماذا عن هذه الصورة؟.. فى أى فرح؟.. ومن كانت العروسة؟.. حسنا.. هذه الصورة.. أين كنا؟.. من الذى يقف فى الخلفية.. أجب أنت.. حسنا.. من الذى يجلس على المقعد؟.. أجب أنت هذه المرة.. حسنا.. فلترى صورة أخرى.. من هو العريس؟.. من هو أبوه؟.. من هى أمه؟.. حسنا.. من هذا الطفل؟

وبعد العديد من الأسئلة من هذه النوعية وصل (راضى) لنفس النتيجة التى وصلت إليها (حنان).. هذان الطفلان لهما نفس الذاكرة.. ونفس السؤال أصبح يتردد داخل عقله أيضاً:

كيف؟

رأت (حنان) علامات الدهشة والحيرة على وجه زوجها فقالت بانتصار:

ألم أفل لك؟.. هل صدقتنى الآن؟.. أظن أنك صرت مقتنعا بأن الاثنين هم ابننا (وحيد).

ولم يستطع (راضى) النطق بحرف.

(22)

نشر (راضى) إعلانا بالجرائد.. لعله يصل إلى أهل لهذا الطفل الغامض.
رغم كل الشواهد لم يكن مقتنعا بنظريات زوجته.

لقد ربي طفلا واحدا فقط أما هذا الآخر فليس ابنه.. ولا يعرف من أين أتى.. أما مسألة أنه يشبه ابنه تماما ويعلم ما يعلمه ابنه بالضبط فهذا أمر غريب للغاية.. وهو يكره الأمور الغريبة.. وربما لهذا السبب بالذات يريد التخلص بشدة من هذا الطفل.. ربما لو كان طفلا عاديا طبيعيا لا يشبه ابنه لاحتفظ به طالما أنه بلا أهل.

أما أن يكون الطفل يشبه ابنه بالضبط ويظهر فجأة من العدم ويعرف ما يعرفه ابنه فهذا الأمر يزعجه.. وربما يخيفه.. لذا كان يفكر طوال الوقت فى التخلص منه.. وبأقصى سرعة.
وطالما أن المستشفى لم تتصل به لتخبره بأى جديد.. فكر فى نشر إعلان فى الجرائد.. قام بنشر صورة ابنه.. فالاثنتان واحدا فى الشكل.. اشترى خط هاتف محمول جديد حتى لا يتلقى الاتصال المنشود على هاتفه.

وكانت النتيجة:

.. آلو.. أنا أعرف هذا الطفل.. إنه ابن صديقى الأستاذ (راضى حسن الشويشان).
.. شكرا.

وينهى المكالمة.. لا يخبر أحدا بأنه هو نفسه (راضى حسن الشويشان).

.. آلو.. أنا أعرف والد هذا الطفل..

يأمل (راضى) خيرا بأنه قد وصل أخيرا لأهل الطفل فيسأل:

.. من هو؟

.. (راضى حس..

فينهى (راضى) المكالمة على الفور..

و تكرر الأمر مئات المرات.. لقد اتصل به جميع أصدقائه وأقاربه تقريبا ليخبروه بأن والد هذا الطفل هو (راضى حسن الشويشان).. لم يخبره أحد بوالد آخر لهذا الطفل.. وظل (راضى) منتظرا هذا الاتصال الذى لم يتم أبدا.

هذا بالإضافة للاتصالات التى تلقاها (راضى) على هاتفه الخاص:

. ألو.. (راضى).. لقد وجدنا صورة ابنك منشورة فى الجريدة.. ما الذى حدث لـ (وحيد)؟.. هل فقدتموه؟.. لماذا لم تخبرنى يا صديقى؟.. على أى حال معى الإعلان ومكتوب فيه رقم هاتف الناس الذين وجدوه.. سوف أتصل بهم وأحضره لك.. لا تقلق.. ابنى (وحيد) هنا معنا.. لم نفقده أبدا.

كان يود (راضى) إخباره بالحقيقة المرة ويقول (بل وجدنا آخر مثله أيضا.. لدينا عدد أكثر من اللازم منه الآن)

مكالمات عديدة تلقاها على هاتفه الخاصة.. يخبرونه أنهم رأوا إعلان غريبا فى الجريدة ويستفسرون عن الأمر (هل فقدت ابنك؟).. والبعض يطعنونه بأنهم سوف يحضروه له.

ولا ينسى (راضى) مكالمة أمه عندما قالت:

. ابنى.. حبيبى.. متى فقدت (وحيد)؟ لماذا لم تخبرنى؟

. لا تقلقى يا ماما.. هذه الصورة لطفل يشبهه.. إنه ليس (وحيد).

. كيف؟.. إنه هو بالضبط.. إن هذه الصورة عندنا.

فى تلك اللحظة تنبه (راضى) للخطأ الذى وقع فيه (كيف سيحصل الناس الذين وجدوا الطفل على صورة مطابقة لصورة حفيدها التى معها؟)..

ربما ظننت الجدة أن الناس قد وجدوا هذه الصورة فى ملابس حفيدها (وحيد).. ولأنهم ناس طيبون نشروها كما هى.. لم يلتقطوا للطفل صور أخرى.

. لا يا ماما.. يخلق من الشبه أربعين.

. ولكنها نفس الصورة.

. صدقينى يا ماما.. (وحيد) عندى.. هل تحب أن تكلميه؟

. لكن.. أأأ.. إن أبيك يتصل بهم الآن من أجل...

قاطعها قائلًا:

. حسنا.. اطلبى منه ألا يفعل.

أنهى مكالمته والدته في نفس اللحظة التي وجد فيها اتصال على الهاتف الآخر.. مكالمته من أبيه!

..آلو..

كاد (راضى) أن يجيب (نعم يا بابا) لكنه أمسك لسانه في اللحظة الأخيرة.. قام بتغيير صوته وقال:

..لقد عاد الطفل إلى أهله.. شكرا لاتصالكم.

تلقت (حنان) مكالمات أيضا على هاتفها الخاص مثل..

..لقد رأينا صورة ابنك في الجريدة.. هل فقدت ابنك؟.. هل نتصل بالرقم المنشور مع

الخبر ونقوم باللازم؟

لم تكن (حنان) تعلم بأمر هذا الإعلان في البداية.. لكن كثرة الاتصالات عليها جعلتها

تشك في الأمر فسألَت زوجها فأخبرها بالحقيقة.. ثم رآته بعد ذلك يستخدم هاتفها جديدا..

ويقوم بالرد أمامها على مكالمات أصدقائه وأقاربه الذين يخبرونه بأنهم يعرفون والد الطفل.

سألته أمها في أحد الأيام:

..ما الذى يفعله زوجك يا ابنتى؟ لماذا ينشر مثل هذا الإعلان؟

..لا يصدق أنه ابننا.

..أنا كنت مثله.. لكن الطفلان يشبهان بعضهما إلى حد غير طبيعى.

..إنهم واحد يا ماما.

..هذه المسألة تخيفنى كلما ذكرتُها يا ابنتى.. لكن يبدو أنها الحقيقة.. فالطفلان يملكان

ذكريات واحدة.. لقد سألت الطفلان عن الخالة (زرزورة) فخافا بشدة.. مع العلم أن (وحيد)

فقط من كل أحفادى هو الذى حكيت له حكاية الخالة (زرزورة).. وهذا لا يعنى شيئا سوى

أنهما واحدا فعلا.

..وما هى حكايتها يا ماما؟

وفى يوم آخر.. سألتها أختها (سميرة) أثناء زيارتها لها:

..ما حكاية التوأم الذى ظهر فى حياتك فجأة؟ أمك قالت كلاما عجيبا لم أفهمه.

..هل تريدان الحقيقة؟ أم تريدان حكاية كاذبة قابلة للتصديق؟

. بالتأكيد أريد الحقيقة.

. حتى لو كانت غير منطقية.. وغير قابلة للتصديق!

وأخبرتها (حنان) بكل شيء.. فقالت أختها (سميرة):

. حكاية غريبة!

. ألم أقل لك؟

. لا.. أنا مندهشة لأسباب أخرى غير الأسباب التي تدور بعقلك الآن.

. كيف؟

. لقد ذهبت إلى هذه المستشفى عشرات المرات.. ولم يحدث هذا أبداً معي!

. آلو.. نعم.. من هو؟.. شكرا لاتصالك.. لقد عاد الطفل لأهله.

وأنهى (راضى) المكالمة.. تكرر هذا مئات المرات.. قالت زوجته ساخرة:

. لقد تلقيت اتصالات على هذا الخط الجديد أكثر من الاتصالات التي يتلقونها على خط

المسابقات الذي يبدأ بـ (٠٩٠٠).

. اسخرى كما تشائين.. لكنى سأصل لهدفى فى النهاية.

. متى تستسلم وتعترف أنه ابننا؟

. لن أستسلم.. وسأستعمل هذا الخط ما حييت حتى أصل لأهل هذا الطفل.. وسأنشر

هذا الإعلان فى الجرائد كل شهر.. وربما كل أسبوع.. وربما كل يوم.. وربما فى كل جريدة..

وفى كل مجلة.. فى مصر أو خارجها.. وربما أنشر الإعلان كل ساعة فى التلفزيون.. سأفعل

المستحيل حتى أصل لأهل هذا الطفل.. هذا الطفل لم يتشأ من العدم.. هل تفهمين؟

. فلنفترض أنك وصلت لأهل هذا الطفل.. هل تستطيع تمييز الطفلين عن بعضهما؟ أم أنك

ستعطيهما واحدا وتختاره بالقرعة؟

كان السؤال مبالغاً.. لم يفكر فى هذه المعضلة من قبل!

ظل يفكر كثيراً لايجاد حل.. حتى توصل له فى النهاية!

البصمات!

(لا يوجد اثنين فى العالم لهما نفس البصمة) قاعدة شهيرة! وهكذا سوف يستطيعون

تمييز الطفلين.. لكن كيف يحصلوا على بصمات قديمة لابنهم (وحيد)؟

بالتأكيد الطفل الثانى ملأ المكان ببصماته.. ما العمل؟
وبعد تفكير طويل.. جاء الحل فى كلمة واحدة:
. الحضانة.

لابد أن كُتبَ طفلهم وأدواته المدرسية الموجودة فى درج مكتبه بالحضانة تحمل بصماته هو فقط.. لم يمسها الطفل الآخر.. وبالمقارنة بينهما وبين بصمات الطفلين.. سوف يعرفوا على الفور أيهما الطفل الذى كان معهم طوال السنوات الماضية وكان يذهب إلى هذه الحضانة.
لكن.. لابد من عزل الطفلين عن بعضهما من الآن حتى ظهور النتائج!

xxx

دخلت (حنان) غرفة الأطفال فرأت زوجها يمسك بيد أحد الطفلين ويمسها فى إناء.
ما هذا؟

. حبر فسפורى.

قالت ساخرة:

. لماذا؟ هل قررت أن يشاركوا فى الانتخابات؟

أجاب بجدية:

. لأن الحبر يظل أياما حتى يزول أثره من الجلد.. وأنا أريد تمييز أحد الأطفال عن الآخر..
حتى تظهر نتيجة البصمات.

ثم نظر إلى يد الطفل الآخر فى شك.. فضحكت (حنان) قائلة:

. لا تقلق.. لقد انفصلا عن بعضهما منذ يوم المستشفى.. اطمئن.. لن تجد حبرا فى يد
الطفل الآخر.. إن ما يحدث لأحدهم الآن لا يحدث للآخر.. ألا تتذكر الأغنية والحدوتة؟
. حديثك ينفى نظريتك بأنهم واحدا.. فلو أنهما واحدا لرأيت الحبر الفسפורى فى يد
الطفل الآخر الآن.

. أنا لا أقول أنهما واحدا الآن.. أنا أقول أنهما كانا واحدا فيما مضى.. وقد انفصلا.. أى
أنهما اثنان الآن.. لذا لو سقط أحدهم اليوم من الأرجوحة لا قدر الله.. فلن تجد الإصابة إلا
فى ساق واحدا منهم فقط.. أما الآخر فلن يعلم أى شئ عما حدث لأخيه.

. هل أنت متأكدة؟

أجابت بثقة:

. نعم.. لقد جربت.

سألها (راضى) بانزعاج:

.. هل أسقطت أحدهم من الأرجوحة؟
.. بالتأكيد لا.. لا يمكن أن أؤذى طفلى أبدا.

.. كيف جريت إذن؟

.. لم تهتم (حنان) بالرد فقام (راضى) باصطحاب الطفل ذا اليد الملوثة بالحبر.
.. إلى أين؟

.. سيأتى معى.

.. ألم تأخذ بصماتهم؟

.. نعم.. ولكن لمزيد من التمييز بينهما سيظل هو معى ويبقى الآخر معك.. ولكن اسم
الطفل الذى معك هو (وحيد A) والطفل الذى معى هو (وحيد B) .. اتقنا؟
.. لا طبعاً.

.. واتجهت إليه وانتزعت الطفل منه وقالت:

.. لن تأخذه معك.. ابنى لن يفارقنى أبدا.. ويكفى الحبر الفسفورى الذى استعملته.. هذه
علامة جيدة.. أحبيك على التفكير فيها.

.. لكن الحبر..

.. لا تقلق.

.. أدرك (راضى) أنه لن يستطيع أخذ الطفل منها مهما حاول.. لقد جرب من قبل وفشل..
لذا قال لها محذراً:

.. إياك أن تمسحيه.. أو أن تضعى حبراً فى يد الآخر.

.. بعد تحليل البصمات.. جاءت النتيجة مذهلة بكل المقاييس.

.. بصمات ابنهم (وحيد) على أدواته الموجودة بالحضانة هى نفسها بصمات الطفلين..
معاً.. هذا لأن بصمات الطفلين كانت واحدة!
.. كانت مفاجأة صادمة للجميع..
.. عدا (حنان).

(23)

دخل (راضى) غرفة النوم وألقى بجسده على السرير واسترخى تماما وراح عقله يسترجع كل الأحداث الماضية.. منذ ذهابه إلى تلك المستشفى حاملا ابنه الذى يتألم بسبب الزائدة الدودية حتى وصل بذاكرته إلى اللحظة التى ينام فيها الآن على السرير.

لقد أجرى تحليل للبصمات وتأكد أكثر من مرة من عدم وجود أى أخطاء فى النتيجة.. وقام بإجراء تحليل DNA للطفلين معا.. وكانت النتيجة واحدة للطفلين.

سمع رنة تصدر من الهاتف الجديد الذى اشتراه من أجل الوصول لأهل الطفل.

نظر إلى رقم المتصل دون اكتراث..

لا بد أنه واحد آخر من أصدقائه أو أقاربه يريد أن يخبره أنه يعرف والد الطفل.. وبالتأكيد لا يعلم أن والد الطفل نفسه هو الذى يجيبه على الهاتف.. سوف يطلب منه تحديد موعدا لاستلام الطفل ليعيده لوالده.. طبعاً لو تم هذا اللقاء سيكتشف المتصل أنه سيستلم الطفل من الشخص الذى سيعيده له.

رفض (راضى) استقبال المكالمات.. ثم أغلق الهاتف.

نزع الشريحة ثم طوح الهاتف بعيداً فاصطدم بالحائط ليتحطم قبل أن يسقط سريعاً نحو الأرض.

" هل استسلمت أخيراً؟ "

أجاب (راضى) على سؤال زوجته بسؤال:

لماذا تقولين ذلك؟

..لم أعد أسمع نغمة الهاتف الجديد.. ورأيت اليوم حطام هاتف محمول فى سلة المهملات..
لا أحتاج إلى دليل ثالث.

تتهد (راضى) ولم ينطق حرفا.. فسألته (حنان) بهدوء:

..بعد كل هذه التحاليل والاختبارات أما زال عندك شك أنه ابنك؟

..لا.. ولكن الأمر كله غريبا.. ألا ترين ذلك معى؟ طفل يظهر فجأة من العدم.. له نفس شكل ابنى ويحمل نفس ذاكرته.. بل أيضا له نفس بصماته.. هذه وحدها معجزة.. لا يوجد اثنان على وجه الأرض لهما نفس البصمات.. ألا تجدين أى صعوبة فى تقبل كل هذه الأمور الغريبة؟

..إنه الرضا.. الرضا بما قسمه الله لنا.. لقد عانيت كثيرا بعد العملية.. وإحساس أننى لن أنجب مرة أخرى كاد يقتلنى.. لكننى رضيت.. وأظن أن هذه مكافأة ربانية لى على صبرى طوال هذه السنين.. لقد حدثت معجزة من أجلى.
..لا أصدق كل هذا.. نحن لسنا فى زمن المعجزات.

كانت (جوجو) مسترخية على السرير مرتدية قميص نوم قصير خفيف تضع سماعة هاتفها المحمول على أذنها وتتحدث بميوعة:

..نعم يا حبيبى.. زوجى ليس هنا الآن.. قال أنه سيبيت هذه الليلة أيضا عند زوجته.. مشغول بأمر ابنه.. نعم.. ماذا؟.. تفضل اسأل.. سؤال واحد فقط.. حسنا سؤالين.. لكن لا تسأل أكثر من ذلك.. سؤالين فقط.. اتفقنا؟.. سأحاول.. إذا كان السؤال مهذبا سأجيبك.. اتفضل اسأل أول سؤال.. ماذا؟.. يا قليل الأدب.. لا.. لن أجيبك.. لا.. لا تحاول.. مستحيل.. أنا سيدة محترمة.. هـ هـ هـ.. لا يمكن أن أجيب على مثل هذه الأسئلة.. تفضل اسأل السؤال الثانى.. ماذا؟.. يا سافل.. كيف استطعت أن تسألنى مثل هذا السؤال؟.. كيف تنطق هذه الأنفاظ أمامى؟.. ماذا؟.. لا لن أجيبه أيضا.. لا.. لقد اتفقنا على سؤالين فقط.. لم أجب لأنها أسئلة ساقلة ولقد حسبتهما سؤالين.. لقد ضيعت فرصتك الليلة فى الأسئلة.. حسنا.. لا تبك يا حبيبى.. حسنا.. إذا أتيت الليلة سوف أجيبك على كل هذه الأسئلة.. أو ستعرف الإجابة بنفسك.. سترأها بعينيك.. لا تقلق.. اطمئن تماما.. لقد اتصل بى منذ قليل وأخبرنى أنه لن يأت الليلة أبدا.. لا.. زوجى ليس من النوع الذى يحب المفاجآت.. لم يفعلها مرة واحدة طوال سنوات زواجنا.. إذا قال أنه لن يأتى الليلة فإنه لن يأتى الليلة.. لا يحب الكذب أو جو

المفاجآت.. إنه يثق فيّ تماماً لذا لا يفكر أبداً في مفاجأتى.. حتى إذا فكر في المبيت عتدى فإنه يتصل بى قبلها حتى أجهز نفسى له.. لذا اطمئن تماماً.. الليلة لك.. أنا ملكك تماماً..
جسدى تحت أمرك.
وايتسمت ابتسامة شيطانية.

كانت الساعة الحادية عشر عندما نهضت (جوجو) فجأة من السرير وعلى وجهها تعبيرات القلق والتوتر والفزع الشديد وهى تحاول إيقاظ الرجل النائم بجوارها قائلة:
. استيقظ.. لقد عاد (راضى).
. (راضى) من؟
. (راضى) زوجى.. ارتدى ملابسك واختبئ بسرعة.
ثم أسرعرت بارتداء أى شئ تستر به نفسها.. ثم قالت له:
. اختبأ تحت السرير.. أوفى الدولاب.
. ألم تقولى أنه لن يأتى؟
قالت بغضب:
. هل ستجادلنى الآن؟ هيا بسرعة.
كان يبحث عن ملابس.. نسى أين خلعها.. كان يرتدى أى شئ يجده.. سألها:
. أين الـ..
قالت هامسة:
. شششش.. اخفض صوتك.. قد يسمعون.
أعطته إشارة بيدها ليختبئ بسرعة.. ثم خرجت من الغرفة.
اختبأ تحت السرير وهو يكمل ارتداء ملابس.. ثم سمع صوتها يأتيه من خارج الغرفة..
كانت تقول:
. أهلا يا حبيبى.. ما هذه المفاجآت السارة!

(24)

كان يختبئ تحت السرير ويسمع صوت القبلات خارج الغرفة.. كان صوت (جوجو) عاليا لأنها تريد إخباره بما يجري:

.. ما الذى جعلك تغيّر تفكيرك وتأتى للمبيت معى بدلا من (حنان)؟ .. ليست عادتك فأنت دائما تتصل قبل المجيء حتى أجهز نفسى لك.

مرت دقيقة لم يسمع خلالها شيئا من مخبأه.. ثم عاد صوت (جوجو) المرتفع يقول:

.. تريد أن تدخل غرفة النوم؟

الصوت العالى جاء كتحذير له..

.. هل ستدخل غرفة النوم الآن؟ لماذا لا تسترح قليلا هنا حتى أجهز لك العشاء.. لا.. أنت

مصمم على دخول غرفة النووووم.. ستدخل غرفة النووووم.. لا.. صوتى طبيعى جدا.. هذا ليس صياحا.. يبدو أن أذنك حساسة اليوم.. إن درجة صوتى عادية.. أما لو كانت درجة صوتى عالية فكنت سأصرخ هكذا.

فرفعت درجة صوتها قائلة:

.. ستدخل غرفة النووووووم.

فهم أنها تريد تحذيره للمرة الألف.. كان يريد أن يخرج من مخبأه ليخبرها أنه قد سمعها

جيذا وقد قام بتجهيز المكان ومبلى جميع ملابسه وأى شئ يدل وجوده.

رأى الباب يُفتح ثم رآها تدخل.. قالت:

.. دعنى أحضر لك ملابسك.. استرح أنت.

ربما تخشى أن يكون قد اختبأ فى الدولاب فلا تريد أن يكتشف زوجها رجلا بداخله.

فتحت الدولاب.. لم تجد أى أحد.. إذن هو اختبأ تحت السرير كما اقترحت عليه.. تنفست

الصعداء.. تحت السرير أفضل.. فربما يفتح زوجها الدولاب في أى لحظة.

. تفضل البس هذه.. دعنى أحضر لك الشبشب.

ثم نظرت تحت السرير.. فرأته..

ضحكت..

ثم قالت:

. ما رأيك؟ هل تريد الخروج الآن؟ أم أن المكان هنا قد أعجبك؟

ابتسم زوجها (راضى) الذى كان مختبئاً تحت السرير وقال:

. يا لخيالك الجامح!

ابتسمت وقالت:

. ابق مكانك.. لم أجرب النوم هنا.. سوف أنام بجوارك تحت السرير.

إن (جوجو) تعشق مثل هذه التمثيليات الجنسية.. هذه المرة فكرت أن يقوم زوجها (راضى) بدور العاشق الولهان المتيهم بها وهو يعلم أنها سيدة متزوجة فينتهز فرصة غياب زوجها ليصعد إلى شقتها ويمارسا الرذيلة..

فى هذه الحالة فقط.. خيانة مشروعة!

مجرد تمثيلية مع زوجها يتخيلا فيها أنهما ليسا متزوجان.. تتصل به لتخبره أن زوجها لن يبيت معها وأنها وحدها فى الشقة تعاني من الشوق والحرمان الجنسي.. يتحدثان هاتفيا بكلام جنسى فاجر يخدش حياء زعيمة شبكة آداب.

تتخيل أن زوجها جاء فجأة فتتظاهر بالارتباك والقلق.. ويتظاهر هو بأنه العاشق الخائن فيختبئ تحت السرير.. كانا يمكن أن يتمادوا فى التمثيلية أكثر من ذلك.. لكنهم توقفوا عند مشهد دخول الزوج لغرفة النوم.. ربما فى مرة قادمة تفكر فى سيناريو المشهد التالى.

مثلاً.. ينام الزوج.. فتنتهز الفرصة لتساعد عشيقها على الخروج من تحت السرير.. ثم يمارسا الجنس فى أى غرفة أخرى بعيدا عن أعين الزوج النائم.

كان (راضى) يسعد بتفكيرها الجنسي.. يمرح معها.. يلعب معها.. ينسى كل المشاكل التى تحاصره فى حياته ويعيش معها فى مشاكل جنسية لذيدة.. مثلاً: ماذا يفعل لو أن زوجها قد ضبطه؟ أين يختبئ حتى لا يراه زوجها؟.. يتظاهر بأنه ليس زوجها لدقائق ليعيش الدور اللذيق ويشعر بالإثارة البريئة مع زوجته.

ما رأيك؟

تقصدين فى النوم تحت السرير؟ مرهق جدا.

لا.. أقصد فى التمثيلية.. هل أعجبتك؟

ضحك (راضى) قائلا:

نعم.. لقد شعرت للحظات أننى خائن فعلا وأن زوجك سيدخل خلفك.. خاصة مع صوتك

العالى وكأنك تحاولين تحذيرى.. أظن أن الجيران قد سمعوك.

لا أظن.. لا أشعر أن هناك جيران أصلا.. أحيانا كثيرة أشعر أن هذه العمارة خالية تماما

من السكان.

لا تقولى هذا.. هناك جيران كثيرين.. ألح نوافذهم مفتوحة.. وأشم رائحة طبيخهم

وأسمع صوت التليفزيون عندهم.

أنا لا أسمع شيئا.. ويتتابنى الخوف كثيرا.. لا أنام مطمئنة سوى فى الليالى التى بيت فيها

معى.

شعر (راضى) أن حديثها يقود إلى منطقة (لماذا لا تبتي معى كل ليلة؟ لماذا لا أحضر أسمى

لتبتي معى؟) فقرر تغيير دفة الحديث وقال:

لكن تمثيلك كان رائعا.. أنت موهوبة حقا.

فهمت (جوجو) محاولته والتزمت الصمت.

"أين كنت فى الليلة الماضية؟"

كان هذا أول سؤال وجهته (حنان) لزوجها بمجرد رؤيتها له فى اليوم التالى.

فى العمل طبعاً.. كان لابد أن أبيت هناك لأتابع العمل المتأخر وأعوض الخسائر التى

حدثت.. وأحل المشاكل التى تكونت بسبب انشغالى فى الفترة الماضية بموضوع الولد.

شعرت أنه يكذب.. لكنها لم تشغل بالها.. هناك مواضيع أهم.

حسنأ.. كنت فى انتظارك لتتحدث فى بعض الأمور.

ما هى؟

اجلس واسترح.. لأن الموضوع سيطول.

شعر (راضى) ببعض القلق.. هل علمت (حنان) بأمر زواجه من (جوجو)؟ تأمل ملامح

وجهاها.. لا.. ليس هذا وجه زوجة اكتشفت خيانة زوجها.. لو أن الأمر كذلك لم تكن لتطلب منه

الجلوس ليتناقشوا في الأمر.. بالتأكيد كانت ستقابله عند بوابة الفيلا وتعطيه حقيبة ملابسه وتطلب منه إرسال ورقة الطلاق في أسرع وقت.. وتنصح به بإتمام الأمر بهدوء وسرية تجنباً للمشاكل والفضائح والجري في أروقة المحاكم.

بالتأكيد الموضوع يخض الطفل.. لا توجد مواضيع أخرى تشغل بال (حنان) غيره.

جلس (راضى) على المقعد قبالتها وسأل:

ما الأمر؟

التقطت نفساً عميقاً ثم زفرته بهدوء.. كأنها تستعد لتلقى خطبة:

في البداية كنت في مرحلة الإنكار.. تذكر أنه ابنك طوال الوقت.. تحضر رجلاً من الشارع وتدعى أنه والده.. تذهب إلى المستشفى وتساءل عن أهل للطفل.. ثم تنشر إعلاناً في الجرائد مع صورة لابنك وتشتري خطأ جديداً لتتلقى عليه المكالمات.. أيا كانت الأسباب أو الدوافع التي جعلتك تقوم بمثل هذه التصرفات الغريبة لا تهمنى الآن.. ما يهمنى هو أنك قد تجاوزت مرحلة الإنكار.. وأصبحت الآن في مرحلة: الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع.. وتقبلت حقيقة أن هذا الطفل الجديد هو ابنك.. لذا علينا أن نناقش بعض الأمور الخاصة بهذا الشأن.. وقد لخصتها في ثلاث أسئلة.

قال (راضى) ساخراً:

أسئلة.. هل يمكنني الاستعانة بصديق؟

لم تهتم (حنان) بما قاله.. لقد تعودت على أسلوبه الساخر.. إنها لم تتزوج به بالأمس.

أول سؤال: ما هو الاسم الذي سوف نطلقه على الطفل؟.. لن نتركه هكذا بدون اسم.. وبالتأكيد لن يحمل اسم (وحيد) فلدينا طفل بالفعل يحمل هذا الاسم.. إلا إذا كنت تريد تطبيق سيناريو فيلم (كده رضا) وتجعل الاثنان يحملان اسماً واحداً.. وأيضاً لا يمكن أن نسميه (وحيد A) أو (وحيد B).

قال ضاحكاً:

وماذا عن (وحيد AB موجب)؟

قالت بجدية:

أنا لا أمزح هنا.

ما هو السؤال الثاني؟

لا.. لننته من السؤال الأول ثم بعد ذلك نطرح السؤال الثاني للمناقشة.

على الأقل أعرف ما هو السؤال الثاني.

قالت بلهجة حاسمة:

.. لا.. لنختار اسم الطفل أولا.

.. حسنا.. اختاري الاسم الذي يعجبك.. وأنا موافق على أى اسم تختاره له.

.. لا.. لابد أن تشاركنى الاختيار.. لن أختاره وحدى.

قال ضاحكا:

.. حسنا.. ما رأيك فى (حزلقوم)؟

.. لا أريد مزاحا.. اختر اسما مناسباً لابنك..

.. أنا أرى (حزلقوم) مناسباً.

.. حسنا.. طالما أنك لست مهتما باختيار اسم للولد.. سأختاره أنا.. سأسميه (لؤى).

اختفت الابتسامة من شفתי (راضى) وسألها بجدية:

.. لماذا (لؤى)؟

أجابت بهدوء:

.. عادى! أول اسم خطر ببالى.

سألها (راضى) بشك:

.. ولماذا هذا الاسم هو أول اسم خطر ببالك؟

سألته بغضب:

.. ماذا تقصد؟

لم يهتم بإجابة سؤالها وأعلن عن قراره:

.. لن أسميه (لؤى) أبدا.

أرادت أن تثبت له أن الاسم لا يمثل لها أى شىء فقالت ببساطة:

.. كما تريد.

.. سأسميه (عصام).

.. لا.. (لؤى) أفضل من (عصام).

.. قلت لك أن اسم (لؤى) ليس مطروحا للمناقشة.

.. لماذا؟

.. هذه رغبتي.

صمتت لتعلن له احترامها لرغبته.. لكنها لم ترفع الراية البيضاء فى مسألة اختيار

الأسماء.. بعد مدة قصيرة من الصمت قالت:

. ماذا عن (أنس)؟
. (عصام) أفضل من (أنس).
عادت لتعاندته:
. و (لؤى) أفضل من (عصام).
صاح بحدة:
. لن أسميه (لؤى) أبدا.
حاولت أن تتحداه وفي نفس الوقت تحترم رغبته فى إبعاد اسم (لؤى) من طاولة
المفاوضات:
. وأنا لن أسميه (عصام) أبدا.
. لماذا؟
لا تجد (حنان) سببا سوى أنها تريد أن تعانده فى أى اسم والسلام.. لكنها لن تصرح
بذلك له.. أجابت بنفس أسلوبه:
. هذه رغبتي.
صاح ملوحا بيديه:
. لا.. أنا والده وأنا الذى أحدد ما هى الأسماء المرفوضة وما هى الأسماء المتاحة.
. الآن اعترفت أنك والده وتريد أن تمارس حقوقك.. وكنت منذ قليل لا تهتم للأمر وكنت
تريد إطلاق اسم (حزئوم) عليه.
. بالتأكيد لم أكن لأسميه (حزئوم).
. ماذا كنت تريد أن تسميه إذن؟
. ليس فى بالى اسما محدد.. لكن.. ما رأيك فى (نشأت)؟
. ماذا عن (رفعت)؟
. (شوكت)؟
. (بهجت)؟
. (طلعت)؟
. (ثروت)؟
. (سرور)؟
. قالت (حنان) معترضة:
. لا.. لن نسمي طفلا آخر على اسم عم لك.

لماذا؟

.. ما هذا الطمع! ألا يكفيك أنك فعلتها مرة.. تريد أن تسمى كل أطفالك على أسماء أعمامك.

.. لم كل هذا الغضب؟ لا تنس أن أعمامى هؤلاء هم أقاربك أيضا.

.. نعم.. ولكنهم ليسوا أعمامى.. ماذا عن اسم (حبيب)؟

.. لا.. لن أطلق اسم والدك على ابنى.

.. ولكنك فى المرة السابقة أطلقت على ابنى اسم عمك.. إذن من حقى هذه المرة أن أطلق

على الولد اسم من أريد.

صمتا الاثنان لبرهة ثم قالت (حنان):

.. (ديجافو).

ابتسم (راضى) وحك جبهته بيده اليمنى وقال:

.. أنا أيضا شعرت بذلك.. كأن الزمن عاد بنا.. تذكرت شجارنا القديم حول الاسم عند

ولادة الطفل وقد أصبح أمرا واقعا أمامنا بلا اسم.. ظللنا فى حيرة طويلة خلال فترة الحمل

فى اختيار اسم مناسب يوافق عليه كلانا.

أكملت (حنان) وكأنها تتحقق بلسانه وتعرف ما يدور به:

.. لم تخيل أننى سأنجب الطفل ولم نستقر على اسم له بعد.. حتى سألتنا الطبيبة فجأة

(ما الاسم الذى اخترتموه له؟) وهى تعطيك الطفل لتحمله لأول مرة.. نظرت لى مندهشا

ثم ضحكت.. لقد حانت اللحظة الحاسمة لكننا لم نكن جاهزين.. لا يوجد اسم واحد اتفقنا

عليه.. ثم فجأة نطقت الاسم.

.. (وحيد).

.. نعم.. وبدأ بعدها شجار جديد.

ثم ضحكت وتابت قائلة:

.. لن أسمح بتكرار هذا.. دورى أنا هذه المرة.. وسوف أسميه.. أأأ.. (فريد).

لماذا (فريد)؟

.. لأنه فريد من نوعه.. ولأن الاسم له نفس موسيقى اسم (وحيد).. وهما توءمان.. ويجب

أن تكون أسماءهم متشابهة فى المعنى أو فى الموسيقى.. لذا سيكونا (وحيد) و(فريد).. ما

رأيك؟

.. ماذا عن اسم (سعيد)؟ فليكونا (وحيد) و(سعيد).. نفس الموسيقى.

.أو.. (وليد) و(وحيد) نفس الاسم تقريباً.. الاختلاف فى حرف واحد.
.أمن الضرورى أن يكونا الاسمان لهما نفس الوزن والموسيقى؟ ألن يسبب لنا هذا مزيداً
من الارتباك ونحن فى غنى عنه؟ ألا يكفى التشابه الشديد بينهما فتبحث بأنفسنا عن مزيد
من التشابه؟

اقتنعت (حنان) بوجهة نظره وقالت:

.حسنًا.. نعود للتفكير فى أسماء مختلفة.. ماذا عن (هشام)؟

.لا.. (وائل)؟

.لا.. (حسن)؟

.لا.. (حسين)؟

قالت بحدة:

.لا.. بهذه الطريقة لن نتفق على اسم أبداً.. لايد من أحد فينا هو الذى يختار الاسم والآخر
يوافق دون اعتراض.

.حسنًا.. أنا الذى سيختار الاسم وأنتِ توافقين بدون اعتراض.

.بالتأكيد لا.. إنه دورى هذه المرة.. لقد تركت حقى فى المرة السابقة.

.فلنقم بقرعة على من يختار الاسم.. هل أنت موافقة؟

وأخرج عملة معدنية من جيبه متحمساً.. قالت بحزم:

.بدون قرعة.. إنه دورى أنا.. أنا سأختار.. وأنتِ تصمت تماماً.

ابتسم وقال:

.حمد لله على السلامة.

سألته بدهشة:

.ماذا تعنى؟

.لقد تذكرت يوم ولادتك لابننا.. كنا نختار اسماً له.. وكنت أقول لك وقتها (حمداً لله

على السلامة).. لأنك قد خرجت من غرفة العمليات وأنجبت لنا طفلاً.. وها هو التاريخ يعيد

نفسه.. تذهبين إلى المستشفى وتعودين إلينا بطفل جديد.. ونفكر فى اختيار اسم له.

.لكن هذه المرة ليست عملية ولادة قيصرية.. والطفل عمره خمس سنوات.

لمحت (حنان) زوجها شاردا فسألته:

.فيم تفكر؟

.لقد جاءتى فكرة عبقرية.. لماذا لا نجعل الطفل نفسه هو الذى يختار اسمه؟.. طالما أنه

يستطيع ذلك.. وليكن أول طفل فى التاريخ يختار اسم لنفسه بنفسه.

فكرة جيدة!

.انتهينا من السؤال الأول.. هل يمكن أن تخبرينى ما هو السؤال الثانى؟

.إن السؤال الثانى أصعب بكثير من الأول.

(25)

قالت (حنان): كيف سنعلن عن ظهور طفل جديد بهذا السن فجأة في حياتنا؟ كيف سنبرر أمام الناس ظهوره المفاجيء؟ كيف سنثبت وجوده رسميا في الأوراق الحكومية؟

. كل هذه الأسئلة هي السؤال الثاني؟

. ألم أخبرك أنه صعبا؟

بعد تفكير قال (راضى):

. ماذا لو أخبرناهم بالحقيقة؟

. أنت تمزح بالتأكيد.. أليس كذلك؟

لم يرد عليها.. ولم تخبرها ملامح وجهه بأى شيء.. هل يمزح أم أنه يقترح ذلك فعلا؟..

قالت:

. لا يمكن أن نخبر أحدا بالحقيقة.. أبدا.

أخرجها قائلا:

. ولكنك أخبرت أمك وأختك.. والله أعلم من أيضا.

. أمى وأختى فقط.. نعم أخبرتهما.. ولكن لا يعنى هذا أن علينا أن نخبر الجميع.. سوف أوصيهما مجددا ألا تخبرا أحدا بالحقيقة.. اطمئن.

. لا بد أن أمك قد أخبرت أهلك.. وأختك أخبرت زوجها.. ولا بد أن هناك بعض أفراد العائلة أو الأصدقاء أو الجيران قد سمعوا عن الأمر.

. لا أظن.. وإلا كانوا سيوزوننا لرؤية الطفل الجديد ويباركون لعودته.

. كلام منطقي.. لكن.. ماذا عن أمى وأبى؟

. قلت: لا أحد.

. لماذا؟ لماذا لا تريدان إخبار الجميع بالحقيقة؟

. إذن أنت لم تكن تمزح!

. أنا أناقش الأمر معك.. وأفكر فى حلول.

. حسنا.. أخبرنى باسم فرد واحد فقط ممن نعرفهم يمكنه أن يصدق هذه الحقيقة.. أننا

ذهبنا للمستشفى من أجل إجراء عملية زائدة دودية وعدنا من هناك بطفلين؟

بدا حديثها منطقيا له.. كان يعلم ذلك لكنه كان يحتاج إلى صوت مؤيد آخر بجوار صوت عقله.

. هذا يعنى أن إخبار الناس بالحقيقة سيجعلنا كاذبين فى نظرهم.. أما إذا اخترعنا كذبة

جيدة فسنبدو صادقين؟

. بالضبط.. لذا فكر فى كذبة جيدة يمكن أن يصدقها الجميع لأن الحقيقة لن يصدقها

أحد.

بعد تفكير قال (راضى):

. حسنا.. سنخبر الجميع بالأمر فى حفلة عيد ميلاد (وحيد).. لقد أخبرتني أنها بعد

أسبوع.

. نعم.

. حسنا.. سندعو جميع أفراد العائلة والمقربين والأصدقاء الأعزاء لحضور حفل عيد

الميلاد.. سنغنى Happy birthday to you لواحد من الطفلين بينما يختبئ الآخر تحت

المائدة.. ثم نطفئ الشموع.. يخرج الآخر من مخبئه.. ثم تعود الأضواء فيجدوا أمامهم اثنان

من (وحيد).

ابتسمت (حنان) ابتسامة إعجاب بالفكرة ومدحته قائلا:

. تصلح كاتب سيناريو.

كانت هذه من المرات القلائل التى تمدحه فيها.. ابتسم وتذكر زوجته الثانية (جوجو)..

ربما اكتسب مهارة التأليف منها.. فهى تخرع دوما سيناريوهات عجيبه.. تنتهز فرصة أى

مناسبة سعيدة لتفكر فى طرق جديدة مختلفة للاحتفال! أشياء لم تخطر على باله قط.. ولم

يتخيل نفسه أبدا أنه سيفعلها.. شعر فى تلك اللحظة بشوق جارف نحوها ونحو جنونها اللذين

المثير.

قالت (حنان) بلهجة مخطوط عسكري لحرب قادمة:

.. حسنا.. هكذا حددنا الزمان والمكان وطريقة الإعلان.. لكننا لم نحدد حتى الآن قصة ظهور الطفل الجديد فى حياتنا.

بعد العصف الذهنى.. قال:

.. ما رأيك يا (حنان) أن نقول أنك أنجبت توأمين لكننا لم نكن نعرف؟.. الطبيب لم يخبرنا لأنه أراد أن يحتفظ بالطفل الآخر لكى يبيعه فيما بعد.. لمن يعانون من مشكلة الإنجاب.. ثم تاب الطبيب هذه الأيام.. وأخبرنا بالعائلة التى اشترت الطفل.. ذهبنا لعنوانهم واستعدنا الطفل.. أو نقول أننا كنا نعرف أنك حامل فى توأمين لكن الطبيب أخبرنا أنه مات لكى يحتفظ به.. ولم نرد إخبار أحدا بالموضوع لأنه قد مات ولن نستفيد شيئا من إعلان مثل هذه الأخبار الحزينة.. ثم نقول أن الطبيب تاب وأعاد لنا الطفل من العائلة التى رتبته.. أو.. ما رأيك فى عصابة؟.. عصابة اختلطت الطفل الثانى عندما كان رضيعا.. وطلبت فدية كبيرة جدا.. لم نستطع دفعها ولم نبلغ الشرطة.. فلما منا أن العصابة ستعيده لنا فى النهاية.. لكنهم انتقموا منا وأوهمونا أنهم قتلوا الطفل.. ومرت الأيام والليالى ولم نخبر أحدا بهذه القصة ونسيناها.. لكن زعيم العصابة تاب.. وقرر إرجاع كل الأطفال المخطوفين إلى أهاليهم.. ولأن الطفل كان توأم فاستطعنا تمييزه من بينهم.

.. إمممم.. الفكرة الأخيرة جيدة.. لكن.. ستكون هناك الكثير من الأسئلة.. من هؤلاء العصابة؟ كيف تمكنوا من الاتصال بنا؟ هل كانت لديهم أرقام هواتفنا طوال هذه السنوات؟ هل الرقم الذى اتصلوا به لا يزال مسجل على هاتفك؟ كيف تم الاستلام؟ وأين؟ ومتى؟ وهل سلموا أنفسهم بعد توبيتهم هذه؟ لماذا لم نسمع عن عودة أطفال آخرين إلى أهاليهم؟ هل من المعقول أن تربي عصابة طفلا طوال هذه السنوات ثم يقرروا فجأة إعادته لكم؟ هل كل العصابة ثابت فى وقت واحد؟

حاول (راضى) إيجاد بعض الأجوبة:

.. سنقول أنهم ربوه لكى يعلموه السرقة ويصبح من أعضاء العصابة فيما بعد.. ولقد اتصلوا بنا من هاتف عمومى.. سنختار أى يوم وأى مكان ونقول أننا ذهبنا هناك ووجدنا الطفل جالسا مرعوبا.. بالتأكيد كان هناك أحد يراقبه حتى لا يهرب قبل وصولنا.. لا نعرف أى فرد من أفراد العصابة.. كل تعاملنا معهم كان عن طريق الهاتف.. لذا لا نعرف إن كانوا قد سلموا أنفسهم أم لا.. لا نعرف أى أخبار عنهم.. لا نعرف هوياتهم.

.. مازال الموضوع عسير التصديق.. ولن يصدق أحد.. خاصة قريبك هذا الذى يعمل فى الشرطة.

قال (راضى) ضاحكا:

.. (حازم) ؟.. إنه قريبك أيضا.

.. إن لديه نظرات رهيبية.. أتخشى دائما النظر إليه فى كل مناسبات العائلة.. إنه يصلح تماما لمهنته هذه.. أظن أن عتاة الإجرام يخشون أمام نظراته تلك ويعترفون بالجرائم التى ارتكبوها والتى لم يرتكبوها.. ربما لو نظر إلى وأنا أحكى القصة الملفقة التى اخترعناها عن الطفل.. قد أعترف له بالحقيقة وأخبره بكل شئ عن موضوع المستشفى.

.. حسنا.. سيعلم وقتها أنك تقولين الحقيقة.

.. ربما.. ولكنه لن يصدقها.. ولن يصدقها أحدا من الموجودين.

.. حسنا.. فلنلتزم بقصة العصابة التى تابت.. ونحفظ بعض التفاصيل الصغيرة حتى لا ينكشف كذبنا.

.. ألا توجد أفكار أخرى؟

.. ماذا عن فكرة أننا وجدناه فى الشارع هكذا.. أو أمام باب مسجد؟

.. إنه ليس طفلا رضيعا.

.. حسنا.. وجدناه فى الملاهى أو السينما.

.. أنا لا أمزح.

فكرت (حنان) لبعض الوقت ثم قالت:

.. فكرة أننا قد وجدناه عن طريق الصدفة غير منطقية.. الاحتمالات ضعيفة جدا.. فالاحتمال الأول هو أن نجد طفلا.. وهذا صعب.. الاحتمال الثانى أن نكتشف أن هذا الطفل هو ابننا.. وهذا احتمال صعب جدا.. بل مستحيل.. إلا إذا وجدناه أناس آخرون وقد أحضروه لنا لأنهم قد وجدوه يشبه ابننا.. هذا احتمال معقول.. لكن من هؤلاء الناس؟.. لابد أنهم أناس يعرفوننا جيدا ويعرفون شكل ابننا.. وهذا يعنى أنهم من الأهل أو الأصدقاء أو الجيران.. وفى نفس الوقت لابد أن نتفق معهم فى تفاصيل هذه الكذبة.

قال (راضى) بحزم:

.. لن نشرك أحدا معنا فى الكذب حتى لا يبتزونا بعد ذلك أو يكشفون الأمر.

.. لكننا نحتاجهم.

.. من قال هذا؟

.. هل لديك بديل لهم؟

قال (راضى) بثقة:

. نعم.. نحن لا نحتاجهم على الإطلاق.. لقد فكرت الآن فى فكرة جيدة.

. ما هى؟

. إن لدينا دليل قوى على صدق قصتنا الملفقة.. وفى نفس الوقت هذا الدليل يثبت أننا لا

نعرف أى شىء.. وبالتالي لا نحتاج لحفظ أى تفاصيل.

. وما هو هذا الدليل؟

. هل تتذكرين الإعلان الذى كنت أنشره كثيرا فى الجرائد للبحث عن والدى الطفل؟

قالت (حنان) بضيق:

. نعم.. أتذكره.. لماذا تتحدث عنه الآن؟

. هذا هو الدليل! سنقول أن هناك أناس طيبون صالحون وجدوا الطفل أمام منزلهم يبكى..

أخذوه ونشروا صورته فى الجرائد بحثا عن عائلة له.. وطبعاً أنا رأيت الإعلان مثل الجميع..

لم أهتم به فى البداية لأن (وحيد) ابنى معى وليس مخطوفاً و (يخلق من الشبه أربعين) .. لكنى

اتصلت بهم من باب الفضول بسبب ذلك التشابه الشديد المثير للسؤال.. أخبرونى بمكان

محدد لتسلم الولد.. وهناك وجدته يشبه ابنى بالضبط.. قمت بإجراء الفحوص والاختبارات

اللازمة فتأكدت أنه ابنى تماماً.. أو نقول أن العصابة التائبة هى نفسها التى نشرت الإعلان..

أو الطبيب التائب.

. لا.. لا داعى من (العصابة) أو (الطبيب) .. سنقول أنهم (أناس طيبون) .. هذا أفضل!

. كما تحبين.

. أناس لا نعرفهم.. نشرنا إعلانا فى الجرائد لأنهم قد وجدوا طفلاً لا يعرفون أهله.

. حسناً.. من أين أتى هذا الولد؟

. ما معنى سؤالك؟

. كيف نفسر ظهوره فجأة أمامهم؟.. أين كان طوال السنوات الماضية؟ كيف عاش؟

. كما قلت من قبل.. هذا الدليل يثبت أننا لا نعرف أى شىء.. سنقول أننا لم نسأل الناس

الطيبون.. أو أننا لم نقابلهم أصلاً حتى نستطيع سؤالهم.. أو أننا قد قابلناهم وسألناهم

لكنهم لا يعرفون شيئاً عن ماضى الطفل.. فالطفل لا يجيب عن أى سؤال عن حياته الماضية..

لا يعرف شيئاً أو أنه يعرف ولكن لا يريد الإجابة.

. وإذا فكر أحد المدعويين فى الحفل أن يسأل أى من الطفلين أسئلة عن حياته السابقة

فسوف يسمع منه إجابات تؤكد له أنه (وحيد) وليس الطفل الثانى الجديد.

أكملت (حنان) معه التفكير فى خطته:

لذا يجب أن نحافظ على عدم جمع الطفلين في مكان واحد أثناء الحفل.. حتى لا ينكشف أمر أنهما يملكان نفس الذاكرة.

لا تقلقى.. إن الأطفال دائما كثيرى التحرك.. خاصة فى الحفلات.. ولا يمكن الإمساك بواحد منهما من الأساس.. وحتى لو حدث ذلك وانكشف موضوع الذاكرة يمكن تعليل الأمر بأنهما جلسا سويا لفترة طويلة وعرفنا حكايات بعضهما.

- جميل!

- وبهذه الطريقة.. يمكننا أن نجعل (حازم) نفسه يساعدنا.

- كيف؟

- بالتأكيد كنت سأضطر لدفع رشوة لأحد الموظفين من أجل تسجيل الطفل الجديد فى أوراق رسمية باسمى.. فالطفل يبلغ من العمر خمس سنوات.. الرشوة كانت ستجنبنى استجواب دائم بشأن ظهور الطفل المفاجئ.. أما عندما يقتنع (حازم) بالأمر فسوف يستخدم سلطاته ومعارفه فى تسهيل كل الأمور لنا.. فالقصة التى سنرويها ستجعل الجميع يتعاطف معنا.. ابننا الذى حُرِمنا منه لخمس سنوات كاملة يعود إلينا عن طريق إعلان جرائد.. والدليل التشابه الشديد بين الطفلين.. لن يظن أحدا أننا قد خطفنا طفلا ونريد نسبه إلينا.. والدليل الآخر هو إعلان الجرائد الذى سيدعم قصتنا الملفقة.. لم أكن أظن أن الإعلان سيكون ذا فائدة بهذا الشكل..

والآن: ما هو السؤال الثالث؟

قالت (حنان):

- السؤال الثالث: كيف سنستطيع التمييز بينهما؟ لابد أن نجد وسيلة مناسبة.. بالتأكيد لن نستخدم الحبر الفسفورى طوال الوقت.. ولا تظن أنتى سوف أوشم ابنى أو أسبب له عاهة مستديمة لأميزه عن أخيه.. لذا لابد أن نفكر فى وسيلة جيدة لتمييزهم عن بعض.. كما يحدث مع التوائم المتشابهة فى جميع بقاع الأرض.

سألها (راضى):

- ولماذا نريد تمييزهم؟ لا نحتاج إلى ذلك.

- لا.. لابد أن نجد فرقا بين الاثنين حتى..

قاطعها محتجا:

.. حتى ماذا؟.. ما الفائدة التي ستعود عليك من تمييزهم؟
لا بد أن نجد فرقا بين الاثنين.. ما فائدة الأسماء إذن طالما أننا لا نستطيع تمييزهم عن بعض؟
فائدة تسجيل الاسم الجديد هو إثبات أن لدينا طفلان وليس طفلا واحدا.. أما في هذه السن الصغيرة فلا فائدة من التمييز بينهما.. وتذكرى أنه لا فرق بينهما فعلا.. حتى في البصمة التي تفرق بين الجميع.
.. لا تحاول إقناعي.. لا بد أن أفرق بينهما حتى أعرف.. مثلا من أكل طعامه ومن لا يزال جائعا.. من استحم ومن لم يفعل.. من كسر شيئا لا بد أن أعاقبه.. لن أتركه دون عقاب لمجرد أنني لا أستطيع تمييزه عن أخيه.. حتى في الحضانة أو المدرسة لا بد أن يكون هناك فرق لتشجيع المجتهد منهم وتوبيخ المهمل.
.. حسنا.. فلنفكر في طريقة.. ما رأيك في تمييزهم عن طريق الملابس.. واحد دائما يرتدى الملابس الحمراء والثاني يرتدى الملابس البيضاء.. واحد أهلاوى والثاني زمكاوى.
.. سيفيرون من بعضهم وربما يبدلون الملابس دون أن ندري.. لا بد من فرق جوهري.. لا يمكن محوه أو تبديله أو تغييره.. من الأفضل أن يكون فرق جسدى.
قال ساخرا:
.. ماذا؟ هل تريدان إصابة أحدهم في قدمه مثلا فيكون أعرج.. والثاني سليم.. أم ستخلعين أسنان أحدهم والآخر لا.. أم تتقبين أذنه وتضعين فيها قرطا.
قالت بلهجة صارمة:
.. لن أسمع لك ولنفسى ولأى أحد بإيذاء أى من أطفالى.
بعد تفكير.. قال (راضى):
.. وجدتها!

(26)

قال (راضى) سعيدا بالفكرة التى توصل إليها:

.وجدتها.. ووجدتها! فرق جسدى.. لا يمكن محوه أو تبديله أو تغييره.

سألته (حنان) بقلق:

.ما هو؟

.سوف نحلق لأحدهما شعره تماما.. والآخر لن يحلق شعره أبدا.

فكرت (حنان) فيما قاله ثم..

.فكرة جيدة.. لكن.. الشعر يطول باستمرار.

.سوف نحلق شعره باستمرار.. لن يكون قريبا أبدا من شعر أخيه.

.ربما يغير أخيه منه ويحلق شعره أيضا.

.لن يستطيع.. ولن يذهب للحلاق بدون علمنا.

.إمهمم.. لكننا بهذه الطريقة نكون قد حكمنا على أحدهم بحرمانه من الشعر طوال عمره

والآخر منحناه الشعر طوال عمره.

.نحن نتحدث عن ذكور هنا.. الشعر لا يمثل لنا أهمية كبيرة.. بل إن حلاقه تماما تكون

موضة فى بعض الأوقات.

لم يبد عليها الاقتناع فقال:

.إنه وضع مؤقت! لا تقلقى.

.كيف؟

.ألم تقولى بنفسك أنهما لم يعودا مثل بعضهما؟.. وأن ذاكرتهما تختلف باستمرار بسبب

أى أحداث جديدة؟.. يمكن أيضا تخمين أن جسديهما قد يختلفان فى المستقبل.. فيصبح

أحدهما نحيفا والآخر سمينا.. هكذا يمكننا التفريق بينهم.. أيضا تلك الحادثة القديمة..
حادثة الأرجوحة.. لقد رأينا نفس الإصابة عند الولدين.. أظن أن هذه الحادثة لو حدث الآن
فسوف نجد الإصابة عند واحد فقط.

قالت (حنان) بغضب:

. هل تريد القول أن (حلق شعر الرأس) علامة مميزة مؤقتة حتى يحدث لهما مكروه . لا
قدر الله . فنجد علامة مميزة أقوى؟

. ليس هذا بالضبط ما أردت قوله .

رفعت يدها فى حزم قائلة:

. لا أريد سماع المزيد .

. حسنا.. هل لديك أفكار أفضل؟

. فى الوقت الحالى لا.. لكنى لن أتوقف عن التفكير فى الأمر .

. حسنا.. انتهينا من السؤال الثالث .

نهض من مقعده وقال:

. هل هناك أى أسئلة أخرى؟

. لا.. انتظر.. إلى أين؟.. لا بد أن نحدد اسم الطفل أولا.. هل نسيت؟

. لا.. اختارى مع ابنك الاسم المناسب وأنا موافق .

. سوف يختار الاسم أمامك حتى لا تقول أنى حرضته على اختيار اسم معين .

وقبل أن ينطق بكلمة تركته لتستدعى الطفلين أو طفل واحد منهما ليختار اسما جديدا له..

لكن أيهما ستختار.. ابنها الجديد؟ أم ابنها الذى ربته؟

المشكلة أنها لن تعرف .

تذهب (حنان) لغرفة الأطفال.. تجد الطفلين يلعبان بالمكعبات.. يجلسان مواجهين

لبعضهما.. رآها الذى وجهه ناحيتها.. صاح مناديا إياها:

. ماما .

بينما الذى يولى ظهره لها.. مستغرق فى اللعب بالمكعبات ولا يهتم فى الكون كله بشئ آخر

غيرها.. كأنه يراها ويلعب بها لأول مرة .

كانت (حنان) فى حيرة شديدة.. أيهما تختار؟

. (وحيد).

أجابها الذى يراها من البداية.. بينما تجاهلها الآخر وقد توقعت العكس.. كانت تظن أن الاثنان سوف يستجيبان لندائها كالعادة.. فالأثنان يحملان اسم (وحيد) حتى هذه اللحظة.
تعالى.

نهض واحد فقط.. ذلك الذى أجاب نداءها.. هذا سهّل عليها الكثير.. لو أتيا الاثنان لوقعت فى حيرة كبيرة أمام زوجها.

أمسكت يده وألقت نظرة على الآخر الذى مازال مشغولا بالعباءة.. حمدت الله أنه لم ينهض وراءهما.. لقد توقعت حدوث العكس.. بسبب الغيرة لأن أمه أخذت أخيه ولم تأخذه.. أو بسبب كراهية الوحدة.. فالأطفال لا يحبون أن يبقوا وحدهم فى الغرف.. حتى لو كانت غرف ألبابهم.

وفى الطريق إلى زوجها سألت ابنها بصوت هامس:

لو اخترت أن نناديك باسم آخر غير (وحيد) .. ما هو الاسم الذى تختاره لنفسك؟

أجاب الطفل على الفور:

. (علاء الدين).

. (علاء؟)

لا.. (علاء الدين) مثل قصة (علاء الدين والمصباح السحري).

حسنا.. إذا فكرنا فى اسم آخر.. فكر.. أى اسم تختاره لنفسك؟

. (على بابا).

. (على؟)

لا.. (على بابا) مثل قصة (على بابا و..

قاطعته قائلة:

. (الأربعون حرامى) .. أعرف.. لا.. فكر فى اسم آخر..

. (سندباد).

لا.. اسم آخر.. هيا.. لقد اقتربنا.. ما رأيك فى اسم..

ثم بترت جملتها عندما سمعت صوت زوجها.. إلى من يتحدث؟ لقد كان بمفرده.

هل يتحدث فى هاتفه؟

لكنها تسمع صوتا آخر معه.. من الذى دخل الفيلا فى تلك الدقيقة التى غابها عنه؟

ثم أرهفت السمع.. إن الصوت الآخر يبدو مألوفا تماما لها.

وصلت إلى زوجها..
وشهقت من المفاجأة التي وجدتتها..
آخر شخص تتوقع أن تجده مع زوجها.. ويجلس على حجره.. ويُقبّله.

(27)

فاجئها زوجها قائلاً:

. اسمعى .. سأخبرك بالحقيقة.

قالت (حنان) مذهولة:

. أى حقيقة؟

. لا تنزعجى هكذا .. سأخبرك بكل شئ.

صاحت قائلة:

. تكلم.

تمجّب من لهجتها العنيفة فالموضوع لا يستحق كل هذا الغضب من وجهة نظره .. قال:

. الحقيقة أننى كنت جالساً .. لم أسمع والله .. ثم أتى فجأة .. وسألته بنفسى عن الاسم

الذى يختاره لنفسه فقال (حزئوم).

ثم ضحك بعدها .. لم تضحك (حنان) .. سألتها مندهشة:

. ما هذا؟

كانت تشير نحو ابنتهم (وحيد) الذى يجلس على حجره .. وكان يُقبّله من وجنته عند

دخولها.

. هذا ابننا (وحيد) .. أو (حزئوم) كما اختار بنفسه الاسم.

قالت (حنان) بارتباك:

. طفل ثالث!

قال زوجها مندهشاً:

. ما الذى تقولينه؟ طفل ثالث! ماذا تقصدين؟ أين هو؟

. هذا الطفل الذى على حجرك هو الولد الثالث الذى يدخل حياتنا ويتعامل معنا على أننا أبواه.. كيف جاء إليك؟ من أين أتى هذا الولد؟
. اهدئى يا حبيبتى.. هذا ابننا (وحيد) كان فى دورة المياه وخرج منها وأتى إلى هنا ورددت معه قليلاً بشأن الاسم، ولقد اتفقنا على اسم (...)
قاطعته قائلة:

. دعك من الاسم الآن.. أريد أن أفهم كيف ظهر هذا الطفل.
ثم اتجهت نحو الطفل الذى يجلس على حجر أبيه وتحسست وجهه وسألته:
. من أنت؟
. أنا (وحيد) يا ماما.
سألها (راضى) منزعجاً:
. ما بك يا (حنان)؟
ابتلعت ريقها وقالت:
. لقد صار لدينا ثلاثة (وحيد).

أنزل (راضى) ابنه من حجره واتجه إلى (حنان) وقبض على ذراعيها وقال:
. ماذا تقولين؟ إن لدينا اثنان فقط.. أين هذا الثالث؟
قالت (حنان) وهى على وشك الانهيار:
. الثالث هو الذى كان يجلس على حجرك.
. لا.. هما اثنان فقط.
ثم أشار للطفل الذى يقف خلفها وقال:
. واحد.
ثم أشار للطفل الذى يقف بجواره وقال:
. اثنان.. أين هذا الثالث؟
. هناك (واحد) فى غرفة الأطفال.. كان يلعب مع الثانى الذى جاء معى إلى هنا.. أما هذا الثالث فلا أعرف عنه شيئاً.
ثم اتجهت نحو الطفل وسألته:
. أين كنت؟

قبض (راضى) على ذراع زوجته بقوة وقال لها:
. تعالى معى لنرى هذا الثالث.. يبدو أننا لن نتوقف عن استقبال التوائم.
وصلوا الأربعة إلى غرفة الأطفال وقالت (حنان):
. ها هو.

ثم اكتشفت أنها تشير نحو الفراغ.. لا يوجد أى أطفال بالعرفة فقالت:
. كان هنا بالضبط.. لابد أنه يختبئ فى مكان ما.. نحن نلعب لعبة الاختباء كثيرا.
ثم اتجهت للسريـر لتبحث أسفله وهى تقول:
. (وحيد) .. حبيبى.. اظهر.. أنا ماما.
بحثت فى أماكن كثيرة داخل الغرفة وخارجها لكنها لم تجد أثرا لهذا الطفل الثالث فسألها
زوجها:

. هل أنت متأكدة حقا أنك رأيت طفلا ثالثا؟
. نعم.

ثم سألت ابنها الذى انتزعته من اللعب من أجل اختيار اسم جديد له:
. مع من كنت تلعب؟
. مع أخى.

نظرت لزوجها وقالت بانتصار:
. أرايت؟

سأله أليه:

. أخوك من؟

أشار الطفل بهدوء نحو أخيه الواقف معهم وقال:
. أخى هذا.

نظر زوجها إليها نظرة خاصة تعنى كلمة واحدة (أرايت؟) .. فالتفتت لابنها مرة أخرى
لتسأله:

. (وحيد) يا حبيبى..

أجاب الطفل الآخر بدلا من الطفل الذى تسأله:
. نعم يا ماما.

قالت (حنان) بغضب لزوجها:

. ألم أقل لك يجب أن تختار اسم جديدا لأحدهم؟

ثم عادت لطفلها تسأله من جديد:
. ابني حبيبي.. مع من كنت تلعب عندما دخلت الغرفة؟ .. كنتما تلعبان سويا بالمكعبات؟ من
الذى كان يلعب معك؟
قال الطفل:
. كنت ألعب وحدي.
صاحت أمه:
. كذاب.. والكذاب يذهب إلى النار.
قال (راضى) محاولا تهدئتها:
. ولماذا يكذب؟
. ما الذى تعنيه؟ هل تصدقه؟ هل تظن أننى أتوهم؟
ثم اتجهت إلى الطفل الآخر وأمسكته من ملابسه وسألته:
. من أنت؟ ومن أين أأأ..
ثم انتبهت إلى الملابس التى تمسكها.. إنها نفس الملابس التى ألبستها له هذا الصباح.. إنه
حقا ابنها.. أما ذلك الذى كان يجلس مع ابنها فكان يلبس ملابس أخرى.. حاولت تذكر اللون..
كان أزرق.. ربما.. ليست متأكدة.. إن معظم ملابس ابنها بنفس اللون تقريبا.. الاختلاف فى
التصميم والرسومات.
اندفعت نحو دولاى ملابس الأطفال.. تبحث عن الملابس التى رأتها على الطفل.. راحت
تقرغ محتوياته بعصبية على الأرض.
. اهدئى يا (حنان).
. أنا هادئة تماما.. هل تعتقد أننى مجنونة وأتخيل أشياء؟ .. لا.. لقد كان هنا طفلا ثالثا
ولقد رأيته بنفسى.
ثم سألت ابنها مجددا:
. مع من كنت تلعب عندما ناديتك؟
أجاب الطفل وهو يختبئ خلف أبيه خوفا من أمه:
. لا أحد.
قال (راضى):
. إن الأطفال لا يكذبون.
من قال أن الأطفال لا يكذبون؟

ثم راحت تبحث فى الغرفة عن ذلك الطفل الثالث وهى تحاول تذكر ملابسه.. كانت زرقاء.. وتذكرت شيئا آخر.. كان يغطى رأسه بقبعة.. لم ترى رأسه.. لم يلتفت لها قط.. ربما كانت دمية فى النهاية وقد ألبسوها ملابسهم.. لكنها تتذكر أنه قد تحرك كثيرا أمامها.. لا يمكن أن يكون دمية أبدا.. كان طفلا فى عمر ابنها بالضبط.. فمن أين أتى؟ وأين ذهب؟

طلبت (حنان) من زوجها أن يبيت معهم فى تلك الليلة.. لا يتركهم بحجة العمل فى الشركة.. فهم (راضى) على الفور أن السبب هو خوفها.. لا توجد أسباب أخرى مثل الحب واللوعة والاشتياق.. هذه أشياء نستها (حنان) منذ زمن.
تعلم أمامها بأن لديه الكثير من العمل فى الشركة حتى يستطيع إقناعها بضرورة خروجه.. لكنها ألحت وأصرت.. ولم يجد مفرًا.

جلس الأربعة على مائدة العشاء.. نظرت (حنان) إلى الطفلين وابتسمت.. منذ شهر مضى كانوا ثلاثة فقط.. الآن أصبحوا أسرة من أربع أفراد.. طفل توءم جديد انضم للأسرة الصغيرة.. ومن يدري؟ ربما كان هناك طفل ثالث.. ما رآته اليوم ليس وهما! هى متأكدة.
طفل ثالث!

لقد استقبلت المفاجأة الجديدة بشعور مختلف تماما عن المرة السابقة.. شعور خوف ورهبة وأشياء أخرى لا تدري عنها.. ولا تستطيع تفسيرها.

فى المرة السابقة عندما رأت طفلا ثانيا يشبه ابنها كانت تغمرها الفرح.. تريد أن تخطفه وتطير به.. شعرت أن هذا تعويض على صبرها.. أما ظهور طفل ثالث اليوم كان مفاجأة مخيفة بالنسبة لها.. ما الأمر؟ ما الذى يحدث؟ يمكن أن يقبل المرء بحدوث معجزة واحدة فى حياته.. لكن بالتأكيد حدوث معجزة كل شهر أمرا مثيرا للخوف والرهبة والذعر.. وهل سيظهر طفل جديدا شبيها بابنها كل شهر؟ وإلى متى سيستمر هذا التكاثر؟ وكيف يحدث؟ ومتى يتوقف؟

يمكنها أن تربي طفلا جديدا يشبه ابنها.. لكن لا يمكن أن تربي دسنة.. قبيلة.. عشيرة.. شعب.. يشبهون ابنها.

لذا فهى فرحت هذه المرة عند اختفائه.. فرحت من داخلها أنهم يقولون أن هذا وهم.. فرحة النائم عندما يكتشف أن كل ما يراه كابوسا ولا يحتاج سوى الاستيقاظ فقط وينتهى كل شيء.. لا يوجد طفل ثالث.. هذا جميل بالنسبة لها.. فلو كان الأمر حقيقيا لتوقعت تكرار

حدثه سنويا أو شهريا.. وربما أسبوعيا أو يوميا.. إنها تتمنى أن يكون الأمر وهما حقاً.. إنها تطير من السعادة بوجود طفل ثان في حياتها.. لكنها لا تحتاج إلى طفل ثالث.. تكفى بهذا التعويض ولا تريد أى مكافآت أخرى.

نظرت إلى زوجها.. رأته شاردا.. قالت:

. (راضى) .. لا تنس أن تضع الفوطة.

ابتسم لها ابتسامة باردة ونفذ ما تريده.. ثم تذكر زوجته الثانية (جوجو) .. إنها لا تهتم بمثل هذه الأشياء.. يمكن أن تأكل في أى مكان ودون أن تضع أى فوط.. بل أحيانا دون أن تضع أى ملابس.. تذكر المرة التى رآها فيها تطهو الطعام داخل المطبخ وهى ترتدى مريلة المطبخ فقط على جسدها.. مرة أخرى دخل فوجدها خلعت المريلة أيضا.. كانت تضع الطعام له فى أى مكان يجلس فيه.. حتى لا ترهقه.. لم تشترط يوما أن يجلس على منضدة الطعام من أجل الأكل.. كانا يأكلان فى أى مكان.. على الأرض.. على السرير.. على الأريكة.. فى إحدى المرات أكلنا داخل حوض الاستحمام.. الحياة معها سهلة بسيطة دون أى قواعد أو قيود.. يمكن أن تحضر له شطيرة يأكلها دون أن يغادر فراشه.. ويمكن أن تحضر له فوطة مبللة بالماء وأخرى جافة لينظف يده إن كان هناك آثار للطعام عليها.. المهم عندها راحته.. تعيش من أجل ذلك.. ربما لأنها الزوجة الثانية وتريد نيل رضاه من أجل إعلان زواجهم.. أو لتدفعه لتطبيق الأولى وتصبح هى فقط الزوجة الوحيدة الجالسة على عرش قلبه.. ربما لو كانت هى الزوجة الأولى لاختلفت المعاملة.. من يدري؟!

. لا نتحدث على مائدة الطعام.

قالتها (حنان) لأحد الطفلين فخرس تماما.. كان (راضى) يفكر فى قول (أليس هذا حديثا على الطعام أيضا؟) .. كان يمكنها أن تضع إصبعها على فمها وتكتفى بهذه الإشارة. لكنه لم يرد أن يتحدث حتى لا يظهر لها مدى ضيقه من هذا العشاء الرتيب الملل.. بالتأكيد زوجته (جوجو) كانت تجهز له عشاء فاخرا فاجرا كما وعدته.. فاخرا بأشهى المأكولات.. فهى تتابع برامج المرأة ليلا ونهارا خاصة برامج الطهى.. وتجرب كل جديد تشاهده.. لديها كل الوقت من أجل متابعة هذه البرامج.. لا يشغلها شئ سوى إطعام زوجها وإسعاده.. وأطلقت عليه (عشاء فاجرا) لأنه بالتأكيد عشاء لا يخلو من الأفكار الخليعة التى تتميز بها.. ثم تذكر المرة التى اقترحت فيها أن يتناولوا العشاء عرايا فى غرفة النوم.. ثم تذكر أنها كانت أكثر جموحا فى خيالها واقترحت أن يأكل من.....

"الملعقة التى تسقط.. اتركها كما هى.. وأكمل طعامك بملعقة أخرى.. هل تسبى ما أقوله؟"

قطع صياح (حنان) حبل ذكريات (راضى) بشأن زوجته الثانية.
ثم فكر فى حالها الآن.. لايد أنها حزينة تتناول الطعام وحدها.. أو لا تتناوله بسبب ضيقها من غيابها.. ثم تذكر ما كانت تفعله من أجله إذا لاحظت شعوره بالضيق أو الحزن أو الاكتئاب.. كانت تروى له نكات كثيرة.. معظمها نكات خبيثة.. أو نكات عادية وتحولها بخيالها لنكات خبيثة فتثير ضحكها.. تذكر إحدى نكاتها فضحك أثناء تناوله الطعام.. سألته (حنان) بهدوء:

لماذا تضحك؟

لقد تذكرت شيئاً.

وما هو؟

أجابها بعدة:

ماذا؟ هل الضحك ممنوع بالنسبة لى أيضاً؟

لم تشأ (حنان) أن تتشاجر معه على مائدة الطعام أمام الطفلين لذا قالت بهدوء:
لا.. لم أقل أنه ممنوع.. كل ما هنالك أريد أن أعرف ما الذى تذكرته وأضحك هكذا فجأة.. ربما أضحك معك.

لم يعلق.. وتوقف عن الأكل.. كان غاضباً منها لأنها عكرت صفو ذكرياته.. سألته:

لماذا لا تأكل؟

أمسك الفوطة وألقاها على المنضدة بعنف بجوار أطباقه وقال:

شبهت.

"حان موعد النوم"

قالتها (حنان) بطريقة حازمة لطفليها فتهضا على الفور من مكانهم واتجها إلى غرفة نومهم.. ابستمت لزوجها قائلة:

أئن تنام؟

كان (راضى) جالسا على المقعد ينظر إلى هاتفه.. قال لها دون أن يرفع عينيه عنه:

لا.. ليس الآن.. اذهبوا أنتم إلى النوم.

اقتربت (حنان) منه وقالت هامسة:

. ولكن.. كنت أريد أن تنام معنا.

. كيف؟

. في نفس الغرفة.

ابتسم (راضى) ونظر إلى زوجته بخبت وقال:

. ولكن.. الأطفال!

قالت ببرود:

. سوف تنام مع واحد على سرير.. وسأنام مع الآخر على السرير الآخر.

شعر (راضى) بالإحباط.. لقد فهم حديثها وخطتها بطريقة خاطئة.. سألها:

. لماذا كل هذا؟ أود أن..

قاطعتة قائلة:

. لأشعر بالأمان.

. أما زلت خائفة؟

أومأت برأسها إيجابيا وتلفتت حولها بحركة عفوية.. فقال مندهشا:

. ظهور طفل ثالث في حياتنا يسبب لك كل هذا الخوف.. ولماذا لا تخافين من الطفل الثاني

الذى يبيت فى حضنك كل ليلة؟

. كيف أخاف منه وهو ابنى؟ لكن الذى رأيته اليوم ليس...

عندما لاحظت تلعثها فى إكمال الجملة فساعدتها قائلاً:

. ليس ابنك؟

. بل ليس طفلاً..

ثم اقتربت منه أكثر وأجابت:

. وربما ليس بشراً أصلاً.. فاختفائه مازال يثير ذعري.

. ماذا تقصدين؟ هل تعنى أنه كان...

. أرجوك.. لا تكمل الجملة.. نحن فى الليل.. ولقد أخبرتني أمي أنهم يأتون عندما يذكرهم

أحد بالخير أو بالشر.

فوجيء بها تحتضنه وتتابع:

. أنا خائفة جداً.

لا يتذكر (راضى) متى كانت آخر مرة احتضن فيها زوجته (حنان).. منذ كم عام تقريباً؟

أم أنه قد احتضنها مؤخراً؟ ربما يوم عملية الزائدة الدودية لـ (وحيد) ليبت بعض الطمأنينة

لها!

حاول تغيير الموضوع لتتسنى خوفها وسألها:

.. هل فكرت في اسم للطفل؟

.. ألم نقل أن الطفل سيختار بنفسه؟

حاول إضحакها فقال:

.. حسنا.. لقد اختار (حزئووم) .. دون أى ضغوط منى.

ضحكت وقالت:

.. والثانى اختار (علاء الدين) و(على بابا) .. أو (سندباد) .

.. يبدو أن الأطفال لا يستطيعون اختيار أسمائهم بأنفسهم.

.. والعمل؟

.. حسنا.. اختارى أنتِ.. لقد اخترت أنا اسم الطفل الأول.. الدور عليكِ كما تقولين.

ابتسمت ابتسامة صافية ثم قالت:

.. لا.. اختر أنتِ.. وأنا موافقة على أى اسم تختاره.

ضحك قائلاً:

.. ما كل هذا الرضا!

ابتسمت ولم تعلق فقال:

.. حسنا.. عندى فكرة جيدة.. جدى الله يرحمه كان ينفذها.. فى يوم ولادة الطفل كان

يخرج من منزله إلى الشارع ويسأل أول رجل يقابله عن اسمه.. ويسمى الطفل عليه.. فكرة تعتمد على الحظ والعشوائية.

.. وإذا كان المولود أنثى.. فهل كان يسأل أول امرأة يقابلها فى الشارع عن اسمها؟

.. لا.. لم يكن يهتم.. ونحمد الله أنه لم يئدها.

ضحك ثم تابع قائلاً:

.. الجيل القديم كان يكره إنجاب البنات.

فكرت (حنان) قليلاً ثم قالت:

.. وهل كان أبوك ينفذ هذه الفكرة أيضاً فى اختيار الأسماء؟

.. لا.. لماذا تسألين؟

.. توقعت أن تكون الإجابة ب (نعم) .. فلا يوجد سبب مقنع لاختيار اسم (راضى) إلا إذا كان

اختيار الاسم تم بطريقة عشوائية كذلك.

صاح (راضى) غاضباً:

. ألا يعجبك اسم (راضى)؟ هل كنت تريد أن ينادوا باسمه (لؤى)؟ شعرت (حنان) أنها تققد زمام الأمور.. ربما يستغل (راضى) الفرصة لإعلان غضبه ثم يأتي بعد ذلك قرار الرحيل.. وهى تريد أن يبيت معها الليلة بأى ثمن.. لو أن الوقت نهارا لباتت مع طفلها عند أمها.

. لا طبعاً.. يعجبنى اسم (راضى) والذى يحمل اسم (راضى). قالتها بفنجان ودلال ثم أردفت:
. ألن ننام؟ كانت تريد النوم بأقصى سرعة قبل أن يبتكر طريقة أخرى لادعاء الغضب ثم الرحيل. وفى غرفة الأطفال سأل:

. من سينام معى؟ وعلى أى سرير؟

صاح الطفلان فى نفس واحد:

. أنا أريد النوم معك يا بابا.

. لا.. واحد سينام معى والآخر سينام مع ماما.

صاح الطفلان أيضاً فى نفس واحد:

. أنا سأنام مع ماما.

قال (راضى) بصوت هامس:

. الأوغاد.

ثم رفع صوته وقال:

. حسناً.. سنحل هذه المعضلة باستخدام القرعة.

وأخرج من جيبه العملة المعدنية.. سألتها (حنان) متعجبة:

. ألا تفارقك هذه العملة أبداً؟

استيقظ (راضى) على صوت هاتفه المحمول فكتف صوته على الفور.. رأى الاسم الكودى.. فعرف أنها زوجته الثانية.. يسجلها باسم رجل حتى لا تكشف (حنان) الموضوع.. رفض استقبال المكالمات.. فوجدتها تتصل مرة أخرى.. اشتعل غضبه.. لقد حذرهما من عدم الاتصال به وهو فى منزله.. وحذرهما أكثر ألا تعاود الاتصال به إذا رفض المكالمات فهذا يعنى أنه مشغول أو لا يمكنه الرد بسبب وجود زوجته بجواره.

رفض المكالمة مجددا.. فرأها تتصل به مرة أخرى.. كان فى أقصى درجات غضبه.. لماذا تتصل به الآن؟ وهذه الليلة بالذات؟ الليلة التى ينام فيها مع زوجته وأبنائه فى غرفة واحدة.. لو كان فى غرفة النوم الأخرى لاستطاع الرد عليها.

نظر إلى (حنان) .. كانت مستغرقة فى النوم على السرير المقابل مع أحد الطفلين.. نهض بهدوء حتى لا يوقظ الطفل الذى ينام بجواره.. ثم اتجه إلى غرفة المكتب ليتحدث من هناك.

.ألو.. ما الأمر؟ ألم أقل لك ألا تتصل بى أبدا إلا فى حالة الضرورة القصوى؟

. انقذنى يا (راضى) .. انقذنى.

. لا لا.. هذا ليس وقت تمثيلات الآن.

. أنا لا أمثل.. تعالى بسرعة.

. لا لا.. لن أصدق هذه الأعيب.. هذه ليست ليلتك.. لن أستطيع المجيء.. أجلى الفيلم لليلة أخرى.

. أنا لا أمزح.. أرجوك صدقتى.

(28)

قالت (جوجو) بذعر:

. هناك رجال وجوههم غريبة.. يطرقون الباب بعنف.
لهجتها تدل على أنها مذعورة فعلاً.. لكن من قال أن (جوجو) لا تجيد التمثيل.
من هؤلاء؟

. لا أعرف.

. هل تحدثت معهم؟ هل سألتهم ماذا يريدون؟
. نعم.. ولا يردون.. يطرقون الباب بعنف ويدقون الجرس.. أظن أنهم يريدون خلع
والاقتحام.

ضحك (راضى) وقال:

. حسناً.. هذا المشهد من أى فيلم؟

. صدقتى.. هذا ليس مشهداً.. أنا فى مأزق.. أقسم لك..

. يا حبيبتى.. أنا لا أسمع صوت طرقات الباب ولا الجرس.. التمثيلية غير مقنعة.. كان لابد
أن تستعيني ببعض المؤثرات الصوتية.. على أى حال لا أنكر أنك قد اقتعتينى لثوان أنك
قاطعته قائلة:

. أنت لا تسمع أى أصوات لأنى أتحدث إليك من مكان بعيد عنهم.. لقد اختبأت داخل
الدولاب حتى لا يسمعون صوتى فيعرفوا انى بالداخل.. ربما يصيبهم الملل ويرحلون.
. مازلت لا أصدقك.. فهذه ليست أول مرة لك.

قالت وصوتها يتهدج من البكاء:

. أتخلى عنى لأنك لا تصدقتنى أم لأنك لا تريد ترك حبيبة القلب؟

شعر بالحيرة.. هل هذه تمثيلية أخرى من تمثيلياتها أم أنها فى مأزق بالفعل؟ قال لها:
.. أنا أحبك أنت فقط.

قالها بهمس.. خشية أن تكون (حنان) واقفة أمام باب الغرفة تسترق السمع.. قالت
(جوجو) متوسلة:

.. أرجوك تعالى انقذنى بسرعة إن كنت تحببى.

كلماتها تدل على أنها تمر بموقف عصيب فعلا.. لو كانت فى ظروف أخرى لاهتمت بما
يقوله فى شأن حبها.. لكنه سألها ليتأكد:

.. من هؤلاء؟ وماذا يريدون منك؟

.. لا أعلم والله.. عندما تأتى أسألهم.

لا مفر من الذهاب إليها.. لكن بعض التحذير قد يكشف الحقيقة وليكن إنذاره الأخير
لها:

.. إذا كانت هذه تمثيلية أقسم أن..

.. فلتفعل ما تريد.. لا يهمنى.. المهم أن تأتى بسرعة.

وأغلقت السماعه.. أسرع (راضى) إلى دولاى ملايسه وغيرها بسرعة وانطلق إلى شقة
(جوجو) والأفكار تجتاحه طوال الطريق.. هل تمزح معه أم...؟

xxx

استيقظت (حنان) من نومها.. على صياح ابنها:

.. ماما.. أريد أن أشرب.

.. (راضى).. أحضر كوب ماء للولد.

توقعت أن يلومها على إيقاظه.. ثم يلومها بعد ذلك لأنها تمنعه من وضع كوب ماء على
المنضدة بجوار السرير.. ثم يلومها بعد ذلك على أى شىء حتى لو كان ثقب طبقة الأوزون..
لكنها لم تتلق أى رد.. ظنت أنه نائم.. صاحت مرة أخرى لتوقظه فاستيقظ الطفل الآخر.. لم
يجد أبيه بجواره.. فتهض من سريره وراح لينام بجوارهم على السرير.

شعرت (حنان) بالغضب الشديد لعدم وجود زوجها فى السرير المقابل كما اتفقت معه هذه
الليلة.. توقعت أن تجده فى الغرفة الأخرى.. لكنها لم تجده.. أين ذهب فى تلك الساعة؟
.. ماما.. أريد أن أشرب.

وصل (راضى) إلى شقة (جوجو) .. لم يجد أى رجال هناك!
أين هؤلاء الرجال الذين كانوا يريدون اقتحام الشقة؟ هل رحلوا؟ أم أنها كانت تمثيلية
أخرى وأجادت (جوجو) حيكها كالعادة؟
لكنه لاحظ شيئاً غريباً .. كان الباب موارباً .. وهى لا تترك بابها هكذا أبداً.
ما الذى يعنيه هذا؟
دفع الباب بحذر وهو يتوقع أن يجد الرجال بالداخل .. بالتأكيد هم الذين دخلوا الشقة
وتركوا الباب ورائهم موارباً.

وربما رحلوا بعد أن نالوا ما يريدون وتركوا الباب ورائهم هكذا.
أغلق الباب خلفه بهدوء .. ثم سار بخطوات هادئة حتى يفاжئهم .. لمح بجواره مكتسة
قديمة .. فقرر استخدام عصاها الخشبية القوية كسلاح .. نزعها من المكتسة بدون صوت ثم
قبض عليها بكلتا يديه .. ثم توجه للداخل شاهراً سلاحه الخشبى فى وجه القادم.
لقد قالت أنها تكلمه من الدولاب .. فليدخل غرفة النوم أولاً .. لن ينادى باسمها فربما لا
يزالوا بالداخل .. وهو يعتمد على عنصر المفاجأة اعتماد كبير فعصا المكتسة بالتأكيد لا توازى
أسلحتهم فى درجة الخطورة.

سمع صوتاً غريباً صادراً من غرفة النوم ..

فتح الباب فجأة ..

ثم رآها أمامه ..

صوت صاجات!

" ما رأيك؟ بدلة رقص جديدة "

كانت (جوجو) تقف فوق السرير مرتدية بدلة رقص شرقى مثيرة لم يرها عليها من قبل ..
يبدو أنها قد اشترتها وأرادت أن تأخذ رأيها فيها .. وربما رأيها فى رقصها وهى بداخلها .. غضب
جداً لأنها استطاعت خداعه بذلك شديد وقدرة تمثيلية عالية .. قال حائراً:
لكن الباب .. كان موارباً ..

لقد رأيت سيارتك من النافذة ثم سمعت صوت خطواتك على السلم .. هاه .. قل لى .. ما
رأيك؟

نسى غضبه فى ثانية واحدة عندما قامت بدورة سريعة ببدلة الرقص أمامه ثم أنهتها
بضربة صاجات من بين أصابعها .. ضحك لما فعلته به وقال:
يا بنت الو ...

ضحكت له ثم سألته مجدداً:

.. ما رأيك؟

قالتها وهى تستعرض أمامه جمال البدلة أو جمالها داخل البدلة.. قال بضيق:

.. لقد صدقتك.

قالت بدلال وهى تغمز بعينها:

.. حسناً.. عاقبني كما تريد.

وبالفعل.. عاقبها فى تلك الليلة عقاباً لم تتساه أبداً.. وتمنت أن يكرره كثيراً.

سمعت (حنان) صوتاً صادراً من غرفة المكتب وهى تعطى لابتها كوب الماء.. نظرت ناحية الغرفة.. كان النور مضاءً.. كيف لم تلحظ ذلك من قبل؟ ابتسمت بسعادة واطمأنت.. (راضى) فى غرفة المكتب.. لا زال معها فى الفيلا.. غضبت من نفسها لأنها ظلمته عندما ظنت أنه غادر فراشه وخرج تماماً من الفيلا.

ربما تذكر شيئاً هاماً يخص عمله لذا ذهب إلى مكتبه فى تلك الساعة.. نظرت إلى ساعتها.. الثانية صباحاً.. لابد أنه شيئاً هاماً للغاية.

.. أين بابا؟

سألها الطفل بعد ما فرغ من الشرب.. فأجابته:

.. فى غرفة المكتب.. نم يا حبيبى.

نهضت من مكانها وخرجت من الغرفة لتعيد الكوب إلى مكانه فى المطبخ فهى تؤمن بالنظام.. لا أكواب فى غرفة النوم.. حتى لو كانت فى أمس الحاجة للراحة.

ألقت نظرة عابرة نحو غرفة المكتب وهى فى طريقها للمطبخ.. لم ترى (راضى) على مقعده المعتاد هناك.. ربما كان يجلس على الأريكة.. لا مانع من إلقاء نظرة عليه.
فجأة..

انطفأ نور الغرفة.. يبدو أنه قد أنهى عمله هناك وسيعود إلى فراشه.

انتظرت خروجه لكنه لم يخرج..

مر الوقت فازداد قلقها.. فاتجهت نحو غرفة المكتب لتطمئن عليه.. هل قرر فجأة أن ينام

هناك أم ماذا؟

ثم..

انفلق باب الغرفة فى وجهها.. تسمرت فى مكانها.. فاجأها هذا التصرف منه.
أكملت طريقها نحو الباب.. وضعت يدها على المقبض.. لكنها سمعت فى نفس اللحظة
صوت المفتاح وهو يدور فى ثقب الباب من الداخل.. لقد أغلق الباب بإحكام ليمنعها تماما من
الدخول.. اندهشت من هذا التصرف الفظ.. فقالت بصوت هامس حتى لا تزعج طفلها:
.. (راضى) ما بك؟ لماذا أغلقت الباب؟

لم تعتاد على هذا.. حتى فى أوقات انشغاله كان يكتفى بفتح الباب فقط.. دون استخدام
المفتاح.. لماذا فعل ذلك الآن؟ لابد أن هناك سر رهيبا بالغرفة لا يريد أن تراه.. من معه؟
ماذا يفعل بالداخل؟ زاد الفضول والشك بداخلها.. فراحت تطرق الباب.. لكن بهدوء من أجل
الأطفال:

.. (راضى) افتح الباب.. الآن.
تمسك مقبض الباب بعصبية.. تحركه لأعلى وأسفل.. تطرق الباب.. تنادى زوجها.. لكن
لا فائدة.. لا يرد عليها.. ثم شعرت أن هناك من يتحرك خلفها.. التفتت بهلع..
كان ابنها!

لقد استيقظ بسبب طرقاتها أو صوتها العالى.. حملته وأعادته إلى سريره.. ثم لمحت
هاتفا المحمول.. لماذا لا؟ ثم ضغطت على رقم زوجها واتصلت به.. توقعت ألا يرد لكن..
جاءها صوته:
..ألو..

.. (راضى) افتح الباب.

..ماذا؟

قالت بعصبية واضحة وبصوت أعلى:

..قلت لك.. افتح الباب.. افتح الباب..

..حاضر.. حاضر.

ثم أنهى المكالمة.

وقفت أمام غرفة المكتب وانتظرت.. وانتظرت.

وفتح (راضى) الباب.. استجابة لطلبها.

(29)

كان (راضى) مستغرقاً فى النوم يحلم أحلام سعيدة.. عندما سمع رنة هاتفه المحمول.. استيقظ ثم نظر حوله وتذكر كل شيء.. إنه الآن فى أحضان زوجته الثانية.. من المتصل؟.. نظر إلى شاشة الهاتف.. لا يحتاج الأمر إلى تخمين.. لايد أنها زوجته الأولى. ساعة الهاتف المحمول تشير إلى الثانية صباحاً.. لماذا تتصل به الآن؟ لا بد أنها تريد توبيخه.. أما كان يمكن تأجيل هذا التوبيخ للصباح يا (حنان)؟.. خشى أن توقظ الرنة (جوجو) وفى نفس الوقت لم يشأ التأخر فى الرد على (حنان)..

..آلو.. (جوجو) بجواره تتحرك.. يبدو أن صوته قد أيقظها..

.. (راضى).. افتح الباب..

.. ماذا؟

لمح (جوجو) تفتح عينيها وتكاد تنطق فوضع إصبعه على فمها الرقيق بسرعة ثم أشار نحو فمه أيضاً لتفهم منه وجوب التزام الصمت.. ثم سمع زوجته الأولى تقول بعصبية واضحة وبصوت أعلى:

.. قلت لك.. افتح الباب.. افتح البابااا..

أى باب تقصد؟

يا خبر!

هل من الممكن أن....؟

أجابها بسرعة حتى لا تصنع فضيحة له فى العمارة.. وقال:

.. حاضر.. حاضر..

ثم أنهى المكالمة على الفور.. شعرت (جوجو) أن المكالمة قد انتهت فقالت بضيق:

. (حاضر.. حاضر).. هل طلبت منك أن تعود إليها الآن؟

نهض من السرير باحثاً عن ملابسه أو أى شيء يستريح به نفسه.

. بل هي التي جاءت إلى هنا.. إنها تقف أمام باب الشقة الآن.

لم تصدق (جوجو) ما تسمعه.. سألته لتتأكد:

. ماذا؟

. (حنان) تقف أمام الباب الآن وتطلب مني أن أفتحه بسرعة.. هيا.. انهضى.. لا وقت

للكلام.. لا نريد فضائح.

نهضت (جوجو) من سريرها بسرعة.. لم تكن تحتاج إلى توصية من زوجها.. لكنها كانت

تشعر بمشاعر كثيرة متناقضة بداخلها.. خلق مع خوف مع فرح مع حيرة مع مشاعر أخرى

كثيرة.. ها هي اللحظة قد حانت وستعرف الزوجة الأولى أنه متزوج منها.. اقتربت لحظة

الحقيقة.. لكن ما الذى يمكن أن يحدث بعد ذلك؟.. شعرت بالخوف من المستقبل.. لكنها فى

نفس الوقت كانت فرحة لأن زوجها سيتم إعلانه الآن.. بالتأكيد سيخبر (حنان) أنه متزوج

رسمياً.. ليست فتاة التقطها من الشارع.. وربما يسمع بعض الجيران هذا ويصبح الموضوع

علنياً.. وقتها سيضطرب للإعلان أمام الجميع.. لكن ربما تجربته (حنان) على طليقها الآن..

لذا شعرت (جوجو) ببعض القلق.. تمنّت أن تنتهى هذه الليلة لصالحها.. أفضل الاحتمالات

هى أن تعلم الزوجة بأمر هذا الزواج السرى.. تطلب الطلاق منه.. تخبر عائلته.. يطلق القديمة

لأنها لن ترضى بالعيش معه بعد أن تزوج عليها.. ويبقى على الجديدة لأنها هى المتاحة.. لو

حدث هذا فستكون هذه الليلة أسعد ليلة فى حياة (جوجو).. كل هذا دار فى خيالها وهى

تحاول أن ترتدى ما سهل ارتدائه وما ستر أكثر.

. اختبئ بالداخل.. لا تخرجى.

. لكن...

كانت تريد أن تقف خلفه بالضبط عندما يفتح الباب.. كانت تريد أن ترى نظرة الغيرة

والحقد فى عيني (حنان).. كانت تريد أن تعلم أنه فضّلها عليها.

. لا تفتحى باب الغرفة أبداً.. سأحاول أخذها إلى الفيلا.

شعرت (جوجو) بالإحباط.. يبدو أن أحلامها لن تتحقق كما تريد بالضبط.. لكن (حنان)

على أى حال قد علمت بأمر هذه الشقة وأمر زواجه من أخرى.. وهذا يكفى مؤقتاً.

خرج زوجها من غرفة النوم وأغلق بابها جيداً.. وقفت خلفه تلصق أذنها به لتسترق السمع

. أنا هي الشركة.

خرجت (جوجو) من الداخل فأشار لها أن تصمت وأكمل:

. وأين أنت؟ وما هو الباب الذي تطرقينه؟

نظرت (حنان) برعب نحو الباب وتراجعت ثم سألته:

. في الشركة!! ولكنك قلت لى (حاضر.. سأفتح).

. نعم.. كنت أظن أنك قمت بزيارة مفاجئة للشركة.. وذهبت بالفعل لأفتح لك باب مكتبى

لكن لم أجدك.

. أنا خائفة يا (راضى).. هناك أحدا بغرفة المكتب.. أضاء النور.. ثم أطفأه.. ثم أغلق

الباب بالمفتاح.. ولهذا ظننت أنه أنت.. (راضى).. أرجوك.. تعالى بسرعة.. أنا لا أعرف من

الذى بالداخل.

قالتها وجرت بسرعة نحو غرفة نوم الأطفال.. أغلقت الباب خلفها واحتضنت طفلها

بحنان وقوة فى نفس الوقت.. كأنها تحميهم وتستمد منهم الحماية فى آن واحد.. من ذلك

المجهول!

لم تكن (حنان) تعلم أنه فتح باب المكتب بعد ذلك دقائق.. ثم زحف على الأرض خارجا

من الغرفة.

أخبر (راضى) زوجته (جوجو) أن (حنان) لازالت فى الفيلا.. لم تكتشف أى شىء..

. إنها تعاني من الأرق.. كانت تظن أنني موجود فى غرفة المكتب.

كتمت (جوجو) مشاعرها الحقيقية.. وأظهرت أمام زوجها أنها سعيدة بأن زوجته الأولى

لم تكتشف أمر زواجهما.. لكنها كانت فى غاية الحزن.

لاحظت أن زوجها يستعد للخروج.. فسألته بضيق:

. هل ستذهب لها؟ فلتنتظر للصباح.

. أتم تنتهى لكلامى؟.. إنها خائفة وتريد أن أذهب لها حالا.

قالت بمنتهى الغيرة والفيظ:

. وأنا أيضا خائفة.. لقد أخبرتك مرارا أن هذه الشقة أصبحت مخيفة وتثير رعبى.. وأرى

فيها أشياء غريبة مريبة!

ابتسم لها وقال:

. أنت تعلمين جيدا أنتى أود أن أعيش معك ليل نهار.. لكنى مضطر..
تركته ودخلت غرفة النوم لتبكى.. أما هو فلم يكن لديه وقت لمقعد جلسة صلح.. لذا خرج
على الفور.

وفى الفيلا.. وجد غرفة المكتب مفتوحة طبعاً.. عكس ما قالت زوجته.. ولم يجد أحدا
بالداخل.. قال لها:

. (حنان).. أنت متوترة.. وربما كان السبب هو دخول طفل جديد فى حياتك.. هذا ليس
أمراً سهلاً أبداً كما تظنين.. خاصة أن طريقة ظهوره غامضة حتى الآن.. ولا نعرف من أين
جاء.. ولا نعرف أين كان يعيش.. وكيف يملك ذاكرة مثل ذاكرة ابنتنا حتى لحظة ظهوره ولماذا
لم تستمر ذاكرتهما بنفس الطريقة بعدها.. وكيف يكون له نفس الجسد بنفس الإصابات..
وكيف يملك نفس البصمة.. كل هذه الأشياء الغريبة تثير عقل وقلب أى إنسان.

. هل تعنى أنتى مجنونة أو فى طريقى للجنون؟

. لم أقل هذا.. ولكن يلزمك بعض الراحة أو الترفيه.. ومن حسن الحظ أن حفلة عيد الميلاد
اقتربت حتى تشغلى بالك قليلاً بها.. التجهيز لها ودعوة الأهل والأقارب و.. الإعداد لأكبر
مفاجأة فى الحفل..

ثم لوح بيديه فى الهواء كأنه يقدم عرضاً مسرحياً وقال:

. يا أهلى.. يا أصحابى.. يا جيرانى.. لقد رزقنا بطفل عمره خمس سنوات.. ها هو (....)

ثم التفت إلى زوجته وسألها:

. ما الاسم الذى اخترته له؟

فى صباح اليوم السابق لحفل عيد الميلاد.. كانت (حنان) مشغولة فى تجهيز الفيلا
لاستقبال ضيوف الحفل.. تضع الزينة هنا وهناك.. تجهز الألعاب للأطفال الذين سيحضرون
الحفل.. تعد قائمة بالمأكولات والمشروبات.. سألها زوجها:

. لماذا لم تحضر أمك وأخواتك لمساعدتك؟

. سيحضرون غداً من الصباح الباكر إن شاء الله.

. ستكونين قد أنهيت كل العمل.. أنا سأصل بهم لكى يأتوا حالاً لمساعدتك.

. لا تفعل.. أنا لا أحتاج إلى مساعدة ثم إننى أقوم بنصيحتك وأشغل نفسى حتى لا أجن.

ابتسم غيظاً ولم يعلق.. لمح ابتسامتها فعرف أنها لا تقصد مضايقته.. مزاجها جيد بالفعل

بسبب الحفل.. قالت:

لقد جاءتنى فكرة ممتازة من أجل مفاجأة الحفل.

ما هى؟

لن نخيب الطفل الثانى أسفل المنضدة فمن الصعب مكوثه هناك بالأسفل لمدة طويلة.

ماذا ستفعلن؟

اتجهت نحو صندوق ورقى كبير بجوارها ومدت يدها لداخله وهى تقول:

سنستخدم الأقنعة.

أخرجت يدها وهى تحمل قناعا وتابعت:

لقد اشتريت أقنعة كثيرة متنوعة من أجل أطفال العائلة والضيوف فى الحفل.. فالأطفال

يهوون الأقنعة.. لكن هناك قناعين مميزين لا يوجد ثالث لهما.. سوف يرتديهما الولدين..

وبهذه الطريقة يمكنهما المرح طوال الوقت حتى تحين لحظة المفاجأة.. أمام التورتة.. وقت

إطفاء الشموع.. سنرفع الأقنعة عن الطفلين اللذين يقفان بجوار بعضهما لنخبر الجميع أن

ابننا التوأم قد عاد إلينا.. ابننا (أنس).. ما رأيك فى الفكرة؟

لم يبد (راضى) رأيه فى الفكرة.. بل قال:

.. (أنس)! هل هذا هو الاسم الذى اخترته فى النهاية له؟

من الواضح أنها لم ترد إخباره الآن..

كنت أريد أن أفاجئك بالاسم فى الحفل.

قال كاتما غيظه:

الحمد لله أنى قد تفاجأت الآن.

.. ألا يعجبك الاسم؟

.. المهم أنه يعجبك.

.. يعجبنى جدا.. وكنت أفكر فى تغيير اسم ابنى (وحيد).

ماذا؟

.. (وحيد) لم يعد وحيدا الآن.. أصبح لديه أخ توأم.. لذا كنت أفكر فى تغيير هذا الاسم..

ما رأيك فى (لؤى)؟

لم يرد عليها.. تجاهل ما قالتها وقرر الانصراف.

.. إلى أين؟

.. سأخرج قبل أن تفكرى فى تغيير اسم (راضى).

فى الليل.. كانت (حنان) متجهة إلى غرفة الأطفال عندما لمحت طفلها يجلسان على الأرض يلعبان وهما يرتديان أفتعة مختلفة.. قالت:
. لا.. لا ترتديا هذه الأفتعة الآن.. ثم إننى أخبرتكما أنكما سوف ترتديان أفتعة محددة غدا فى حفل ال..
بترت جملتها عندما وصلت لباب الغرفة ورأت بعينيها جميع من بداخلها.. لم يكن ولديها فقط!
كان هناك أطفال آخرون.

(30)

كان بالغرفة أربع أطفال.. وهى تعلم جيدا أن لديها طفلان فقط.. فمن أين أتى هؤلاء الاثنان الآخرين؟ إنها لا تهلوس.. هى متأكدة مما تراه أمامها.. أين زوجها ليأتى ويرى بنفسه؟ هل تتصل به؟.. فكرت ثم قررت أن (لا) .. ما فائدة الاتصال؟ سوف يأتى بعد نصف ساعة أو أكثر كما حدث فى المرة السابقة.. ولن يجد شيئا وسيظن بها الظنون مرة أخرى.. فلتأكد بنفسها أولا.. ثم تفكر بعدها إن كانت ستتصل به أم تنتظره على مهل.. لكن.. كيف تتأكد؟ اقتربت منهم أكثر.. كانوا الأربعة جالسين على الأرض مشغولون باللعب.. يرتدون جميعا أقنعة من التى اشتريتها لهم.. أحدهم يرتدى قناع غوريلا.. الثانى قناع أسد.. الثالث قناع مهرج.. الرابع قناع (الرجل العنكبوت) Spiderman.

كلمات زوجها تتردد داخل أذنها باستمرار:

. أنت متوترة.

شكت فى نفسها للحظات.. هل يمكن أن يكون ما تراه هلاوس بصرية؟

التقطت نفسا عميقا ثم قالت:

. (وحيد).

سمعت اثنان منهم يقولان:

. نعم يا ماما.

لكنها لا تعرف أى اثنان بالضبط.. الكل يخفى وجهه خلف قناعه! اثنان فقط قاما بالرد.. وهذا يعنى أن الاثنان الآخرين لا يعتبرانها مهما.. هذا جميل.. لماذا؟ لأنها كانت تخشى أن يكون الضيفان الجديدان هما ابناها أيضا وظهرا فجأة من باطن الأرض لهما ذاكرة (وحيد) ابنها ويعتبرانها مهما مثل (أنس) بالضبط.

إذن من هما هذان الضيفان الذين أتيا بدون دعوة ويلعبان بهدوء وسلام مع طفليهما؟ ومن أين أتيا؟ وكيف دخلا؟

. (وحيد) .. انزع القناع.

. جا جا جا جا.

. ماذا؟

لم يستجب أى طفل منهم لأوامر أمه.. فاقتربت بهدوء.. نزع القناع عن أول طفل منهما.. قناع الغوريلا.

إنه (وحيد).

نزع القناع عن الطفل الثانى الذى يجلس بجواره.. قناع (الرجل العنكبوت) .. كان ابنها (وحيد) مكرر.

كما توقعت.. هذا الطفلان هما طفلاها.. يتشابهان فى الحجم.. يرتديان الملابس التى ألبستها لهم فى الصباح.. ماذا عن الآخرين؟ اقتربت منهما.. التقطت نفسا عميقا.. تملكتهما الشجاعة ومدت يدها مترددة نحو رأس الطفل الثالث الذى يرتدى قناع الأسد.. ونزع قناعه.. الآن ستري وجهه.. ثم..

فى احدى السنوات كانت مصر تعاني من قطع الكهرباء معظم اليوم تقريبا.. كان السر غامضا.. الكل يشكو ولا أحد يعلم سبب هذه الأزمة.. وعندما يخرج مسئول ليدلى بتصريح للجماهير كان يقول أن قطع الكهرباء من أجل تخفيف الأحمال.

ازداد الأمر سوءا فى احدى السنوات لدرجة أن الكهرباء كانت تنقطع كل ساعتين تقريبا لمدة ساعة ونصف.. تسبب انقطاع الكهرباء فى كوارث عديدة.. منها موت الأطفال فى الحضانات بالمستشفيات.

ثم صار فى كل بيت تقريبا مولد كهربائى تحسبا لانقطاع الكهرباء.. لكن الوضع تحسن كثيرا فى الآونة الأخيرة.. حتى أن الكهرباء لم تعد تنقطع بالمرة وقت كتابة هذه الرواية.. إلا نادرا!

نزعت (حنان) القناع..
ثم انقطعت الكهرباء..
لو أن الكهرباء ظلت لثوان أخرى لأمكنها رؤية وجه ذلك الطفل الثالث.. شعرت بالذعر
وصرخت فى الظلام.. الغريب أن الأطفال لم يشعروا بأى رعب.. بل راحوا يمرحون حولها
ويجذبون ثيابها لتلعب معهم:
. هيا يا ماما.. العبي معنا.
. هيا يا ماما.. امسكىنى إن استطعتِ
. جا جا جا جا.
كانت تشعر أن الأيادى أكثر من أربعة حولها.. صيحات مزاح ومرح تتطلق فى أرجاء
المكان.. أطفال حولها فى كل اتجاه.. صرخت فى الظلام..
. الرحمة.. دعونى.
فجأة.. رأّت نور ساطع فى وجهها.. ثم سمعت صوته:
. ما بك يا (حنان)؟
. الحمد لله أنك جئت.
اندفعت نحو ضوء الكشاف الذى يحمله زوجها وقالت:
. انقذنى يا (راضى).
. ما الأمر؟
. الأطفال.. كثيرون.. انظر.. كل مكان.
. ماذا تقولين؟ لا أفهم شيئاً.. اهدئى.
خطفت الكشاف من يده وسلطته نحو الغرفة وقالت:
. هاهم الأربعة.
. أربعة؟
اندفع الولدين خارجين من الغرفة واحتضنا والدهم وقالوا:
. أهلاً بابا.
تركهم الأم واتجهت نحو الغرفة مسلطة ضوء الكشاف إليها.. باحثة عن الطفلين الآخرين..
لكنها لم تجد أحداً.. قالت بحنق:
. لو أن الكهرباء تعود.. سوف..

وعادت الكهرباء فى نفس اللحظة.. فانطلقت نحو الغرفة.. تفتش فى جميع أركانها وهى تقول:

. كانوا هنا.. لقد رأيتهم بعينى..

سألها زوجها بقلق:

. من هم؟

. الأطفال.

أشار نحو ولديه وقال:

. هاهم..

. لا.. أطفال آخرين.. كانوا يلعبون مع الولدين.. وكانوا يرتدون أقنعة لذا لم أستطع رؤية

وجوهم.. كان أحدهم يرتدى قناع الأسد.. والآخر يرتدى قناع المهرج.

انحنى إلى الأرض وأمسكت القناعين وقالت:

. ها هى الأقنعة.. دليل على صدق حديثى.

ورفعت أمام زوجها قناع الأسد والمهرج.. قال زوجها:

. أى دليل بالضبط؟ فالغرفة مليئة بالأقنعة.. والأولاد كانوا يرتدونها ويلعبون.

نظرت حولها فى الغرفة.. كانت مليئة بالأقنعة فعلا.. من الواضح أن الطفلان عبثا

بالصندوق وأخرجوا أقنعة الحفل وراحا يجربونها.

حاولت (حنان) تبرئة عقلها من تهمة الجنون التى صارت وشيكة للغاية:

. لقد كان هنا طفلان يرتديان هذان القناعان.

. لماذا إذن أراهما فى يديك وليس على وجوهم؟

. لقد طلبت منهم أن يخلعوا الأقنعة.. وقبل أن أرى وجهه انقطعت الكهرباء.

ثم التفتت إلى زوجها وقالت بحدة:

. لايد أن تشتري مولد كهربائى.. مدة انقطاع الكهرباء تزداد يوميا.. الكل اشترى وأنت

الوحيد فى مصر الذى لم تشتري حتى الآن.

. حاضر.. سأشتري واحدا.

منعت نفسها من البكاء وهى تقول:

. أنت تتركنى كثيرا وحيدة فى هذه الفيلا!

قال وهو يحتضن طفلاه:

. كيف تكونين وحيدة ومعك رجلان؟

ظهر الغضب على وجهها واتجهت نحو الطفلين وسألتهما:
. من الطفلان اللذان كانا معكما؟

قررت (حنان) أن تشتري كاميرات مراقبة.. بعد حفل عيد الميلاد بالتأكيد.
ستضع كاميرا في كل ركن بالفيلا.. حتى إذا ظهر أطفال آخرين.. سيتم تسجيل ظهورهم
على الشاشة.. لتثبت لزوجها أنها ليست مجنونة.. وأن الأطفال كاذبين عندما قالوا أنهم كانوا
يلعبون وحدهم.

أما (راضى) فقد قرر عرضها على طبيب نفسى.. بعد حفل عيد الميلاد بالطبع.
يرى أن حالتها تسوء باستمرار.. ولا يعرف السبب.. لماذا ترى أطفال بين الحين والآخر؟
والعدد يزداد.. مرة رأت طفلا.. اليوم طفلين.. ماذا عن الغد؟.. وما الذى يخفيها من الأطفال
إلى هذا الحد الذى يجعلها تهلوس وتتخيل وجودهم؟
" لن تبیت بالخارج.. ستبیت معنا.. لن أسمح لك بالخروج هذه الليلة "
كانت كلماتها صارمة نابعة من خوفها الشديد.. استجاب لها حتى لا يثير غضبها وربما
جنونها.

. حاضر.

فرح الطفلان.. قال أحدهما:
. ستبیت معى الليلة فى سريرى.. لقد بت فى سريرى الليلة الماضية.
. لا.. لقد بات معك أنت.. وليس أنا.
ضحك (راضى) وقال:
. الأطفال يخدعوننا.. يستقلون التشابه بينهما ليضحكوا علينا.
قالت (حنان) بلهجة انتصار:
. كما ترى.. الأطفال يكذبون بسهولة.
كانها تريد أن تعطيها برهانا على كذبهم بشأن عدم وجود أطفال آخرين.
صمت وأغلق هاتفه المحمول تماما حتى لا تتصل به (جوجو).

فى اليوم التالى.. أقامت (حنان) حفل عيد الميلاد فى حديقة الفيلا ليلا.. مأكولات
ومشروبات للجميع.. ومن السماعات الضخمة فى كل مكان تنطلق أغانى أطفال حديثة وأغانى

أعياد الميلاد.. الأطفال يمرحون ويلعبون ويرتدون الأقنعة المتاحة للجميع.. الجميع كانوا سعداء
الجو والتنظيم.

إذا سألتها أحدهم:

. أين هي المفاجأة التي حدثت عنها يا (حنان)؟

كان الرد دائماً على هذا السؤال هو:

. عند لحظة إطفاء الشموع.

وتتبع الإجابة بابتسامة هادئة تحمل بعض الخبث.

ثم جاءت اللحظة المنتظرة.. أوقفت (حنان) الطفلان بجوار بعضهما.. كانا يرتديان
نفس القناع.. ظن الجميع أن أحدهم هو (وحيد) والآخر طفل مقرب لها.. ربما ابن أخيها أو
أختها.. انطفأت الأنوار وغنى الجميع Happy birthday to you ثم استغلت (حنان) الضوء
الخافت وقامت بخلع القناعان..

أطلقاً الطفلان الشموع بأنفاسهم الطفولية الضعيفة.. ثم عادت الأنوار..
وفجأة..

يرى الجميع طفلان لهما نفس الشبه يقفان بجوار بعضهما أمام أمهما التي قالت وعلى
وجهها ابتسامة سعادة كبيرة:
Surprise.

ابتسم (راضى) من أداء زوجته (حنان) المسرحى.. لقد أعدت المفاجأة كما ينبغي.. راح
الواقفين بجواره يسألونه بدهشة:

. أين هي المفاجأة؟

ضحك وقال لهم:

. اقتربوا أكثر وانظروا للولدين هناك.. وسوف تفهموا.

سمع رنة هاتفه المحمول فنظر إلى الشاشة.. رأى الاسم الكودى لزوجته الثانية:

. هذا ليس وقته!

ورفض قبول المكالمة.

أما زوجته الأولى فكانت مشغولة بالرد على أسئلة الواقفين بجوارها والذين لاحظوا الشبه
الشديد بين الطفلين:

. سبحان الله! من هذا يا (حنان)؟

ابتسمت بسعادة وقالت:

. ابنى.

. نعم نعرفه.. نحن نسأل عن الطفل الآخر الذى يقف بجواره.

. إنه ابنى أيضا.. أخوه التوئم.

. توئم!

وصيحات الدهشة انطلقت من الجميع فى وقت واحد تقريبا.. وراحت (حنان) تحكى لمن حولها قصة اختفاء الولد منذ طفولته.. ثم إعلان الجريدة المرفق به صورة لطفل طبق الأصل من (وحيد).. الاتصال بصاحب الإعلان المنشور.. استلام الطفل التوئم.. الفحوصات والتحاليل.. إلخ إلخ

حكى القصة أكثر من خمسين مرة تقريبا طوال الحفل.. فكل واحد يريد أن يسمع القصة من البداية ليعرف تفاصيل أكثر.. تكررت كلمة (توئم) أكثر من مليون مرة خلال هذه الساعات على أسنة ضيوف الحفل.. الشبه الشديد بين الطفلين جعل القصة قابلة للتصديق.. حتى بالنسبة للضابط (حازم) نفسه.. الذى وعدهما بالمساعدة وتقديم العون من أجل تسجيل الطفل الجديد فى السجلات الرسمية.

. ما اسمه؟

. (أنس).

. جميل! مبروك عودة الطفل.

قليل من الضيوف شعروا بحيرة شديدة عندما تحدثوا إلى الطفلين.. وجدوا أنهما يعرفانهم جيدا والمفروض أن واحد فقط هو الذى يعرفهم تمام المعرفة أما الآخر فهو يراهم لأول مرة.. لكن (حنان) كانت لديها الإجابة الجاهزة لهذا السؤال.. فلقد أعدت نفسها جيدا لهذا الموقف.

. الطفلان جلسا كثيرا مع بعضهم.. والألبومات فيها صور لكم جميعا.. وذاكرة الأطفال حديدية.

تقبل الكثير منهم هذا التفسير المنطقى.. لكن البعض ابتلعه بصعوبة.. لكن ليس لديه أى شكوك.. فقط هو لا يستطيع فهم الأمر.. قالت أمها هامسة:
. هل تظنين أنهم سيصدقوا قصتك الطريفة هذه؟

فأجابته (حنان) بصوت أقل من صوت أمها في الدرجة وعلى شفقتها ابتسامة ساخرة:
..وهل تظنين أنهم كانوا سيصدقوا القصة الحقيقية؟

وقف رجلا بجوار (راضى) وقال له:

..تقول أن هذا ابنك أيضا؟

نظر (راضى) له.. لا يتذكر اسم هذا الرجل.. ولا يتذكر أين رآه من قبل.. لا بد أن يلوم زوجته.. بعد انتهاء الحفل.. على استضافة مثل هذه الوجوه الغريبة.. كان المفروض أن تكتفى بالعائلة والأصدقاء المقربين.. وربما بعض الجيران الودودين.. لكن لا تستضيف أى رجل سار بجوار الفيلا يوما ما.. أجابه (راضى) بهدوء:

..نعم.. ابنى.

قال الرجل الغامض:

..لا.. ليس ابنك.

التفت (راضى) له باهتمام أكثر هذه المرة.. كان أسمر البشرة.. رفيع.. طويل.. يرتدى بدلة سوداء.. أسفلها قميص أسود.. حذاء أسود.. نظارة سوداء.. يبدو أنه يعشق اللون الأسود! ذو أنف دقيق وشارب كث ولحية خفيفة.

..ابنى طبعاً.. ألا ترى الشبه الشديد بينه وبين ابنى (وحيد)؟ إنهم توءمان.

قال الرجل بلهجة واثقة:

..ليسا توءمان.

..بل توءمان.. إن لهذا الأمر قصة طويلة.. كانت البداية عندما..

وقبل أن يحكى (راضى) القصة المتفق عليها مع زوجته قاطعه الرجل قائلاً:

..لا تحكها.. فهى لا تلتزمنى.. فأنا أعرف القصة الحقيقية.

نظر (راضى) بشك ناحية الرجل.. هل يعرف القصة الحقيقية فعلاً؟ أم أنه يقول ذلك ليوقعه فقط؟.. سأله السؤال الذى تأخر كثيراً:

..من أنت؟

ضحك الرجل وقال:

..ألا تعرف ضيوفك يا أستاذ (راضى)؟

حاول (راضى) تشغيل محرك الذاكرة داخل عقله.. لكن لم تظهر أى نتائج للبحث..

..للأسف.. لا أتذكر أنى قابلتك من قبل.. لذا أرجو أن تعرفنى بنفسك..

ضحك الرجل مرة أخرى ثم قال:

..أنا؟.. هاه.. أنا الرجل الذى يعرف من أين أتى هذا الولد.

(31)

" بسم الله.. ما شاء الله.. ربنا عوض صبرك خيرا "

قالت لها السيدة (أشجان) لـ (حنان) ثم أردفت:

. طفل توأم بعد خمس سنوات! مبروك على عودته إلى أحضانك وكل سنة وهو طيب.

بينما قال الأستاذ (يحيى) زوجها:

. لو كنا نعلم لكنا أحضرنا هديتين.. لكننا أتينا على أساس عيد ميلاد طفل واحد فقط.

ضحكت (حنان) قائلة:

. أردت أن أعلن عن خبر عودته في الحفل للجميع في وقت واحد.. ما رأيكم في هذه

المفاجأة؟

. مفاجأة جميلة!

ثم نظر إلى زوجته وقال ساخرا:

. وأنت يا (أشجان).. ألا تفكرين في مفاجأتي في عيد زواجنا القادم بأن هناك طفل؟

وضحك بقوة على ما قاله.. بينما سلط الواقفين نظرات لوم له.. أما (أشجان) فقد

تحسست بطنها الخالية بحزن.. قالت (حنان):

. ربنا يرزقكما بالذرية الصالحة قريبا جدا.

قالت (أشجان) بقلب متلهف:

. يا إله رب.

وسارا الزوجين مبتعدين.. فقالت لها أمها هامة:

. (حنان).. لا بد أن تبخرى الولدين هذه الليلة.. والرؤية مهمة لمنع الحسد.. عين الحسود

قوية.. وليست عين واحدة كما تلاحظين.. كثيرين سوف يحسدونك على هذا الوضع الجديد..

طفل ظهر فجأة بدون تعب رضاعة ورعاية وسهر ليلتي.. بالإضافة إلى كونه (ولدا) ليس (بنتا).. وكما ترين هناك من هو محروم من الإنجاب أساسا.

ثم جالت بنظرها بين الحضور وأردفت بحق:

.. أكان لابد أن تلعني الخبر للجميع في حفل؟

نظرت (حنان) إلى أمها بعتاب قائلة:

.. يحسدونني على ماذا؟ أنسييت؟ أنا أيضا محرومة من الحمل والإنجاب!

ضمت الأم ابنتها بحنان قائلة:

.. لم أنسى.. لكن يبدو أنك نسيت ما أنت فيه.. احمدي ربك.. وانظري لحالك الآن.. لقد

رُزقتِ بولدين جميلين.. هناك من تريد أن تدفع مالها كله وربما عمرها من أجل الحصول على طفل واحد مثله.

في تلك اللحظة تقريبا قال الرجل الغامض:

.. أنا؟.. هاه.. أنا الرجل الذي يعرف من أين أتى هذا الولد.

نظر (راضى) بقلق نحوه وسأله:

.. ماذا تعني؟

ثم سمع رنة هاتفه المحمول من جديد.. نظر إلى الشاشة.. كانت زوجته تتصل به

مجددا.. رفض استقبال المكالمة ثم التفت إلى الرجل الغامض ليسأله..

لكن..

أين هو؟

لم يجد (راضى) أحدا واقفا بجواره.. يبدو أن الرجل الغامض قد تركه ليتيح له فرصة

التحدث بحرية عبر الهاتف.. أو ربما أراد أن يختفى من أمامه وفقط..

أيا كان السبب.. من هو؟ وأين ذهب؟ لابد أن يعرف السر وراء هذا الرجل.. إن كان هناك

سرا أصلا.

جال بعينه في المكان حوله باحثا عن الرجل.. أين هو؟ أين؟

الرنة من جديد.. قبل (راضى) المكالمة هذه المرة.. صوت الأغاني العالية كفيل بالتشويش

على صوته.. لن يسمع أحدا من المدعوين ما يقوله.

.. ماذا؟ لماذا تتصلين بهذا الإلحاح؟ هل هناك عصابة تفتصبك؟ أم مدير الملهى الليلي

خطفك لترقصي له وحده؟.. ألم أحذرك مرارا من عدم الاتصال بي؟ وكم من مرة قلت لك

ألا تتصلين مرة أخرى إذا قمت برفض المكالمة في المرة الأولى؟ ما الأمر؟

ظلت (جوجو) صامته لفترة طويلة ثم قالت:
.. آسفة.

ثم أنهت المكالمة فوراً.

كان غاضباً منها بشدة بسبب اتصالها المتكرر.. بالإضافة لأنها كانت السبب فى فقدان أثر الرجل المريب! لكنه شعر أنه كان عنيفاً معها جداً فى الرد.. فكر فى الاتصال بها مرة أخرى ليعتذر عن عصبيته الزائدة معها.

" اهدأ يا رجل "

سمع (راضى) من خلفه من يقول له هذه الجملة.. يبدو أن هناك من سمع المكالمة كلها أو جزئها الأخير على الأقل..

. هل هذه هى زوجتك الثانية؟

التفت (راضى) إلى محدثه.. كان هو (الرجل الغامض) بسلامته.. الذى أردف:
.. اهدأ.. لن أخبر أحداً.

لوح (راضى) بهاتفه المحمول وقال:

. هذه ليست زوجتى الثانية.

ضحك الرجل وقال بخبث:

. كذبة أخرى مثل كذبة (التوأم).

ابتسم (راضى) وقال:

. جميل أنك ذكرت الموضوع مرة أخرى.. فلتخبرنى إذن بالقصة الحقيقية التى تعرفها عن الولد.. ومن أين جاء..

اقترب الرجل منه وهمس فى أذنه:

. هل أنت متأكد أنك تريد أن تعرف الحقيقة؟

تراجع (راضى) وقد ضايقه أسلوب الرجل فى الحديث.. قال:

. نعم.. أخبرنى بها.. والآن.

وانقطعت الكهرباء.. ثم سمع صياح زوجته:

. (راضى).. ألم أطلب منك أن تشتري مولداً كهربياً؟

صاح (راضى) وهو يبحث عن الرجل الذى كان يعادته:

. لقد اشتريته بالفعل يا حبيبتى.

نظر إلى السماء.. كانت مظلمة.. لا أثر لأى هلال.. كانوا فى بداية الشهر الهجرى.. هذا

المشهد يذكره بمشهد إطفاء النور منذ لحظات.. عندما كانوا يحتفلون بعيد الميلاد ويطلقون الشموع.. الفرق أن إطفاء النور هذه المرة ليس باختيارهم.

وقت الاحتفال والغباء كان النور مصدره ضوء الشموع الخافت والضوء القادم من أعمدة الإنارة في الشوارع والمنازل المجاورة.. أما الآن فالمدينة تفرق كلها في ظلام تام. النور المتوفر حالياً مصدره الهواتف المحمولة التي خرجت من الجيوب من أجل المساعدة في إضاءة المكان..

وعلى ضوء الهواتف.. لم يجد (راضى) الرجل بجواره.. لقد تحرك مجدداً.. سألتها (حنان):

..وأين هو المولد؟

..موجود.. لكننى لا أستطيع تشغيله.. هل هنا من يفهم في هذه الأمور؟
تطوع ثلاثة رجال وذهبوا مع (راضى) إلى مكان المولد الكهربائى.. مضت عشر دقائق قبل أن يسطع النور مرة أخرى في المكان.. ويصبح الأطفال في فرحة عارمة:
..الكهرباء عادت.

ثم عادوا إلى لعبهم مجدداً.. وعاد (راضى) مسرعاً إلى مكان الحفل باحثاً عن ذلك الرجل.. أين ذهب؟ وهل سيظهر مرة أخرى؟ أم أنه انصرف مثل بعض الضيوف الذين انصرفوا عندما انقطعت الكهرباء؟

مع مضي الوقت فقد (راضى) أى أمل في العثور عليه.. بحث في كل الوجوه الموجودة في الحفل.. لقد رحل الرجل أو اختفى!.. جلس ليستريح على أحد المقاعد ثم تذكر (جوجو)..
فكر في الاتصال بها ليعتذر.. هنا رأى (حنان) تجرى ناحيته وعلى وجهها علامات ذعر وقلق فألقى الفكرة تماماً ودفن هاتفه في جيب بنطلونه بسرعة.. قالت وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة وتحاول جاهدة تكوين جملة مفيدة:

.. (راضى) .. الولد.. لا أجده.. أين؟.. بحثت.. هل رأيته؟.. (أنس) اختفى.

(32)

قالت (حنان) وهى تبكى:

.. الولد اختفى.. (أنس) اختفى.

قال زوجها:

.. لماذا تقولين (أنس)؟ ربما كان (وحيد).

قالت بعصبية:

.. (وحيد) أو (أنس) .. المهم أن واحدا منهم قد اختفى.. ابنى ضاع.

.. هل بحثت عنه جيدا؟

.. نعم.

رأى ابنه يجرى نحوهما وهو يقول:

.. لماذا تبكى يا ماما؟

سأله (راضى) وهو يمسكه من ذراعه:

.. أين أخوك؟

.. لا أعلم.

نظر (وحيد) إلى بوابة الفيلا المفتوحة وسألها بقلق:

.. هل يمكن أن يكون قد خرج إلى الشارع؟

.. لا أعلم.

تذكر (راضى) الرجل الغامض.. هل من الممكن أن يكون هذا الرجل هو السبب وراء اختفاء

ابنه.. هل اختطفه؟ وما الذى كان يعنيه بأنه يعرف الحقيقة؟

صاحت (حنان) بعصبية أخرجته من بئر أفكاره:

تحرك.. لا تقف هكذا.. تصرف بسرعة.

منذ متى وهو مختلف؟

منذ انقطاع الكهرباء.. الله يلعنهم من تسببوا في قطعها.. لقد كان واقفا بجواري.. ثم انقطعت الكهرباء.. وعندما قمت بتشغيل المولد.. نظرت إلى مكانه لم أجده.. فقط وجدت (وحيد) يلعب مع أصحابه أما هو فلم أجده.

قال (راضى) بلهجة حاسمة:

ابق يا (وحيد) هنا مع أمك.. لا تتحرك من هذا المكان.. حتى أعثر على أخيك.
سألته (حنان):

هل نتصل بالشرطة؟

لا.. سوف نجده إن شاء الله.. لا تقلقى.

اصطدم (راضى) بـ (حازم) في طريقه فاعتذر له.. فقال الأخير:
لا يهملك.. ما الأمر؟.. أخبرنى.. قد أستطيع مساعدتك.

لقد اختفى الطفل التوأم.

منذ متى؟

منذ انقطاع الكهرباء.

اطمئن.. سنجده.

ثم انطلق إلى الضيوف وصاح فيهم بلهجة ضابطة شرطة مخضرم:

هل رأى أحد منكم (أنس)؟

أجاب بعض الضيوف بنفس الإجابة تقريبا:

إنه مع أمه هناك.

لا.. هذا (وحيد).. أنا أقصد أخيه التوأم (أنس).. هل رآه أحدا مؤخرا؟

أجاب بعض الأطفال:

كان يلعب معنا.

لا بد أنهم كانوا يقصدون (وحيد).. قال (حازم):

حسنا.. إذا رآه أحد فليصطحبه إلى هنا.. إلى جوار أمه مع أخيه (وحيد).. أما بالنسبة

للأطفال.. أرجو من جميع الأطفال خلع أقتعتهم.. فورا.

نفذ الأطفال الأمر العسكرى فى الحال.. صوت (حازم) القوى جعلهم يطيعوه بدون ذرة

تردد.. نظر (راضى) إلى وجوه الأطفال بعد أن خلعوا الأقتعة.. ربما يجد وجه ابنه وسطهم..

قال (حازم) له:

. هناك احتمال أن يكون قد أبدل (أنس) ثيابه مع أحد الأطفال دون أن ندري.. الأطفال أشقياء كما تعلم.. والقناع يخفى الوجه تماما.. لذا ربما رآته أمه نفسها لكنها لم تتعرفه بسبب اختلاف الملابس واختفاء الوجه خلف القناع.
. فهمت فكرتك.. لكننى لا أرى ابنى وسط هؤلاء الأطفال.

ربت على كتفه بمودة وقال:

. حسنا.. لا تقلق.. سنستمر فى البحث.

ثم تركه واتجه إلى الضيوف قائلاً:

. إياك أن أرى طفلاً مرتدياً قناعاً.

كان جميع الحضور يبحثون فى الفيلا.. أسفل المناضد.. خلف المسرح أو أسفله.. عند الألعاب.. عند حوض السباحة.. ثم تطوع بعض آخر للبحث فى الشوارع القريبة من الفيلا.. أما المقربين دخلوا الفيلا للبحث عنه.. وبعد مدة طويلة من البحث قال أحد المدعوين:
. لم نجده.. لا أثر له.

صاح (حازم) بغضب فيهم معتقداً أنه داخل مكان عمله:

. ما معنى هذا؟ هل انشقت الأرض وابتلعتة؟

كانت جملته عادية.. تشبيه عادى جداً مناسب لمثل تلك المواقف العصبية.. عندما يختفى إنسان أو شيء ما فإننا نقول مثل هذا التشبيه (انشقت الأرض وابتلعتة).. لكن أربعة فقط من الحاضرين كان التشبيه بالنسبة لهم يحمل مدلولاً آخر.. لم يكن مجرد تشبيه! كان أحد الاحتمالات التى لم يفكروا فيها من قبل.. قال (راضى) هامساً:

. مستحيل!

بينما قالت (حنان) بصوت لا تكاد تسمعه أمها وأختها اللتان تجلسان بجوارها وتعرفان

السر:

. هل هذا ممكن؟

قالت الأم وهى تحتضن ابنتها بقلق وخوف:

. بسم الله الرحمن الرحيم.. لقد ظهر فجأة من باطن الأرض.. فهل عاد إليها مرة

أخرى؟

(33)

قال (راضى) موجهها حديثه إلى (حازم):

. هل يمكن أن تساعدنا فى هذا الموضوع؟

. يمكن أن أساعدكم بشكل ودى.. لكن بطريقة رسمية مستحيل.. أولا: لأن مدة اختفائه لم تتجاوز المدة القانونية.. ثانيا: كيف نبحث عن طفل ليس مسجلا فى أى أوراق رسمية؟.. لو أنكم أتيتم لى منذ يوم استلامكم له لكان لديكم الآن أوراق حكومية تحمل اسمه.. أما هو الآن بلا هوية.. لا يوجد أى مستند رسمى على وجوده.
. لكنه ابنى.

. نعلم أنه ابنك.. فالتشابه شديد جدا بينه وبين أخيه التوأم، ولولا هذا التشابه لكانت تهمة اختطاف طفل والاحتفاظ به تهمة جاهزة.. لكنك.. للأسف.. لا تملك أى أوراق رسمية تثبت أن لديك طفلين توأمين.

. لدى التحاليل والفحوصات التى تثبت أن الطفل ابنى.

. كان يجب أن تستخدم هذه الأوراق الطبية لإثبات وجود الطفل ثم إثبات نسبه لك.

. حسنا.. من الصباح الباكر سوف أقوم بالإجراءات اللازمة لذلك.

. يجب أن نجده أولا.. ثم بعد ذلك نثبت للجميع أنه ابنك رسميا ونقوم بعمل اللازم.. أما الآن فلا يمكنك تسجيل طفل ليس موجودا.

. لا نقل أنه (ليس موجودا).. لقد رأيته بنفسك وتحديث معه.

. أعنى أنه الآن مفقودا.. فلنعثر عليه أولا ثم نسجل اسمه فى الأوراق الرسمية بعد ذلك.

توصل عقل (راضى) إلى فكرة شيطانية.. قال:

. فلنستخدم أخيه (وحيد).

..ماذا تعنى؟

..إذا كان (أنس) ليس مسجلا فى الأوراق الرسمية فإن (وحيد) مسجلا..والاثان متطابقان فى الشكل.. سنقول أن (وحيد) هو المفقود.. وننشر صورته فى جميع أقسام الشرطة ونضع مكافأة لمن يعثر عليه.

ابتسم (حازم) قائلا:

..لكن (وحيد) ابنك ليس مفقودا.. ستعثر عليه الشرطة داخل الفيلا على أساس أنه الطفل المفقود.. ثم يتم قفل المحضر فى أقل من ثانية.. فأنت رسميا لم تنجب اثنان.
..حسنا.. سنقوم بإخفاء (وحيد) تماما.. يسافر مثلا مع جدته إلى أى مكان بعيد.. لكى نترك الشرطة تبحث عن (أنس) وتعيده لنا على أساس أنه (وحيد) المفقود.

قال (حازم) بلهجة تحد:

..ومن سيتركك تفعل هذا؟

تراجع (راضى) عن أفكاره أمام لهجته الحاسمة.. لكنه تحدها قائلا:

..حسنا.. لا أحتاج الشرطة للبحث عن ابنى.. الشرطة تنتظر مدة قانونية للاختفاء قبل بدء البحث.. الشرطة تريد إثبات على وجود الطفل.. حسنا.. أنا لا أحتاج إلى الشرطة.. وسوف أبحث عن ابنى بنفسى.

ابتعد عن (حازم) قليلا ثم أردف:

..ومنذ هذه اللحظة..

ابتعد أكثر وتابع:

..وسوف أبحث أفضل من الشرطة.. سأبحث عنه فى كل مكان.. ليس فى مدينتنا فقط..

ليس فى مصر فقط.. بل فى العالم كله.. سأنشر صورته فى كل مكان على الانترنت و..

شعر بيد رقيقة تنقر على كتفه من الخلف فالتفت لصاحبتها وسألها:

..ماذا؟

ابتسمت الفتاة وقالت:

..لقد وجدنا (أنس).

كان الشيطان الصغير مختبئا فى المطبخ.. يلعب مع أصدقائه لعبة الاختباء.. ظن أنهم مازالوا يبحثون عنه فمكث هناك.. حتى راح فى النعاس مكانه.

فرحا الأيوان بعودة الولد فرحة كبيرة.. انهمرت الدموع من الأجفان بسهولة.. دموع الفرح طلبعا.. لم يتصور (راضى) أن يقلق على ابنه الجديد كل هذا القلق! هذا الابن الذى كان منبوذا بالنسبة له فيما مضى.. كان يريد التخلي عنه بأى طريقة.. كان يعلن فى الجرائد بحثا عن والدين له.. الآن يحبه كل هذا الحب!

ربما كان الطفل المفقود هو ابنه القديم وليس الجديد.. لا أحد يعلم.. ولا يهمه كأب معرفة أيهم كان الطفل المفقود.. لقد أحب الاثنان معا وبنفس القدر.. ولم يعد يستطيع الاستغناء عن أى واحد منهما.. ربما ما حدث الليلة كان اختبار من القدر ليتأكد (راضى) من حبه الشديد لابنه.

ابتسم (حازم) وقال:

. حمد لله على سلامة الولد.. ومن الغد سوف أساعدك فى تسجيله فى الأوراق الرسمية.

كانت (جوجو) فى قمة غضبها وضيقها وحزنها.. وراحت تعيد التفكير فى حياتها البائسة.. زوجة شريفة فى السر.. لا أحد يعلم بزواجها سوى أهلها.. لا يمكنها الإنجاب.. ممنوع التحدث مع الجيران.. ممنوع التحدث مع الصديقات.. ممنوع التحدث مع أى أحد حتى لا يعرف أحد أى أخبار عنها.. تعيش فى شقة فاخرة.. لديها أموال كثيرة.. (راضى) يحاول تعويضها بالكثير من المال.. لكن من قال أن المال هو كل شيء؟!!

قررت أن تنزل للتسوق.. هذه إحدى وسائلها الشهيرة للقضاء على بؤادر الإكتئاب.. لم تكن تعلم أنها فى تلك الليلة الحزينة سوف تقابل حبيبها الأول.. كان يشتري بعض الأشياء ويضعها فى عربة التسوق أمامه حين لمحها..

. (جماليات)؟

ياااه.. لقد نسيت هذا الاسم تماما! لقد اعتادت على اسم (جوجو) منذ زمن بعيد.. من هذا الذى يتذكرها من العصور الأولى؟ التفتت إليه.. عرفته على الفور..

. (باسم)؟

. نعم.. كيف حالك؟

ومد يده فى الهواء نحوها.. لو قابلته منذ سنوات طويلة.. لصافحته على الفور.. وربما تمنى أن تعانقه لكن الوضع مختلف تماما الآن.. تجاهلت يده الممدودة فى الهواء وقالت:
. الحمد لله.

ثم تركته وراحت تدفع عربة التسوق أمامها وعقلها مشغول بعشرات الأفكار.. فلحقها
ليسألها:

. ما أخبارك؟

كررت نفس الإجابة:

. الحمد لله.

سألها بوضوح ليفهم:

. هل قمت بعمل شيئاً أغضبك منى؟

كانت تريد أن تخبره أنها لم تحب أحدا مثله قبل زواجها.. وأنها لم ترد الزواج من أحدا
غيره.. وأنها تمننت فيما مضى العيش معه للأبد.. وأنها كانت تعشق التراب الذى يسير عليه..
وربما حتى هذه اللحظة.. من يدري؟.. لكن الأمور مختلفة تماما الآن.. لقد أصبحت زوجة
رجل آخر.. اكتفت بإجابة مقتضبة:
. لا.

وأكملت جولتها فى قسم الخضروات.. فتبعها قائلًا:

. أنا ما زلت أعزب.

لم تكن تعلم هذا الخبر.. لقد كفت عن السؤال عنه عندما علمت بسفره.. رحل وترك قلبها
معلقا به.. لم تصارحه بحبها ولم يفعل هو ذلك أيضا.

. عدت من السفر منذ ثلاث أعوام.. ظللت أبحث عنك فى كل مكان.. كنت..

ما الذى يريد قوله؟ وما فائدة ما يقوله الآن؟ قالت لتقطع أى جسور يحاول بنائها:
. أنا متزوجة.

تركته ودخلت قسم الفاكهة.. ظنت للحظات أنها قد تخلصت منه.. لكنها فوجئت به يقف
خلفها مباشرة ويسألها بلهفة:

. ما هو رقم هاتفك المحمول؟.. لأتصل بك وأطمئن على أحوالك بين الحين والآخر.. لقد
صرت ثريا الآن وأصبحت لدى شبكة علاقات هامة.. أعرف كثير من المسؤولين فى البلد..
يمكننى خدمتك فى أى شئ تريدينه.

كانت تود أن تخبره أن أكبر خدمة يمكن أن يقدمها لها الآن هى أن يختفى تماما من
الوجود.. لا تريد أن ترى وجهه أو تسمع صوته.. ما فائدة وصول قطار السعادة بعد أن غادرت
المحطة وعادت إلى منزلها؟ ما فائدة الدواء الذى يأتى للمريض بعد أن فارق الحياة؟ ما فائدة
المناظر الخلابة بعد أن فقد النظر؟ ما فائدة الموسيقى الحاملة بعد أن فقد السمع؟.. أنقذها

من شرودها أحد العمال عندما سألها:

. هل تريدin أى مساعدة؟

. لا.. شكرا.

أما (باسم) فسألها مجددا:

. ما هو رقمك؟

لقد توقعت أن يتوقف عندما أخبرته أنها متزوجة.. ما الذى يريده منها بالضبط؟ هل يظن أنه بأمواله يمكن أن يشتري أى شىء؟ أن يعيد الماضى؟ أن يصلح المكسور؟ أن يصحح أخطاء العصور القديمة؟.. أجابته بهدوء حتى لا تجرح مشاعره:

. نسيته.

. أليس معك الآن؟

أجابت باقتضاب:

. لا.

قال مبتسما:

. حسنا.. هذا هو الكارت الخاص بى..

وأخرج كارنا أنيقا من جيب بدلته الداخلى وأردف:

. اتصلى بى فى أى وقت.

أعطائها الكارت.. أخذته منه ثم وضعته على الرف أمامه دون أن تنظر إلى المكتوب حتى.

ابتسمت ابتسامة صفراء وقالت:

. عن إذنك.

كتم غيظه وأعاد الكارت إلى جيبه وقال باقتضاب:

. ففهمت.

ثم استدار ليسير فى الناحية الأخرى وأردف:

. آسف.

تحسست أصابعها الخالية.. لو أنها كانت ترتدى خاتم زواجها لأنتهى كل هذا بأقل

الخسائر.. ربما ظنّ أنها تتهرب منه وفقط.. فهو لا يرى فى يدها دليلا على زواجها.

(راضى) هو السبب!

هو الذى طلب منها ألا ترتدى الخاتم وهى بالخارج حتى لا يلمحّه أحد ويسألها عن زوجها..

وتثير التساؤلات.

(راضى) زوجها.. الذى يبيت فى حضن زوجة أخرى.. مع اثنين من الأبناء.. ويرفض اتصالاتها.. ويعاتبها لأنها تريد الاطمئنان عليه وسماع صوته.. يلومها لأنها تحبه بشدة وتريده معها طوال الوقت.

كان بإمكانها الانتقام منه وقد قابلت للتو حبيبها الأول.. لكنها زوجة شريفة.. تصون زوجها مهما فعل معها.. مهما ضايقها.. لن تخونه أبداً حتى لو خانها.. إنها زوجة وفية مخلصه!

كل الخيال الجنى الذى يدور داخل عقلها ويستحوذ على تفكيرها.. من أجل زوجها فقط.. لا تفكر أبداً فى تنفيذه على أرض الواقع.. مهما حدث.

زارها (راضى) فى الصباح الباكر ليعتذر لها.. قابلته بوجه لم يره منها من قبل.
أنا أسف يا حياتى.. أعلم أنى أغضبتك.. لكن أعذرينى.. لقد كانت ليلة عصبية.
بكت مجدداً وقالت:

كل ما كنت أريده هو أن أقول لك (كل سنة وأنت طيب يا حبيبى).

ضحك (راضى) قائلاً:

لكنه لم يكن عيد ميلادى.

ضربته برقة على كتفه.. فقال:

اضربى كما تشائين.. أعلم أنك غاضبة منى.

أعلم أنه عيد ميلاد ابنك.. لكن للأسف لا أحظى أنا بأى شىء.. لا أحتفل معك بعيد ميلاد

ابنك.. لا أحضر الحفل.. ولا أنال حتى فرصة أن أقول لك (كل سنة وأنت طيب) .. تغلق المكالمة فى وجهى وتصرخ فى.

أمسك يدها ليُقبلها فتزعجها عنوة من قبضته.

أنا أسف.. ومستعد لأى ترضية تريدينها.. أى طلب ستطلبه الآن سوف أنفذه.

مسحت دموعها وقالت:

أى طلب.. أى طلب؟

نعم.

أريد إعلان زواجنا.

صاح قائلاً:

. لا.. هذا الطلب يخالف شروط زواجنا.. طلب مرفوض.. اطلبى أى طلب آخر وسوف أنفذه.

أدارت ظهرها له فاحتضنها من الخلف قائلاً:
. يا حبيبتي.. أنا مثلك أريد أن أعلن زواجنا وأريد أن أنجب منك.. لكن الظروف الآن لا تسمح.. كل هذه الأمور سوف أنفذها تلقائياً دون أن تطلبها حتى.. فقط عندما تأتى اللحظة المناسبة.

استدارت له قائلة:
. ومتى تأتى هذه اللحظة؟
. قريباً جداً.. اطمئنى.. والآن اطلبى طلباً أستطيع تنفيذه فى الوقت الحالى.
فكرت (جوجو) قليلاً ثم طلبت طلباً اعتقدت أنه سيرفضه بسبب صعوبة.. كانت تريد اختبار له لكنه فاجأها بقوله:
. طلبك مُجاب.. حاضر.
احتضنته بقوة وقالت:
. بحبك.. بحبك.
وغمرته بالقبلات.. وكان هو فى قمة سعادته.. لم يكن يعلم ما يخبئه له القدر.
لم يكن يعلم أن تنفيذ هذا الطلب سيجلب عليه أهوالاً لم يكن يتوقع حدوثها.. أمورا ستقلب حياته رأساً على عقب.

(34)

كاميرات مراقبة فى كل مكان بالفيلا.. المكان الوحيد الذى لم تضع به (حنان) كاميرا واحدة هو الحمام.

فى الصباح.. جلست أمام جهاز الكمبيوتر المحمول (اللاب توب) وراحت تشاهد ما سجلته الكاميرات طوال الليلة الماضية.. بدأت بكاميرا غرفة نوم الأطفال.. شاهدت نفسها تدخل الغرفة.. تتحدث إلى ابنها قليلا.. الكاميرا لا تسجل الصوت.. حاولت تذكر ماذا كانت تقول له فى تلك الساعة.. ثم رأت نفسها تدير رأسها إلى السرير الآخر الخالى و.. كانت تتحدث!

تذكرت الآن.. وارتعد جسدها من هول الفكرة المخيفة.. لقد دخلت الغرفة ليلة أمس وتحدثت إلى (وحيد) ثم تحدثت بعدها إلى (أنس).. المفروض أن (أنس) كان نائما على السرير الآخر فى تلك اللحظة.. ولهذا هى تتحدث إليه.. لكن.. لماذا لا يظهر على الشاشة؟ أين هو؟ هل هناك جزء من السرير لا تغطيه الكاميرا؟ نظرت جيدا إلى الشاشة.. كانت النتيجة: لا.

السرير بالكامل تغطيه الكاميرا.. ربما كان (أنس) مختبئا تحت السرير وهى تحادثه.. إنه يفعل ذلك كثيرا من باب المزاح واللعب.. لكنها تتذكر جيدا أنه كان نائما فوق السرير وقتها.. لم يختبئ تحت السرير فى الليلة الماضية.

على الشاشة.. انتهت (حنان) من حديثها ثم التفتت إلى الكاميرا وغمزت بعينها اليمنى.. نعم.. تتذكر أنها قامت بذلك قبل خروجها مباشرة.

ثم شاهدت الغطاء يتحرك على سرير (أنس).. كأن (الرجل الخفى) كان نائما واستيقظ الآن.. إن (أنس) هناك بالفعل لكن.. لماذا لا يظهر على الشاشة؟

قامت بتسريع المشاهد بالضغط على زر السهم الأيمن.. حتى تجاوزت ساعة تقريبا فى أقل من عشر ثوانى.. ثم أوقفت التسريع وعادت للمشاهدة الطبيعية.

ها هى على الشاشة نائمة على السرير بجوار أحد طفليها.. لا ترى الآخر! الغطاء يتحرك بجوارها.. حيث ينام كائنا لا تراه.. كائنا تظن أنه ابنها لكنه ليس كذلك.. كائنا أطلقت عليه اسم (أنس)! يبدو أنه غادر الفراش الآن.. إلى أين ذهب؟

ضغطت على زر السهم الأيمن لتسريع المشاهد مرة أخرى.. ثم فجأة أوقفت العرض إيقاف مؤقت وحدقت فى الشاشة بعيون مذعورة.. كانت هناك ظلال تتحرك من أسفل الشاشة.. المفروض أنه خفيا بلا ظلال.. فمن هذا القادم إذن؟

الظلال كانت غريبة.. هذه ليست ظلال زوجها!

ثم ظهر صاحب الظلال على الشاشة.. انتفضت مقروعة ونهضت من مقعدها عندما شاهده.. كان كائنا أسودا صغيرا مخيفا.. يرتدى ملابس ابنها (أنس).. ومن أسفل الملابس يتحرك ذيل أسود طويل.. يخرج من رأسه قرنان صغيران لم تستطع رؤيتهما فى رأسه السوداء الصغيرة لكنها رأت ظلالهم واضحة على الجدار.

رفع الكائن الأسود المخيف الغطاء قليلا وراح ينام بجوارها.. ويحتضنها.

سرت فى جسدها فشريرة قوية عند رأت ذلك على الشاشة.. تهاوت على المقعد.. اختفى الكائن من الشاشة بعد ذلك لحظات.

غادرت عينيها الشاشة ثم تلفت حولها فى ذعر ثم عادت تحديق فيها وهى تسأل نفسها:
ما هذا؟

خمنت أنه يظهر بأشكال متعددة.. يظهر فى هيئة طفل فلا تصوّره الكاميرا.. يظهر فى هيئته الحقيقية فتسجله الكاميرا.. ربما يختفى عندما ينام أو عندما يتحول إلى طفل.

ثم فجأة رأت ظلال سوداء أخرى فى أسفل الشاشة.. تقترب من باب الغرفة.. وسوف تدخل الآن.. كم عددها؟

واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة.. خمسة.. ستة.. سبعة..

ما كل هذا؟

كل هذا يحدث وهى نائمة لا تدرى شيئا!

دخلوا جميعا الغرفة وراء بعضهم.. كانوا جميعا يشبهونه فى الحجم والشكل.. لكنهم لا يرتدون أى ملابس.. الشعر الأسود الكثيف يغطى أجسادهم كلها.. حتى أنها لا تستطيع رؤية أى شيء آخر غير السواد.. ذيولهم تتحرك بمرح خلفهم.. من الواضح أن لديهم القدرة

الكاملة على تحريكها باقتدار.. قرونهم الصغيرة تبرز من رؤوسهم جميعا.
قام (أنس) أو الطفل أو الكائن من جوارها وراح يرقص مع أصدقائه.. هل يستمعون إلى
موسيقى معينة يرقصون عليها أم أنهم يغنون أم ماذا؟
لا تستطيع المعرفة بسبب عدم وجود صوت.. الكاميرا لا تسجل سوى الصورة فقط.
. جا جا جا جا.

ما هذا الصوت؟ إنها متأكدة أن الكاميرا لم تسجل أى صوت.. هل خرج هذا الصوت من
الجهاز؟ أم من خارجه؟

تلفتت حولها فى ذعر.. لم تجد أحدا.. عادت تنظر إلى الشاشة.. كانوا يرقصون على
السريр الخالى.. ويرقصون فوق السريр الذى تمام عليه أوقات أخرى.. كانوا يرقصون فوق
الغطاء الذى تتدثر به مع ابنها (وحيد) .. لكنهما بالتأكيد لا يشعران بحركاتهم والا كانا قد
استيقظا وقتها.. لايد أنهم كائنات خفيفة الوزن والحركة.

أم أنهم قد سحروهم وأسقطوهم فى نوم عميق لا يشعرون بالزلزال لو حدث؟
وضعت (حنان) يدها على فمها لتكتم صرختها المذعورة.. إنها ترى نفسها نائمة ولا تدرى
شيئا عن المهرجان المرعب الذى يدور فوقها.

رأت ظلال أخرى أسفل الشاشة.. هناك آخرون.. الحفلة لم تنتهى بعد.. بل تبدأ كما
يبدو.. كانت الظلال تخص أجساد جديدة من نفس أحجام وأشكال هذه الكائنات السوداء
الصغيرة.. يدخل الضيوف الجدد إلى الغرفة لينضموا إلى الحفل.
. جا جا جا جا.

الصوت مرة أخرى.. ولا تدرى مصدره! ثم يأتى آخرون.. وينضموا للحفل الراقص.
الغرفة تزدهم بهم حتى أصبحت ترى معالم الغرفة بصعوبة.. الكل يرقص تلك الرقصات
العجيبة.. لا تعرف لماذا يرقصون! وعلى أى موسيقى أو طبل! وهل يغنون! وهل يرقصون كل
ليلة!.. ولماذا اختاروا هذه الغرفة بالذات ليرقصوا فوقها.. أم أنهم يرقصون فى جميع الغرف
ليلا دون أن تدرى! سوف تستجمع شجاعته وتشاهد ما سجلته بقية الكاميرات.. ربما وجدت
نفس الحفل فى جميع الغرف.

كانت تميز الكائن المدعو (أنس) من وسطهم عن طريق الملابس.. فهو الوحيد فيهم الذى
يرتدى ملابس.. تلك الملابس التى اختارتها له بعناية هذا الصباح وألبستها له.. تلك الملابس
التي تختفى مع اختفاء جسده على الشاشة.. ولا تدرى السبب!
شاهدته يحرك ذراعيه بحركات معينة فيقلدهم.. يرقص بطريقة معينة فيرقصوا مثله..

يتوقف عن الرقص فيتوقفوا.. يعود فيعودوا.. ربما هو قائدهم.. يدعوهم كل ليلة ليمرحوا هنا في بيته.

كانت مندمجة في متابعة الرقص وفجأة.. رأت أمامها أحد الوجوه ينظر إلى الشاشة عن قرب ويبتسم.. كان وجهه المخيف يملأ الشاشة كلها.. أغلقت اللاب توب على الفور من الرعب.. لقد نظر أحدهم إلى الكاميرا وابتسم فهل كان يعرف أنها تصوّرهم؟ هل جميعهم يعرفون أنها تصوّرهم؟ ثم تذكرت الوجه الذي احتل الشاشة أمامها فارتعد جسدها..

" جا جا جا جا "

الصوت مرة أخرى! فتحت اللاب توب لترى.. نظرت إلى الشاشة السوداء رأت نفسها وخلفها وجوه هذه الكائنات المخيفة.. لكنها لم تشغل الجهاز بعد.. الشاشة السوداء تعمل كمرآة الآن.. لهذا تعرض صورتها حاليا.. وهذا يعنى أنهم يقفون خلفها مباشرة في هذه اللحظة.

نهضت من مقعدها بسرعة فرأتهم.. كانوا يقفون أمامها الآن.. كانوا خمسة في حجم الأطفال بالضبط.. رأت اثنان آخران يخرجان من أسفل المنضدة التي تضع عليها اللاب توب.. هناك سبعة يأتون من غرفة النوم.. هناك ثلاثة يطرقون الباب.. هناك ثلاثة آخرون يخرجون أياديهم من الأرض نفسها.. أسفل قدميها مباشرة.. ثم يظهر باقى أجسادهم.. يحاولون جذبها إلى الأسفل..

. جا جا جا جا .

صيحاتهم حولها تتردد في أذنيها.. نظرت إلى اللاب توب.. فتح نفسه بنفسه ورأت يد سوداء تخرج من الشاشة وتريد أن تقبض عليها أيضا.. أحاطوا بها تماما من كل اتجاه.. لا مكان للهروب.. حصار تمام.. والأيادي السوداء المخيفة تثبت من أسفلها.. يسحبونها بقوة إلى باطن الأرض.

(35)

لا تستطيع التنفس ولا الحركة.. لا تقدر على نطق حرف واحد من كلمة (النجدة).. تشعر بالإختناق.. إنها النهاية إذن.
..هواء.. أريد هواء.

تسمع صوتا يأتى من العدم.. يقول لها:
.. استيقظى يا (حنان)..
..هواء..

جسدها يرتج كأن الأرض تمر بمائة زلزال فى آن واحد.. والصوت يزداد حدة:
.. استيقظى.. إنه كابوس.

كابوس! سمعت الكلمة فخرجت من عالم الأحلام وعادت إلى الواقع.. وجدت زوجها بجوارها يعطيها كوب ماء لتشربه.
..بِمَ كنت تحلمين؟

لم تستطع إخباره بالحلم.. ألقت نظرة على الكاميرا المعلقة وابتسمت فى غيظ.
.. يجب أن تذهبى إلى طبيبىة نفسية.

xxx

جلست أمام اللاب توب لترى التسجيل.. لترى إن كان مجرد كابوسا مزعجا.. أم إشارة لما يحدث فى الواقع.

شاهدت التسجيل كاملا لجميع الغرف.. قضت معظم اليوم فى المشاهدة.. النتيجة:
الجميع بخير.. الكاميرا لم تظهر أى شىء غير طبيعى.

إن ابنها (أنس) تراه بوضوح على الشاشة.. ينام كالملائكة.. يلعب كالشياطين.. طفل عادى

جدا مثل أخيه (وحيد) .. هذا أفضل! فلنكن مجنونة أفضل من أن يكون هذا الكابوس حقيقيا ..
كل شيء تمام!
أو .. هذا ما ظننته (حنان) في هذا الحين.

ذهبت (حنان) إلى طبيببة نفسية بناء على إلحاح من زوجها وأيضاً نصيحة والدتها بالإضافة لاقتناعها الداخلي بأنها ليست على ما يرام .. أعطوها اسم الطبيبة الشهيرة وعنوان عيادتها .. ذهبت إلى هناك وجدت العيادة مغلقة وتوجد آثار شمع أحمر على الباب .. سألت الجيران فأخبروها أن الطبيبة قد انتحرت منذ عام بسبب الاكتئاب.
يبدو أنها استطاعت علاج جميع المرضى عدا نفسها .. أو أنها قد عانت بسبب ما تسمعه من مرضاها .. المهم أنها سألت عن اسم أى طبيب نفسي آخر .. ذكروا لها أكثر من اسم .. وعناوين العيادات .. اختارت أقربهم لها في المسافة.

وفي العيادة .. استرخت على الشيزلونج وقالت للطبيب النفسى:
ما هو أول سؤال؟

ابتسم د. (ياسين) وقال:

لا توجد أى أسئلة .. فقط استرخى تماماً وأخبرنى بما تريد البوح به.

شجعها أسلوبه الهادئ على الكلام .. قالت:
أنا خائفة.

واحتضنت ذراعيها بشدة فسألها باهتمام:

وما هو سبب خوفك؟

صمتت لبرهة ثم ارتعد جسدها وقالت بغموض:

جا جا جا جا.

فوجئت (جوجو) برقم غريب على هاتفها .. ظنت أنه زوجها ويتصل بها من هاتف عمومى ..
فقامت بالرد:

آلو.

تأخر الصوت كثيراً قبل أن تسمع:

آلو.

سألته بشك:

. (راضى)؟

سمعت المتصل يقول بهدوء:

. (راضى) .. هل هذا هو اسم زوجك؟

. من؟

. لقد أخذت الرقم من والدتك ..

. (باسم)؟

أجاب بكل هدوء وعلى وجهه ابتسامة سعادة لأنها تعرّفت صوته:

. نعم.

أنهت المكالمة على الفور .. فاخفت ابتسامته (باسم) تماما هي أقل من ثانية وحدّق مذهولا

في شاشة هاتفه للحظات .. لا يصدق ما فعلته (جماليات) ..

ثم ..

مسح رقمها.

أما هي فقررت الاتصال بأمرها لتلومها أشد اللوم.

كان د. (ياسين العوضى) الطبيب النفسى الشهير يجلس خلف مكتبه عندما سأل

(حنان):

. ما هذا؟

استرخت أكثر في الشيزلونج وكررت بغموض:

. جا جا جا جا.

. ما معنى هذا؟

. صوت!

. صوت من؟

هزت رأسها بالنفى وأجابت:

. لا أعرف! المشكلة أنني لا أعرف.

. متى تسمعيه؟ وأين؟

. في كل مكان وفي كل وقت.

. ألا تعرفين مصدره؟

. كما أخبرتك من قبل.. لا.

. متى كانت أول مرة سمعت بها هذا الصوت؟

عادت (حنان) بذاكرتها للوراء.. إلى ذلك اليوم الذى دخلت فيه غرفة الأطفال فوجدت
الولدان يلعبان ويمرحان كالعادة، وفجأة سمعت أحدهما يقول:

. جا جا جا جا.

لم تهتم بما سمعته فى البداية.. فالأطفال يطلقون صيحات غريبة فى المعتاد.. يسمعونها
من التليفزيون فيقلدونها كصيحات (طرزان) فى الأدغال.. وأحيانا أخرى يخترعونها.

ثم رأت الطفل الثانى يقول مثل أخيه بالضبط:

. جا جا جا جا.

إما أنه يحب تقليده أو أن الاثنان يحبان هذه الصيحة ويحبون تكرارها.

خرجت من الغرفة بسرعة حتى لا تفقد أعصابها.. الصيحة بدت لها مخيفة.. لم تسمعها
من قبل.. لكنها عادت للغرفة من جديد وسألتهما:

. لماذا تقولون (جا جا جا جا)؟

لم يجيبها أحد وراحوا يكررون الصيحة.

xxx

فى يوم آخر.. صممت أن تعرف الإجابة:

. ما هذا ال (جا جا جا جا)؟ من علمها لكم؟

أجاب واحد منهما.. لا تعرف هل هو (وحيد) أو (أنس):

. هو.

أوماً الطفل الآخر برأسه مؤيدا إجابة أخيه.. فسألتهما:

. من هو؟

أجاب الطفل الثانى هذه المرة:

. صديقنا.

ثم عاد إلى اللعب.. فسألت الطفل الأول:

. ومن هو صديقكم هذا؟

.....

خمنت أن يكون صديق خيالى لهما.. فالاثنتان يملكان نفس الذاكرة.. ربما لديهما نفس التفكير والخيال أيضا.

. هل لديه اسم تتادونه به؟

. نعم.

. ما هو اسمه؟

. الجنى.

تلفتت (حنان) حولها بقلق بحركة لا إرادية.. الكلمة تثير رعبها منذ الصغر بينما يقولها ابنها بمنتهى البساطة.. سألته بقلق:

. ماذا؟

. جنى المصباح.

ثم أطلق ضحكة طفولية بريئة فور إجابته.

. مصباح؟

. مصباح (علاء الدين) يا ماما.

خمنت الأم أن هذه هى صيغة الجنى عندما يخرج من المصباح فى فيلم الكارتون الشهير.. يقول مثلا (جا جا جا.. شبيك لبيك).. ربما عرضت قناة الأطفال هذا الفيلم مؤخرا.. وتأثر الطفلان به.. وأعجبتهما صيغة الجنى فراحا يرددانها طوال الوقت.

لكن الشك ساورها من جديد.. فقامت بمشاهدة الفيلم بنفسها وانتظرت لحظة خروج الجنى.. وسمعته جيدا.. وكررت المشهد.. ثم سمعته مجددا.

. لا.. صيغة الجنى مختلفة.

خمنت أن يكونا الطفلين شاهدا فىلما آخر أو أنهما لا يقلدانه بطريقة صحيحة.. إنهم يخلطان بين الكلمات فى المعتاد لذا من المرجح جدا الخلط بين الصيحات وبعضها.. ثم فكرت أن تطلب منهم رسمه.

. كيف شكل صديقكم هذا؟

تعطى الطفلين كراستين رسم وألوان.

. ارسماه لى.

بعد مرور بعض الوقت فرغ الطفلين من الرسم.. نظرت الأم إلى ما صنعت أياديهم.

كان الرسمين متشابهين إلى حد بعيد.. كأن من رسمهم واحدا.. لم تعد هذه الأمور الخاصة بالتوءمين تثير دهشتها.

. من هذا؟

. الجنى.

. لكن هذا ليس شكل الجنى.

. انه صديقنا الذى طلبت منا رسمه.

سألتهما بشك:

. أين ترونه؟

توقعت أن يشيرا نحو التليفزيون.. لكنهما أجابا فى نفس واحد:

. هنا.

المفروض أن تعاملهم على أنهما طفل واحد حتى تتجنب الدهشة المتكررة من نفس ردود الأفعال والاستجابة.

. هنا.. أين؟

لوحا الطفلان بأياديهم فى الهواء وقالا:

. هنا.. هنا يا ماما.

نظرت الأم حولها فى رعب وسألتهما:

. ماذا يفعل؟

. يلعب معنا.

سألت وهى تخشى إجابة السؤال:

. متى يأتى؟

. عندما تخرجين.

حذرتهما (حنان) من اللعب معه وطلبت منهم إذا رآوه يصرخان على الفور باسمها لكى تأتى وإن لم تكن موجودة فيصرخون باسم أبيهم.. لكن.. من قال أن كل الأطفال يطيعون الأوامر؟

خرجت (حنان) وتركت الطفلان مع زوجها (راضى).. ثم اتصلت عليه لتطمئن عليهم وتخبرهم أنها قد تتأخر قليلا.. اتصلت على هاتف زوجها.. لم يرد.. ربما كان يستحم أو مشغولا فى غرفة مكتبه أو.. أو.. فاتصلت على هاتف المنزل.. أجاب أحد الطفلين:
. ألو.

. نعم يا حبيبي.

. ماما؟

. نعم.. أين بابا؟

. لا أعرف.. هل تريد أن تكلميه؟

. لا.. أريد أن أكلّمك أنت.. ماذا تفعل؟ وأين أخوك؟

. نلعب.

. ماذا تلعبون؟

. (استغماية).

. لا تلعبونها.. لا تتحركوا فى الشقة حتى لا تكسروا شيئاً أو يحدث أى مكروه لكما.. العبوا

بالدمى أو ألعاب فيديو.. أو شاهدوا التلفزيون.

. لكننا الثلاثة نحب أن نلعبها.

. ثلاثة! هل يلعب بابا معكم؟

. لا.

. سألت بقلق:

. من الثالث إذن؟

. صديقنا.

. من؟

. أجب ببساطة شديدة منقطعة النظير:

. جنى المصباح.

. خفق قلب (حنان) بعنف.. هل هو صديق خيالى؟ أم أن هناك ثالث يلعب معهم بالفعل؟

فكرت بسرعة وقالت:

. حسناً.. هل يمكن أن تعطى السماعه لصديقكم لأكلّمه؟

. حاضر.

. ثم سمعت صوت وضع السماعه على المنضدة ثم صوت ابنها يقول من بعيد:

. ماما تريد أن تكلمك.

. إلى من يتحدث ابنها؟ كانت تريد أن تكون هناك فى الغرفة معهما فى تلك اللحظة لترى

ما يحدث بالضبط.. مرت ثوان كأنها دهر قبل أن تسمع الصوت:

. جا جا جا جا.

كانت هذه هي أول مرة تسمع فيها صوته.. هذا ليس صديق خيالي إذن! لكن هناك احتمال أن يكون أحد طفليها قام بتغيير صوته وراح يتحدث كأنه هو الصديق المجهول الغامض.. الأطفال لا يكفون عن العبث مع الكبار.

على أي حال.. لم تطمئن (حنان) لما يحدث وأنهت المكالمة فوراً.. وألفت جميع مشاويرها وعادت إلى الفيلا بسرعة.. دخلت غرفة الطفلين.. لم تجد سواهما.

. أين هو؟

. بابا؟

. لا.. أنا أسأل عن صديقكما.

أجاب أحد الولدين:

. لقد خرج عندما علم أنك ستحضرين.

. كيف كان شكله؟

. لقد رسمناه لك من قبل.

. كيف كان طولُه؟ إلى هنا أم إلى هنا؟

وراح تعلو بيدها وتهبط.

وقف أحد الطفلين وقال مشيراً بيده نحو رأسه:

. إلى هنا.. مثلنا.. هكذا.

. طفل؟

ابتسم قائلاً:

. نعم يا ماما.

(36)

رأت (حنان) الصديق الفامض وتأكدت من وجوده فى ذلك اليوم الذى قررت اختيار

اسم للولد الجديد.. كان الصديق جالسا بهدوء بجوار ابنها.. يوليها ظهره.. لم تشك أبدا أنه الصديق الفامض! ظننته ابنها الثانى.

لم يحاول أن يلتفت لها على الإطلاق.. أو يهرب من أمامها.. ظل مكانه يلعب بهدوء دون أن يثير بداخلها أدنى شكوك.. لقد رأته وكان مثلما قال ابنها بالضبط فى مسألة طوله:
..إلى هنا.. مثلنا.. هكذا.

المرة الثانية التى رأته (حنان) فيها لم يكن وحده.. كان هناك اثنان.. صديقان لطفليها.. يرتديان قناعان.

.. اللعنة على الأفتعة!

قالتها (حنان) لنفسها.. كانت تستطيع رؤية وجوههم لولا هذه الأفتعة.. وعندما طلبت منهم خلعها وكادت أن ترى الوجوه انقطعت الكهرباء فى نفس اللحظة.
.. اللعنة على من يقطع الكهرباء.

لم تحك (حنان) أى من هذا لطبيبها النفسى.. كانت تعلم أنه سوف يظن بها الظنون.. إنه يتعامل مع المجانين ليل نهار.. فبالتأكيد سيظن أنها واحدة أخرى من نفس النوع.. وربما يطلق

مصطلحا طبيا على حالتها.. و يطلب من زوجها إيداعها المستشفى.
أين ذلك الطبيب النفسى الذى يمكن أن يصدقها؟ طفل خيالى! بل طفلان خياليان..
يظهران ويختفيان.
لو أردت أن تدخل مستشفى الأمراض العقلية لن تجد قصة أفضل من هذه تمنعهم
بجنونها.

عندما سألتها د. (ياسين):
. متى كانت أول مرة سمعت بها هذا الصوت؟
. ابتسمت وكذبت قائلة:
. منذ شهر.. فى الراديو.
. كيف؟
. أغنية جديدة من (أغاني المهرجانات).
ضحك الطبيب وقال:
. أغنية؟

. نعم.. ذلك الشاب الفاشل الذى لم يستطع تعلم حرفة فقرر أن يكون مطربا.
. هل تعنين أن صوت الـ (جا جا جا جا) هذا.. هو فى النهاية أغنية؟
. نعم.. يا دكتور.. ماذا ظننت؟
شعر د. (ياسين) أنها تكذب.. وهى عرفت أنه شعر بذلك لذا حاولت إتقان الكذبة لتقنعه
بتصديقها.

. ألم تسمع أغانيهم؟.. إنها منتشرة فى كل مكان.. ولهذا أسمعها فى كل وقت.. فى الراديو..
فى التلفزيون.. فى الشوارع.. فى المقاهى.. فى المواصلات.. فى كل مكان وكل زمان.
حاول الطبيب أن يكشف كذبتها:
. وماذا تقول الأغنية؟

. لا أتذكر شيئا منها.. أو بمعنى أدق لا أفهم شيئا مما يقولون.. ربما بسبب الموسيقى
الصاخبة التى يستخدمونها.. أو طريقة نطقهم السريعة للكلام.. أو أن كلامهم نفسه ليس
مفهوما.. الزمن غدار.. جا جا جا جا.. الكل ييضرب نار.. جا جا جا جا.. الجار يقتل الجار
جا جا جا جا.

ضحك الطبيب مما تقوله.. بينما هى كانت سعيدة لأنها استطاعت تأليف أغنية فى لحظة
واحدة! وبدا لها أن الطبيب اهتم بكذبتها.. حاولت أن تغيّر الموضوع حتى لا يسألها من جديد..

قالت:

. لقد جئت لك اليوم من أجل موضوع آخر.. مشكلة خطيرة.
سألها الطبيب بإهتمام:
وماهى؟
. التبول اللا إرادى!

" جا جا جا جا "

هل يمكن أن تتغير حياتك بأكملها بسبب مكالمة؟
أعتقد أن الإجابة ستكون غالبا بـ (نعم) ..

كثير من الأخبار الهامة تصلنا الآن بواسطة الهاتف المحمول.. إن لم يكن عن طريق الفيس بوك Facebook.. رسالة خاصة فى صندوق الوارد Inbox.. أو خبر فى status على wall صديقك أو قريبك أو شركتك.. أو عن طريق التلفزيون.. خبر عاجل فى شريط أحمر أسفل الشاشة يعلن أن الوزير سيقوم بتعيين من لهم نفس مؤهلاتك مثلا.
قديمًا كانت الأخبار تتناقل فقط عن طريق الراديو أو الصحف الرسمية أو.. المنادى فى العصور القديمة.. ذلك الرجل الذى كان يجوب الشوارع والطرق صائحًا بأعلى صوته معلنا الفرمان الجديد لحاكم البلاد.
الزمن يتغير بالتأكيد!

لكنى لا أتحدث هنا عن مكالمة تحمل خبر تعيينك فى شركة عالمية أو فوزك باليانصيب أو لا قدر الله خسارتك فى البورصة أو فقد إنسان عزيز.. إلخ.. أعلم أن هذه أخبار هامة قد تقلب حياة الفرد رأسًا على عقب، ولكنها أخبار ستصله حتما.. سواء قام بالرد على المكالمة أو لا.. مثلا: الشركة سوف ترسل لك أكثر من مرة لتخبرك بأنه قد تم تعيينك.. و اسمك سوف يُعلن فى كل مكان بأنك ربحت اليانصيب.. أما البورصة فأخبارها لا تتأخر أبدا.. و الفيمتو ثانية لها قيمتها فى عالم الربح والخسارة.. و سوف تعلم عاجلا أو آجلا حتى لو كنت فى آخر مكان بالعالم.. و أيضا فى الأخبار الحزينة.. و التى أعتبر أسوأها على الإطلاق هى أن تعلم بفقد إنسان عزيز عليك.. أحباء لا يمكن تعويضهم أبدا أو بفقدهم قد تتغير حياتك للأبد.. تغير للأسوأ إذا شعرت أن حياتك ليس لها قيمة بدونهم.. وربما تغير للأفضل إذا قررت تجاوز

الأزمة و التعلم منها.. الوفاء بوعدك تجاه المرحوم وتحقيق حلمه.. أو تنفيذ وصيته.. أو استلام ثروته.. أو الاتعاض من موته فتسلك الطريق الصحيح حتى لا تنتهى بنهايته المأساوية.. كل هذه احتمالات لتغير حياة الفرد نتيجة خبراً حتى هذا الخبر الحزين سوف يصلك سواء قمت بالرد على المكالمات التى تحمله أو لا.. ستعرفه يوماً بالتأكيد.. إما برسالة على هاتفك المحمول.. أو على WhatsApp أو Facebook أو Twitter أو بريدك الإلكتروني e.mail.. الرسالة فى الفضاء تنتظر قراءتك لها.. أو ستقابل أحدهم فى يوم ما فتسأله عن ذلك الفقيد فيخبرك على الفور.. أو ستقوم بزيارته يوماً فيخبرك جيرانه بأن البقاء لله.. كل هذه المكالمات ستعلم مضمونها يوماً ما.. سيصلك الخبر بشتى الوسائل.. حتى لو تأخر لبعض الوقت.. ولكنى لم أكن أقصد هذا النوع من المكالمات عندما طرحت السؤال فى بداية حديثي.. لقد كنت أقصد نوعاً آخر تماماً! أقصد تلك المكالمات التى قد تغير حياتك للأبد لمجرد أنك قمت بالرد عليها فقط.. و لو أنك قد تجاهلتها تماماً لاستمرت حياتك هادئة كما كانت من قبل.. هذا هو ما أتحدث عنه بالضبط!

أعنى بالتحديد ذلك الرقم الغامض الذى يتصل بك.. ثم تتردد كثيراً فى الرد عليه لأنك لا تعرف صاحبه.. و بعد حيرة طويلة و إلحاح شديد من المتصل ترد فى النهاية لتوقف صوت الرنين المزجج المتواصل.. فيحمل لك المتصل خبراً هو أغرب ما يكون بالنسبة لك.. أو حديثاً لم تكن تتوقعه على الإطلاق.. أو صفقة مغرية لا تستطيع رفضها.. أو صوتاً لم تكن تتخيل أن تسمعه عبر الهاتف.. ثم يتطور الأمر بمرور الوقت.. وتتعدد المسائل.. و تتشابك الخطوط.. و تنزلق قدمك رويدا رويدا نحو القاع المظلم.. لا أمل فى المستقبل.. لا هدوء ولا راحة.. إرهابك مستمر وإجهد أكثر فأكثر.. ثم تدرك فداحة المشكلة بعد فوات الأوان.. وقتها سوف تختلس لحظة من الزمن لتعيد التفكير وتتأمل بداية كل ما حدث لك فتكتشف أن السبب كان هذه المكالمات! سوف تتمنى فى ذلك الحين لو أن الزمن يعود بك لتلك اللحظة الفارقة من أجل هدف واحد فقط.. ألا وهو تجاهل ذلك الاتصال اللحوق من ذلك الرقم المجهول.. بضغطه واحدة على زر الرفض بدلاً من زر القبول.. أو تسحب إصبعك على الشاشة ناحية اليسار إذا كان هاتفك يعمل باللمس.. مجرد ضغطه على زر أو لمسة إصبع قد تغير حياتك للأفضل أو على الأقل تظل كما كانت.. فحياتك السابقة العادية بمشاكلها التقليدية أفضل بكثير من حياتك الحالية.. إن ذلك الزر الآخر هو الذى دفعك إلى ما أنت عليه الآن!

ستتمنى لو أنك لم تعط رقمك لذلك المتصل أبداً.. ستتمنى لو أنك لم تطبع رقمك فى أى كارت حتى لا يصل لذلك المتصل مهما حاول.. ستتمنى لو أنك تركت هاتفك مغلقاً فيمل ذلك

المتصل فيتركك لحالك.. ستمنى لو أنك لم تشتري هاتفًا محمولًا من الأساس.. ستمنى لو أنهم لم يخترعوه أصلاً.

هل تظن أنني عدوا للتكنولوجيا؟

..لا.

تساءل: هل هذه دعوة من المؤلف لعدم الرد على الأرقام المجهولة؟ أم أنه يحارب شركات المحمول لأنهم لم يقدموا عروضاً جيدة منذ زمن؟

..لا.. الموضوع أبسط من ذلك بكثير.

أولاً: لا أحد يستطيع أن ينكر فائدة التكنولوجيا والتقدم العلمي.. ومهما كانت عيوب أى اختراع فإن مزاياه أكثر بكثير.

كم أنقذت الهواتف المحمولة حياة أناس كثيرين!.. مكالمات واحدة فى ساعة متأخرة لطبيب تنقذ حياة إنسان على حافة الموت.. فيما مضى كان استدعاء الطبيب يحتاج إلى خوض رحلة أسطورية إلى منزله أو عيادته التى تبدو وكأنها تقع فى نهاية العالم ثم العودة به بينما المريض قد نفث أنفاسه الأخيرة منذ الفصل الأول فى هذه الملحمة الإغريقية.. إن الهاتف المحمول يختصر المسافات والوقت.. تتصل بطبيبك الخاص تخبره بالحالة فيصف لك الدواء بـدلاً من التى تتصل بالصيدلية القريبة من منزلك فيحضرون لك علبة جديدة من الدواء بدلاً من التى نفدت.. تتصل بالإسعاف فتأتى السيارة فى أسرع وقت.

إن الهاتف المحمول هام جداً فى حياتنا، وكم من كوارث كان يمكن تفاديها لو كانوا اخترعوا الهاتف المحمول منذ الأزل! كم من حياة كان يمكن إنقاذها لو أنها كانت تملك هاتفًا محمولًا أو رصيداً لإجراء مكالمات أو بطارية مشحونة أو إشارة الشبكة كانت جيدة.

لا تتجاهل الأرقام المجهولة فربما كانت من قريبك المسكين يستغيث بك من هاتف عمومى أو من داخل وكر عصابة وأنت آخر أمل لديه بعد الله سبحانه وتعالى.. أو قد يكون محامى يتصل بك ليخبرك أن قريبك الثرى الذى يعيش فى البرازيل.. الله يرحمه.. كتب جميع ممتلكاته لك.. وقتها ستندم لو أنك لم ترد عليه.

كما ترى.. أنا لست مع أو ضد الرد على الأرقام المجهولة.. أنا فقط أتساءل:

هل يمكن أن تتغير حياتك بأكملها بسبب مكالمات؟

هل.....؟

رأى (راضى) رقما غريباً على شاشة هاتفه المحمول.. لم يعتاد الرد على مثل هذه الأرقام الغريبة! لكن شيئاً ما قد دفعه للرد واستقبال المكالمات..

آلو..

الأستاذ (راضى)؟

نعم.

هل تريد أن تعرف كيف أتى ابنك (أنس)؟

من أنت؟

ظن (راضى) أنه الرجل الغامض الذى قابله فى الحفل وإن كان الصوت وطريقة الحديث مختلفة.. فالرجل الغامض كان يتكلم بثقة دائماً.. أما هذا الرجل فكان يتكلم بارتباك:

اعتبرنى فاعل خير.. يريد أن يخبرك الحقيقة لكى يطمئن قلبك.

ردد (راضى) خلفه مندهشاً:

يطمئن قلبى!

ثم سأله:

من أنت؟ وماذا تريد؟

لقد أجبت هذه الأسئلة من قبل.. أنا فاعل خير وأريد أن أخبرك بالحقيقة.

حسنًا.. فلتخبرنى بها.

هذا يعنى أنك تريد معرفتها.. إذن لنتقابل.

لا.. أخبرنى بها الآن.. على الهاتف.

لا أستطيع.

لماذا؟

لم يجب سؤاله.. فقط قال:

إذا أردت المعرفة فلنتقابل.. سأحدد لك الموعد والمكان وسأخبرك بكل شيء أعرفه.. أما

إذا كان الموضوع لا يهمك فإنه المكالمات فورا.. وتأكد أنى لن أزعجك مرة أخرى.

ولم ينه (راضى) المكالمات.. لم يستغرق وقتاً فى التفكير.. اختار الاختيار الأول.. سأله

باهتمام:

متى؟ وأين؟

(37)

سأل د. (ياسين) مريضته:

. تقول لا إرادى! من الذى يعانى من هذه المشكلة؟

أجابت (حنان) ضاحكة:

. بالتأكيد لست أنا.. نياهاهاهاها.

لم يضحك الطبيب فتحنحت قائلة:

. إحم.. إنهم الولدان.. (وحيد) و(أنس).. ابنائى.

. حسنا.. التبول اللا إرادى له أسباب عديدة..

. أعرفها كلها.. لا تضيق وقتك بذكرها.. لقد بحثت على الانترنت.. وقرأت كثيرا فى هذا

الموضوع.

شعر د. (ياسين العوضى) أنها تريد اختصار الجلسة وإنهاائها بأسرع وقت.. تريد أن

تثبت له أنها لا تحتاج إلى طبيب نفسى.. لا تحتاج مساعدة من أى أحد.. إنها تعلم كل شئ

وتستطيع معالجة الأمور وحدها.. ربما تقوم الآن وتخبره هى بأن (الجلسة انتهت) وتستأذن

للانصراف.. لقد تعمّد على مثل هذه الأمور.. ويرى الكثير من الحالات المشابهة.. لذا حاول

قطع الطريق عليها فقال:

. لكن الانترنت مليء بالكثير من المعلومات الخاطئة.. ثانيا: لابد من دراسة الحالة جيدا

لتعرف الأسباب الصحيحة وبالتالي نفكر فى الطريقة الأنسب للعلاج.

حاولت (حنان) أن تثبت له مجددا أنها تعرف كل شئ عن ابنائها.. قالت:

. حالة التبول اللا إرادى.. مجرد حيلة دفاعية.

. حيلة دفاعية!

نعم.. فلقد قرأت أيضا في موضوع الحيل الدفاعية أو آليات الدفاع النفسي Psychological defense mechanisms وأعرف عنها كل شيء.. حالة ابنائى هى حالة نكوص أو ارتداد regression رجوع لمرحلة سابقة من خلال سلوك معين تميز به فى تلك المرحلة من أجل إشباع رغبة كان يحققها بذلك السلوك القديم فيما مضى.. مثل اللجوء إلى التبول اللا إرادى أو الحبو أو مص الأصابع.. من أجل جذب انتباه الوالدين له لينال الاهتمام والرعاية والحنان كما كان ينالهم قديما.. وقد فقد ذلك بسبب قدوم مولود جديد مثلاً .

- تفسير معقول .

- مشكلة التبول اللا إرادى ظهرت فجأة وهما الآن فى سن الخامسة وقد اعتادا على دخول الحمام منذ زمن.. إذن كان لابد أن أفكر فى الحيل الدفاعية! هذه حالة (نكوص) واضحة . هل أنجبت ابناً جديداً؟.. فأظهرت اهتمام نحوه أكثر منهم فتشأت الغيرة . لا.. أظن أنهما يغيران من بعضهما البعض يا دكتور . هما توءمين كما تقولين.. فى سن الخامسة.. أى أنهما تربيا سوياً.. و تعودا على بعضهما..

ما الجديد الذى طرأ عليهما؟

لا.. لم يتربيا سوياً . فهمت! هل كان واحد معك و الآخر مع زوجك؟ هل كنتما منفصلان فى وقت ما؟ لا.. واحد فقط ربيناه أنا و زوجى . و ماذا عن الآخر؟.. من الذى رباها؟ لا أعرف .

حاول د. (ياسين) أن يفهم معنى هذه الإجابة الغامضة فسألها:

هل كان مخطوفا أم ماذا؟

.....

يبدو أنها فعلاً لا تعرف.. فقال لها:

- إذن الذى تربى فى حضنك يغير من أخيه الجديد لأنه بالتأكيد نال رعاية واهتمام أكثر.. فاستغل التبول اللا إرادى ليجذب الانتباه.. وقد نجحت خطته.. فقام الطفل الآخر بنفس الفعل ليستعيد الاهتمام الذى فقده.. أليس كذلك؟

ربما .

- من الذى بدأ بالتبول على نفسه؟ ابنك الذى تربى معك أم الآخر؟

شعرت (حنان) بالحيرة ثم تنهدت قبل أن تقول:

. الموضوع معقد يا دكتور!

. كيف؟

. أجابت بلهجة إيجاباً:

. لن تستطيع فهمي.

. ابستم قائلاً:

. سأحاول.

. التقت نفساً عميقاً ثم زفرته قبل أن تقول:

. لقد قمت بتربية ورعاية طفل واحد فقط لكن..

. ثم توقفت.. ربما لتبحث عن الكلمات المناسبة لشرح مشكلتها بطريقة أفضل.. قالت:

. لكنى لا أعرف من هو فيهما بالضبط.

. إمممم.. ربما بسبب التشابه الكبير بينهما لأنهما تواءم.. لكن يمكنك تمييز الذى ربيته

. من خلال السلوك.. الحديث.. إلخ.

. لا.. ولهذا أخبرتك أن الموضوع معقد.

. كيف؟

. إن الاثنان يؤكدان لى أنهما قد تربيا معي.

. هذا طبعي.. الطفل الجديد يكذب حتى ينال نفس الاهتمام الذى يناله الأول.

. لا يا دكتور.. إن الموضوع أكثر تعقيداً من ذلك.. فلا يوجد أى اختلاف بينهما فى أى

. شئ.. كأننى قمت بتربية الاثنان مع اننى متأكدة انى قد ربيت واحد فقط منهما.

. سألها الطبيب مندهشاً:

. كيف هذا؟

. صدمته بقولها:

. إن ذاكرة كل طفل منهما هى نفس ذاكرة الطفل الآخر.

. هذا مستحيل!

. والأغرب أن ذاكرة كل طفل منهما لا يوجد فيها أى ذكريات عن أخيه الآخر.. وكأن الاثنان

. عاشا نفس الحياة معي.. لكنهما لم يريا بعضهما إلا منذ مدة بسيطة!

. حاول الطبيب إيجاد تفسير لما تقوله:

. ربما كان الأمر عادياً وتفسيره بسيطاً.. إن الأطفال يحبون الثثرة.. فربما حكى الطفل

. القديم كل ذكرياته للطفل الجديد.. فصارا الاثنان لهما نفس الذاكرة.

ابتسمت (حنان) وقالت:

ليت الأمر بهذه السهولة.. إن الموضوع أعقد مما تتخيل!

. إن الاثنان يملكان نفس الجسد.. بنفس المواصفات.. حتى بنفس آثار الإصابات التى حدثت فى السنوات الماضية.. والأغرب من كل هذا أنهما يملكان نفس البصمة.. لذا لا أستبعد على الإطلاق أن يكون هذا الطفل الجديد قد خرج من باطن الأرض بالفعل.

نظر لها الطبيب نظرة خاصة جدا.. فهمتها (حنان) على الفور.. وأدركت أنها فضضت بالكثير وصرحت بكلام لم يكن من المفروض قوله.. خمنت أنها صارت الآن فى دائرة الشبهات.. وقريبا ستحمل لقب (مجنونة) رسميا.. زوجها وأمها وأختها فقط هم من يعلمون الحقيقة مثلها.. لكن من قال أن هناك من سيؤيدها فى أقوالها؟.. ربما يتخلون عنها فى تلك اللحظة الصعبة عندما تدخل بوابة المستشفى.. دارت فى عقلها كل هذه المخاوف وهى تلمح الطبيب يخط بقلمه شيئا ما فى النوتة أمامه.. قررت أن تنقذ نفسها بسرعة وقالت:

. ثم انقطعت الكهرباء ولم أستطع مشاهدة بقية أحداث الفيلم.

. فيلم!

. نعم.. ما قلته الآن كان قصة فيلم أجنبى رائع.. للأسف لم أستطع معرفة نهايته.

. أهاه.. حسنا.. لنعود لمشكلة (التبول اللا إرادى).. تقولين أن..

أجابت بسرعة:

. لا لا.. لا توجد أى مشاكل.. لقد انتهت هذه المشكلة منذ زمن.. فأنا أرغهم على دخول

الحمام قبل النوم مباشرة كل يوم.

. حسنا.. ما هى المشكلة التى تواجهينها حاليا؟

ابتسمت (حنان) ابتسامة عريضة وقالت:

. لا توجد عندى أى مشاكل.. هل لديك أنت؟

ولم تخبر الطبيب بالمخاوف التى تجتاحها.. وباللحظات المرعبة التى مرت بها فى الأيام الماضية.. إن خوفها من تهمة الجنون أكبر من أى مخاوف أخرى لديها.

عندما سأل (راضى) الطبيب عن حالة زوجته.. قال:

. من الأفضل لحالتها أن تتوقف عن مشاهدة الأفلام الأجنبية وسماع أغانى المهرجانات.

فى المكان والزمان المحددين سلفا.. قابل (راضى) فاعل الخير الذى اتصل به من أجل إخباره الحقيقة.. كان المكان حديقة عامة.. والزمان الساعة السادسة مساء..

. كيف سأعرفك؟ هل ستضع وردة حمراء؟

. أنا أعرفك.. لا تقلق.

جلس (راضى) لمدة تقل عن خمس دقائق على أحد المقاعد.. قبل أن يجلس شخصا على المقعد خلفه ويقول:

. لا تنظر للخلف.. سوف نتحدث هكذا.

حاول (راضى) أن يلتفت ليراه.. فسمع التحذير مجددا:

. قلت لك.. لا تنظر نحوى.

ثم فتح كتابا وتظاهر بأنه يقرأ فيه.. قال (راضى) ساخرا:

. هل تكثر من مشاهدة أفلام الجاسوسية؟

تجاهل (راضى) تحذيره والتفت ناحيته ورآه لمدة ثانية ثم عاد لموضعه.. كان يختلف عن الرجل الغامض كما توقع.. ليس هو على الإطلاق.. هذا الرجل كان أبيض البشرة.. وجهه نحيفا.. قصيرا.. الشعر الأبيض يغزو رأسه بكثرة.

. هل تريد أن تعرف الحقيقة أم ماذا؟

. بالتأكيد أريد.. لم آت هنا لكى أتفزل فى قفاك أو أشاهد الأطفال يلعبون.

. توقف عن السخرية.. أمامك دقيقة واحدة فقط لتعرف فيها كل شىء.. أو ستظل لبقية

حياتك تتدمر على أنك ضيعت هذه الفرصة بسبب مزاحك السخيف.. ولن تعرف أبدا حقيقة الطفل الذى تربيته فى بيتك الآن.

. حسنا.. تفضل.

. أولا: هذا الطفل هو ابنك فعلا.

. ما الجديد؟ لقد أجريت جميع الفحوصات وتأكدت أنه ابنى.

. لا.. أنا أؤكد لك لكى تنزع من قلبك أى شكوك نحوه.

. وماذا بعد؟

. ثانيا: أنت لم تتجب هذا الطفل.

. أنت تمزح إذن.

. لا والله.. إنه ابنك فعلا لكنك لم تجبه.. إذا أردت معرفة الحقيقة كاملة فهى تكمن فى

المستشفى.

.المستشفى! كنت متأكد.

.الغرفة رقم (١٥٤) هل تتذكرها؟

.نعم.

. إنها غرفة الأسرار.. لم يكن من المفترض أن يتم فتحها أبدا لكم.. لكن بسبب حادثة

المدرسة امتلأت جميع غرف المستشفى فاضطروا لفتحها لابتك.

.وما سر هذه الغرفة؟

.د.(نظمى) وراء كل هذا.

.مدير المستشفى؟

.نعم.. لقد راقبته أكثر من مرة.. يُحضر مريض إلى هذه الغرفة ثم يُخرج منها مريضين

بعد ذلك.

قال (راضى) مذهولا:

.استساخ؟

. سأضع لك مفتاح الغرفة تحت هذا الكتاب.. اذهب الليلة وسوف ترى كل شيء بنفسك..

الساعة الثامنة مساءً هو أفضل وقت لدخول المستشفى فالكل سيكون مشغول ولن ينتبه أحد

لك.. كذلك أيضا فى الساعة الثامنة صباحا.. لا تخرج فى أى وقت آخر حتى لا ينكشف

أمرك.

. ما الذى سأراه بالضبط؟

نهض الرجل وترك الكتاب وانصرف.. صاح (راضى):

. إلى أين؟

ذهب (راضى) إلى المقعد الذى كان يجلس عليه الرجل ورأى الكتاب هناك.. رفعه ليرى

المفتاح أسفل.. أمسكه بين أصابعه.. هذا المفتاح هو الذى سيقوده لمعرفة حل اللغز.

بحث عن الرجل بعينه.. لم يجده.. اختفى وسط زحام الناس فى الحديقة.. لا فائدة من

ملاحظته.. لن يعطيه معلومة جديدة.. لقد أخبره بكل ما يعرفه.

بدا له الرجل صدقا.. كم المعلومات التى يعرفها تجعله فى هذه الحالة من الرعب.. إنه

يعرف أكثر من اللازم كما يقولون.

استنتج (راضى) أنه أحد العاملين بالمستشفى لذا تمكن من مراقبة المدير.. ربما هو مجرد

عامل بسيط هناك.. يخاف على نفسه وعلى عمله وعلى أسرته.

ما الذى دفعه لإخبار (راضى)؟ ربما لمح في ذلك اليوم وهو يسأل فى المستشفى عن والدين لهذا الطفل الجديد.. أو ربما شاهد ما حدث بينه وبين (صميذة).

لكن هناك احتمال ضعيف جدا أن يكون الرجل مريض نفسيا.. لديه الكثير جدا من الخيال.. استغل معرفته بموضوع الطفل الجديد.. نسج قصة من تأليفه.. وهذا المفتاح ليس له أى أهمية.. ربما هو مفتاح دورة مياه عمومية فى الشارع الذى يقع خلف الحديقة.

قرأ (راضى) عنوان الكتاب..

(السر)

إنه كتابه المفضل.. هل هذه صدفة؟ أم أن الرجل يعرف أنه يعشق هذا الكتاب؟ أم أنه اختار هذا الكتاب من أجل اسمه فقط.. وكأن المفتاح سيكشف له (السر).

سر الولد الغامض!

(38)

جلس (راضى) على مقعد الرجل فى الحديقة يتأمل المفتاح بين يديه.. يفكر فى مدى صدق هذه الحكاية.. وهل يخوض التجربة من أجل معرفة الحقيقة أم لا.. وهل معرفة الحقيقة تستحق مثل هذه المجازفة.. إن كانت هناك مجازفة من الأساس.

الرجب الذى ظهر على وجه الرجل يدل على أن هذه المعلومات فى غاية الخطورة.. والمفتاح الذى معه الآن هو فقط البداية.. وربما سيأتى بنهايته.

ثم تذكر (راضى) نقطة مهمة.. لقد كان (برعى) ابن (صميده) فى هذه الغرفة أيضا.. الغرفة (١٥٤).. مثل ابنه (وحيد) بالضبط.. ثم تذكر أن رقم (صميده) مسجل على هاتفه المحمول.. سوف يتصل به ويسأله.. ربما يعلم ابنه شيئاً.. لقد اختفى (برعى) لمدة طويلة قبل أن يعود للظهور! فأين كان؟

..ألو.. (صميده)؟

نعم.. من أنت؟

أنا (راضى).. والد الطفل الذى كنت أظن أنه ابنك (برعى).

لا أفهم شيئاً.. ماذا تقول؟

هل تتذكر حادث أتوبيس المدرسة؟ عندما دخل ابنك (برعى) مستشفى (الأمل الجديد)

واختفى لمدة..

قاطعه (صميده) قائلاً:

ابنى لم يدخل هذه المستشفى أبداً.. ولم يكن من مصابى حادث المدرسة.

لم يتوقع (راضى) هذه الإجابة.. حاول إنعاش ذاكرة (صميده) قائلاً:

هل تتذكر غرفة (١٥٤)؟ هل تتذكر حديثك معى فى السيارة عن أولادك الثلاث.. الله

يرحمهم.. (متولى) و(مجاهد) و.. لا أتذكر اسم الثالث!

. (صبرى)؟

. نعم.. هل تذكرتى؟

. لا.

. ألا تتذكر حديثك معى وأنت كنت تخشى أن تضع صورة (برعى) بجوار صور أخوته على
مرآة السيارة؟

. لا أتذكر.. ومازلت أتعجب أنك تعرف اسمى وأسماء أبنائى ورقم هاتفى.. من أنت؟ ومن

أعطاك هذا الرقم؟ وماذا تريد منى؟

. أنا (راضى) وأنت الذى أعطيتنى هذا الرقم.. وكنت أريد أن أسألك عن (برعى).. هل

ذكر شيئاً عن الفترة التى اختفى فيها؟

. أنا لا أعرف أحداً اسمه (راضى) وابنى لم يختفى.. ولا تتصل بهذا الرقم مرة أخرى.

شعر (راضى) بالحيرة الشديدة.. لماذا ينكر (صميدة) اختفاء ابنه؟ بل وينكر إصابته فى

حادث أتوبيس المدرسة؟

هل أقنعت إدارة المستشفى بالتزام الصمت ونسيان الأمر مقابل مبلغ مالى محترم حفاظاً

على سُمعتها؟ أم أن إدارة المدرسة هى التى قامت بتعويضه حتى لا يقاضىها؟ أم أنه يخشى

السجن بسبب إرهابه للموظفين بالمستشفى فينكر كل شيء حتى ينفى عن نفسه التهمة؟

أم أن هناك سرا وراء كل هذا؟

كان (راضى) مترددا.. هل يخاطر ويجرب الذهاب إلى تلك الغرفة.. من أجل معرفة

حقيقة الولد.. ويرى إن كان الرجل صادقاً أم لا.. أم يقذف المفتاح فى البحر وينسى الأمر

تماماً؟

لم يذهب (راضى) للمستشفى فى نفس الليلة.. خشى أن يكون هذا فخاً منصوباً له..

سوف يؤجل المغامرة ليوم آخر.. وربما بذلك يقلل نسبة المخاطرة.

قلو أن هناك أمراً مريباً يجرى فى هذه الغرفة.. فربما يحدث أيضاً فى اليوم التالى.. أو

على الأقل سبرى أى آثار لهذا الأمر المريب.

أخبر (راضى) زوجته (حنان) أنه ذاهب إلى الخارج فى مهمة عمل لمدة أسبوع من أجل

عقد صفقات مع شركات أجنبية.. مع كثير من الحديث عن أهمية هذه الرحلة.. والمستقبل

المشرق للشركة.

صدقته أو ربما لا.. المهم أنها أخبرته أنها لن تمكث فى الفيلا وحدها مع الطفلين.. سوف

تذهب إلى أمها وتقيم هناك طوال فترة سفره.

طبعا لن يذهب للخارج.. سيقضى هذا الأسبوع من زوجته الثانية (جوجو) في إحدى القرى السياحية بالفردقة.. لقد وعدها أن ينفذ طلبها لكن لم يخبرها متى بالضبط.. كان طلبها ببساطة هو قضاء أجازة معها وحدها.. لا عمل.. لا اتصالات.. ولا أى شئ آخر يعكر صفو الرحلة.. أن يكون ملكها تماما طوال هذا الأسبوع.

قضى (راضى) اليوم التالى في الشركة يجهز نفسه للرحلة.. يوقع على كل الأوراق المهمة حتى لا يعطل العمل خلال الأسبوع.. وأوكل إلى مساعده وذراعه الأيمن (وفقى) مهمة إدارة الشركة أثناء غيابه.. لم يخبر أحدا بما ينوى فعله.. حتى زوجته (جوجو) نفسها. في السابعة مساء.. ودّع زوجته (حنان) وأولاده على أساس أنه ذاهب إلى المطار. أسبوع! مدة طويلة.

ابتسم وقال:

من يدري؟ ربما أنهى العمل بسرعة وتجدينى هنا أمامك فى أسرع وقت.

في حالة اكتشاف أمر خطير يحدث في تلك الغرفة.. ربما يعود بعدها إلى زوجته (حنان) ويخبرها بما رآه.. أو يذهب للشرطة ليبلغهم بما عرف.. أو يلقي حتفه إذا رأى وعرف أكثر من اللازم.

ترك (راضى) سيارته في المرأب وأخبر زوجته (حنان) أن أحد أصدقائه سوف يقوم بتوصيله للمطار.. لن يستخدم سيارته في الذهاب إلى المستشفى حتى لا يعرف أحدا أنه بالداخل أو أنه ذهب إلى هناك.. ولن يستخدمها في رحلة الفردقة أيضا لنفس السبب.. لا يريد أن يلحقها أحد فيعرف أنه لم يغادر مصر.. ويبلغ زوجته الأولى.

وترك حقيبة السفر عند أحد أصدقائه المقربين.. لقد خطط لكل شئ!

كانت الساعة الثامنة مساء عندما دخل (راضى) إلى المستشفى.. كانت تعج بالموظفين والمرضى.. حالة هرج ومرج في المكان.. كان الرجل محقا.. لن ينتبه أحد له.

صعد إلى الدور الذى به الغرفة.. إنه يحفظ مكانها جيدا.. لا يحتاج أن يسأل أحدا عن مكانها.. لم ينساها منذ يوم عملية الزائدة الدودية لابنه.

إنها تقع في منطقة معزولة نوعا.. بجوار المصعد.. لا توجد أى غرفة أخرى بجوارها من الناحيتين.. لذا لا يذهب إلى هناك إلا من يريد دخولها فقط.

أخرج المفتاح من جيب بنطلونه وأولجه فى ثقب الباب.. وأداره.. انفتح الباب.. الرجل صادقاً معه حتى الآن.. لقد أعطاه مفتاح الغرفة فعلاً.. لكن من هو هذا الرجل؟ هل يعمل هنا؟ بالتأكيد.. هل يراقبه الآن من مكان ما؟ احتمال.

ثم خطر ببال (راضى) خاطراً مخيفاً.. ربما يريد الرجل توريثه فى أمر ما.. ربما يجد بداخل الغرفة الآن جثة تبحث عن قاتلها.. ثم تأتى إحدى الممرضات لتفتح الباب.. فتجد (راضى) مع الجثة فى غرفة واحدة.. ثم تتطلق صرخة قوية منها.. ويجد جميع من بالمستشفى صاروا معه فى الغرفة فى أقل من ثانية.

لكنه قام بتأجيل المغامرة لهذا السبب.. فلو كانت الجثة فى انتظاره منذ الليلة الماضية فلا بد أن أمرها قد انكشف.. لن تنتظره الجثة كل هذا الوقت.. الجثث لا تطيق الانتظار كما تعلمون.

نظر حوله فى أرجاء الغرفة.. لا توجد أى جثث!
حسناً.. ماذا سيحدث الآن؟ وكيف سيحدث؟

(39)

نظر إلى محتويات الغرفة.. كانت كما هي منذ رآها آخر مرة عندما أمر الطبيب بفتحها من أجل ابنه خصيصا.. كانت جميع الغرف محجوزة بسبب الحادث.. واضطروا إلى فتح هذه الغرفة.. غرفة ١٥٤

(غرفة الأسرار) كما سماها (فاعل الخير) .. لكن.. لا يوجد بالغرفة ما يثير الريبة! غرفة عادية جدا كأى غرفة بالمستشفى.. سرير.. منضدة.. دولاب.. مقعد.. لا شيء آخر.. ما الذى يجعل هذه الغرفة مميزة عن غيرها؟ لقد توقع أن يجد سرير عمليات وأدوات جراحية معقمة وأجهزة متطورة.. أم أن كل المعدات المطلوبة تدخل الغرفة ليلا وتغادرها صباحا؟ إذن.. ما عليه سوى الانتظار!

مرّ الوقت بطيئا مملا.. كان يختبئ داخل الدولاب فى البداية حتى لا يعلم بوجوده أحد.. ثم شعر بالاختناق فاختم خلف الدولاب.. ثم شعر بالإرهاق من الوقوف لمدة طويلة فاختم أسفل السرير ونام هناك.. ثم بعد ساعات طويلة قرر أن يختبئ فوق السرير.

سيقل عنصر المفاجأة وسوف يرويه بسهولة بمجرد فتح باب الغرفة.. لكن قد بلغ مرحلة من الإحباط واليأس جعلته يفكر فى الانتظار أمام باب الغرفة نفسها! ربما ضلوا الطريق ودخلوا غرفة أخرى! أو أنهم يبحثون عنها فى المستشفى كلها ويحتاجون إلى مرشد.

استرخى (راضى) فوق السرير وراح فى نوم عميق.. وأدرك أن (فاعل الخير) كان صادقا فى كل شيء عدا ما يخص هذه الغرفة!

لن يحدث شيئا الليلة.. ربما حدث فى الليلة الماضية.. الله أعلم.

المهم الآن هو الراحة.. لا داعى من إرهاق الجسد دون طائل.. إن النوم أسفل السرير مرهق جدا خاصة عندما تنام بملابسك الرسمية على الأرض دون أى فراش.

طلبعا أغلق هاتفه المحمول حتى لا يسمع رنينه أحد العاملين بالمستشفى أثناء مروره بجوار الغرفة.. لقد خطط أن يفاجئهم.. لا أن يفاجئوه.
ومرت الساعات..

استيقظ من نومه.. نظر حوله.. وجد النور يغمر الغرفة.. كم الساعة؟ يا خيراً! لقد نام لمدة طويلة.. نهض بسرعة من السرير.. لم يجد أى شئ مريب فى الغرفة! الليلة مرت على خير.. (فاعل الخير) كان يكذب فى النهاية.. أو أن (راضى) جاء فى الليلة الخطأ.
شعر بالندم.. ليته قضاها مع (جوجو).. أو مع (حنان) والولدين.
فتح الباب بهدوء ولمسافة صغيرة.. نظر من خلالها للخارج.. الجو هادئ تماماً.. لا أحد فى الرواق.. خرج بسرعة وأغلق الباب خلفه بالمفتاح.. لا يريد أن يكتشف أحد أن هناك من دخل الغرفة وترك بابها مفتوحاً..

كان حائراً.. هل يعود إلى زوجته الأولى ويخبرها بإلغاء الرحلة ويجرب القدوم إلى المستشفى هذه الليلة أيضاً؟ أم ينسى الأمر تماماً ويلقى المفتاح فى أقرب بالوعة مجارى؟
أم يستأجر سيارة ويذهب مع زوجته الثانية إلى الفرقة ويقضى معها أسبوع عسل بدون أى منغصات؟

لم يجد سوى العملة المعدنية ليريح عقله من التفكير..
(حنان) ملك.. (جوجو) كتابة.
هووب.

- ألو.. حبيبتي.
- نعم.
- ما بك؟
- تنهدت وقالت:
- أنت لم تفذ حتى الآن الطلب الذى طلبته منك.
- ضحك ثم قال:
- لو صبر القاتل..
- ما الذى تعنيه؟

.كنت أتصل بك الآن لأخبرك بـ..

ماذا؟

.لقد حجزت لنا في أفخم فنادق الغردقة.. أنا وأنتِ فقط في رحلة عسل.. لا يعكر صفوها أحد.. لا هواتف.. لا عمل.. سأكون ملكك تماما في تلك الأيام.. سنخرج سويا أمام الجميع دون أن نخشى أحدا.. ما رأيك؟
.أحبك.

كان (راضى) جالسا مع (جوجو) على الشاطئ يتمتعان بالجو الجميل عندما سمعت رنة هاتفه المحمول.. قالت له غاضبة:

ما هذا؟

.أسف يا حبيبتي.. سأغلقه فورا.

.هات.

مدت يدها في حزم ناحيته فأعطاهما الهاتف المحمول مستسلما.

.لن ترى هذا الهاتف حتى تنتهى الرحلة.

صمته كان دليلا على الموافقة وأيضا على أسفه بعدم الالتزام بشروط الرحلة.. ابتسمت في رضا ثم أغلقت هاتفه ثم وضعته في حقيبتها الصغيرة بجوارها.

كانت في منتهى السعادة.. لا تصدق أنها تجلس بجوار زوجها أمام الناس.. إن هذا تطور كبير في العلاقة.. تشعر أن زواجها صار علنيا.. ولولمة أسبوع.

التفتت إلى زوجها لكي تقبله من وجنته.. لكنها لمحتة يتابع باهتمام فتاة مثيرة ترتدى المايوه البكيني تسير بدلال على الرمال أمامهم.. دبّت نيران الغيرة في قلبها وقالت:

. أهذه هي الرحلة التي وعدتني بها.. أن تجلس بجوارى على الشاطئ لكي تتأمل أجساد الـ..

قاطعها قائلًا:

.يا حبيبتي.. لم أكن أنظر لها.. صدقينى.

.يا لعينيك الزائغة! أجلس بجوارك وتنظر إليها.

أمسك يدها برفقة وطبع قبلة عليها وقال:

.لا يا حياتى.. لقد كنت أنظر إلى الطيور في السماء.

ثم لوح بيده اليسرى وتابع:
. العصافير المفردة فى الجو.
. العصافير التى فى الجو.. أم العصافير التى على الأرض؟
. هل من المعقول أن أنظر إلى العصافير وأنا جالس مع أجمل يمامة!
ابتسمت (جوجو) وتنهت.. ثم أغمضت عينها للحظات لتعيش اللحظة الرومانسية
الجميلة.. لم تكن تعلم أن (راضى) استغل هذه الفرصة ليسترق النظر إلى الفتاة المثيرة..
لقد أعجبه جسدها للغاية!

قال (راضى):
. عندما لمحتك اليوم على الشاطئ.. رأيت أمامى أجمل فتاة فى العالم.. جذبتنى للغاية..
كنت ترتدين المايوه البكىنى.. يا الله.. لا أبالغ عندما أقول أنني فقدت الوعى للحظات.. فلم أرى
فى حياتى جمال بهذا الشكل.
ابتسمت له ابتسامة ساحرة بها الكثير من الشقاوة شجعتة على المتابعة:
. لا أكذب ولا أجامل.. لقد خطفت قلبى.. لذا أردت أن أتعرف عليك وأتحدث معك وأتقرب
منك لتعرفينى جيداً.. لكى أنال الرضا وتوافقين على الزواج منى.
قالت مندهشة:
. لقد فاجأتنى.
تأملها بنظرات وقحة وتابع:
. أريدك بشدة.. لا أطيق الانتظار.. أريد الزواج منك الآن.

(40)

سألته الحسناء بخجل:

. أل هذه الدرجة؟

أجابها (راضى) بدون تردد:
. وأكثر.

. لكننى لا أعرف شيئاً عنك.

قال متفاخراً:

. أنا رجل ثرى جداً.. لدى شركة كبيرة.. لها فروع فى كل مكان بمصر.. أعدك أنك ستعيشين

معى أجمل أيام عمرك.. ستكون كل أحلامك مجابة.. فقط أخبرينى أنك موافقة مبدئياً.

ترددت للحظات قبل أن تقول مبتسمة:

. موافقة.

. حسناً.. طالما أنك موافقة.. يجب أن أخبرك ببعض الأمور أولاً.

. ما هى؟

. أنا رجل متزوج من اثنتين.

قالت بإنزعاج:

. ماذا؟

. لكن تأكدى أنك ستعاملين مثلهم بالضبط وأفضل.. الزوجة الأولى هى أم أولادى.. زواج

أقارب بلا أى حب أو مشاعر.. لا أستطيع تطليقها خوفاً من غضب العائلة.. أما الزوجة الثانية

فهى تقيم معى حالياً فى الفندق.. وأفكر فى تطليقها..

. لماذا؟

إنها تلح كثيرا فى موضوع إعلان الزواج وتريد الإنجاب.. صارت مملة للغاية.

وما الذى يضمن لى أنك لن تطلقنى؟

لن أطلقك أبدا.. ولكى تكونى مطمئنة ضعى الشروط التى تريديها وأنا موافق على جميع شروطك دون أن أعرفها.

قالت فى دلال:

مهري غال!

وأنا ثرى جدا وسأدفع أى مبلغ تطلبية.

لكنى لا أحب القيود والمكوث فى المنزل.

ستعيشى بحريتك وتفعلين ما تريدينه.. لن أجبرك على أى شىء.

لكنى أكره الزواج والحياة الأسرية المملة.

لكنى أريدك.

ما الذى تريده بالضبط منى؟ جسدى؟

تتحنح (راضى) فغمزت بعينها وقالت بابتسامة شيطانية:

وجسدى تحت أمرك.. كم ستدفع؟

ابتسم لها وسألها:

بالساعة أم بالليلة؟

وتم الاتفاق..

ودفع (راضى) لها المبلغ وأكثر.. وقضى معها ساعات من المتعة والسعادة..

فى النهاية سألته:

ما رأيك؟

رائعة! وما رأيك أنت؟

لم أحب تمثيلية (الزوجة الثالثة) هذه.. تمثيلية (الطبيب والمريضة) كانت أفضل.

أتفق معك فى رأى.. إنها كانت أفضل.

قالت (جوجو) وهى تدير ظهرها العارى له لتعلن عن غضبها منه:

لم يعجبنى الحوار أيضا.. خاصة حديثك عن (جوجو) التى تريد تطليقها.

ضحك (راضى) وقال:

تمثيل يا حبيبتى! تمثيل!.. حتى تندمجى فى الدور وتشعرى أنك واحدة أخرى.. إنها

متطلبات الدراما.. لقد توقعت أنك ستمدحينى على الارتجال فى النص.

قالت غاضبة:

. أمدحك وأنت تقول أنى أصبحت مملة للغاية لأنى أطالبك بإعلان الزواج والإنجاب؟

ضحك (راضى) مجددا وقال:

. تمثيل يا حياتى! أنسيت التمثيلية التى تخيلت نفسك فيها تخوينى؟ واختبأت أنا تحت

السرير كما أمرت؟ هل كان المفروض أن أغضب وقتها منك بسبب هذه التمثيلية؟

قالت (جوجو) وهى تضربه بالسوادة:

. أنا أمزح معك.. هل صدقت أننى غاضبة؟

. يا بنت الـ..

ثم نهض من مكانه ليجمع المال الذى دفعه لها ليعاقبها على هذا المقلب.. فضربت يده

بدلال قائلة:

. يدلك هذا المال لى.

ترك المال وضحك قائلاً:

. ألم نَقُلْ أنه تمثيل؟ فلتعيدى المال لى إذن.

قالت بخيـث:

. وما حدث بيننا الآن.. أكان تمثيل أيضاً؟

اقترب منها وقبّل شفتيها قبلة ساخنة طويلة ثم أردف:

. مال (راضى) و(راضى) نفسه تحت أمرك يا (جوجو) يا حبيبتى.

وغابا لساعات أخرى فى سحر الحب.. وبدون مقابل مالى هذه المرة! وبدون سيناريو

مسبق.

عاشا أياما من الحب والمتعة والمرح والسعادة.. نسيا العالم تماما.. كانت أجمل أيام

عمرهم.. كانا الاثنان فى احتياج شديد لهذه الرحلة.. (جوجو) كانت تعاني من الوحدة

والاكتئاب.. أما (راضى) كان يعاني من التوتر والأرق.. الشركة والطفل الجديد يشغلوا تفكيره

طوال الوقت..

وفى اليوم الرابع من الرحلة انتهز (راضى) فرصة وجود (جوجو) فى الحمام.. راح يفتش

فى حقيبتها عن هاتفه المحمول.. لم يستطع التحمل أكثر من ذلك.. كان يريد الاتصال بأى

ثمن ليطمئن على الأحوال فى البيت والشركة.. لكنه لم يجده.

أين أخفته؟ لا وقت للتفكير والبحث.

أعاد حقيبتها مكانها وخرج من الغرفة وطلب من الاستقبال الاتصال برقم معين.. لم يكن

يحفظ أى أرقام هواتف محمولة! جميعها مسجل على هاتفه لذا لم يحفظها.. ثانيا: الأرقام طويلة فعلا.. من الصعب حفظها.

لذا طلب الاتصال بهاتف منزله.. الرقم صغير وسهل وهو يحفظه عن ظهر قلب.. منذ زمن بعيد.

لكنه تذكر وهو يضع السماعة على أذنه أن زوجته قد أخبرته أنها ستقيم عند أمها. وقبل أن يضع السماعة ويطلب منهم الاتصال برقم منزل والدها.. سمع صوت (حنان) على الخط فأعاد السماعة بسرعة إلى أذنه وقال:
. آلو.. (حنان).

تعجب أنها موجودة بالفيلا.. لا بد أنها عادت لتأخذ شيئا ما.. أو أنها أرسلت إلى أمها لتقيم هي معها في الفيلا.

. (راضى)؟

. نعم.. كيف حالك؟

قالت وهى متعجبة من لهفته على السؤال عليها:

. الحمد لله.

. وكيف حال الولدين؟

. بخير.

. أعلم أنك غاضبة منى بسبب التأخر فى الاتصال بك.

سمع ضحكها ثم..

. أى تأخر يا (راضى)؟! إن ساعة واحدة لا تعتبر تأخرا.. ما بك؟

. ساعة! ما هذه المبالغة! كل هذا الغياب عنك تقدره بساعة! المفروض أن الزوجة التى

تقتد زوجها تقول له كأنك غبت ستين.. أو قرون!

تضحك وتقول:

. ليس لهذه الدرجة! هذا الحديث ينطبق المتزوجين حديثا.. أو عندما تكون خارج مصر

وغبت عنى شهورا.

شعر (راضى) بالارتباك.. ما الذى تعنيه (حنان) بحديثها هذا؟ هل أخبرها أحدا أنه لم

يسافر للخارج؟ هل عرفت أنه فى الفردقة يقضى وقتا ممتعا مع زوجته الثانية؟ سألها بقلق:

. ماذا تعنين؟

. أعنى ما قلته.. ألم تسمعنى جيدا؟

لقد سمعتك ولكنى لا أفهم..

ما الذى لم تفهمه؟ .. أنت غريب جدا اليوم!

أنا؟

المهم.. هل أحضرت الأشياء التى طلبتها منك؟

سألها والحيرة تجتاحه:

أى أشياء؟

هو لا يتذكر أنها طلبت منه شراء شيئا من أجلها.. فقط طلبت منه أن يعود لها بالسلامة..

لكنها امرأة فى النهاية.. تقول أنها لا تريد سوى سلامته.. ثم تعطيه بعدها قائمة المشتريات.. المشكلة أنه لا يتذكر أنها قد أعطته قائمة.

قالت له عبر الهاتف:

ماذا؟ أنسيتها! ألم أقلها لك مائة مرة منذ أمس حتى اليوم؟ وفى النهاية نسيتها!

منذ أمس!

نعم.. ألا تتذكر النصائح التى أخبرتنا بها خالتى (ثريا) عندما زارتنا بالأمس هى وزوجها..

ألا تتذكر حديثها عن كيفية تجهيز المرأب وتظيفه والتخلص من الفئران والحشرات.. إلخ!

هل خالتك زارتك بالأمس؟

نعم.. ما بك؟ هل أصابك الزهايمر أم ماذا؟ أنا أتذكر أنك نمت فى نهاية

السهرة.. لكن يبدو أنك نمت طوال السهرة!

هل كنت معكما بالأمس؟

قالت ضاحكة:

نعم.. بالتأكيد أنت وليس عفريتك!

ثم واصلت الضحك.

لكنها لم تدرك أن الكلمة البسيطة التى قالتها على سبيل الدعابة قد زلزلت كيانه..

(.. عفريتك)!

كان الشك يراوده طوال المكالمات.. كان يظن أنها تمزح.. لكن الفكرة الشيطانية اجتاحت

عقله بقوة الآن.

هو متأكد أنه لم يكن معها بالأمس.. إذن من الذى كان معها؟

(.. عفريتك)!

واستمرت ضحكاتهما عبر الهاتف.

(41)

توقفت (حنان) عن الضحك ثم سألته:

. هل تذكرت أم ماذا؟

أجابها (راضى) بغموض:

. نعم تذكرت.. وفهمت.

. ماذا؟

. لكن بعد فوات الأوان.

. ما الذى تقوله؟ لا أفهمك.

. سأتى حالا.

وأغلق السماعه بعنف ثم صعد إلى غرفته بمنتهى السرعة.. فتح بابها فوجد (جوجو) فى انتظاره.. كانت تحضر له مفاجأة جنسية جديدة.. صدمها قائلاً:

. ارتدى ملابسك.. سنغادر فوراً.

قالت منزعجة:

. لكن.. أنت وعدتني أن الرحلة ستكون أسبوع.. لقد مضى ثلاث أيام فقط يا حبيبى.

كان يخلع ملابسها ويجهز حقيبته فى آن واحد عندما قال بمنتهى العصبية:

. هل ستأتين معى؟ أم ستبقين هنا وحدك؟

اقتربت منه وقالت هامسة بلهجة استعطاف واستجداء:

. ما الذى فعلته وأغضبك منى؟

. لم تفعلنى شيئاً.. هيا غيرى ملابسك.. لا بد أن نذهب للقاهرة حالا.

. والرحلة؟

قال بمنتهى الضيق:

. كانت رحلة سوداء.

لم يتحدثنا طوال الطريق.. كان (راضى) فى قمة حيرته وقلقه.. ما الذى حدث؟ كيف حدث؟.. بينما (جوجو) كانت فى قمة غضبها منه.. رحلتها السعيدة انقطعت فجأة بدون مقدمات وبدون مبرر.

قام (راضى) بتوصيلها إلى شقتها ثم انطلق بالسيارة إلى الفيلا.. يلتهم الطريق تحت عجلاتها ليصل بأقصى سرعة وأقل وقت.

وهناك.. أوقف السيارة المستأجرة أمام بوابة الفيلا.. وترجل منها واتجه إلى المرأب.. لم يجد سيارته.

. لا بد أنه لا يزال بالخارج.

دخل الفيلا فرأته زوجته (حنان) فقالت مندهشة:

. هذه ليست الملابس التى خرجت بها.

يا للنساء! يمتلكون ذاكرة فولاذية.. يتذكرون مواعيد أعياد الميلاد والزواج.. يتذكرون قائمة مشترياتهم دون نسيان شئ.. يتذكرون أسعار الأشياء هذا العام والأعوام الماضية.. ويتذكرون أيضا الملابس!

لودخلت (حنان) حفلة ما فى أحد الأيام.. يمكن أن تذكر لزوجها جميع أسماء الحضور بما كانوا يرتدونه.. بدقة متناهية.. بينما (راضى) نفسه قد نسى ما كان يرتديه فى هذا الحفل..

(ذاكرة فوتوغرافية.. كمبيوتر معلومات) كما قالت (سعاد حسنى) فى الأغنية الشهيرة.

ربما لو فكرت (حنان) فى الأمر قليلا لقالت له أنه يرتدى الملابس التى كان يرتديها يوم رحلة السفر للخارج.. لكنها لم تشغل بالها بالتفكير.. كانت لديها ظنون أخرى:

. أين غيرت ملابسك؟ عند زوجتك الثانية؟

لم يهتم بإجابة سؤالها وسألها:

. أين الطفلين؟

. فى غرفتهما.

اقترب منها وقال:

. (حنان).

- نعم.

ضمها فجأة إليه وقال:

- أنا أحبك جدا.

تعجبت (حنان) من سلوك زوجها العاطفى.. لم تعتاد على هذا الأمور الرومانسية منذ سنوات.. لايد أن هناك أمر مريباً وراء كل هذا!

- ما الأمر يا (راضى)؟ أخبرنى الحقيقة.

عاد إلى احتضانها مجددا بقوة جعلها تثن بلذة.. قال لها:

- لقد افقدتك جدا.

قالت مندهشة:

- لا.. أنت لست طبيعياً.. هذا ليس (راضى) الذى أعرفه.

كاد أن يصرخ فى وجهها بأنه هو (راضى).. أما الآخر فهو شخص لا تعرفيه.. قال:

- (حنان).. هل يمكن أن تخبرينى ما الذى حدث خلال الأيام الماضية.. وبالتفصيل؟

- ماذا؟

- أريد أن أعرف ما حدث منذ أخبرتك أنى ذاهب فى رحلة عمل للخارج..

- ما هذا السؤال العجيب؟ هل تريد أن تتهرب من أسئلتى بهذه الطريقة؟

- أى أسئلة؟

- أولاً: أين ملابسك التى كنت ترتديها؟ وأين غيرت ملابسك؟ ولماذا؟ وأين الأشياء التى

طلبته منك؟..

- سأجيب عن كل هذه الأسئلة بعد أن تجيبى سؤالى.

- أى سؤال؟

- ما الذى حدث خلال الأيام الماضية؟

عندما وجدته (حنان) مصرا على إجابة سؤاله.. أخبرته أنه عاد فى اليوم التالى وأخبرها

أن الرحلة قد تم تأجيلها.

خمن (راضى) أن الآخر قد عاد حاملاً حقيبة السفر التى كان قد تركها عند صديقه.. أى

أنه لو لم يجرى الاتصال وأكمل الرحلة حتى آخر يوم مع (جوجو) ثم عاد إلى صديقه ليستلم

حقيبته.. كان سيخبره وقتها أنه قد استلمها بالفعل منه منذ أسبوع مضى.

كانت (حنان) فى قمة دهشتها وحيرتها بسبب أسئلته الكثيرة:

- أريد أن أفهم.. لماذا تسألنى كل هذه الأسئلة؟ وعن أشياء المفروض أنك تعرفها؟ هل

نسيت أم أنك تختبر ذاكرتي؟

نظر (راضى) إلى السقف شاردا.. لا يعرف كيف يقنعها أو يجبرها على ذكر أدق التفاصيل.. ثم لمح الكاميرا التي كانت قد وضعتها (حنان) ووضعت مثلها في جميع الغرف.. فابتسم فى خبث.

.أريد أن أرى ما سجلته هذه الكاميرات خلال الأيام الماضية.

قالت (حنان) مندهشة:

. ما بك يا (راضى)؟ لقد طلبت منى أن أمسح جميع التسجيلات وأن أوقف تشغيل الكاميرات حتى لا تصيبني بالجنون.

ضرب (راضى) بقبضته على المنضدة أمامه بغضب.. فانزعجت (حنان) وسألته:

. ما بك؟ أخبرنى.

خرج الطفلان من غرفتهما واتجها نحوهما قائلين:

. متى عدت يا أبى؟

صاح (راضى) فيهم:

. ادخلوا غرفتكما ولا تخرجوا قبل أن أذن لكما.

بعد انصراف الطفلين قال:

. (حنان).. هناك أمرا.. لا يمكن أن أخفيه عليك أكثر من ذلك.

تهاوت (حنان) إلى أقرب مقعد.. توقعت أنه سيخبرها فى تلك اللحظة بأمر زواجه من أخرى.. كانت الشكوك تساورها طوال السنوات الماضية.. الآن تأكد ظننها.. حانت لحظة الحقيقة.. لم تكن تتوقع أن تكون بهذا اليوم.. سوف يخبرها الآن أنه تزوج غيرها.. أو ربما يخبرها أنه خانها مع أخرى دون زواج.. بالتأكيد لا يوجد أمر آخر يمكن أن يخفيه عنها سوى علاقة مع أخرى.. كيف يخطر ببالها أن العكس هو الصحيح؟.. أنه سوف يخبرها أنها عاشت الأيام الماضية مع رجل آخر غيره.. وهى لا تعلم أنه ليس زوجها.. لأنه يشبهه للغاية فى كل شيء حتى الذاكرة.. هى لم تخونه لأنها لا تعلم أنه ليس هو.

كان (راضى) متردد فى إخبارها.. كيف يخبرها أنه قام بتجربة غريبة من نوعها.. نتج عنها نسخة أخرى منه.. هذه النسخة تحركت وعاشت كأنها هو.. كيف يبرر فعلته أمامها؟ وهل ستصدق أنه فعل ذلك ليتأكد أن الطفل الجديد هو ابنه حقا؟ وكيف ستلقى صدمة أنها عاشت مع آخر غيره؟.. لكن لا بد أن يخبرها قبل حضور النسخة.. حتى تكون مستعدة لمواجهة.

. (حنان).. سأخبرك أمرا وأرجو أن تصدقينى..

فى تلك اللحظة بالضبط حدث ما كان يخشاه (راضى).. عندما سمع صوتا خلفه يقول:

. (حنان).. لقد أحضرت لك كل شيء طلبته من أجل المرأب.
نظر (راضى) خلفه فرأى نسخة أخرى منه.. كأن هناك مرآة تنقل صورته بالضبط.. لكن
انعكاسه يتحرك مستقلا بنفسه ويرتدى ملابس أخرى.. أما (حنان) فقد غابت عن الوعي
من هول المنظر.. هاهو (راضى) أمامها بنفس الملابس التي كان يرتديها عندما خرج أمامها
آخر مرة.. من إذن الذى كان يتحدث معها الآن؟ يمكن للمرأة أن تتحمل نسختين من طفلها
لكن نسختين من زوجها.. هذا كثير!

كانت المفاجأة من نصيب القادم الجديد..
أما (راضى) فكان مستعدا لها منذ أجرى الاتصال بزوجته.. وفهم كل شيء وقطع
الرحلة.

قال (راضى) محاولا شرح الموضوع للآخر:

. لقد نجح الموضوع.

قال (راضى) الآخر وهو يضع حقيبة الأدوات على الأرض:

. كيف؟ بعد ثلاث أيام!

صدمه محدثه بقوله:

. لا.. من أول يوم.

. كيف؟ وأين كنت طوال هذه المدة؟

نظر إلى (حنان) ليتأكد أنها لا تزال فاقدة الوعي ثم قال بخبث:

. أنت تعرف!

لم ينطق الآخر بكلمة.. خشية أن تسمعه (حنان).. ثم اقترح أن:

. هيا نضعها فى السرير.

وتعاونوا على حملها ووضعها على السرير فى غرفة النوم الخاصة بهم.. ثم أغلقا الباب

جيذا وقال أحدهما:

. لننتحدث فى غرفة المكتب.

. فكرة جيدة! كنت سأقترح ذلك.. عمرك أكبر من عمري!

قال الآخر:

. لحظة.. من منا عمره ثلاث أيام؟ ومن هو ال....؟

قال (راضى) بثقة:
. أنا الأصل طبعاً.
. لماذا لا أكون أنا؟
فكر للحظات ثم سأله:
. متى استيقظت فى المستشفى؟
أجاب بهدوء:
. الظهر تقريباً.
صدمه الآخر بقوله:
. آسف يا عزيزى.. أنا الأصل.. لقد استيقظت فى الصباح المبكر فى ذلك اليوم.
وكانت صدمة كبيرة لـ (راضى).

(42)

الآن لدينا شخصيتين تحملان نفس الاسم.. (راضى) ! (راضى) يتحدث إلى (راضى)..
سوف يقع القارئ في حيرة وارتباك أثناء متابعة الحوار.. وقيله المؤلف نفسه.. لذا سوف نضع
تميزا خاصا لكي نستطيع المتابعة بسلاسة وبدون أى خلط.. لننطق إذن على أن هناك أصل..
وهناك نسخة.. فلنطلق على الأصل: (راضى) الأول..

ونطلق على النسخة: (راضى) الثانى.

إذن.. (راضى) الأول.. هو الأصل.. هو الذى أتى حاملا حقيبة مليئة بأشياء طلبتها
(حنان) من أجل المراهب.. تأخر كثيرا لأنه عرج على شركته ليتابع أمور العمل وقرر أن يشتري
هذه الأشياء فى نهاية يومه.. دخل الفيلا فوجد زوجته تتحدث إلى (راضى) آخر.

أما (راضى) الثانى.. فهو النسخة.. هو الذى قضى أجازة سعيدة مع (جوجو) ثم اتصل
بزوجته (حنان) فاكتشف أنها عاشت أياما مع آخر غيره ظننا منها أنه هو.. كان يظن أن
ذلك الآخر هو نسخة منه.. لكنه اكتشف الآن فقط أنه هو النسخة.. وكانت صدمة كبيرة جدا
بالنسبة له.

. متى استيقظت بالضبط؟

أجابه (راضى) الأول بهدوء وبمنتهى الصدق:

. فى السادسة صباحا.. وظللت منتظرا حتى جاءت الساعة الثامنة ثم خرجت.. ماذا عنك

أنت؟

قال (راضى) الثانى محاولا استيعاب الصدمة:

. استيقظت متأخرا جدا.. عند الظهيرة.

. ما الذى حدث لك؟ كيف كنت تشعر؟

. لم يحدث أى شىء.. لقد دخلت غرفة ١٥٤ فى الليلة إياها.. ثم شعرت بالتعب والإرهاق من وضع الاختباء فتمت على السرير ثم استيقظت فى اليوم التالى.

اعترض (راضى) الأول بحدة قائلاً:

. لا.. أنا الذى دخلت الغرفة فى تلك الليلة ثم استيقظت فى الصباح الباكر وخرجت.. ثم ظهرت أنت بعد خروجى.. لا أعلم كيف.. لكنك استيقظت فى نفس المكان حاملاً ذاكرتى وذكرياتى ومنها ما حدث فى الليلة السابقة.

تساءل (راضى) الثانى فى حيرة:

. كيف حدث هذا؟

. لا أعلم.

. ألا تتذكر شيئاً حدث لك فى تلك الليلة؟.. مثلاً دخل أحدهم وأخذ منك عينة من دمك وأدخلك غرفة عمليات.. إلخ؟

أجاب (راضى) الأول:

. لو كان شيئاً كهذا قد حدث لكنت تذكرته أنت أيضاً مثلى.

ثم تنهد وسأله:

. وماذا عنك أنت؟ هل شعرت بشيئاً غريباً فى جسدك؟ هل وجدت أى أدوات جراحة بجوارك؟ هل رأيت أى نقاط دم على الأرض؟ هل شعرت أنك خرجت لتوك من غرفة عمليات؟ هل شعرت بأى تأثير لأى مخدر؟ أخبرنى.. فأنت انفصلت عن ذاكرتى فى صباح هذا اليوم.. لذا لا أعلم أى شىء عنك منذ تلك الساعة.

أجاب (راضى) الثانى قائلاً:

. لا.. لم أجد أى شىء غريب.. وظننت أن الليلة قد مرت بطريقة عادية وأن فاعل الخير كان

كاذباً أو مجنوناً.. ونهضت من السرير وخرجت و..

قاطعه (راضى) الأول قائلاً:

. ثم قمت بعمل القرعة؟

. نعم.

. وكانت (كتابة)؟

أجاب (راضى) الثانى مندهشاً:

. نعم.. كيف عرفت؟

. لأننا نفكر نفس التفكير.. لأننا نمتلك نفس العقل.. قمنا بعمل قرعة.. واخترنا نفس

الاختيار.. أن تكون (حنان) ملك.. و(جوجو) كتابة.

. إذن كانت النتيجة معك: ملك.

. بالضبط.. ولذلك أجلت فكرة رحلة العسل وعدت إلى الفيلا وأخبرت (حنان) أن رحلة

العمل تم تأجيلها.

. أما أنا.. كانت (كتابة) .. وذهبنا إلى الفردقة.

شعر (راضى) الأول بقصة فى حلقه وهو يسمع (راضى) الثانى يخبره أنه قد ذهب مع

زوجته الحبيبة (جوجو) وقضيا أياما معا فى الفردقة.. أيام من المرح والشقاوة والمتعة.

(جوجو) لم تخنه كما هو مفهوم طبعاً له.. لقد ذهب مع زوجها حرفياً.. يشحمه ولحمه

ودمه.. حتى لو قمنا بتحليل بصماته على جسدها الطرى الناعم لأثبتت بما لا يدع مجالاً للشك

أنه زوجها بالفعل.

إن الأمر غريب حقاً!

قال (راضى) الأول كاتماً حقدّه على نسخته:

. لهذا لم تكن ترد على هاتفها المحمول.. وعندما ذهبت إلى الشقة لم أجدّها.

. لقد صممت على غلق جميع الهواتف طوال الرحلة.

فكر (راضى) الأول فى الاحتمالات الأخرى:

. هذا يعنى لو أننا قمنا بعمل القرعة وجاءت النتيجة واحدة فى المراتين.. كتابة مثلاً.. لكنّا

ذهبنا نحن الاثنين لها فى شقتها لنقوم بالرحلة.

. أو كنّا جئنا إلى هنا.. فى نفس اليوم.. لو كانت النتيجة: ملك.

ثم أخرج (راضى) الثانى العملة المعدنية وتابع:

. العملة هى السبب.. غيرت المصائر.. لو كنّا اعتمدنا على تفكيرنا واتخذنا القرار.. لكنّا

اتخذنا القرار نفسه.. لأننا نفكر بنفس العقل وبنفس الهوى.

تقدم (راضى) الأول نحوه وقال:

. اعطنى هذه العملة.. أريد أن أراها.

لماذا؟

دس الأول يده فى جيبه وأخرج عملة معدنية أخرى مطابقة لها تماماً وأجاب:

. لأننى مازلت أمتلك العملة.

نظر الاثنان للعملتين فى حيرة فقال (راضى) الثانى:

. هل معك هاتف محمول؟

. بالتأكيد.. لم يفارقتى لحظة.
ابتسم الثانى وهو يخرج هاتفه المحمول من جيبه وقال:
. وأنا أيضا.
وضعا الاثنان هواتفهم المحمولة على المنضدة أمامهم..
. لا يوجد أى اختلاف.
. لا بد أن الاثنان يحملان نفس الشريحة.. نفس الرقم.
. المفاتيح?
. ها هى.
. نفس المفاتيح.. ونفس الميدالية.. يا للعجب!
قال (راضى) الأول وهو ينظر لكل الأشياء المكررة أمامه على المنضدة:
. إن ما حدث فى تلك الغرفة ليس له علاقة بأى عمليات جراحية.. إنه عمل شيطانى.

(43)

اتفقا الاثنان على نفس الرأى لأنهما يملكان نفس العقل.. وبالتالي نفس طريقة التفكير..
اقتريا الاثنان من بعضهما فى نفس اللحظة.. فكرا فى نفس الخطوة فى وقت واحد.. راح كل
واحد منهما يتحسس وجه الآخر فى ذهول.. قالوا فى نفس واحد:

. كأننى أنظر إلى المرأة.

. كأننى أنظر إلى..

بتر الثانى جملة عندما سمعها من الأول.. ثم قال:

. فى نفس الوقت

. فى نفس الوقت.

حاول الاثنان التكلم من جديد:

. يعنى لو..

. يعنى لو..

. لا.. فليتكلم أحدهنا وليصمت الآخر..

. لا.. فليتكلم أحدهنا وليصص..

. تفضل أنت.

. تفضل أنت.

صمنا لبرهة ثم تكلم (راضى) الثانى. النسخة. فوضع (راضى) الأول يده على فمه ليؤكد

له التزامه الصمت.. وجلس يستمع:

. نحن اشان نفكر نفس التفكير لأن لدينا نفس العقل وتلقينا نفس التعليم واكتسبنا نفس

الخبرات وتربينا نفس التربية.. وأيضا نملك نفس اللسان.. نفس القلب.. نفس المشاعر..

أعرف أنك كنت ستقول ما سأقوله.. أى أننى لا أحتاج أن أقوله فهو يدور فى عقلك الآن.. ولكننى فى حاجة لقوله لأننى أريد أن أسمع نفسى.. ولأتأكد أنه نفس الشيء الذى يدور فى عقلك الآن.

أوما الأول برأسه موافقا وتركه ليكمل حديثه:
... وكأننى أتحدث مع نفسى لأرتب الأمور داخل عقلى لنفكر فى الخطوة التالية.. ما الذى سنفعله الآن؟

. لا أعرف.

. وأنا أيضا.. لا أعرف.

ثم أكمل:

. كنت أتوقع هذه الإجابة.. لأننا نملك نفس الحيرة.. وتفكيرنا واحد فى النهاية.

اعترض الأول:

. ليس واحدا.

ضحك الثانى وقال:

. بدأنا نختلف.. عظيم! تحدث أنت الآن.

. سأقول فكرتى.

. تفضل.

. أنت لا تعرف فكرتى!

. لا.. تفضل قلها.

قال الأول متفلسفا:

. ربما دارت نفس الفكرة فى ذهنك أولا.. لكن طالما أنك حتى الآن لا تعرف عن أى شيء سوف أتحدث فهذا أول دليل على أننا قد نختلف.. ولا أحتاج حتى لشرح فكرتى.

. تفكير سليم! ولكنى أريد أن أسمع فكرتك.

. أها.. قلت (فكرتك) ولم تقل (فكرتى) وهذا دليل آخر على أننا مختلفين.. نحن اثنان وليس واحدا حتى لو كنا واحدا فى الأساس.. وفكرتى هى أن كل واحد منا سيعيش بالتأكد حياة مختلفة عن الآخر وهذا سوف يؤثر فى سلوكه من الآن فصاعدا فلو كنا واحد منذ البداية حتى ليلة المستشفى فبالتأكيد اختلفنا منذ صباح اليوم التالى.. ولا تنس أن الواحد يفكر فى الشيء وتقيضه وهو يملك عقل واحد فما بالك لو امتلك عقلا؟.. كم من مرة راجعت نفسى فى أشياء وقررت عدم القيام بها! وكم من مرة كنت مترددا للغاية فى القيام بأشياء معينة ثم

فعلتها فى النهاية.. إن العقل الواحد يجعل صاحبه يفكر فى أشياء متناقضة ويتصرف أحيانا بطرق متناقضة لا تعبر عن سلوك واحد واتجاه واحد.

اقترب (راضى) الثانى من النافذة وقال:

.. جميل! وأعتقد أننى كنت سأفكر فى هذه الفكرة لو تركت لى القليل من الوقت!

.. بالضبط.. فعندما كنت أستمع لك وأضع يدى على فمى كانت لدى الفرصة للتفكير بزوايا أخرى.. أما أنت فكنت منهمك فى شرح ما يدور فى عقلك وعقلى.. ولهذا اختلف تفكيرنا لبعض الوقت.. ربما لو ظللنا صامتين أو ظللنا متحدثين لصرنا مثل بعضنا البعض وفكرنا نفس التفكير.. لكن لأن أحدهما تحدث والآخر صمت فاختلف التفكير بعض الشيء.

.. مذك حق.. وأنا أيضا فكرت فى أشياء أخرى الآن بينما أنت تتحدث.. أنا هنا أقف فى هذا المكان مثلا.. ربما أرى شيئا من خلال النافذة لم تره أنت قد يؤثر على طريقة تفكيرى.. أما أنت فجلوسك مستريحا سيدفعك للاسترخاء والصفاء الذهنى.. وربما النوم أيضا.

ضحك الأول قائلا:

.. ليس لدرجة النوم!

.. لكنى علمت أنك قد نمت بالأمس أثناء زيارة خالتها (ثريا).

.. أنت تعلم حديثها.. مملا للغاية.. يدفعك للنوم.. وأنا كنت مرهقا للغاية بالأمس.

قال الثانى:

.. أعلم.. يمكننا الاستفادة من هذا الوضع الجديد.. يمكننا العمل ٢٤ ساعة فى اليوم دون أن ننام.

فكر الأول لبرهة ثم قال متحمسا:

.. خمنت فكرتك.. واحد يذهب فى الصباح إلى العمل وعندما يفكر فى الراحة والنوم فى

نهاية اليوم.. يذهب الآخر بدلا منه لاستكمال العمل.

.. بالضبط.. ٢٤ ساعة عمل بدون توقف.. هل تعلم كم سنجنى بهذه الطريقة؟

.. ولكن.. العمال؟ لن يستطيعوا العمل ٢٤ ساعة مثلنا.

.. هذه ليست مشكلة.. وبالتأكيد لو فكرت قليلا كنت ستتوصل لنفس الحل الذى سأقوله.. ألا

وهو مضاعفة العمال.. أنت تتابع عمال النهار وأنا أتابع عمال الليل.. أو العكس.

.. والآلات.. يمكن مضاعفتها وبهذا يتضاعف الإنتاج وتكبر الشركة..

.. وربما نفكر وقتها فى تأسيس شركة أخرى.. وتزداد الشركات.. وتصبح إمبراطورية..

سوف نتابع العمل فى كل وقت وفى كل مكان.. فقط لو استطعنا التعاون مع بعضنا بشكل

منظم.. دون ارتكاب أى أخطاء.

سأله الأول: كيف؟

أجاب الثانى شارحا خطته:

. لا بد أن يحكى كلانا للآخر ما فعله فى العمل حتى يستطيع الآخر المتابعة من حيث انتهى.. مثلا يكتب تقريراً مختصراً لكى يراه الآخر فيعرف ما تم وأين توقف.. نتشاور فى الأمور التى تحتاج إلى قرارات حاسمة.. نفكر سوياً فى المشاكل التى تواجهنا أثناء العمل ونتناقش فى الحلول.. بالتأكد عقلياً أفضل من عقل واحد.

اعترض الأول قائلاً:

. لكنه نفس العقل فى النهاية!

حاول الثانى إقناعه بقوله:

. نفس العقل.. لكنه يفكر مرتين فى نفس الوقت! مثلاً.. لو واجهتنا مشكلة سأفكر فى عشر حلول خلال ساعة.. لكن لو تعاوننا سيفكر كل واحد فينا فى خمس حلول خلال نصف ساعة.. و نكون بذلك قد فكرنا فى العشر حلول كلها ووفرنا نصف ساعة.

. أختلف معك.. نظريتك صحيحة لو أن العشر حلول مطروحة ومعروفة ويمكن تقسيمها وكل واحد يفكر فى الخمس حلول التى تخصه.. لكن.. ماذا لو أن المشكلة ليس لها أى حلول يمكن تقسيمها أو تنفيذها؟.. سوف نفكر وقتها فى نفس العشر حلول فى نفس الساعة.. لا أظن.. سوف نفكر فى حلول مختلفة عن بعضنا وسنوفر الوقت حينها.. بالتأكيد ستختلف طريقة التفكير.. والدليل أننا اختلفنا الآن فى نظرية حل المشكلة نفسها.

قال الأول مفكراً فى الأمر:

. ستحدث أخطاء وتكتشف الحقيقة.. يعرف أحد ما بتواجدنا فى مكانين مختلفين فى وقت واحد.. أو يتفق أحدنا على لقاء أحد العملاء وينسى أن يخبر الآخر بالموعد.. فينتظر العميل ولا يحضر أحد.. لأن واحد منا اعتمد على الآخر والآخر لا يعلم بالموعد.. أو ربما يحضر كلانا نفس الموعد.. وتكون مفاجأة مذهلة للعميل.. وهناك مشكلة كبيرة لم نفكر فيها: كيف سنرد على الناس ونحن نعمل هاتف واحد؟

. سنعمل هاتفين.

. ماذا لو قمنا نحن الاثنين بالرد على أحدهم فى وقت واحد وهو يتصل على الخطين من هاتفين معه فى نفس اللحظة؟ أو أن اثنان معا يتصلان فى نفس الوقت وهما يجلسان بجوار بعضهما؟

هذه مشكلة حقا.

وماذا لو اجتمعنا فى مكان واحد؟.. أصر أحدهم على أن يأخذنى إلى مكان ما فأذهب معه مضطرا فأجرك هناك.

تتهد الثانى وقال:

حسنا.. سنفكر فى كل هذه المشاكل وسنجد حلا لتنظيم العمل.

نهض الأول من مكانه وراح يدور فى الغرفة وقال:

وماذا عن الفيرة؟ ألن تنشأ بيننا فيرة؟

هل تظن ذلك؟

أنا فقط أتساءل.

أنا لا أظن.. فكلانا واحد كما تعلم.

(وحيد) و(أنس) واحد أيضا.. لكن هناك فيرة دائمة بينهم.. يريدان أن يلعبا بنفس

اللعبة فى نفس الوقت.. يركبا الدراجة فى نفس الوقت حتى أننا اضطررنا لشراء دراجة أخرى

وبعض الألعاب مرة أخرى لنحل المشكلة.. حدث ذلك خلال الأيام السابقة.

إنهم أطفال.. لكننا كبار.

الفيرة تنشأ بين الكبار أيضا.. السن لا يشكل فارقا فى هذه الناحية.

أعلم ذلك.. لكن الفيرة قد تنشأ بين الأخوين.. أو حتى التوأمين.. لكننا لسنا توأمين..

نحن الفرد نفسه.

ربما كنا الفرد نفسه.. لكننا أصبحنا اثنين منذ أيام.

اثنين لهما نفس الاسم والجسد.. العقل والقلب.. بالتأكيد لن نحمل مشاعر بغيضة لبعضنا

البعض.. ما رأيك أنت؟

لا أعلم.. فلم يحدث من قبل فى التاريخ أن عاش أحدا مع نسخة طبق الأصل منه حتى

أعرف إن كانت هناك فيرة قد حدثت بينهم أم لا!

لو أنك فكرت فى الموضوع جيدا.. ستعرف أنتى لست مجرد نسخة.. أنا هو أنت.

لا.. أنت لست أنا.. أنت شخص آخر.. لست نفسى أبدا.. مثلا لو أنتى أكلت الآن هل

ستشعر بالشبع؟ بالتأكيد لا.. لأنك لست نفسى.. لو أن مسمارا دخل فى قدمك الآن.. فهل

سأشعر بالألم؟ لا أبدا.. لأننى لست أنت.. إننا لسنا قواءم من الذين يشعرون بمعاناة بعضهم

حتى.. إننا نعيش كفردين مستقلين تماما الآن.. كل واحد مننا لا يعلم أى شىء عما يدور فى

ذهن الآخر أو فى صدره أو فى جسده.. لا أعرف إن كنت تشعر بصداق أم لا؟ مسرورا؟ جائع؟

غاضب؟

قال الثانى بهدوء يحمل بعض الغموض:

. غاضب.

تجاهل الأول السؤال عن سبب غضبه وقال:

. بالضبط.. لم أكن أعلم هذا عنك.. أترى؟

قال الثانى محاولا ضبط أعصابه:

. أمثلتك صحيحة.. لكن لا أظن أن الغيرة سوف تنشأ بيننا.. إن هناك أخوات كثيرون

يحبون الخير لبعضهم.. فهل تعتقد أن اثنان مثلنا لن يحبوا الخير لبعضهم؟

. الأخوات يحبون الخير لبعضهم لأن كل واحد منهم يعيش حياة مستقلة عن الآخر.. لكن ما

الذى سيحدث إذا حاول أخ منهم أن يعيش حياة الآخر.. أن يحتل مكانه فى حياته؟

قال الثانى غاضبا:

. هل ترى ذلك؟ هل تظن أنني جئت لأحتل مكانك؟ هل تعتقد أنني ظهرت لأسلبك حياتك؟..

أنسيت أنك السبب فى وجودى؟.. أنسيت أنني كنت أظن نفسى الأصل حتى عرفت الحقيقة

منك منذ دقائق عديدة؟ لقد قطعت رحلتى عندما علمت بوجودك.. فهل تعتقد أنني فى تلك

اللحظات ظننت أنك كنت تسلبنى حياتى؟

سأل الأول سؤال بعيدا عن هذه المرافعة:

. هل علمت (جوجو) بالأمر؟

. لا.. لكنها غاضبة جدا لأننى قطعت الرحلة.

. هل ستخبرها؟

. لا أعلم.. ما رأيك أنت؟

. أخبرها طبعاً.

. أخبرها بأى شىء بالضبط؟

. أخبرها بكل شىء.

. ما الذى تريده بالضبط؟

قال الأول بهدوء شديد:

. أرجو أن تتقبل ما سأقوله وتقهمه جيدا.. أنت لست زوجها.. أنت نسخة منه.. لذا أرى أنه

من الحرام أن...

قال الثانى معترضا:

. بل أنا زوجها.. قلبا وقالبا.. اسما وجسدا.. بكل صفاته.. بكل مميزاته وبكل عيوبه..
وليس من الحرام أن يعيش المرء مع زوجته.
فجر الأول غضبه معبرا عن مكنون صدره.. صائحا:
. إنها ليست زوجتك.
قال الثانى بهدوء:
. حقا؟ أترى ذلك؟ حسنا.. أثبت ذلك.
ماذا؟

. كما سمعتى.. أثبت ذلك.. أثبت أنها ليست زوجتى.. أثبت أننى لست أنت.. فى النهاية
لن تستطيع.. أعرف لماذا؟ لأنها زوجتى.. ولأننى هو أنت.. من الناحية الطبية والقانونية
والدينية..

. الدينية!.. هل ستقتى فى هذه الأمور أيضا؟
. الأمر لا يحتاج إلى فتوى يا صديقى.. أنا هو أنت.. بفصيلة دمك.. ببصماتك.. بحمضك
النووى.. بسائلك المنوى.. بشحمك بلحمك.. ولو أن (جوجو) أنجبت ابنا لى فإنه سيكون ابنك
ويحمل جيناتك.. ولن تستطيع محكمة أن تثبت عدم أبوتك له.. لأنه ابنك بالفعل.. وتقول بعد
كل هذا حراما.
. حرام.. لأنها ستجمع بين زوجين.

. كما أخبرتك من قبل.. نحن لسنا اثنين.. هل يمكن أن تقدم للمأذون شهادة تثبت أننا
اثنين؟ هل يمكن أن تخبره أنك تريد تطليقها لأنها نامت مع آخر والآخر هذا هو أنت؟ هل يمكن
أن تقدم شهادة طبية أننا اثنين؟ هل يمكن أن تقدم مستند قانونى يثبت أننا اثنين؟
. لا.. ولكن لو أن المأذون والطبيب والمحامى رأونا معنا لن نحتاج وقتها لأى إثبات ورقى؟
العين وحدها ستثبت لهما أننا اثنين.

ابتسم الثانى بغموض وقال:
. إذا فكرت يوما أن تلعب بهذه الورقة.. اعلم جيدا أنها سلاح ذو حدين.. لن تستطيع وقتها
أن تثبت أنك الأصل ولست النسخة!

(44)

رأى الثانى ملامح التفكير العميق على وجه الأول فحاول أن يقلل من قلقه وتوتره:
لا تقلق يا عزيزى.. أنا لا أفكر فى الإنجاب.

لم يبدو على الأول أنه سمعه.. كان لا يزال شاردا مفكرا.. ودّ الثانى لو أنه فعلا يمتلك نفس العقل حتى يعرف ما يفكر فيه فى تلك اللحظة.. إنه يمتلك نفس المخ.. كعضو من أعضاء جسده.. لكنه لا يملك نفس تفكيره فى هذه الثانية.. يملك ما مضى منه فقط.. لكن الذكريات الماضية لا تؤهله لاستنتاج ما يدور هناك الآن.. حاول أن يتبع نفس طريقة التفكير طالما أنه يمتلك نفس المخ.. وضع نفسه مكان الأصل.. وطرح السؤال على نفسه: ما الذى يمكن أن يشغل باله لو كان هو الأصل؟ كانت أول إجابة: هذه النسخة جاءت لتحتل حياتى وتسلب مكانى وتأخذ كل شىء ولن أستطيع إثبات أى شىء ضدها.. لقد هددنى بالفعل.

قال الثانى معتمدا على ما توصل إليه تفكيره:

اطمئن يا أنا.. لن أحتل مكانك.. سأكون دائما فى ظلك.. أعاونك.. أساعدك.. ولن أغير أبدا منك.

التفت له الأول وقال بعدم اقتناع:

ألم تشعر بالغيرة عندما علمت أننى هنا مع (حنان) والطفلين؟

لا.. هل شعرت أنت بالغيرة عندما علمت أننى كنت (جوجو)؟

لم يرد الأول.. كانت الإجابة واضحة.. يقولون (السكوت علامة الرضا) عندما يسأل الأب ابنته بشأن العريس الجديد.. حسنا.. هنا (السكوت علامة الإيجاب).. لكن لا يوجد أى عريس هنا كما ترون.. قال الثانى:

إذن.. المشكلة هى الغيرة.. حسنا.. هل تريد أن تعيش مع من؟ (حنان) أم (جوجو)؟

أجاب الأول بدون تردد:

. الاثنين.

. وأنا أيضا.. لكن لا يمكن أن نعيش مع الاثنين في وقت واحد! لابد أن يعيش أحدهما هنا ويعيش الآخر هناك.

. لكني أريد الحياتين.

صمت الثاني لبرهة ثم قال:

. إذن لنعيش الحياتين ونتبادل باستمرار.

صاح الأول معترضاً:

. لا.. هذا حرام شرعاً.

. ذكرت لفظة (الحرام) مرة أخرى!

. نعم.. إن ما تقوله يدعى (تبادل أزواج).. يعاقب عليه القانون.. والشرع قبله.

. هذا لو أننا زوجين.. لكننا الاثنين نفس الزوج.

. قل هذا لوكيل النيابة عندما يواجهنا معاً.. أخبره وقتها أننا واحد وأنه يعاني من الحول

فيرانا اثنين!

شعر الثاني بالضيق وقال:

. حسناً.. ما الذى تريده؟ هل تريدنى أن أذهب الآن إلى المأذون وأطلق (جوجو) بصفتى

(راضى) ومعى جميع الإثباتات على أننى زوجها ثم بعد ثلاث شهور أذهب لنفس المأذون

وأخبره أننى أريد أن أتزوج زوجتى السابقة؟

. لا.. المفروض أن أذهب أنا لتطليقها ثم تذهب أنت لتتزوجها بعد ثلاث شهور.

. لكننا نفس الاسم.

. لكننا لسنا نفس الشخص.

. حسناً.. هل ستطلقها اليوم؟

صاح الأول غاضباً:

. ومن قال أننى أريد تطليقها؟

. ما الذى تريده إذن؟

سرت دقيقة من الصمت.. ثم سمعنا حركة بالخارج فتوترا.. قال الأول للثانى مشيراً ناحية

اليمين:

. اختبئ هنا.. لا أريد أن يراك الولدين حتى لا تحدث لهما صدمة!

. صدمة!

. نعم.. العالم كله له أب واحد وأم واحدة.. لا يوجد أبوين.

سمعا صوت (حنان) فعرفا أنها القادمة فسأله الثانى:

. هل ستخبرها أيضا أم ستخشى عليها من الصدمة؟

. لا.. سأخبرها طبعاً.. ثم إنها قد رأتك بالفعل.. لا مجال للتراجع.

سمعا طرقات على الغرفة وصوتها يتسلل عبره:

. (راضى).. هل أنت هنا؟

ثم فتحت الباب.. رأت واحدا منهم فقط واقفا فى منتصف الغرفة أمامها، فضحكت

قائلة:

. لن تصدقتى؟ لقد حلمت حلما غريبا جدا.. كأنه واقع ملموس.. لقد رأيت رجلا آخر

يشبهك بالضبط و..

ثم شعرت بوجود (الثانى) على يسارها.. الذى قال لها بهدوء:

. لم يكن حلما يا حبيبتى.

أخبرها بكل شىء.. تقريبا.

تبادل الأول مع الثانى الحوار مع (حنان).. الحكاية بدأت باتصال من فاعل خير.. يعرف

حقيقة الولد.. مقابلة فى مكان عام.. كتاب (السر).. مفتاح غرفة ١٥٤.. التحضير لقضاء

ليلة فى المستشفى والكذب بشأن رحلة للخارج.. لأنها لم تكن لتوافق على خوض هذه التجربة لو

أخبرها.. ثم الذهاب للمستشفى.. النوم على السرير.. ثم الاستيقاظ والخروج من المستشفى

إلى الفيلا.. حتى لحظة ظهور النسخة الآن.. طبعاً بكثير من التفاصيل.

قالت (حنان) فى حيرة:

. من هو الأصل إذن؟

أشار الأول لنفسه فسألت الثانى:

. وأين كنت أنت خلال الأيام الماضية؟ أم أنك ظهرت الآن فقط؟

طبعاً لن يخبرها عن (جوجو).. حاول البحث عن كذبة منطقية.. أنقذه الأول قائلاً:

. لقد خرج من المستشفى فأصابته سيارته.. فأخذه صاحبها لعلاجها فى منزله.. أحضر له

الطبيب ليعالجه على نفقته بعيداً عن أسئلة الشرطة.. كان فاقداً للوعى طوال الأيام الماضية..

عاد إلى وعيه منذ ساعات.. أخبر صاحب العربية باسمه وعنوانه فأوصله إلى هنا.

شعرت (حنان) بوجود ثغرات فى هذه الحكاية لكنها لا تعلم ما هى بالضبط.. قالت
بابتسامة صفراء:

.. هذا يعنى أنه أصبح لدى الآن طفلان.. وزوجان أيضا.

قال الثانى بحماس الانتصار:

.. هذا ما كنت أقوله له.

سألته (حنان) مندهشة:

.. ماذا تقصد؟

.. كنت أقول له أننا الاثنان زوجاك.

صدمته بقولها:

.. لا طبعاً.

ابتسم الأول دون أن يعلق بكلمة.. كان يعلم أن (حنان) سترد أفضل منه:

.. هذا هو زوجى.. هذا هو الذى عاش معى.. وسيعيش معى.

.. أنا أيضا عشت معك.

.. لا.. أنت فقط تملك عقلا به ذكريات تخبرك أنك عشت معى.. لكنك لم تفعل.. أنا لا أعلم

من أنت.. أو ما أنت.. لا أعلم من أين أتيت.. لا أعلم عنك أى شىء.

قال الثانى مستعظفا إياها:

.. أنا (راضى) يا (حنان).. زوجك.. وتعلمين عنى كل شىء.. وأعلم عنك كل شىء..

اسألينى أى سؤال وسوف أجيبك وتؤكدين.

.. نعم.. ربما تعلم كل شىء عنى.. لكن جسدك هذا محرم علىّ تماما.. فأنت لم تلمسنى

من قبل قط.

.. من قال هذا؟ إنه نفس الجسد.. أنا مستعد لكل الفحوصات.. حتى اختبار البصمة.. أنا

مستعد له.. أنا زوجك.

.. ربما تكون البصمات واحدة.. لكن.. فى واقع الأمر أنت لم تكن موجودا منذ أسبوع مضى..

لا تتس هذه الحقيقة.. لقد ظهرت للوجود منذ أيام فقط!

.. وماذا عن الولد؟ لقد عشت معه على أنه ابنك.. ماذا بعد أن علمت حقيقته الآن؟ وأنه

مجرد نسخة أخرى من ابنك؟ هل ستحرميه من حبك وحنانك؟ هل ستطرديه؟ هل ستضعينه

أمام أى ملجأ؟

.. لا.. طبعاً.. الابن يختلف.. يمكننى أن أعيش مع طفلين.. ثلاثة.. أربعة.. حتى لو لم يكونوا

أطفالى.. ويمكن أن أتبنى فوقهم أيضا.. دسته أطفال أو أكثر.. لكن لا يمكن أن أعيش مع رجلين أبدا تحت سقف واحد.. أنت لست زوجى ولا تربطنى بك أى صلة.. لذا لا مكان لك هنا.

(45)

خرج الثانى من الفيلا شاعرا بأنه منبؤذا.

لا يستطيع العيش مع زوجته (حنان) التى تراه غريبا عنها.. لكنه لا يشعر بذلك.. إنه يشعر أنها زوجته.. يتذكر كل شيء عن لحظاتهم الجميلة معا.. يتذكر كيف رآها أول مرة.. يتذكر فترة خطوبتهما.. يتذكر المشاكل التافهة التى كادت أن تتسبب فى فسخ الخطوبة.. يتذكر الفرح.. يتذكر ليلة الدخلة.. يتذكر رغبتهم القوية فى إنجاب طفل.. يتذكر إنجاب (وحيد).. طفل الأنابيب.. يتذكر شجارهم حول الاسم.. يتذكر اللحظات التى مرا بها عندما أصابها المرض اللعين.. يتذكر عملية الزائدة الدودية لابنه.. يتذكر ظهور الطفل الجديد.. يتذكر نقاشهم حول الاسم.. يتذكر حفل عيد الميلاد.. يتذكر فاعل الخير.. يتذكر المستشفى والليلة التى قضاها هناك ليعرف كيف أتى الولد.. يتذكر كل شيء..

من قال أنه النسخة وأن الآخر هو الأصل؟

ربما العكس هو الصحيح! ربما ذلك الآخر كذب ولم يستيقظ مبكرا! وحتى لو كان صادقا واستيقظ أولا.. هذا لا يعنى بالضرورة أنه الأصل! ربما تظهر النسخة قبل عودة الأصل للمكان!

ما الذى حدث هناك بالضبط فى تلك الغرفة فى تلك الليلة؟ ومن الذى يستطيع إجابة

السؤال السابق؟

فاعل الخير.

أين هو الآن؟ كيف يمكن العثور عليه؟ وهل من الأفضل له البحث عن الحقيقة ومعرفة

أجاب سؤاله بنفسه: بالتأكيد.. لن تكون الحقيقة أسوأ مما أعلمه الآن.

كان يجتاحه شعور كريحه مقيت.. شعور بالضياح.. شعور بالوحدة.

كان منذ أيام قليلة ينام سعيدا مع زوجته (حنان) وأولاده (وحيد) و(أنس) تحت سقف منزله.. ثم فجأة تتقلب حياته رأسا على عقب.. يكتشف أنه ليس كما يتصور.. أنه ليس (راضى).. هذه ليست زوجته.. هؤلاء ليسوا أبنائها.

كل ما فى ذاكرته هو مجرد ذاكرة منسوخة.. وهذا الجسد منسوخ أيضا.. أنه قد وُلد منذ أيام فقط..

لا أب ولا أم!

أنه نتيجة حدث شيطاني.. ظاهرة غامضة.. لغز كوني.. عمل سحري.. لا أحد يعلم!

السر فى الغرفة ١٥٤..

أنت لست الأصل.. أنت مجرد نسخة!

إلى أين يذهب؟ إلى (جوجو)؟ ليس هناك حل آخر.

هى الوحيدة التى ستضمه الآن بكل حب الدنيا وبلهفة لا يمكن قياسها أو التعبير عنها.. دون أن تفكر ولو للحظة أن تطرده من دفاء حضنها.. كم يشعر بالبرودة الشديدة الآن وهو سائر فى الشارع وحيدا متجها إلى شقتها! ما أقسى شعور الوحدة!

الآن جرب شعور (جوجو) وهى تجلس وحيدة فى شقتها بالأيام تنتظر قدومه فى أى لحظة.. لقد عانت الكثير.. لهذا كانت تريد الإنجاب بشدة.. تريد طفلا يؤنس وحدتها.

كم ظلمها!

سيبقى معها منذ هذه الساعة ويعوضها عن كل ما فاتها.. لن يفارقها بعد اليوم.

إلا إذا استطاع اقتناع (راضى) الآخر و(حنان) بعودته لحياته الطبيعية.

بعد خروج (راضى) الثانى من الفيلا.. قال (راضى) الأول لزوجته:

..لا بد أن نتفق على كلمة سر معينة.. فهو يعرف كل شىء عنا.. و أى سؤال يمكن أن يجيبه..

لن تستطيعى التفريق بيننا أبدا.

..أوافقك الرأى.. فلنفكر فى كلمة سر الآن.

..لا بد من كلمة سر جيدة.. لا يمكن كشفها أو تخمينها.. ومن الأفضل أن تكون متغيرة..

حتى لا يلاحظها.. مثلا اسم فيلم أجنبى.. ما رأيك؟.. سأضع فى حديثى دائما أسماء أفلام أجنبية.

..أجنبية؟ كيف؟

. أو أفلام عربية.

. أفلام عربية أسهل بالتأكيد.

. لكنى لا أعرف أسماء أفلام عربية كثيرة.. فلنستخدم الأمثال الشعبية.. سأدعم حديثى

دائما بمثل شعبى.. فإذا ذكرت مثل شعبى اعلمى على الفور أنه أنا.

. ربما يستخدم الآخر مثل شعبى عن طريق الصدفة.

. سأستخدم أمثال أكثر منه.. لتأكدى.

. ربما يلاحظ ذلك.. ويفعل بالمثل.

شرد (راضى) مفكرا ثم قال بضيق:

. وربما يفكر فى ذلك أيضا.. فهو يفكر بنفس طريقة تفكيرى.. وربما يفكر فى نفس كلمة

السر التى أفكر فيها الآن.. وربما يفكر فى نفس الاقتراحات التى اقترحتها عليك الآن.. ما

العمل إذن؟

وقبل أن تجيبه (حنان) قال:

. وجدتها!.. أنت التى ستقترحين كلمة السر.

. أنا؟

. نعم.. وبهذا لن تخطر بباله هذه الكلمة أبدا لأنه لا يعرف طريقة تفكيرك.. مثلى

بالضبط.

. حسنا.. سأختار كلمة سر مبتكرة.. أبدا حديثك دوما معى بكلمة معينة.. مثلا (ليس).

. فكرة ذكية!.. سأقول مثلا: (ليس) من الضروري أن تقولى (صباح الخير) مرتين لى وله..

(ليس) من الطبيعى أن نجلس معا فربما يرانا الطفلين.. (ليس) من المعقول ألا تستطيعى

التمييز بيننا.. (ليس) من المنطقى استخدام كلمة السر فى كل مرة.. سوف أستخدمها فقط

فى حالة وجود حيرة لديك.. (ليس) من اللائق تقديم مشروب له ولا تقدمى لى.. و(ليس) من

المحتمل كشف كلمة السر هذه أبدا!

. كانت (حنان) شاردة.. لم تهتم بالأمثلة الكثيرة التى راح يفكر فيها.

. أنا لست مطمئنة يا (راضى).

. لا تقلقى.. كل شىء تحت السيطرة.. لن يزعجك بعد الآن.

. ليتك لم تقم بهذه التجربة أبدا.. كان خطأ فادحا.

. هناك فائدة عظيمة وراء كل هذا.. هو أننا عرفنا الآن حقيقة ابننا (أنس).. لم يعد هناك

مجال للشك.

دخل (راضى) الثانى الشقة فرأى (جوجو) تجلس على الأريكة أمام التلفيزيون تتابع أحد برامج الطهى.. لم تهتم بدخوله.. كانت لا تزال غاضبة بسبب قطع الرحلة.

.. حبيبتي.. أعلم أنك غاضبة منى.. ولك الحق فى ذلك.. ولكنى جئت الآن لأعذر عما بدر منى وسوف أعوضك عن هذه الرحلة برحلة أفضل منها فى مكان أفضل.

فلت مكانها.. وراحت تقلب القنوات باستخدام جهاز التحكم عن بعد.. فأكمل:

.. إليك هذا الخبر السعيد.. سأبيت معك الليلة.

يبدو أنها غاضبة منه للغاية.. مازال مستمرا فى محاولات إرضائها..

.. وليس الليلة فقط.. الليلة وكل ليلة..

ضغطت (جوجو) على زر Mute (كتم الصوت) والتفتت له:

.. ماذا تقول؟

.. كما سمعت.. سأبيت معك الليلة وكل ليلة.

.. و(حنان)؟

.. أنت أهم عندى من (حنان).

حدقت فيه غير مصدقة.. لا بد أنه يمزح بالتأكيد.. سوف يتفجر من الضحك الآن ويخبرها أنه كان يمزح.

.. لا أصدقك.

جلس بجوارها ثم احتضنها بحب وحنان وقال:

.. الأيام ستثبت لك أننى صادق تماما معك.

.. غريبة! ما الذى حدث؟

لم يرد.. فسألته:

.. هل أخبرتها بأمر زواجنا؟

.. لا.

.. هل علمت؟

.. لا.

.. ماذا إذن؟

.. حبيبتي.. أنت أهم عندى من (حنان) ومليون واحدة مثل (حنان).

بعد بضع ساعات وهما نائمان فى السرير.. قرر (راضى) أن يخبرها بالأمر.. لكنه كان حائرا كيف يبدأ.. فى النهاية سألها:

. ما الذى ستفعلينه إذا ظهرت نسخة أخرى منى كالنسخة التى ظهرت من ابنى (وحيد)؟
ضحكت ثم سألته:

. ما هذا السؤال الغريب؟

قال بجدية:

. فقط أجيى عليه.

. لا أفهم السؤال.. هل تقصد أننى أخذتك للمستشفى لتجرى عملية الزائدة الدودية . لا
قدر الله . ثم خرجنا منها بعد العملية ثم تلقيت بعد ذلك اتصال من المستشفى يخبرونى فيه
بأنك لا تزال هناك.. ويطلبون منى الذهاب لاستلامك.

. إمامم.. شيئاً كهذا.. ماذا ستفعلين؟

ابتسمت قائلة:

. سأذهب طبعاً لاستلامك.. يا حبيبى.. لن أتخلى عنك.

. لا أقصد ذلك.. أعنى ماذا ستفعلين عندما تعودين للمنزل وتجدين أمامك اثنين منى..

واحد خرج من المستشفى معك الآن وآخر خرج معك من قبل؟

. سأكون أسعد واحدة فى العالم.. هناك نسخة أخرى من زوجى حبيبى.

كان مندهشاً من إجابتها.. أما هى فقد داعبت ذقته بأصابعها فى دلال وتابعت:

. إننى أتمنى أن يكون هناك مليون نسخة منك.. أتمنى أن يكون العالم كله هو (راضى)

حبيبى.. أراك فى كل مكان.. أتعامل معك فى كل وقت.. لا أرى أحداً غيرك.

. أنت خيالية جداً.

قبلته من شفتيه وقالت:

. أنا أحبك جداً.

. دعينا نعود للسؤال.. ما الذى ستفعلينه لو أن هناك نسخة أخرى منى.. نسخة واحدة

فقط تشبهنى تماماً.. ما الذى ستفعلينه؟

. لا أفهم سؤالك.. ما الذى سأفعله فى ماذا؟

. أعنى هل ستزعجين من الأمر وتطردين النسخة؟

. بالتأكيد لا.. كيف أطرّد زوجى حبيبى حياة قلبى عمري؟

. لا.. أنت لا تطردين زوجك.. أنت تطردين النسخة الأخرى التى تشبهه تماماً.

. ولماذا أطردها؟ إننى أحب أى شىء يذكرنى به فكيف أطرّد نسخة طبق الأصل منه؟

سألها مندهشاً:

. ماذا ستفعلين إذن؟ هل ستعيشى مع الاثنين؟

ضحكت وقالت:

. وستكون أسعد حياة.

. كيف؟

. اثنين من (راضى) .. يا للجمال! يا لسعدى وهنائى! إذا ذهب أحدهم إلى العمل أو إلى (حنان) يبقى الآخر معى .. إذا نام أحدهم من كثرة التعب يبقى الآخر مستيقظا معى .. وإذا نام أوقف الآخر ليحل محله ونسهر سويا.

ثم غمرت بعينها بكل خبث وشقاوة قائلة:

. وفى الليل إذا تعب أحدهم .. سأجد الآخر فى أتم صحته.

. آه .. يا ملعونة!

. ما رأيك؟ هل نلت إعجابك؟

. ماذا تقصدين؟

. القصة جيدة .. ينقصها بعض المشاهد والحوار الساخن وستكون رائعة.

فهم (راضى) الآن فقال لها:

. هذه ليست قصة من القصص التى نخترعها لنمثلها هنا.

. ماذا إذن؟

التقط (راضى) نفسا عميقا قبل أن يقول:

. ليس خيالا .. إنه الواقع .. هناك نسخة تشبهنى تماما.

" ذهبت للمستشفى لأجرب وأتأكد .. لم أتخيل أن يحدث معى مثل ما حدث مع (وحيد) بالضبط .. فوجئت بأن هناك نسخة أخرى منى .. تعيش مع (حنان) والأطفال .. ولهذا قطعت الرحلة "

لم تصدق (جوجو) ما سمعته من زوجها وظلت لفترة تظن أنه يمزح معها أو يخترع قصة خيالية مثلما تفعل هى دائما.

. وأين هذه النسخة الآن؟

كذب (راضى) الثانى قائلا لزوجته:

. هناك .. لقد كذب على (حنان) .. أخبرها أنه الأصل .. صدقته وطردت من الفيلا.

. لكنك أنت الأصل.

صاح بشدة:

. طبعاً.. هل تشكّين؟

. لا.

تأملت وجهه.. ثم مرت بعينيها سريعاً على جسده.. هل يمكن أن يكون هناك نسخة أخرى منه حقاً؟.. فجأة شعرت بفضول شديد لأن ترى هذه النسخة.. نسخة طبق الأصل من حبيبها.. يملك نفس الجسد والعقل والقلب.. فضول قاتل لدرجة أنها منعت نفسها بقوة من قول (هيا بنا.. أريد أن أراه) واستبدلتها بسؤال:

. ماذا ستفعل الآن؟

. لا أعرف.

قالت بضيق:

. لم أعهدك بهذه السلبية.. هل أنت الأصل أم النسخة؟

. الأصل طبعاً.

. إذن.. من الصباح الباكر تذهب إلى شركتك وتمارس عملك بصورة طبيعية وتفكر في حل لإثبات أنك الأصل.. قبل أن يهدم ذلك الشخص كل شيء بنيته منتحلاً شخصيتك.
. لا أظن أنه سيفعل ذلك.

. لماذا؟

. لم يخبرها بالسبب الحقيقي.. حاول البحث عن طريق آخر ملتوى يصل لنفس الهدف:
. هناك احتمال أنه يظن نفسه الأصل.. أى أنه لا يعرف أنه يكذب.. وبالتالي لن يحاول هدم شيئاً يظن نفسه أنه هو الذى بناه.

صمت للحظات ثم قال:

. لابد أن نتفق على كلمة سر.. فهو يشبهنى في كل شيء حتى البصمات.. ويعرف كل شيء عنا.. كلمة السر هى الشيء الوحيد الذى يمكنك من خلاله التمييز بيننا.

قالت مبتسمة:

. ولماذا أحتاج إلى كلمة سر؟! كلاكما زوجى.. أنتما الاثنان واحد.

صاح محتجاً:

. لا.. لسنا واحد.

. لم ترد.. خشيت أن تزيد من حدة غضبه.. قال لها:

. كلمة السر يجب أن تكون صعبة.. لا يمكن تخمينها أبدا.. ما رأيك فى استخدام أسماء أفلام أجنبية فى الحديث؟

قالت فى حماس:

. رائع!.. أنا أحفظ مجموعة هائلة من أسماء الأفلام الأجنبية.

. لا.. أنا الذى سأستخدم هذه الأسماء فى الحديث وليس أنت.. إنها الوسيلة التى ستعرفين من خلالها أننى الأصل وليس هو.

قالت بذكاء:

. ولكنك تفكر بنفس طريقة تفكيره.. ربما فكر فى استخدام كلمة سر أيضا مع (حنان).. وربما كانت هى نفس كلمة السر هذه.

فكر (راضى) فيما قالتة واقتنع بوجهة نظرها وقال:

. وربما خمن أيضا أنتى سوف أستخدم كلمة سر معك.. وخمن أنها ستكون نفس الكلمة.. وربما يستخدمها معك أيضا ليخدعك.. لتظنين أنه أنا.

قالت بذكاء أكثر:

. وربما خمن أننا سنخمن كل ذلك فقام بتغيير كلمة السر مع زوجته (حنان)..

. ولو غيرنا كلمة السر.. ربما يخمن ذلك أيضا.. وربما يخمن جميع الأفكار التى تدور فى عقلى الآن أو سأفكر فيها فيما بعد.. يا للحيرة!

ابتسمت ابتسامة شيطانية وقالت:

. إذن فلتترك لى مهمة اختيار كلمة السر.. لأنه بالتأكيد لا يفكر مثلى ولن يستطيع التوصل إلى ما أفكر فيه.. حتى لو عاش مليون سنة.

. فكرة رائعة!

. لا تقلق يا حبيبى.. لقد شاهدت أفلام بوليسية أكثر من عدد شعر رأسك.. سأخترع كلمة سر لن تخطر على عقله أبدا.. حتى لو عاش يفكر فيها إلى يوم الدين.

استيقظ الأول من نومه.. فوجئ بوجود (حنان) إلى جواره على السرير مع الطفلين.. خمن أنها خافت من النوم بعيدا عنه فى غرفة الأطفال.. ابتسم وربت على شعرها الناعم بهدوء.. لكنها استيقظت من لمساته..

. صباح الخير..

. صباح النور.

ثم نهض من السرير بكل نشاط.. فسألته بعيون شبه مغمضة:

. هل ستذهب إلى الشركة؟

. بالتأكيد.

. أرجوك.. ابق معنا.

. لماذا؟

. أنا خائفة.. ربما يأتي أثناء غيابك.

. لا تقلقى.

. أرجوك.

وبعد إلحاح كثير منها وافق فى النهاية.. لكنه قرر أن يتابع العمل من خلال الهاتف المحمول واللاب توب.

كانت الساعة الحادية عشر ظهرا عندما اتصل (راضى) الأول برئيس العمال.. واكتشف أن العمل يسير على ما يرام فى الشركة دون الاحتياج لوجوده.. والسبب هو وجوده هناك بالشركة.

. لقد نفذنا جميع ما طلبته يا باشا.. وسوف أسلمك جميع التقارير قبل انصرافك.

. قبل انصرافى من أين؟

. من الشركة.

. هل أنا موجود بالشركة الآن؟

اتصل الأول من هاتف زوجته (حنان) على هاتف الثانى.. لأنه لا يمكن أن يتصل برقم من

نفس الرقم..

. ألو.. (حنان)!

. لا.. أنا.. ما الذى تفعله عندك؟

. أدير شركتى.

. بل هى شركتى أنا.

. حسنا.. شركتنا.

. اخرج من عندك فورا.

. لماذا؟

.. لا أستطيع دخول الشركة وأنت بها .. سيعرف الموظفون وقتها أننا اثنين.
.. أتفق معك .. لكننى لا أستطيع مغادرة الشركة الآن .. فأنا فى وسط اجتماع .. لا تعلق .. أنا
أدير الشركة كما تريد بالضبط .. لا تنس أن لدينا نفس الأسلوب والطريقة فى إدارة الشركة ..
ونفس الخطط لتطويرها .. اطمئن .. عش حياتك كما تريد وأنا سأرهب نفسى بالعمل هنا .. أما
فى الغد ستذهب أنت للعمل لأسترح أنا .. اتفقنا .. سلام.
ثم أنهى الاتصال وأغلق هاتفه .. وعاد إلى الاجتماع.

(46)

فتحت (جوجو) باب الشقة بعد إلحاح من جرس الباب.. لم تنتظر من العين السحرية..
رأت زوجها أمامها.. راحت تحتضنه بعد أن أغلقت الباب.. قالت بسعادة:
. لا أصدق نفسي.. هل سنتناول الغداء سويا؟
بعد العناق.. دخل (راضى) الأول إلى الصالة دون أن ينطق بكلمة.. تابعت بفرحة
شديدة:

. الآن صدقتك.

. فى أى شىء؟

. عندما قلت لى بالأمس أنك ستكون معى كل يوم.

ثم نظرت له بحيرة شديدة وقالت مصعوفة:

. الملابس!

نظر إلى ملابسه وقال بقلق:

. ما بها؟

. هذه ليست الملابس التى خرجت بها فى الصباح.. هل أنت الـ...

أجابها بهدوء:

. نعم أنا.

فأكملت سؤالها:

. الـ... الـ... النسخة؟

ابتسم بغيظ:

. هل هذا ما قاله لك يا (جوجو)؟

. ما الذى تعنيه؟

. أعنى.. هل استطاع خداعك؟ هل صدقت أنه الأصل؟

. أتعنى أنك...؟

. طبعاً.

راحت تتأمل وجهه وتتحسسه.. لا تصدق ما تراه.. إنه هو بالفعل.. ماذا عن الآخر؟ من

يكون؟

. أنت لم تبيت معى بالأمس؟

. لا.

. لم تذهب معى إلى رحلة الفردقة؟

. لا.

قالت باقتناع:

. حسناً.. بالنسبة لى هو الأصل.

. كيف؟

. لأنه كان معى طوال الوقت.. حتى فى رحلة الفردقة.. أما أنت فقد ظهرت فجأة.

قال لها دون أن يفكر فى نتيجة قوله:

. وهل تظنين أن الأصل كان سيقوم بمثل هذه الرحلة ويفيب أيام طويلة دون أن يسأل عن

زوجته وأولاده؟.. لقد استغل الوغد الفرصة وسافر معك إلى هناك.

فوجيء بقولها:

. إذن النسخة تحببني أكثر منك.

اكتشف الآن مدى سوء حجته.. فحاول كسبها بقوله:

. يا حبيبتي.. هل تُشكّين فى مدى حبى لك الآن؟ بسبب رحلة تنسين كل ما كان بيننا.. رحلة

كانت فى الأساس من تخيلتى.. لو أنك لا تصدقينى يمكننى الآن أن أخبرك باسم الفندق

الذى أقمتما فيه.. لأن كل شيء كان مخطط له.. لكنه فقط قام بالتنفيذ.

. قام بالتنفيذ لأنه يحببني أكثر من حبه لـ (حنان).

نظر لها بكل حب ثم ضمها إلى صدره بقوة ناعمة ملتهبة وقال:

. هل تظنين ذلك يا (جوجو)؟

فجأة شعرت (جوجو) بإثارة جنسية لا حدود لها.. تفوق بكثير ما قامت بتأليفه طوال سنين

زواجها.. إنها تحتضن الآن زوجها فى غياب زوجها.. فهل هذه خيانة؟ هل يمكن أن نطلق عليها

اسم (خيانة مشروعة)؟ تحتضن رجلاً آخر غير الرجل الذى غادر فراشها فى الصباح.. لكنه فى نفس الوقت زوجها الذى نام معها فى نفس الفراش لسنوات.. وأمام الشرع والقانون لا يزال زوجها.

أيهم الأصل وأيهم النسخة؟

لا يهمها ذلك الآن.. فقط هى تشعر أنها سوف تستمتع مرتين فى الحلال.. أفتعت نفسها أن الاثنين زوجها.. ربما الذى تحتضنه الآن هو زوجها فعلاً.. هو الأصل.. وما فعلته بالأمس كان خيانة.. لا تدري!

إنها لا يمكن أن تخون زوجها أبدا مهما كانت المبررات أو الإغراءات.. حتى أنها رفضت محاولات (باسم) للتقرب منها.. لأنها سيدة شريفة تصون عرض زوجها.. لكنها فى هذه الحالة تشعر أنها لا تخون زوجها! كيف تخون زوجها مع زوجها؟ وغاصا فى بحر الغرام ونسيا الدنيا وما عليها.

ذهبت (جوجو) للاستحمام بينما ظل (راضى) نائماً على السرير.. يفكر فيما فعله.. فيما يحدث.. فى هذه الحياة الغريبة! (جوجو) نامت مع آخر غيره بالأمس.. وهو يعلم ذلك.. ثم ينام معها الآن.. كيف يقوم بشيء كهذا وهو يعلم أن (جوجو) صارت مع آخر غيره؟ هل كان سيوافق إذا فعل الآخر بالمثل مع (حنان)؟..

لكنه هو الأصل.. (حنان) و(جوجو) زوجتيه.. هو لم يرتكب أى خطأ.. أما هذا الآخر فلا محل له من الإعراب.. شخص بلا هوية.. بلا عائلة.. بلا أصل.. ويظن نفسه أنه هو لمجرد أنه يملك نفس الجسد والعقل وكل شيء.. تقريباً.

ثم فكر فى (جوجو).. كان يدرك أنها لم تخنه أو على الأقل لم تكن تعلم أنها تخونه.. لقد خدعها الآخر وأوهمها أنه الأصل.. لكن.. ماذا بعد أن علمت؟

ربما توافق على الوضع الجديد وربما تراه مثيراً أيضاً.. عكس (حنان).

إن (جوجو) تختلف كثيراً عن (حنان).. (حنان) لا تفكر فى الجنس سواء مع الأصل أو مع النسخة! أما (جوجو).. فهى لا تفكر إلا فى الجنس!

هل يستطيع منعها من لقاء النسخة؟ هل سيحرمها من وجوده ومن وجود النسخة أيضاً فى حياتها؟

الآخر يعدها بأن يكون لها كل يوم.. فما الذى يمكن أن يقدمه هولها؟ إنه يراها فى الأسبوع

مرات قليلة.. أقل من عدد أصابع اليد الواحدة!
وفجأة.. سمع طرقات على باب الشقة..
هل وصل الآخر؟

شعر (راضى) بالقلق والتوتر.. ونهض من السرير يحاول البحث عن أى شىء يستر به نفسه.. ثم تعجب من هذا الشعور!
إنه الزوج وليس الخائن.. إنه مع زوجته وينام فى فراش الزوجية.. ما الذى يجعله مرتبكا هكذا؟ ما الذى يمكن أن يحدث إذا تم ضبطهم فى هذا الوضع؟
ربما يخاف أن يعلم النسخة بما فعله فيقرر الانتقام ويذهب لخداع (حنان) ويفعل المثل معها؟ لكن (حنان) ذكية ولقد اتفقا على كلمة سر.. بالتأكيد ستكشفه من أول لحظة..
و(حنان) تختلف عن (جوجو).. إنها لا تفكر فى هذه الأمور.. ثم تذكر أن (راضى) الثانى معه نسخة أيضا من مفتاح الشقة.. فلماذا يطرق الباب؟ ربما ليس هو! ثم فكر فى نفسه.. هو أيضا معه نسخة ومع ذلك طرق الباب!
خطر له خاطر مخيف.. ربما الطارق هو (حنان).. ربما أخبرها الآخر أنه هنا ليكشف لها حقيقة الأمر ويهدم المعبد على الجميع كما فعل (شمشون).
نظر فى العين السحرية بسرعة لينهى القلق والتوتر والتفكير..
كان البواب!
عاد (راضى) إلى غرفة النوم.. حاول البحث عن أى شىء جديد يخلص الرجل الآخر.. ثم راح يفتش فى الدولاب.. وهنا اكتشف المفاجأة.
المفاجأة التى ستغير حياته مع (جوجو) للأبد.

(47)

انتظر (راضى) خروج (جوجو) من الحمام وراح يواجهها مرتديا ملابسه الرسمية:

. أين شريط الحبوب؟

. أى حبوب؟

. حبوب منع الحمل طبعاً.. هل تأخذين أى حبوب أخرى غيرها؟

. لا بالتأكيد.

. لقد نسيت أن أشتري لك منذ فترة.. فهل كنت تشتريين لنفسك أم أنك توقفت؟

صاحت مدافعة عن نفسها:

. لم أتوقف طبعاً.. أنا ملتزمة بالشروط كما أمرت.

. حسناً.. أين شريط الحبوب؟

راحت تقف أمام مرآة التسريحة وتقول:

. دعنى أمشط شعري أولاً وسوف أحضره لك.

. لا.. أحضره الآن.

أمسكت المشط وقالت:

. انتظر قليلاً.

أمسك ذراعها بقوة وقال بلهجة حاسمة:

. أحضره الآن.

انتزعت ذراعها منه وقالت:

. حاضر.

ثم راحت تبحث فى أدراج التسريحة عنه.. تفتح أدراج وتغلق أدراج.. سألها ميديا دهشته:

. أنسيت مكان الشريط والمفروض أنك تأخذين منه حبة كل ليلة؟

قالت مرتبكة:

. لا.. لم أنس.. أنت فقط تسبب لى ارتباكك بأسلوب المباحث هذا.. وموضوع الأصل والنسخة قلب تفكيرى تماما.. لو تركتني دقيقة واحدة سوف أحضره لك.

وراحت تبحث فى الغرفة وهو يراقبها.. بحث فى الدولاب.. مدت يدها وأخرجتها حاملة شريطا وقالت:

. تفضل.. ها هو حتى تعلم أنى بريئة!

نظر للشريط وقال مندهشا:

. لكن الشريط كاملا.

. نعم.. لقد انتهى الشريط القديم واشتريت هذا مؤخرا.. حتى تعلم أننى ملتزمة.

أخرج شريطا آخر من جيبه وسألها:

. إذا كان هذا هو الشريط الجديد فما هذا إذن؟

نظرت له وسألته:

. أين عثرت عليه؟

. فى الدولاب.

. إنه شريط قديم.. لقد ضاع منى ولم أجده فاشتريت واحدا بدلا منه وقتها.

نظر إلى الشريط الجديد الذى أعطته إياه وقال:

. التاريخ يدل على أنه قديم جدا.. منتهى الصلاحية.

أخذت الشريط منه وبدأ عليها الارتباك للحظات.. ثم استعانت بخبرتها التمثيلية وصاحت

منزعجة:

. الملاعين! لقد باعوه لى على أنه جديد.. لا بد أن أقدم بلاغا فى هذه الصيدلية.

. أى صيدلية؟

. الصيدلية التى فى الشارع الخلفى.

. ما اسمها؟

. صيدلية الشفاء.

. كم سعر الشريط؟

توقفت عن الإجابة.. فسألها مندهشا:

.. ألا تتذكرين سعر الشريط؟

حاولت ذكر أى سعر لكنها فعلا لا تستطيع التخمين.. خشيت أن تقول سعرا يكون أقل أو أعلى بكثير.. سألتها مجددا:

.. ألا تتذكرين السعر حقا؟ أنا أعلم أن النساء لديهن ذاكرة قوية فى مسألة الأسعار.. وأنا أعرفك جيدا.. ذاكرة حديدية.

أطرقت برأسها إلى الأرض.. لا تعرف بم تجيب.. سألتها مجددا:

.. كم سعره؟

قالت مبلغا لتوقفه عن تكرار السؤال فضحك قائلا:

.. هذا يعنى أنك لم تشتري منذ زمن أو أنك لم تشتري على الإطلاق؟

قبض على ذراعها بقوة ونظر إلى عينيها بكل غضب وقال:

.. هل كنت تخططين للحمل؟ ألم تنفق على عدم الإنجاب؟ ألم تنفق منذ البداية وقبل زواجنا على أن إنجابك سيكون سببا فى طلاقك؟

.. أنا.. أنا..

.. أنا لا أحب الخداع ولا أطيعه.. ولست فى حاجة لطفل ثالث.. ولا أحتاج لهذه الزيجة.. لن تكونى على ذمتى بعد اليوم.

انهارت باكية وقالت:

.. لا.. أرجوك.. لا تطلقنى.. اسمعنى.

.. اسمع ماذا؟

مسحت دموعها وقالت مدافعة عن نفسها:

.. أنا راضية تماما بحياتى معك على هذا الحال.. و يمكننى أن أكتب تعهد لك بأنى لا أريد أى أطفال.. لكن أرجوك لا تطلقنى.

.. تقولين هذا الآن بعدما اكتشفت خداعك.. لكنت كنت تخططين للإنجاب.. صدقتى لا.

.. كيف تفسرين إذن عدم تناولك لحبوب منع الحمل؟

.. لم تستطع (جوجو) كتمان الأمر أكثر من ذلك فنطقت قائلة:

.. لأنه لا فائدة منها.

سألها مندهشا:

.. ما الذى تعنيه؟

انهارت على مقعد التسريحة باكية وقالت:

.. لأنه لا يمكننى أن أنجب منك أبدا.. حتى لو توقفت عن تناول الحبوب.

أمسكها من شعرها بعنف وقال:

.. ماذا تقصدين؟

خلصت شعرها من قبضة يده ونهضت من مكانها واتجهت إلى الدولاب وأخرجت منه كمية

كبيرة من شرائط حبوب منع الحمل وألقتها أمام أقدامه على الأرض وقالت:

.. لقد توقفت عن تناولها منذ زمن بعيد.

انحنى يلتقط بعضها مذهولا وقال:

.. ما هذا؟ ما الذى يعنيه هذا؟

قالت بصوت متحشرج من البكاء:

.. يعنى أننى زوجة مخلصة.. تعلم أن زوجها لا يستطيع الإنجاب ومع ذلك ظلت تعيش معه

وتحبه ولا تفكر فى الطلاق منه وراضية تماما بالعيش منه حتى لو حُرمت من الأطفال طوال العمر.

فوجئت به يقول:

.. بل معناه أنك حاولت الإنجاب بالفعل وفشلت.. وإلا كيف ستعرفين أن هذه الحبوب تحصيل

حاصل؟.. ويعنى أيضا أنك زوجة مخادعة.. تظاهرت طوال هذه السنين بأنك تقبلين فكرة

عدم الإنجاب احتراما لرغبتى وحفاظا على شروط زواجنا.. وكنت أيضا تطلبين الإنجاب منى

وأنت تعلمين أنك لا تستطعين حتى لو أردت.. من أجل أن تظهرى أمامى فى دور المضحية.

.. نعم.. أنا مضحية.. ضحيت بتربية طفل من أجلك.. ولو أنك سمحت لى فسنذهب غدا

لستشفى متخصصة ونحظى بطفل أنابيب كما فعلت مع زوجتك (حنان).

رمقها بنظرة احتقار وقال:

.. لا تتلقى اسمها على لسانك.. إنها أشرف منك.

قالت بانفعال:

.. أنت تعاملنى بمنتهى القسوة وأنا أعاملك بما يرضى الله.

.. أنت خدعتينى بتوقفك عن تناول الحبوب طوال هذه المدة.. ولو أن الأمور طبيعية لكنت أما

منذ زمن.. لتضعينى أمام الأمر الواقع وأصبح أبا رغما عنى.. أليس كذلك؟

.. لا.. لماذا تنظر للأمور من هذه الزاوية؟

.. حسنا .. أخبريني .. كيف تبررين فعلتك هذه ؟
لم تنطق بكلمة .. فألقى بشرائط الحبوب في وجهها .. ثم قال :
.. أنت طالق يا (جمالات) .

(48)

كانت (جوجو) تبكى عندما سمعت طرقات على باب شقتها.. مسحت دموعها بسرعة.. ثم سمعت صوت فتح باب الشقة و..

" (جوجو) .. حبيبتي.. أين أنت؟ "

نظرت لوجهها في المرأة.. ثم تذكرت الحبوب الملقاة على الأرض.. أزاحتها بيدها لتخبأها تحت الدولاب.. ألقت نظرة سريعة على الغرفة لترى إن كان هناك أى دليل على دخول (راضى) طليقها هنا.. لم تجد.

فخرجت بسرعة إلى (راضى) زوجها!
. أين كنت؟

سألها (راضى) الثانى وهو يندفع نحوها لاحتضانها.. ثم لاحظ احمرار عينيها فسألها بقلق:

. ما هذا؟

حاولت إخفاء عينيها عنه بدفن رأسها فى صدره.. قالت:

. الصابون دخل عيني أثناء الاستحمام.

كانت لا تزال مرتدية روب الاستحمام فبدا الكلام منطقيًا.. ابتسم لها ورافقها إلى غرفة النوم وهو يقول:

. لقد قضيت اليوم كله فى الشركة.. شعرت أننى..

ثم لمح مناديل كثيرة على السرير.. خاصة الوسادة.. أعاد النظر إلى عينيها مجددا وسألها:

. هل كنت تبيكين؟



لم تعد حجة الصايون مقنعة أكثر من ذلك.. لابد أن تخبره بسبب منطقي!
لن تخبره طبعاً أنها كانت تبكى لأن الأصل قام بتطليقها.. خوفاً من غضبه.. الغضب لن
يكون بسبب تطليقها أو بسبب الحبوب.. الغضب سيكون بسبب أنها استضافت الأصل في بيتها
في غيابها وعلى سريرها.. وربما يطلقها هو أيضاً لو علم بهذه الزيارة!
.. فيلم (دعاء الكروان) كان يعرض منذ قليل.

قالت لها وهي تشير إلى الشاشة الكبيرة الموجودة بالفرفرة.. ثم أكلت:
- "وين (هنادى) ياماًى؟" .. فيلم مؤثر جداً!
ثم ابتسمت له ابتسامة ساحرة واحتضنته بقوة لتستعيد بعض السعادة التي افتقدتها خلال
الساعة الكئيبة الماضية.. زوجها طلقها منذ ساعة! زوجها عاد إليها الآن!
غمزته بالقبلات ثم سألته:

.. هل أحضر لك العشاء يا زوجى العزيز؟

xxx

كانت (جوجو) نائمة في أحضان زوجها عندما سمعت رنة هاتفه المحمول.. لقد نسيت
أن تغلقه.. كانت تخشى أن يتصل الأول ويخبر الثانى أنه قد طلقها.. لكنها استبعدت هذا
الاحتمال فيما بعد.
.. إنه هو.

قالها زوجها وهو ينظر إلى شاشة المحمول.. فشعرت بالقلق الشديد فقالت له:
.. لا ترد عليه.

فكر للحظات ثم قال:

.. لا.. سأرد.. ربما عاد إلى رشده وفكر في الأمر جيداً.. ربما اقتنع بفكرة التعاون.. أو ربما
سيشكرنى على عملى اليوم فى الشركة.. لقد أنقذتها من خسارة كبيرة.

نهض (راضى) من سريرها وذهب إلى الفرفرة الأخرى ليتحدث بحريته بعيداً عن زوجته..
أما هى فكانت تشعر بالغضب الشديد من حظها الملعون.. لقد استعادت زوجها كلياً ليلة أمس
وظننت أنها أسعد زوجة فى العالم لأنه سيبقى معها طول الوقت لن تشاركها امرأة أخرى فيه..
ثم رأى الحبوب وانهار كل شئ.. المفاجأة الملعونة.. طلقها الأول ثم يتصل بالثانى الآن.. هل
سيخبره؟ وكيف سيكون رد فعله؟

هل سيحرم جسدها عليه لأن الأول طلقها وبالتالي تكون محرمة عليه أيضاً؟ أم أنه

سيطلقها أيضا لأنه علم بخيانتها مع الأول؟ أم أن الأول لن يخبره بأى شيء حتى لا يلومه
الثانى على فعلته معها؟

عقلها يكاد يجن!

قامت من مكانها وسارت على أطراف أصابعها وألصقت أذنها بالباب لتسمع زوجها..
"لقد توقعت أن تتصل لى تشكرنى.. لا العكس.. لقد ذهبت إلى الشركة وقمت بعمل
اللازم كأنك موجود بالضبط.. ولقد أنقذت الشركة من خسارة كبيرة فلقد.."

طبعا لم تسمع (جوجو) الطرف الآخر وهو يقاطعه قائلا بحزم:
.لا تدخل هذه الشركة مرة أخرى.

.ليس من حقلك أن تمنعنى من دخولها.. فهى شركتى مثلما هى شركتك.

.أنا الذى أسستها.. أنا صاحبها.. أما أنت.. لا أحد يعرف من أنت!

.أنا صاحب الشركة.. ما الذى يثبت أنك الأصل وأنا النسخة؟

سمعت (جوجو) الجملة الأخيرة من زوجها ولم تفهم شيئا.. أيعنى هذا أن الأصل هو الذى
طلقها؟ أم أن الموضوع لا يزال محل جدال والكل حائر مثلها.. لا أحد يعلم من هو الأصل ومن
هو النسخة!

سمعته يقول:

.ربما أنا الأصل وأنت النسخة.. وخدعتنا بكذبتك.. التى صدقتها (حنان).

.إياك أن تذكر اسمها على لسانك.. وبالنسبة لـ (جوجو).. لقد خدعتنا سويا.

. (جوجو)!

سمعت الزوجة الثانية اسمها على لسان زوجها فشعرت أن قلبها قد سقط عند قدميها..
عادت بسرعة إلى الغرفة ونامت فى سريرها واحتمت بالغطاء.. خشيت أن يخرج زوجها فى
تلك اللحظة ويرأها هناك خلف الباب وهو فى شدة غضبه منها.. سوف تتظاهر أنها نائمة
الآن.. ربما يؤجل الشجار للصباح إذا رآها فى هذا الوضع.

.نعم.. لقد خدعتنا.. كانت تخلمك للإنجاب.. لقد وجدت عندها كل شرائط حبوب منع

الحمل التى اشتريتها لها.. كاملة.

.ماذا؟

.لكنى طلقته.. تخلصت منها.. لذا لا تذهب إليها.

ضحك (راضى) الثانى ساخرا وقال:

.أنت الذى طلقته.. وليس أنا.

..وأنا أيضا الذى تزوجتها وليس أنت.
..نسيت أن أسألك.. متى علمت بخدعتها؟ هل كنت عندها اليوم؟

دخل (راضى) غرفة النوم.. نظر إلى السرير.. كانت (جوجو) تغطى جسدها تماما بالغطاء.. لا يرى منها شعرة.. لكنه لاحظ جسدها يتحرك.. لابد أنها مستيقظة لكن تتظاهر بالنوم.. ربما خمنت ما دار فى المكالمات وتخشى أن يواجهها بكل ما عرف.
هل يفاتحها فى الموضوع أم يتجاهل ما سمعه؟ هل يسامحها على فعلتها أم يعاقبها؟ هل يسألها؟ هل سيصدق ما ستقوله أيا كانت مبرراتها؟ ربما تكذب وتقول أنها ظننته هو.. ربما تحاول إقناعه أنهما الاثنان زوجيهما.. ربما تقنعه بأن الآخر هو الأصل وأنه هو النسخة وأن علاقته بها هى العلاقة الخطأ!

فى النهاية قرر ألا يفاتحها فى الموضوع ودخل لينام بجوارها فى السرير.. ربت على شعرها وقبّلها من وجنتها.. فاحتضنته بحب جارف وعلى شفيتها ابتسامة سعادة وراحت فى نوم عميق سببه الأمان والطمأنينة.. وبشته كل حنانها.

أما فى الصباح.. وأثناء تناولهم وجبة الإفطار الشهية التى أعدتها له.. سألها:
..هل تريدان الإنجاب؟

شعرت بالقلق.. هل قام بتأجيل المواجهة للصباح؟ هل سيفتح معها موضوع حبوب منع الحمل الآن؟ ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت:

..لا أريد.. طالما أنك اشتربت عدم الإنجاب عند زواجنا.

أمسك يدها الناعمة بكل رفق وحنان وطبع قبلة دافئة عليها وقال بكل صدق:
..حسنا.. أنا أريد الآن طفلا منك.

كان (راضى) الثانى يشعر بالضيق من تصرفات (راضى) الأول.. أولا يحرمه من دخول الفيللا بحجة أن (حنان) لا تطبق فكرة وجوده معها تحت سقف واحد.. ثانيا: يحرمه من رؤية الولدين.. (وحيد) و(أنس) لنفس السبب السابق.. الأم.
ثالثا: يمنع من دخول شركته.. رابعا: يأتى لشقته وينام مع (جوجو) ثم يطلقها.. بحجة أنها امتنعت عن تناول حبوب منع الحمل منذ زمن.. لقد فعل ذلك ليحرمه منها أيضا.. بالتأكيد ليس هناك سبب آخر.. فكيف يكتشف فجأة أنها توقفت عن تناول الحبوب؟ وكيف

لم تتعجب إذا كان يقول أنها توقفت منذ زمن؟ ولماذا حدث هذا الاكتشاف الآن؟ شعر أن كل هذا كذب من أجل إقناعه بهجرها.. حتى يصبح وحيدا.. فى العراء.. لا منزل.. لا زوجة.. لا أطفال.. لا عمل..

لذا فكر طوال الليل كيف سيدبر أموره؟

أولا: سيعيش بطريقة طبيعية كأي إنسان.. لن يبقى فى الظل أبدا.. سيعلن عن زواجه من (جوجو) أمام الجميع.. وربما يصل الأمر لعائلة (حنان).. وقتها سيجبرون الأول على تطليقها.. ثانيا: سينجب من (جوجو).. طالما أن الأول احتفظ بالطفلين.. ثالثا: الشركة.. لن يدعها له أبدا.. سيحاول إقناعه بالمشاركة فإذا رفض سيكون هناك تخطيط آخر..

فلنت (جوجو) بأن هذا اختبار منه.. يمهّد لها الطريق لتعترف له بكل شيء.. سأنته بقلق:

لماذا غيرت رأيك الآن؟

تنهد وقال:

هو يعيش مع (حنان) ومعهم الطفلين؟ ولن أستطيع إقناعها أننى الأصل.. وأنا أحبك وسأكمل حياتي معك.. لذا أظن أنه قد حان الوقت المناسب لأعلن أمام الجميع أنك زوجتي.. وأنجب منك..

الآن فهمت أنه لم يكن اختبار.. انفجرت من السعادة أمامه وراحت تغمر وجهه بالقبلات وهى تقول:

حبيبى.. أخيرا.. سأخرج معك فى كل مكان.. سنعلن للجميع أننا زوجان..

نعم.. وستتوقفى عن تناول الحبوب من الآن.. لنحظى بمولود جميل..

تذكرت (جوجو) الحقيقة المؤلمة.. وطبعاً لن تستطيع إخباره بها حتى لا يعلم أنها كانت تخدعه طوال هذه السنوات وتمارس أمامه دور الضحية.. لقد رأت هذا المشهد من قبل..

ومن نفس الشخص.. أو شبيهه!

والاثنتان لهما نفس العقل والتفكير.. حتى وإن اختلفا بعض الشيء الآن..

إنها لا تستطيع تخمين رد فعله.. ربما يكون مماثلاً للأول بالضبط.. وهى لا تريد المجازفة.. لابد أن تتعلم من أخطائها السابقة..

فكرت لبعض الوقت ثم أنتها فكرة شيطانية.. قالت له:

أنا أريد طبعاً الإنجاب منك.. وتربية الأطفال أجمل شيء فى الوجود.. وكنت أتمنى هذه اللحظة منذ بداية زواجنا.. لكن الحمل مرهق وصعب و يفسد مفاتن الجسد وسوف

يستغرق وقتاً طويلاً .. تسع أشهر كاملة .. وبعدها يأتي الطفل .. لا نعرف جنسه .. هل سيكون ولداً أم بنتاً .. كيف سيكون شكله؟ .. هل سيكون له أى عيوب خلقية لا قدر الله؟
أوقفها بضيق قائلاً:

.. ما الذى تريد من قوله بالضبط؟

.. لقد جاءتنى فكرة عبقرية .. سوف تجنبنا كل هذا.

.. لا أفهم .. أى فكرة؟

.. سأقول فكرتى ولا تخبرنى برأيك فيها حتى تسمعها للنهاية وتدرسها جيداً.

.. حسناً.

.. ما رأيك فى خطف (وحيد)؟

.. أخطف ابنى؟ بالتأكيد لن يتركوه لى وسيتقلبون الدنيا عليه وأول مكان سيبحثوا فيه هو هنا.

.. اسمعنى للنهاية .. سنخطف ابنك الليلة واحدة .. يبيت فى المستشفى .. ثم نعيده لهم فى

الصباح .. وأنت تعلم الباقي.

ابتسم لها قائلاً:

.. يا بنت المجنونة!

(49)

تابعت (جوجو):

..ويصبح لديك ابن ثالث.. لن يعلم به أحد.. ابن جاهز.. وُلد جميل عمره خمس سنوات.. وفى نفس الوقت يعوضك عن حرمانك من (وحيد) .. لأنه مثله بالضبط.. كأنه هو.. هاه.. ما رأيك؟

ضحك قائلاً:

..وما رأيك أيضاً؟ أخطف (حنان) وأجبرها على النوم ليلة كاملة فى الغرفة إياها.. ويكون عندي بذلك (حنان) أخرى.

قالت بغيرة شديدة:

..أمازلت تفكر فى (حنان)؟

..لا.. ولكنى أسأرك فى فكرتك.. حسناً.. لا داعى من (حنان) .. اذهبى يا (حنان) .. ابعدى يا (حنان) .. فلتأتى (جوجو) حبيبة قلبى.. أصطحبها معى إلى المستشفى.. وتنام ليلة هناك على السرير فى الغرفة إياها.. وفى الصباح يكون لدينا نسخة أخرى من (جوجو) .. ما أجمل الحياة مع اثنين من (جوجو) ! (جوجو) الفترة الصباحية و(جوجو) المساء والسهرة.. الليل وآخره.. وبهذا تكون هناك (جوجو) فى خدمتى ٢٤ ساعة.. وإذا مرضت واحدة لا قدر الله.. تقوم الثانية بالعمل بدلا منها.. ما رأيك؟ .. وربما أفكر فى نسخة ثالثة.. لكى يكون هناك تقسيم للعمل بينكم.. واحد تكنس وتمسح.. والأخرى تطبخ.. والثالثة تخرج معى وتدلبنى.. وطبعاً ستبادلون الأدوار وأعمال البيت بينكم.. ما رأيك فى نسخة أخرى من أجل رعاية الولد حتى..

قاطعتها قائلة بغضب:

. كفى.

. ماذا؟ ألم تعجبك فكرتى؟

. فكرتى تختلف عن فكرتك.. أنا أعطيك ابناً بديلاً.. وأنت تعطينى ضرة بديلة.. بدلاً من (حنان).

. إنها ليست ضرة.. إنها أنتِ أخرى.

. لا.. إنها ليست أنا.

شرد بذهنه قائلاً:

. هكذا يفكر الأصل دائماً!

قالت لتقطع عليه شروده:

. لقد لاحظت أنك تفتقد (وحيد) ففكرت فى هذه الفكرة طالما أنك ممنوع من رؤيته.

نهض من مقعده وقال بلهجة حاسمة:

. لا مزيد من النسج.. لن أعرض ابنى لمثل هذه التجربة التى لا يحمد عقباها.. ولا نعرف بالضبط ما الذى يحدث خلالها وكيف يحدث.. ولا نعرف هل هناك أى آثار جانبية لها أم لا. لكن..

. ما الذى سنستقيده من وجود ثلاث أطفال لهم نفس الشكل ولهم نفس العقل ولهم نفس البصمات؟ سوف يعيشون حياة غريبة.. لا يستطيعون فيها التفرقة بين بعضهم البعض.. يمكن أن يرتكب أحدهم أى خطأ ويتورط الآخر فيها بسهولة بسبب البصمات. إذا..

. ولماذا أبدأ رحلة متاعب جديدة لإثبات وجود توأم ثالث لابنى (وحيد) .. نحن مازلنا نحاول إثبات وجود الثانى فى الأوراق الرسمية.. هل نصنع قصة جديدة من أجل طفل جديد؟.. لم كل هذا التعب؟.. أنا لن أخطف ابنى أبداً.. ولن أعرضه لمثل هذه التجربة ولمثل هذه الحياة.. كلام نهائى.

. كما تحب.

. أنا أريد الإنجاب منك أنت.. لا أريد طفلى من (حنان) ولا أريد نسخة منه.. أريد طفلاً يقربنا من بعضنا.. لماذا تفكرين فى تربية طفلاً ليس طفلك؟

. لكنه طفلك.. وسيكون كابنى بالضبط.

. لا.. سوف أنجب منك ابناً.. سيولد كإى طفل طبيعى وسيعيش معنا هنا حياة طبيعية. كانت (جوجو) حائرة كيف تخبره أنه لا يستطيع الإنجاب.. سوف يستغرق وقتاً حتى

يكشف ذلك.. ثم وقتاً آخر حتى يجروا الفحوصات.. ثم تأتى مرحلة التفكير فى تقنية (مثل الأنابيب).. وهى لا تعلم إن كانت ستصلح معهم أم لا.

تابع (راضى) قائلاً:

..ولن يكون له شبيه أبداً.. إلا إذا.

..إلا إذا.. ماذا؟

أجابها ضاحكاً:

..إلا إذا أنجبت توأم طبيعاً.

xxx

لم يذهب (راضى) الثانى إلى الشركة فى ذلك اليوم.. كان يعلم أن الأول سيكون هناك.. قرر أن يذهب هو فى اليوم الذى يليه.. وليكن ما يكون!

فى المساء فوجئ باتصال من (حنان) فترك زوجته تشاهد التلفزيون.. وذهب إلى مكان آخر بعيد عنها داخل الشقة..

..(حنان)؟

..أعد الولد يا (راضى).

دائماً ينسى (الثانى) أن (الأول) يتصل به من هاتف (حنان) لأن أرقام هواتفهم واحدة.. لذا يستخدم رقم آخر.

..أى ولد؟ أنا لا أعلم عم تتحدث!

..لن أسامحك أبداً على ما فعلت.. أعد الولد أولاً ثم نتفاهم بعد ذلك.

..أشرح لى ما حدث حتى أفهم.

..أنا أعلم أن هذه خطة (جوجو).. فلقد أرادت هذا الولد منذ ظهوره..

تذكر (راضى) الثانى ما يتحدث عنه (راضى) الأول.. نعم (جوجو) فكرت فى خطف الولد من قبل.. الذاكرة واحدة وهو يتذكر ذلك جيداً مثله.

..هل تمنى أنك تتهمنى بخطف ابنى (وحيد)؟

..(وحيد) أو (أنس).. المهم أن واحد منهما عندكما الآن.. ولا بد أن تعيده.

..لحظة من فضلك..

ثم وضع المكالمة فى وضع (تعليق) حتى لا يسمع الطرف الآخر ما يدور عنده وأسرع إلى (جوجو) بكل غضبه.. أمسك جهاز التحكم عن بعد وأطفأ التلفزيون.. فانزعجت وقبل أن تقول كلمة سألها بكل جدية:

. هل خطفتِ الولد؟

سألته مندهشة:

. أى ولد؟

. الولد.. ابنى.. خططك التى ذكرتها هذا الصباح على مائدة الإفطار.

. ما الذى تقوله؟ أتهمنى بخطف ابنك؟.. هل ترى الولد معنا؟

. ربما اتفقت مع أحد بالخارج على خطفه.. ولم يسلمك الطفل بعد.. تريد أن تقاينى

به.

قالت مدافعة عن نفسها:

. لا.. لم أفعل.. عندما رفضت الفكرة فى الصباح نسيتها تماما.. وتأكد أنتى لن أفعل شيئا

بدون علمك.

بدت كلماتها صادقة تماما فعاد إلى هاتفه وقال لمحدثه:

. لم أخطف ابنى.. سأأت لك حالا.. لنبحث عنه معا.

ثم أنهى المكالمة.

xxx

تقابلا خارج الفيلا حتى لا يراهما الولد..

. هل تبحثما جيدا عنه فى الفيلا؟

. نعم.

قال الثانى:

. إذن هناك احتمال أن الولد خرج من الفيلا ودخل أحد الشوارع القريبة.. سوف نجده إن

شاء الله.

قال الأول:

. هناك عشر شوارع قريبة من الفيلا.

. أعلم ذلك جيدا.. خمسة على اليمين وخمسة على اليسار.

. سوف تبحث عنه فى الخمس شوارع التى على اليمين وأنا سأبحث فى الشوارع الأخرى..

حتى نوفر الوقت.

ظهرت ابتسامة على شفتى (الثانى) فسأله (الأول):

. ماذا؟

. ألم أقل لك من قبل أنه يمكننا التعاون عندما تواجهنا مشكلة واحدة.. ونقسم العشر حلول علينا.

صاح الأول بغضب:

. هذا ليس وقته!

كان قد قرر الاكتفاء بتلك الجملة لكنه عاد ليقول:

. ثم اننى بمكاملة صغيرة يمكن أن أجلب عشر عمال من الشركة الآن يبحثون فى الشوارع

فى أقل من هذا الوقت.

. لكن العمال لن تبحث بنفس اهتمام الأب.

. الأب.. هاه!

. هل تذكر أننى أبوه؟

عاد الأول يصيح مجددا وقال:

. ابنى مختفٍ وأنت تجادلنى هنا!

. حسنا.. سنبدأ البحث.

. أرجوك.. ربما الولد فى خطر داهم ونحن لا نعلم.

وكان محققا فى قوله.. إلى أقصى درجة.

(50)

" لم أجده "

قالها الأول عبر الهاتف فرد عليه الثانى:

.. وأنا أيضا.. هل تبلغ الشرطة؟

.. لا.. لن يهتموا وسيقولون أن الوقت ليس كافيا للقلق.. ثم إن الولد لم نستخرج له شهادات

رسمية بعد.

.. نفس الموقف الذى حدث فى الحفل.

.. بالضبط.

.. هل أنت متأكد أنه ليس مخبئًا فى الفيلا كما حدث يوم الحفل؟

.. لقد بحثت (حنان) فى كل شبر فى الفيلا ولم تجده.

.. فلنسأل عنه فى المستشفيات..

.. حسنا.. هناك أربع مستشفيات بالقرب من هنا.. ستبحث أنت فى اثان وأنا فى الاثنان

الآخرين.. وإياك أن تحدثنى عن فائدة التعاون وتقسيم الحلول على اثنين.

فى اليوم الثانى من الاختفاء..

جلس الأول مع (حازم) فى مكتبه.. يقول له:

.. ابنى مخنف منذ الأمس.. ولا أعلم أين هو.. لقد بحثنا فى كل مكان.. أعلم أنك ستقول

أن المدة ليست كافية لعمل بلاغ عن اختفائه.. لكنى أطلب منك هذا الأمر بشكل شخصى..

أرجوك أن تساعدنى.

لم يجد من (حازم) أى رد.. كان يجلس خلف مكتبه هادئًا.. على وجهه علامات دهشة..

ينقر بقلمه على سطح المكتب.. فسأله:

. أئن تساعدنى؟

. سوف أساعدك.. كما وعدتك منذ ساعة!

قال (راضى) مندهشا:

. منذ ساعة!

. نعم.. أنسيت أنك جئت مكتبى وأخبرتنى باختفاء طفلك؟

كتم (راضى) غيظه.. لماذا لم يخبره الثانى أنه قام بهذه الخطوة؟

. آسف.. كنت أريد تأكيد الأمر فقط.

ثم وضع يده فى جيبه وتابع قائلا:

. ها هى صورة الولد.. يمكنك أن..

أخرج الصورة من جيبه وأعطاهـا لـ (حازم) لكن الأخير لم يمد يده لأخذها.. فبتر جملة

مندهشا من رد فعله البارـد.. ثم استخدم عقله بسرعة وفكر فى الأمر واستنتج ما حدث.. قال

مبتسما:

. لقد أعطيتك الصورة من قبل!

. نعم.

كتم (راضى) غيظه مجددا وقال:

. تمام.

قال (حازم) ناصحا إياه:

. لا بد أن تعرض نفسك على طبيب.. ليعالج مشكلة (الزهايمر) هذه!

هز (راضى) رأسه وانصرف بسرعة.

. لماذا لم تخبرنى أنك ذهبت إلى (حازم)؟

. ولماذا لم تخبرنى أنت أنك تقوى الذهاب إليه؟

. يجب أن تخبرنى بجميع تحركاتك.

. هذا ما كنت أقوله من قبل.. يجب أن نقدم تقريرا مختصرا لبعضنا.. حتى لا يحدث

ارتباك.

. اللعنة!

" هل بحثتما فى مستشفى (الأمل الجديد) ؟ "

قالتها (حنان) وهى تجلس مع الاثنين فى حجرة المكتب بالفيللا والباب مغلق جيدا حتى لا يدخل (وحيد) فجأة فيجد أبيه وتوءمه.

لقد سمحت (حنان) بدخول الثانى فى ظل هذا الطرف الطارىء فقط... حتى يفكروا سويا فى مسألة اختفاء ابنهم.. مشكلة الابن الآن أهم عندها من أى قوانين وضعتها من قبل.

قال الأول:

. لا.. لأنها بعيدة نوعا.. هل تظنين أنه ابتعد كل هذه المسافة ؟
. بل أظن أن الموضوع كله متعلق بها.. لقد أتى منها وربما عاد إليها.
قال الثانى:

. لا أفهم قصدك!

زفرت (حنان) وقالت بارتباك حقيقى:
. أنا أفكر فى جميع الاحتمالات.. القريبة والبعيدة.. ربما هناك سر بخصوص هذه المستشفى وتلك الغرفة التى تتحدثون عنها.

. غرفة (١٥٤) .. هل تظنين أننا لو ذهبنا إلى تلك الغرفة قد نجد هناك ؟
ارتجف جسدها وقالت بغموض:

. ربما.. وربما تجدوا مفاجأة أخرى فى انتظاركم.

قالت (حنان) جملتها الغامضة ولم يسألها أحد عما تعنيه.. كان الأمر كله محيرا والاحتمال قائم.. سألت الأول:

. أمازال لديك مفتاح هذه الغرفة ؟

أجاب الثانى بدلا منه.. ربما لإحساسه بالغيرة.. لأنها توجه السؤال له فقط:
. نعم.. معى.

اندهشت (حنان) لأنه يجيب سؤال لم يوجه له من الأساس.. لكنها خمنت أنه يريد المساعدة فقط.. أما الأول فقد أجاب بصديق:
. لا.. لقد تخلصت منه.. ألقيته فى النيل.

. لماذا ؟

. ولماذا أحتاجه ؟

ثم رمق الثانى بنظرة جانبية وتابع:
. يكفيننا ما رأينا منها.

تجاهل الثانى معنى العبارة وقال متحمسا:

. الحمد لله.. أنا لم أتخلص منه.. يمكننا استخدامه الآن.

سألته (حنان) مندهشة:

. كيف يكون معك نسخة؟

. معى نسخة من جميع المفاتيح.. الهاتف المحمول.. البطاقة.. حافظة النقود بالمبلغ البسيط

الذى كان بها.. البذلة التى نام بها على السرير فى الليلة إياها.

قالت (حنان) مستعدة ذكريات ظهوره المفاجئ فى حياتها والتفسير الذى ذكره لها:

. أمر غريب جدا! من ينام على هذا السرير فى هذه الغرفة يتم استساخه فى اليوم التالى

بما يرتديه وبما يحمله فى جيوبه.. أيا كان.

. تقريبا.. هذا هو ما حدث!

. ولا يوجد أى تفسير!

. ربما هناك تفسير.. لكننا لا نعلمه.

قال الأول:

. أو ربما لا يوجد أى تفسير.

اعترضت (حنان) قائلة:

. لا يوجد شئ فى العالم ليس له تفسير.. كل شئ يسير بنظام وحسب قوانين!

. من قال هذا؟ هناك ظواهر كثيرة خارقة للطبيعة بلا أى تفسير.. ومازال العلماء حتى

يومنا هذا عاجزين عن تفسيرها.. وربما يبقى الوضع على ما هو عليه حتى تقوم الساعة.

. إذن هذا السرير أسطورى.. خارق للطبيعة!

قال الثانى وهو يخرج المفتاح من جيبه:

. دعنا من تفسير الظاهرة الآن.. سوف أذهب لتلك المستشفى وأبحث عن ابنى هناك.

قال الأول دون تفكير:

. سأأت معك.

. لا أظن.. لا يمكن أن نتواجد معنا فى مكان واحد.

. حسنا.. سأذهب أنا.

قال الثانى بابتسامة غامضة:

. ومن سيبقى مع (حنان)؟

كانت هذه الجملة كافية ليغير الأول قراره ويعود لمقعد صامتا.. لن يترك منافسه مع زوجته

أبدا.. ولن يتركها وحيدة فى تلك الليلة!
اتجه الثانى نحو الباب ثم توقف عندما قالت (حنان):
. يجب أن تتخلص من مفاتيح الفيلا أيضا.. فأنت لا تسكن هنا.
تابع سيره وخرج.. دون أن تلمح ابتسامته.

" لم أجدّه فى المستشفى.. سألت عنه فى جميع الأقسام.. ثم دخلت الغرفة إياها..
وبحثت هناك أيضا.. لم أجدّه ولم أجد أى تغيير فى الغرفة.. كانت كما تركتها آخر مرة "
قالها الثانى وهو جالس مع (حنان) و الأول الذى تساءل:
والعمل؟ ماذا نفعل الآن؟ أين نبحث؟
قالت (حنان):
.. لو أن عصابة خطفته لكانت اتصلت بنا لتطلب فدية..
تتحنن الثانى وقال:
.. لم أكمل حديثى بعد.
.. لقد ظننا أنك انتهيت.. هل هناك شيئا آخر؟
.. نعم.. لقد اكتشفت شيئا وأنا هناك فى المستشفى.. ربما يقودنا إلى شيء..
.. ما هو؟

نظر الثانى إلى الأول وقال له:
.. أتذكر فاعل الخير؟ لقد لمحت صورته معلقة على أحد جدران المستشفى وعلى الصورة
شريط أسود.. وعندما سألت عن وقت الوفاة وسببها.. اكتشفت أنه مات فى اليوم التالى من
ليلتى فى المستشفى..

قال الأول مصححا جملته:
.. ليلتى أنا فى المستشفى.. أنت لم تظهر سوى فى الصباح.
بالنسبة للثانى كان يتذكر ما حدث ليلتها لذا بدا له التصحيح غير منطقيا.. لكنه لم يرغب
فى المجادلة الآن حول من هو الأصل ومن هو النسخة.. وأكمل حديثه:
.. وعلمت أيضا أنه مات مقتولا فى شقته.

قالت (حنان):

.. يا الهى!

ربما لوربطنا الأمور ببعضها.. يمكن أن نخمن أنه مات لأنه أفضى السر.

السر!

لو أنك رأيت وجهه يومها يا (حنان) لعرفت كم كان خائفا! ويبدو أنه كان محقا.

وطالما أنه كان خائفا لماذا أخبرك؟

ربما أراد أن يريح ضميره.. أن يزيح السر الذى يجثم على صدره.. أن يخبرنى بحقيقة

الولد الذى ظهر فجأة فى حياتى.. غامر بحياته ليخبرنى الحقيقة.

سأله الأول:

ليس هذا كافيا لتتبنى هذه النظرية.. ربما كان الأمر كله صدفة!

ربما!

ظننت (حنان) أنه اكتفى بهذه الكلمة فقالت:

ما الذى سنفعله الآن؟

أنا لم أكمل حديثى بعد!

قالت بغيظ:

تفضل.

سألت عن حادث (صميده) .. أنكر الجميع حدوثه.. بالرغم من أننى سألت نفس الأشخاص

الذين كانوا موجودين وقتها.. وسألت الذى تم تهديده بالسلاح.. وذلك الذى كان يختق بين

ذراعه.. وسألت الذى تلقى ضربة من (صميده) أطارت أسنانه.. الجميع ينكر ما حدث!

ربما تلقوا تعليمات بالتكتم حفاظا على سمعة المستشفى.

لم أكمل.

تفضل.

ثم سألت عن الطبيب الذى فتح لنا الغرفة إياها يوم عملية (وحيد) .. عرفت أنه تم نقله

فى اليوم التالى.. ثم سألت عن مدير المستشفى.. أخبرونى أنه لم يحضر منذ يومين! فسألت

عن عنوان منزله.. لم يخبرنى به أحد.. كأنه سر حربى.. حتى قابلت أحد العمال وتطوع

بإخبارى كل شئ أريد معرفته مقابل مبلغ مالى.. عرفت منه أن د.(نظمى) له منزل تعيش

فيه عائلته وهذا يعرفه الجميع.. وله أيضا فيلا خاصة به لا يعلم بشأنها الكثير.. ربما تكون

وكرًا لنزواته.. وأعطانى عنوانها.. ذهبت إلى هناك فرأيت الفيلا محاطة بحراسة خاصة

يمنعون أى أحد من دخولها.. والسؤال: لماذا يضع مدير مستشفى حراسة على فيلته؟

قالت (حنان):

. ربما نوع من الواجهة الاجتماعية! الكثير يفعلون ذلك هذه الأيام دون احتياجهم لأى حراسة.. أو ربما للإحساس بالأمان.

. ما أريد قوله هو أنتى أشك فى هذا المدير.

قال الأول:

. وأنا أيضا.

. تعجبنى تلك الساعات التى نكون فيها متفقين.. أشعر وقتها أننا واحد فعلا.

قال الأول بابتسامة صفراء عريضة:

. حسنا.. ما الذى أفكر فيه (أنا) الآن؟

. اقتحام فيلا المدير؟

. بالضبط.

. لكن هذه العملية تحتاج إلى تخطيط.. لقد أخبرتك أن هناك حراسة.. رجال أقوياء.

قال الأول بغموض:

. ونحن أيضا لدينا رجال أقوياء!

. تقصد الاستعانة بـ...؟

. نعم.. من غيره؟ حان الوقت لرد الجميل!

شعرت (حنان) فى تلك اللحظات أنها ترى واحد يتحدث إلى نفسه.. يفهمان بعضهم دون

أن يكمل الآخر جملته.

قال الأول:

. حسنا.. سوف يذهب واحد منا معهم.

رد الثانى قائلا:

. والثانى يذهب إلى أى مكان آخر لتكون هناك حجة غياب عن المكان.

. تمام.. حتى لا نتورط فى أى شىء.

. ما هو المكان المناسب؟

. قسم الشرطة.

. بالضبط.

. من سيذهب؟ ومن سيفيب؟

جلست حنان مسترخية على المقعد.. شعرت أن دورها قد انتهى.. الاثنان متفاهمان إلى

أقصى حد.. سيفعلان اللازم وربما يعودا بالطفل إذا كان تخمينهم صحيحا.

فكرا فى عمل القرعة فى نفس اللحظة.. ثم فوجئت (حنان) بأن الاثنان يحتفظان بنفس العملة.. فتحصت العملتين.. ثم اقترحا عليها فى وقت واحد بأن تقوم هى بالقرعة.. وكانت النتيجة:

(الأول) يذهب إلى الفيلا.. و(الثانى) يذهب إلى قسم الشرطة.. قال الأول:
.. حسنا.. لدينا ست رجال.. ستكلم أنت ثلاثة.. وأكلم أنا الثلاثة الآخرين.

ابتسم الثانى وقال:

.. ألم أقل لك أن الـ..

قاطعه الأول قائلا:

.. إياك.

.. حسنا.

كانت (حنان) مندهشة من الحوار! لا تفهم أى شىء لكنهما يفهمان بعضهم للغاية.

.. سأكلم (سنجة) و(حموأة) و(ماندو).

.. وأنا سأكلم (بخاخة) و(سلخانة) و(أبو ميادة).

سألتهن (حنان) بقلق:

.. كيف تعرفون هؤلاء الرجال؟

أجابها فى نفس اللحظة:

.. قصة طويلة.

.. قصة طويلة.

.. هيا بنا.

.. هيا بنا.

خرج (الثانى) أولا.. ثم بعده بدقائق خرج (الأول).. حتى إذا استيقظ (وحيد) ورأى أحدهم فلا يلمح الآخر.

خارج الفيلا.. قال (الأول) بقلق:

.. ماذا لو أُنسى مُت؟

.. لا تقل هذا.

.. هذا احتمال وارد.. سوف نقتحم فيلا عليها حراسة ومعى بلطجية معهم أسلحتهم..

سيحدث تبادل نيران على الأرجح.. وربما أموت.

.. وربما تنجو.

قال بضيق:

. لو مُت.. سوف تكمل أنت حياتك مع (حنان) و(وحيد) بالطبع.

تنهّد الثاني وقد تأثر بحديث الأول وشعوره الحزين:

. لو حدث هذا فى أسوأ الاحتمالات.. سوف أُرعاهم بالتأكيد.. فهى زوجتى وهو ابنى.

. لا تقل (زوجتك).. أرجوك تزوجها إذا مُت.. لا تعش معها فى الحرام.

. لكن.. هى بالفعل زوجتى.. والمأذون نفسه سيرفض تزويجى لها لأننى بالفعل زوجها.

. أرجوك..

. حسنا.. سأجد حلا لهذا.. ربما أقوم بتطليقها.. ثم أتزوجها من جديد.

احتضنه وقال:

. أشكرك.

. إذا كنت قلقا إلى هذا الحد.. سأذهب أنا مع الرجال لأقتحم الفيلا.

. لا.. سأذهب أنا.. إنه ابنى.

اعترض الثانى قائلا:

. وهو ابنى أيضا.

قرر الأول أن ينهى النقاش والجدال قبل أن يبدأ قائلا بحسم:

. القرعة قالت كلمتها.. سأذهب أنا.

. حسنا.

. ادع لى أن أجد الولد.. وأن أعود حيا.

. سأدعوك.. وأدع لى أنت أيضا.

. أنت ستنام ليلة فى التخشيب.. أما أنا فسأجازف بحياتى وأعرض نفسى للموت.

. وأنا أيضا أعرض حياتى للخطر.. إنه قسم شرطة.. وما أدراك ما يحدث فى أقسام

الشرطة! قد لا أعود من هناك أبدا.

(51)

تم الاقتحام.. دون أى خسائر فى الأرواح.. لقد اتفق (راضى) مع الرجال الستة منذ البداية (لا أريد دم.. أنا أبحث عن ابنى فقط.. وربما لا يكون هناك).. دخلوا الفيلا بينما الحراس الملتئمين فاقدى الوعى بالخارج نتيجة ضربات قوية على الرؤوس.
خرج د.(نظمى) من إحدى الغرف.. كان يرتدى معطف العمليات وعليه بعض الدماء.. يرتدى قفازات طبية فى يديه.. فوجيء بسبع رجال ملتئمين يقفون فى بهو الفيلا.. حاول الهرب منهم بالعودة إلى الداخل.
أسرع (راضى) نحوه وأمسكه من معطفه وجذبه نحوه.. حاول د.(نظمى) التملص منه لكن بلا جدوى.. سأله مذعورا والعرق يسيل من كل مسام جسده:

- ماذا تريد؟

قال (راضى) بكل غضب:

- أين ابنى؟

سأله د.(نظمى) مرتبكا:

- ابنك من؟ أنا لا أعلم شيئا.

نزع (راضى) اللثام عن وجهه وصاح:

- أين ابنى؟

ابتسم د.(نظمى) وقال:

- أنت!.. لا داعى إذن لكل هذا.. يمكننا التحدث بهدوء..

جذبه (راضى) من ياقة المعطف وقال:

- تكلم..

. دعنى أولا.. وسوف أخبرك بكل ما تريد معرفته.
نفذ (راضى) طلبه وانتظر.. لكن د.(نظمى) قال:
. لا يمكننى التحدث أمام هؤلاء الرجال.

. لماذا؟

قال بلهجة مخيفة:
. لمصلحتك أنت.

. كيف؟

. إن حديثنا سيكون بخصوص السر الذى تداريه عن الناس.

جلسا الاثنان فى غرفة المكتب وتركا الباب مفتوحا حتى يراه الرجال الستة.. إذا قام
د.(نظمى) بأى حركة غدر سيقوموا بالتصرف معه على الفور.. كانا يتحدثان بصوت منخفض
حتى لا يعلم من بالخارج ما يقولانه.

. أين ابنى؟

. فى الحفظ والصون.

. أنت تعرف مكانه إذن؟

. نعم.

. أين؟

. كما أخبرتك.. فى الحفظ والصون.. اطمئن.

. أريد أن أراه.

. ستراه.

. هيا بنا نذهب له..

. ليس الآن.

. لماذا؟

. سنتحدث أولا..

. لماذا خطفتة؟

. أنا لم أخطفه.

. أين هو؟

. سأخبرك .

. متى؟

. بعد أن ننهي حديثنا ..

لوح (راضى) بالمسدس الذى يحمله وقال بلهجة حاسمة:

. لقد انتهى .. أريد ابنى الآن .

سأله د. (نظمى) سؤالاً عجيباً:

. لماذا تريده؟

. ما هذا السؤال؟ انه ابنى .

سأله د. (نظمى) وهو يضغط على كلماته:

. هل .. هو .. ابنك .. حقاً؟

. نعم ابنى .

. ابنك (وحيد) الآن فى منزلك .. أما هذا الولد فلا تعرف له أهل .. ولقد قابلتني يوماً لتسألني عن أهله وطلبت منى البحث عنهم .. فلماذا أنت متمسك به الآن وأنت تعلم جيداً أنه ليس ابنك؟ .. وأنا وأنت نعلم من أين أتى!

شعر (راضى) أن د. (نظمى) يريد اللعب بأوراق مكشوفة .. قال له:

. حسناً .. ومن أين أتى هذا الولد؟

. أنت تعلم الإجابة .

. نعم .. ولكنى أريد التأكد .

. الغرفة ١٥٤

. إذن أنت تعلم؟

. بالتأكيد! .. إنها مستشفى .. أعلم دبة النملة بها .. متى تحركت النملة و من أين .. وإلى

أين ذهبت!

سأله (راضى) السؤال الذى انتظر كثيراً معرفة إجابته:

. ما هو سر هذه الغرفة؟

ابتسم د. (نظمى) ابتسامة غامضة وقال:

. ألا تعرف حقاً؟

. هل أنت المسئول عما يحدث فى هذه الغرفة؟

. لا .

من إذن؟

سرت قشعريرة فى جسد د. (نظمى) وقال:

لا أعلم.

سأله (راضى) ليتأكد من تخمينه:

الغرفة تتسخ من ينام على سريرها.

لوح د. (نظمى) بسبابته قائلا:

لا بد من ليلة كاملة.

لهذا تمنع الناس من دخولها.

بالتأكيد.. هذه الغرفة محظورة على الجميع.

طبعاً.. لأن لا أحد يريد أن تجرى له عملية استنساخ.

هز د. (نظمى) رأسه نقياً:

ليست عملية استنساخ.. فالاستنساخ لا يقوم باستنساخ الملابس والمتعلقات الشخصية..

ولا يكون فى يوم واحد أبداً.. ولا يكون بهذه السهولة!

ما هو الموضوع إذن؟

ارتجف د. (نظمى) وقال:

لا أعلم.

لا بد أن هناك تفسير..

ربما هى حجرة شيطانية.. ربما السرير سحري.. ربما باب الغرفة هو ثغرة كونية بين

عالمين.. عالم موازى آخر ينتقل منه شخص يشبهك.. أو ربما النوم على السرير بمثابة

استدعاء لقرينك.. أو ربما الغرفة مسكونة بالشياطين التى تظهر ليلاً وتتحل شخصية النائم

على السرير.. أو ربما هناك لعنة قديمة فى هذا المكان بالذات تجعل النائم يتكرر.. أو ربما

النوم نفسه أو الأحلام فى هذه الغرفة هى السبب فى صنع نسخ أخرى.. أو.. أو.. عشرات أو

ربما مئات الاحتمالات قد فكرت فيها طوال سنين تعاملنى مع هذه الغرفة.

متى اكتشفت سرها؟

منذ زمن بعيد.

ألم تخبر أحداً بها؟ أم تحاول فحصها؟

قال د. (نظمى) ببساطة:

لا.

سأله (راضى) مندهشا:

.كيف؟

ابتسم د.(نظمى) وقال:

.إذا وجدت عندك فى الحظيرة دجاجة تبيض ذهابا.. مثلا.. فهل ستذهب لفحصها عند

طبيب بيطرى؟ وتعلن على الملأ اكتشافك؟ أم أنك ستستفيد منها دون أن تخبر أحدا؟

.أستفيد منها.

.هذا هو ما حدث بالضبط.. اكتشفت أسطورة الغرفة.. كأنى وجدت دجاجة تبيض ذهابا..

كتمت السر ولم أخبر به أحدا.

.وكنت تتخلص ممن كشف السر أو يحاول كشفه.. كالمطبيب الذى نقلته..

.لم ينفذ التعليمات!

.والعامل الذى مات مقتولا منذ أيام؟

.لا.. ليست لى علاقة بهذا الموضوع.

.وابن (صميده) الذى اختفى ثم عاد معك؟

.نعم.. لقد حسبت أنه الولد الذى بات فى الغرفة.

سأله (راضى) مندهشا:

.كنت تريد إخفاء (أنس)؟

.هل هذا هو الاسم الذى أطلقته عليه؟

.كنت تريد تصحيح الخطأ حتى لا يكتشف أحد وجود طفلين بنفس المواصفات.. دخلت

الغرفة فوجدت ابن (صميده).. فلننت أنه ابنى الذى بات فى الغرفة.. وعندما علمت أنه ليس

هو.. أعدته إلى المستشفى مرة أخرى.

قال متحسرا:

.لا تستطيع دائما السيطرة على جميع الأمور.. هناك دائما أمرا يفلت من بين يديك.

قال (راضى) مفكرا فيما قاله د.(نظمى):

.لقد قلت أن الغرفة كانت كالدجاجة التى تبيض لك ذهابا.. لكن الغرفة لم تكن تبيض

ذهبا.. كانت تقوم بنسخ من ينام على سريرها.. ما الذى يمكن أن تستفيدة من استنساخ

البشر؟

ثم التفت إلى د.(نظمى) وسأله بقلق:

.هل تقوم بالاتجار فى البشر؟

.. لقد اقتربت من الإجابة الصحيحة.. أنا لا أقوم بالاتجار في البشر.. أنا أقوم بالاتجار في
الأعضاء البشرية!
صاح (راضى):
.. يا إلهي!

(52)

نهض (راضى) من مقعده واتجه ناحية المقعد الذى يجلس عليه د.. (نظمى) .. لمح الرجال
ما حدث فدخلوا الغرفة على الفور.. صوب (راضى) فوهة المسدس نحو رأس د.. (نظمى)
وصاح بأعلى صوته:

. أين ابنى؟

. سأخبرك.. لن أقول حرفا بهذه الطريقة العنيفة.. أخفض سلاحك و عد إلى مكانك.

ألصق الفوهة برأسه وقال:

. أخبرنى أولا.. أين ابنى.

. لا تقلق.. إنه بأمان.

. أين هو؟

. اطلب منهم الخروج وسأخبرك بكل شيء..

أشار (راضى) لهم ليخرجوا.. الوضع آمن.. انتظروا بالخارج.. نفذوا أمره على الفور..

وبعد خروجهم سأله:

. أين هو؟

. أخفض سلاحك واهدأ..

. كيف تريدنى أن أهدأ وأنت تخبرنى بشأن تجارة الأعضاء البشرية؟.. أى أنك كنت تريد

تقطيع ابنى وبيعه بالقطعة فى السوق السوداء؟

ثم أشار بمسدسه على الدماء التى تلوث المعطف.. وسأله بجنون أب مذعور:

. هل هذه الدماء دماء ابنى؟

. لا.. اطمئن.. أقسم لك ابنك حى ولم يحدث له أى شيء..

استعاد (راضى) هدوئه بعد هذا التصريح ثم قال:
حسنا.. أخبرنى أين هو.

.. سأخبرك.. لكن.. هو ليس ابنك حقا.. فلماذا تريده؟
.. أنت مجنون! تسأل أب لماذا يريد ابنه!
.. هذا لو كنت أبيه حقا.. من منا إذن المجنون؟
ابتسم (راضى) وقال:

.. إذا لم أكن أبيه.. من أبيه إذن؟
قال د. (نظمى) ببساطة:

.. (١٥٤).

ضحك (راضى) وقال ساخرا:

.. (أنس) ابن الغرفة!.. ومن الأم إذن؟ المستشفى؟
لم يضحك د. (نظمى) وسأله بجدية:

.. اسأل نفسك.. هل أنجبت هذا الطفل حقا؟

.. حسنا.. اسأل نفسك أنت.. هل أنجبتة الغرفة؟

.. لا.. ولكنى أعلم أنها السبب فى وجوده.

.. حسنا.. وليكن.. أنا أريد ابن ١٥٤.. لقد أحببت ابن ١٥٤.. هل يمكن أن تحضر لى ابن

١٥٤ أو تخبرنى بمكان ابن ١٥٤.

زفر د. (نظمى) فى ضيق:

.. لماذا تريده بهذه الشدة؟.. أنت تثير جنونى.. لقد علمت سر الغرفة.. يمكنك أن تأخذ

ابنك (وحيد) الآن إلى هناك وسيكون لديك نسخة أخرى منه فى الصباح.. مثل (أنس)

بالضبط.. هل تريد أن أوصلك للبيت ثم إلى المستشفى؟

.. أنا لا أريد نسخة أخرى من (وحيد).. أنا أريد (أنس).

.. (أنس).. (أنس).. (أنس).. وكأنه ابنك حقا.. حسنا.. سوف أسلمك (أنس).

شعر (راضى) بالارتياح لكنه فوجئ به يكمل جملته قائلا:

.. بشرط..

.. أى شرط؟

.. بشرط أن تعيرنى (وحيد) لمدة ليلة واحدة.

قال (راضى) غاضبا:

. هل تريد أن يقضى ابني ليلة أخرى هناك.. من أجل الحصول على النسخة الجديدة منه

فى صباح الغد؟

. بالضبط.. سنتسلم (وحيد) سليما معافى.. لم يمسه شئ.. وأحصل أنا على النسخة

الجديدة.

. لماذا؟

. لأنك أخبرتني الآن انك متمسك بـ (أنس) ولا تريد النسخة الجديدة.

. أقصد.. لماذا تريد نسخة من ابني؟

. ليس ابنك على وجه التحديد.. أريد طفلا فى مثل هذا السن.. إن السوق فى احتياج

لأعضاء الأطفال.

قال (راضى) بتقزز:

. يا للقذارة!

تقبل د.. (نظمى) الإهانة وقال بغموض:

. أنت متورط معى فى هذه القذارة.

فهم (راضى) جملة د.. (نظمى) الغامضة بطريقة خاطئة.. لقد ظن أنه يشير إلى

استنساخه لنفسه واحتفاظه بنسخة من ابنه!

تساءل د.. (نظمى):

. هل أنت موافق على الشرط؟

أجاب (راضى) بدون تردد:

. بالتأكيد لا.

ثم سأله:

. لماذا تقوم بهذا العمل القذر؟

. من أجل المال.. لا يوجد سبب آخر بالطبع.. أنا أجنى الكثير من خلال هذه التجارة.

قال (راضى) مفكرا فى طرق أخرى لاستغلال الغرفة:

. طالما أن الاستنساخ ليس محصورا فى الجسد فقط.. لماذا لا تقوم بنسخ مال؟.. أشياء

ثمينة.. أشياء تجلب لك الكثير من المال إذا بيعتها.

. أنا لست تاجر تحف وأثریات.. أنا أعمل فى المجال الذى أجیده.. الطب.. التشريح.. لكن

دخول مجال آخر يحتاج إلى الكثير من الخبرة.. ثم إن كثرة الشئ تقلل من ثمنه.. وبالتأكيد

لن أبيع عشرات النسخ من التحفة نفسها.. إن الصورة الأصلية التى تقدر بملايين الدولارات..

لن يصبح لها قيمة إذا وجدت نسخ أصلية أخرى مثلها.

وماذا عن استساخ المال؟

ضحك د. (نظمى) قائلاً:

هل تظن حقاً أنه يمكننى تصريف أموال حقيقية لها نفس الأرقام؟ لو أن الحكومة علمت بأمر هكذا ستصبح فضيحة للبنك المركزى.. ثم يتبعوا مصدر تلك الأموال حتى يصلوا لى.. المشكلة كما ترى أنها ستكون أموال منسوخة.. أى أن الأرقام التى عليها ستكون مكررة.. وبالتأكيد ليست مزورة.. كارثة بنكية! لن يمر الأمر بسهولة أبداً.. كما أخبرتك أنا أعمل فيما أجيد عمله.. ودون أن يعلم أحد.. لدى عملائى.. الثقة متواجدة.. والسوق يحتاج بضاعتى دائماً.. فلماذا أجازف؟

قال (راضى) وكأنه يحاول إقناعه باعتزال هذه المهنة القذرة:

ماذا عن الذهب؟ لماذا لا تستسخه؟ ابدأ بشراء سبيكة واحدة.. بعد ليلة سيكون لديك سبيكتان.. بعد ليلتين سيكون لديك أربعة.. ليلة أخرى سيكون لديك ثمانية.. ليلة أخرى سيكون لديك ١٦ سبيكة وهكذا.

ضحك د. (نظمى) قائلاً:

ما كل هذا الطمع! بهذه الطريقة سيكون لدى غطاء ذهب أكبر من البنك المركزى.

ما المانع؟

المانع هو صعوبة تصريف كل هذا الذهب.. كيف سأبيعه وإلى من؟ وكيف سأجيب سؤال (من أين لك هذا؟).. نحن نتحدث عن الذهب.. إن دول كاملة يمكن أن تنهار اقتصادياً بسببه.. إن هذا المجال أصعب وأخطر من أن أفكر فى اقتحامه.. أنا أؤمن بأن الربح القليل الآمن.. أفضل من الربح الكثير المحفوف بالمخاطر.

ومن قال أن تجارة الأعضاء البشرية ليست عملاً محفوفاً بالمخاطر؟

لم أقل هذا.. ولكنى أعمل فى هذا المجال منذ زمن وأصبحت أعلم كافة دروبه.. ولقد وضعت لنفسى كافة الوسائل اللازمة لتأمينى.

قال (راضى) ساخراً:

تأمينك! أنت تجلس أمامى الآن تحت تهديد السلاح وهناك ست رجال يقفون بالخارج متحفزين لقتلك.. أين هذا التأمين؟

ضحك د. (نظمى) وقال:

فى ظنك ما السبب الذى جعلنى أخبرك بكل هذه الأسرار؟

شعر (راضى) بالقلق من هذا السؤال.. وكان يريد أن يسأله فعلا عن سبب صراحته الشديدة معه وإخباره بكل هذا.. إن المرء لا يخبر أحدا بكل هذا الأسرار المشينة إلا إذا كان على وشك الموت أو على وشك أن يقتل محدثه.. سأله متوترا:

. ما هو السبب؟

. السبب ببساطة.. هو أنك متورط معى فى كل هذا منذ البداية.

فهم (راضى) الجملة بطريقة خاطئة.. مرة أخرى.

. دعك من كل هذا.. أنا لن أبلغ الشرطة.. مقابل أن تسلمنى ابنى ولا تقترب من أحدا من

عائلتى أبدا.

قال د. (نظمى) بلهجة حادة:

. حسنا.. يبدو أنك لم تفهم بعد.. لن أسلمك (أنس) إلا إذا أعطيتنى البديل.

. بديل؟

. طفلا آخر.

لوح (راضى) بالمسدس فى وجهه قائلا:

. هل تظن أننى سأخرج من هنا دون أن أستلم ابنى الذى خطفتة؟

صاح د. (نظمى) فى وجهه:

. لقد أخبرتك من قبل.. أنا لم أخطفه.

لم يتوقع (راضى) أبدا ما قاله د. (نظمى) بعد ذلك:

. أنت الذى سلمتني إياه.

قال (راضى) وهو لا يصدق ما سمعه منه:

. ما الذى تقوله؟ أجنت؟

. كان هذا حسب اتفاقنا.. ولقد نفذت المطلوب منى ونفذت أنت المطلوب منك وأحضرت

لى ابنك.

فهم (راضى) فى تلك اللحظة أن د. (نظمى) يتحدث عن النسخة.. لابد أنه خلط بينهم..

فهو لم يسلم ابنه له بالتأكيد.. لكن (راضى) الثانى يمكن أن يفعلها.

لقد فعلها لينتقم!

انتقم منه لأنه حرمه من (حنان) ومن الولدين.. وطلق (جوجو) أيضا.. ومنعه من دخول

الشركة.. انتقم منه بأن خطف الولد وأعطاه لذلك الجزار تاجر الأعضاء البشرية.. ومن

السهولة جدا خطفه.. فالولد لن يمانع فى الذهاب مع أبيه إلى أى مكان.

سأله (راضى):

.وحسب الاتفاق ما الذى نفذته لى فى المقابل حتى أعط...
ثم رأى رأس د.(نظمى) تنفجر أمامه.. وتتطاير أجزائها ودمائها عليه.
بعد سماعه صوت الرصاصة.

(53)

" لماذا فعلت ذلك يا (سلخانة)؟ لم تقتله؟ ألم أقل أنني لا أريد دماء؟ "

قالها (راضى) بغضب شديد وهو يتأمل جثة د. (نظمى) التى فارقتها الحياة منذ لحظات..

كان سيخبره بكل شيء ليفهم ما حدث.. كان سيخبره بمكان ابنه.. ماذا يفعل الآن؟

قال (سلخانة):

لقد شعرت أنه يهددك.. وقد كانت مهمتنا الأولى هى حمايتك.

لا.. لم يكن هناك أى خطر منه.. كنا نتحدث فقط.. ولقد قتلها مرارا لكم أنني لا أريد

دم.

نعم.. وعللت ذلك بأن هناك احتمال أنه لم يخطف الولد.. لكننا قد تأكدنا أنه الخاطف.

وما الذى استفدناه من اعترافه؟ المهم أن يخبرنا بمكان (أنس) ويسلمه لنا.

ضحك (سلخانة) على نحو مفاجئ.. وقال:

يا (راضى) باشا.. أنا لم أسمع اعترافه.. لقد وجدنا الولد بالفعل هنا فى الفيلا.. لذا

قررت قتله.

اختفى الحنق والغضب وحل محله السرور والسعادة.. سأله:

أوجدتم (أنس)؟

أجابه (سلخانة) بثقة:

نعم.

أين؟

فى قبو الفيلا بالأسفل.

سأله (راضى) بقلق:

. لماذا لم يصعد معك؟

. كنت أريد أن أبشرك فصعدت بسرعة قبلهم.. إنهم يفكون قيده الآن.

قال الأب متأثراً:

. قيد!!

. نعم.. وجدناه مقيداً على أحد الأسرّة الحديدية.. تلك الأسرّة ذات العجلات التي تستخدم

فى غرف العمليات بالمستشفيات.

قال (راضى) متأثراً:

. يا حبيبى يا (أنس)!

ربت (سلخانة) على كتفه وقال:

. لا تقلق يا أستاذ.. الولد سليم لم يصبه أى مكروه.. احمد الله أننا وصلنا فى الوقت

المناسب.. لو كنا قد تأخرنا قليلاً لكان ابنك..

قطع جملته.. شعر أن البقية ستكون قاسية.. فاكتمى بقول:

. احمد ربنا.

. الحمد لله.

تحرك (راضى) من مكانه وقال:

. سأنزل لأراه.. لا أستطيع الصبر.

أوقفه (سلخانة) بيده العريضة القوية قائلاً:

. من الأفضل ألا تنزل.. المشهد بالأسفل قاس للغاية.

. ماذا؟

نظر (سلخانة) إلى جثة د. (نظمى) وقال:

. لقد كان حيواناً.. إن المنظر بالأسفل بشع للغاية.. لن تتحمل رؤيته.. سيطاردك فى

كوابيسك لما تبقى لك من العمر.. إن بعض الرفاق بالأسفل قد تقيأ بمجرد النظر.

كان لكلماته تأثير عنيف على (راضى) فسأله بفضول:

. ماذا يوجد بالأسفل؟

ارتجف جسده عندما استعاد المشهد:

. معمل تشريح جثث آدمية.. وتعبئتها.. وحفظها فى ثلاجات.

" أنت متورط معى فى هذه القذارة "

أعطى (راضى) أوامره للرجال وقال:

.فتشوا المكان بدقة.. أنتم ستة وسوف تجزون الأمر سريعا إذا قسمتم العمل بينكم.

سأله (أبو ميادة):

. نفتش عن ماذا بالضبط؟ ألم تستعيد ابنك؟ فلنغادر المكان بسرعة قبل أن يعلم أحد

بوجودنا هنا.

. لا.. أولا: تخلصوا من كاميرات المراقبة ومن أى تسجيل لهذا اليوم.. ثانيا: اجمعوا كل

المستندات المهمة التى تجدونها.. ثالثا: ابحثوا عن مكان مخبأ سرى.. رجل كهذا لابد أنه يحتفظ بجميع المستندات المهمة فيه.

. القيو هو المكان السرى.

. القيو سهل كشفه.. لابد أن هناك مكان آخر.. ابدأوا العمل على الفور.. الوقت ضيق.

ثم طلب من (بخاخة) أن يقوم بتوصيل (أنس) إلى السيارة.

. اذهب مع عمو.. وابق فى السيارة ولا تخرج منها.. سنأتى لك فورا.

تشبث الولد به واحتضنه بقوة قائلا:

. لا.. لن أتركك.

. حسنا.. عمو سيبقى معك.. لا تخف.

وطلب من (بخاخة):

. ابق معه فى السيارة.. انتهت مهمتك هنا.. راقب المكان من الخارج.. إذا شعرت بأى قلق

اتصل بنا على الفور.

نفذ (بخاخة) الأمر وانتزع الولد من أبيه ورافقه إلى الخارج.. أما (راضى) فاتجه إلى

جثة د. (نظمى) وراح يفتش جيوبه.. لم يكن يعلم ما الذى سيجده بالضبط ولكنه كان متأكدا أنه سيجد شيئا..

وبالفعل قد وجده..

فى جيب الروب الذى يرتديه أسفل المعطف.

صورة من أصل عقد رسمى.. تنازل بخط يده عن جثة ابنه (وحيد) والتبرع بها.

طبعاً كان (راضى) متأكدا أن هذا هو خطه بالفعل.. لكنه لم يكتب هذا التنازل من قبل..

من فعل إذن؟ بالتأكيد لم يكن يحتاج لأحد يخبره بالإجابة.

" أنت ذكى جدا يا باشا "

قالها (سنجة) مبتسما ثم أردف:

. اكتشفته بالصدفة وأنا أفتش المكتبة.

اتجه (راضى) ناحية المكتبة الجدارية الموجودة فى غرفة المكتب.. نظر إلى الزر الذى كان يختمى خلف الكتب ثم قال:

. ربما كان زرا عاديا.

. لا.. زر فى هذا المكان لايد أنه يفتح باب سرى.

. حسنا.. وأين هذا الباب السرى؟

خمن (ماندو) . الذى كان واقفا معهما فى الغرفة. قائلًا:

. ربما خلف هذه المكتبة.

قال (راضى) وهو يتأمل المكتبة الكبيرة:

. لا.. من الصعب تحريكها كل يوم.. ومن الواضح أنها لم تتحرك من مكانها منذ زمن..

الباب السرى لايد أن يكون قريبا من هنا.. وتوجد أمامه مساحة خالية.. ابحتوا بسرعة عنه.

وقبل أن يكمل جملته سمع (أبو ميادة) يقول من خارج الغرفة:

. لقد وجدته.

خرج الجميع من غرفة المكتب واتجهوا نحو صوت (أبو ميادة) ..

. هنا بالأعلى.

صعدوا جميعا إلى الدور الثانى حيث حجرات النوم.. كان (أبو ميادة) يقف فى انتظارهم عند أول درجات السلم بصحبة (سلخانة).

. ها هى.

أشار (أبو ميادة) نحو باب مفتوح.. الباب مغطى بالكامل بمرآة.. لن يشك أحد أن هناك غرفة سرية خلفها.. اتجهوا الخمسة نحو الباب المفتوح.. (راضى) و (سنجة) و (أبو ميادة) و (ماندو) و (سلخانة) ..

ولم يصدقوا ما رأوه بالداخل.

(54)

لم يصدق الرجال ما رأوه بداخل الغرفة السرية! لقد رأوا رجلا ضخما يفتصب بمنتهى العنف والوحشية امرأة مقيدة بسلاسل إلى الأرض..
فوجيء الرجل بوجودهم خلفه فنهض مرتبكا منزعورا.. وقف يرتجف فى مواجهتهم وقال:

..من أنتم؟

نظر (راضى) بسرعة إلى (سلخانة) .. وكان توقعه فى محله .. كان الأخير يستعد لإطلاق النار على الرجل .. فمنعه بإشارة من يده قائلاً:
..لا.. لا تقتله.

وبالفعل أنزل (سلخانة) يده.. ثم دوت الرصاصة..
الرصاصة خرجت من مسدس (سنجة) الذى لم ينتبه لما يقوله (راضى) .. وسقط الرجل الضخم ميتا فى الحال .. والدم يرسم بقعه حمراء على ملابسه فى مكان القلب.
..لا مزيد من القتل! كفى.

صاح فيهم (راضى) فقال (سنجة) نفس التبرير السابق الذى ذكره (سلخانة):
..لقد رأنا.. سوف يدلى بأوصافنا.
شعر (راضى) فى تلك اللحظة أنه بصحبة قتلة.. القتل أسهل عندهم من تقليم الأظافر.
..لن يبلغ أحد الشرطة.. اطمئنوا.. إنهم يخشون الشرطة أكثر منا بسبب ما يرتكبونه هنا..
قبو مكتظ بالجثث.. معمل تشريح.. اغتصاب أنثى.. هل تظن هذا وضع رجل يبلغ الشرطة بأوصافنا؟

كان (سلخانة) قد سبقهم إلى جثة الرجل وراح يتأملها:

. إنه توعم الرجل الذى قتلته بالأسفل.

خمن (راضى) أنه ليس توعم! إنه ابن ١٥٤

ربما كان يساعد د.(نظمى) فى عمله أو ربما كان هو نفسه العمل.. هناك احتمال أن د.(نظمى) كان يقوم باستتساخه هو نفسه من أجل سد حاجة السوق.. ربما كان المساعد والبضاعة فى نفس الوقت.

وطالما أنه الخادم المطيع فلا مانع من استتساخه.. فالولاء سوف يُستسخ مع صاحبه.. نفس العقل نفس القلب نفس الولاء نفس الطاعة!

قال (راضى) بلهجة حاسمة:

. لا مزيد من القتل.. إياك أن تقربوا الحراس فاقدى الوعى بالخارج.

ضحك ثلاثة رجال منهم بينما تتحنن (أبو ميادة) وقال:

. إحم.. لقد قتلناهم بالفعل.

سألهم (راضى) مذعورا:

. متى؟

. لقد أطلت حديثك مع المرحوم.. فوجدناهم قد استعادوا وعيهم فتخلصنا منهم.

. أنا لم أسمع صوت رصاص.

. لم نرد قطع حديثكم وإزعاجكم بالصوت.. قتلناهم بطرق أخرى.

من الواضح أن القتل عندهم أسهل من طرقة أصابعهم!

كان (راضى) يريد الخروج من هذا المكان بسرعة.. قبل أن يرى المزيد من القتل.. ربما هناك نسخ أخرى من ذلك الخادم المطيع.

تساءل (ماندو):

. لماذا كان الباب مغلقا وهما بالداخل؟

أجابه (سنجة) وهو يغمز بعينه:

. ربما أراد صاحب الفيلا أن يوفر لهم بعض الخصوصية.

نظر (راضى) إلى المرأة المقيدة.. لا يدرى عمرها ولا يستطيع التخمين.. كان شعرها يغطى وجهها بالكامل.. ترتدى ملابس قديمة بالية ممزقة.. كانت غائبة عن الوعى تقريبا.. لا تدرى ما يحدث لها.. ولا تشعر بوجودهم.

نظر حوله يتأمل الغرفة.. وجد بها حمام خاص.. وأوانى طعام مبعثرة فى المكان.. هناك المزيد من السلاسل الحديدية.. حيث يُسمح للمرأة أن تذهب للحمام وهى مقيدة.. السلاسل

كانت طويلة.. يمكن تقصيرها أو تطويلها حسب رغبة المجرم.
" من هذه المرأة؟ "

تساءل (راضى) همسا وهو يلمح (أبو ميادة) يحاول فك قيدها.
ما الذى تفعله؟

.. بالتأكيد لن نتركها مقيدة.

قال (سلخانة):

.. لابد أن هناك سبب قوى لتقييدها بهذه الطريقة.

التفت (راضى) إلى (سلخانة) وسأله ساخرا:

هل ستقتلها أيضا؟

أجابه بحزم:

.. أنا لا أقتل النساء.

أما (سنجة) فلوح بمسدسه وسأله باهتمام:

هل تريدنا أن نقتلها؟

أجابه بحزم:

.. لا طبعاً.

ثم نقل بصره بينهم جميعاً وأردف:

.. كما قلت.. لا مزيد من القتل.. مهما حدث.

سمع (أبو ميادة) يقول لها:

.. لا تخافى.. لا تخافى.. نحن هنا لمساعدتك.. اطمئنى.. أنت حرة الآن.. يمكنك الذهاب.

" لقد وجدت هذا "

قالها (ماندو) لـ (راضى) وهو يسلمه قرص صلب ٦٠٠ جيجا.

.. أين وجدته؟

وقبل أن يجيبه.. فوجيء (راضى) بهجوم عنيف عليه.. هناك من يريد أن يلتهمه حياً.

(55)

سقط (راضى) على الأرض من قوة الهجوم.. لكن باءت محاولاتهم بالفشل.. كانت الأظافر الحادة تنغرس فى وجهه ورقبته.. كأنها تريد انتزاع الجلد انتزاعا.. والأسنان القوية تعض ذراعه بشهوة حيوانية كأنها تريد الحصول على قطعة منه لأكلها بعد ذلك.. لم يكن الهجوم من قبل حيوان.. بل كانت المرأة الأسيرة!

بعد عدة محاولات بائسة.. استطاع الرجال تخليصه منها أخيرا.. كانت تهاجمهم بوحشية لأنهم منعوها من النيل من فريستها.. ثم فرت هاربة عندما فقدت الأمل فى الهجوم عليه مجددا.. لم يحاول أحدهم تعقبها.. تركوها بكامل حريتها.. نهض (راضى) وهو يجفف الدم الذى يسيل من وجهه ورقبته وذراعه: لماذا لم تقتلوها؟

لقد طلبت منا عدم القتل.. أين ذهبت؟

لم يجب أحد سؤاله.. قال (أبو ميادة) مندهشا: الغريب أنها هاجمتك أنت وحدك.. بالرغم من أننا جميعا كنا حولها.. وأنا كنت أقربكم لها.

أجابته (سنجة) بابتسامة مقرزة: ربما اختارت أضعفنا.

تقبل (راضى) الإهانة ثم قال وهو يتأمل القرص الصلب: هيا بنا من هذا المكان المشؤوم.

تأكد (راضى) من تحطيمهم لكاميرات المراقبة وتدمير أى تسجيلات عليها.. لا بصمات..
لا أدلة ضدهم.

هل نحرق المكان؟

لا.. سنلفت الأنظار له.

ثم فجأة..

وقبل خروجهم سمعوا جميعا الصوت:

جا جا جا جا.

" هل تسمعون هذا الصوت؟ "

سأل (راضى) جميع من حوله فأجابوه:

نعم.

" جا جا جا جا "

عاد الصوت يتكرر من جديد..

هذا الصوت مألوف بالنسبة لى.. أشعر أنى سمعته من قبل.

" جا جا جا جا "

ثم ظهر صاحب الصوت.. كان قزم!

رجل كبير السن فى طول الأطفال.. اقترب منهم وقال:

جا جا جا جا.

قال (راضى) بسرعة:

لا تقتلوه.

ولكن..

" جا جا جا جا "

ألا تلاحظون أنه أخرس؟

صمت الرجال وراحوا يتأملونه.. فأردف (راضى):

إن هذا كل ما يستطيع قوله.

انحنى (حموأة) وسأله:

ما اسمك؟

نظر الرجل القزم له بغضب ثم صفعه على وجهه صفة قوية ثم هجم عليه.. سقط
(حموأة) أرضا وانتقض القزم عليه..

" جا جا جا "

ثم ظهر قزم آخر.. له نفس الحجم والشكل.. وهجم عليهم بينما كانوا يحاولون تخليص
(حموأة) من بين يدي الأول.. قال (سلخانة) متعجبا:

.. لماذا يهاجمونا؟ ما الذى فعلناه لهما؟

لم يجب (راضى) على هذا السؤال المستفز.. لقد قتلوا رئيسهم وأصدقائهم ثم يتساءل
ببراءة عن سبب الهجوم! ثم ظهر قزم ثالث.. بنفس المواصفات.. وفعل مثلما فعل الأول
والثاني.. هاجم على الفور.. قال (أبو ميادة):

.. ما كل هذا؟

صاح (راضى) فيهم:

.. هيا بنا نخرج من هنا.

ثم سمع دوى الرصاصة.. ورأى أحد الأقزام يسقط صريعا.. ورأى الغضب يزداد فى عيون
القزمين الآخرين.. لم يبحث (راضى) عن مصدر الرصاصة.. كان قد سبقهم إلى الباب وهو
يقول:

.. هيا بسرعة.

نفذوا أمره على الفور.. تخلصوا من القزمين واندفعوا نحو الباب.

.. أغلقوا الباب جيدا.

.. من هؤلاء؟

.. لا بد أنهم مساعدين لصاحب الفيلا.

وتوالى الأسئلة من الجميع على (راضى) مثل (لماذا يستخدم أقزام لمساعدته؟.. لماذا
جميعهم خُرس؟.. لماذا جميعهم يصدرون نفس الصوت؟.. لماذا يهاجمونا؟.. لماذا لم
نقتلهم؟.. لقد فتشنا جميع غرف الفيلا فأين كانوا مختبئين؟)

كانت طرقات الأقزام عنيفة على باب الفيلا الخشبي.. لقد حبسهم الرجال بالداخل.

نظر (راضى) إلى جثتي الحارسين أثناء خروجه من الفيلا.. لقد وضع الرجال الجثتين
فى الحديقة حتى لا يراها المارة.. شعر بالحزن من أجلهم.. لقد مات الكثير فى تلك الليلة
المشؤومة.. المهم أن ابنه حى.. وأنه استعاده!

انحنى (راضى) يزيل اللثام عن وجهى الحارسين.. وجدهم نفس الرجل.. الخادم المطيع

المعاق ذهنيًا.. لقد نسخ د. (نظمي) منه نسختين آخرتين أيضا ليكونا حارسين له.
سوف يدرس في الأيام القادمة جميع المستندات التي حصلوا عليها.. ويفحص محتويات
القرص الصلب.. سوف يعرف الكثير والكثير!
عندما خرج الرجال من حديقة الفيلا.. كان العدد يزداد بالداخل.. قزم رابع وقف بجوار
الثلاثة وراح يطرق الباب معهم ويدفعه بكتفه.. ثم ظهر خامس.. وسادس.. وسابع.. و..
. جا جا جا جا

وصل الرجال إلى السيارة.. كانت في انتظارهم مفاجأة مؤلمة.. وجدوا (بخاخة) جالسا
على المقعد بداخلها.. مذبوحا عند رقبته والدماء تفرق ملاسه.. ولا يوجد غيره بالسيارة..
لا أثر لـ (أنس)!

(56)

" من الذى قتله؟ "

قالها (سلخانة) وهو يبكى تأثرا من رؤيته لصديقه (بخاخة) مذبوحا أمامه.
كان مشهدا عجيبا! أن ترى الوحش الذى يقتل بمنتهى البرود ينهار باكيا على جثة صديقه.

لم يطل (راضى) النظر إلى هذا المشهد العجيب وراح يبحث عن ابنه (أنس) بمنتهى الذعر..

. (أنس) .. أين أنت؟

ثم تذكر فقال:

. (وحيد) .. أين أنت؟

سأله (أبوميادة):

. اسمه (أنس) أم (وحيد)؟

. الاتنين! (وحيد) اسمه.. أما (أنس) اسم التدليل.

هز (أبوميادة) رأسه دليلا على الفهم وتابع البحث معهم عن الطفل.. كان (راضى) فى منتهى القلق.. كان يخشى أن قاتل (بخاخة) قد خطف (أنس) ليطلب فدية أو لينتقم مما حدث بالفيلة..

. أين أنت يا ابنى يا حبيبى؟

لم يكن (راضى) يعلم أن (أنس) قد طلب من (بخاخة) أن يقضى حاجته.. فاقترح الأخير عليه أن يفعلها فى الخلاء.. بعيدا عن السيارة.. فخرج الطفل منها.. ولم يرى ما حدث لـ (بخاخة).

"أنا هنا يا بابا"

قالها (أنس) ثم ظهر من خلف أحد الأشجار.

فى صباح اليوم التالى.. اتصل (راضى) الأول بالثانى من هاتف زوجته (حنان) ..

.. ماذا فعلت ليلة أمس؟

.. قضيتها فى الحجز .. فى قسم البوليس كما اتفقنا .. كانت ليلة سيئة .. المهم أخبرنى أنت

ماذا فعلت .. هل وجدت الولد؟

.. نعم وجدته بالطبع .. كان تخمينك صحيحا .. د. (نظمى) وراء كل هذا.

كان يود أن يقول له (طبعاً وجدته هناك .. فأنت الذى سلمته له بنفسك).

.. وما الذى فعلته معه؟

.. قتله أحد الرجال.

.. يا إلهى!

.. الحمد لله أنك قضيت الليلة السابقة فى الحجز حتى لا يتم اتهامنا فى شىء.

.. اطمئن.

.. ماذا فعلت لتبیت هناك؟

.. اتفقت مع رجل أن يقوم باتهامى بالسرقة .. ثم يأتى فى الصباح ويقدم تنازل أو يقول أنه

أخطأ.

.. تمام .. أين أنت الآن؟

.. مازلت فى القسم .. انتظر انتهاء إجراءات إخلاء سبيلى.

.. حسناً .. أنا أنتظرك .. هناك الكثير من الأمور لابد أن نتعاون فيها.

.. جميل!

وانتهت المكالمة وعاد (راضى) الثانى إلى أحضان (جوجو) الدافئة التى قالت ضاحكة:

.. فى القسم!

ضحك قائلاً:

.. نعم .. وأنت الضابط! ألم تحجزينى بالأمس فى غرفة النوم؟

.. أجل .. ولن أخلى سبيلك إلا بعد تنفيذ العقوبة.

.. وما هى؟

همست فى أذنه بالعقوبة فقال لها ضاحكا:

. آه يا سافلة!

من الواضح أنه مر بليلة سيئة فعلا كما ترون!

انطلقت رنة الهاتف المحمول فى المكان الهادىء إلا من صوت الهمسات والضحكات.. فنظر

(راضى) الثانى إلى الشاشة فوجد اسم (حنان).. قالت (جوجو):

. أغلق هذا الهاتف اللعين.

سأل (راضى) نفسه بصوت سمعته زوجته:

. لماذا يتصل بى مرة أخرى ولم يمر على اتصاله خمس دقائق.. ما الأمر؟

شعر بالقلق.. هل علم أنه لم يقضى ليلته فى القسم وأنه كذب عليه؟ هل يتصل به وهو يقف

الآن أمام باب الشقة؟

. آلو.. (راضى).

. لا.. أنا (حنان)..

لقد تعود على أن يسمع صوت (راضى) من هذا الرقم.. بسبب مشكلة تطابق الرقمين!

. (حنان).. ما الأمر؟ لماذا تتصلين؟ هل حدث شيئا؟

قالت (حنان) وقد بدا فى صوتها القلق والتوتر:

. إياك أنت تأتى.. إنه يفكر فى قتلك.. اهرب.. اهرب..

نهض (راضى) من السرير ووقف فى منتصف الغرفة يسأل (حنان) عبر الهاتف

المحمول:

. ما الذى تقولىه؟

. كما أخبرتك.. سوف يقتلك.. لا تأتى هنا.. أنا مضطرة لإنهاء المكالمة الآن حتى لا يكتشف

أنى تحدثت إليك.

. انتظرى.. أريد أن أفهم.. لماذا يريد قتلى؟ لقد تعاونت معه.

. لا أعلم السبب.. لقد تعاون معك من أجل استعادة (أنس) فقط.. لكنى رأيته منذ قليل

يجهز مسدسه وأخبرنى أنه سوف يتخلص منك.

. ولماذا تخبرينى؟

. إياك أن تفهم أنى قلقة بشأنك.. أنا خائفة على زوجى من دخول السجن.. لا أريده أن

يصبح قاتلا.

. أنا زوجك!

. أنا لا أعرفك! وأرجوك اهرب من المكان الذى تقيم فيه.. لا بد أنه يعرف الفندق المفضل بالنسبة لكما وربما يأتى إليك هناك.. ولا تذهب إلى أى مكان تعرفه.. لا تفكر بنفس الطريقة التى اعتدت التفكير بها.. فهو بالتأكيد يعرفها.. سلام.

وأنهت المكالمه!

نظر (راضى) إلى الهاتف للحظات شاردة ثم قال لزوجته (جوجو):
. احزمى حقائبك.. سنغادر المكان فوراً.. ولن نعود إلى هنا أبداً.

قالت (حنان) عبر الهاتف:

. أنا لا أعرفك.. وأرجوك اهرب من المكان الذى تقيم فيه.. لا بد أنه يعرف الفندق المفضل بالنسبة لكما وربما يأتى إليك هناك.. ولا تذهب إلى أى مكان تعرفه.. لا تفكر بنفس الطريقة التى اعتدت التفكير بها.. فهو بالتأكيد يعرفها.. سلام.

ثم أنهت المكالمه..

نظرت خلفها.. كان (راضى) يقف عند الباب هادئاً.. استمع للمكالمة من أولها حتى آخرها.. تقدم نحوها بثبات ثم مد يده إليها فأعطته هاتفها..
فأخذه ووضع فى جيبه.. سألته:

. هل أعجبتك؟

ابتسم وقال:

. ممتازة.

. هل تظن أنه صدقتى؟

. سنعرف.

. كانت حيلة ذكية!

. لقد وعدتك أننى سوف أخلصك منه.. ويمنتهى الهدوء.. وبدون أى مشاكل!
. شكراً يا زوجى العزيز.

(57)

ظل (راضى) الأول يفكر لأيام طويلة فى حل لمشكلة التشابه هذه! كيف يمنع شخصا يشبهه فى كل شئ من دخول بيته؟ من دخول شركته؟.. كيف يمنع شخص له نفس شكله وهيئته وصوته وبصمته؟.. اتفق مع (حنان) على كلمة سر.. لكن ماذا عن الشركة؟.. هل سيتفق مع جميع العاملين على كلمة سر؟.. وحتى لو حدث فسوف تتسرب الكلمة بسهولة.. من الصعب السيطرة على هذا الكم الكبير من العاملين.

ربما يجد فى الصباح لافتة كبيرة على باب الشركة مكتوب عليها كلمة السر.. كتبها أحد العمال حتى لا ينساها! لا بد من فكرة أفضل وأسهل وأكثر إحكاما.

قام (راضى) أولا بإلغاء رقم هاتفه المحمول.. تحدث مع شركة الهاتف الشهيرة وأبلغ عن سرقة الرقم حتى لا يتم استعماله.. وبهذا يكون قطع على (راضى) الثانى الاتصال بأى أحد عن طريق هذا الرقم.

لم يفكر فى تعقب الرقم لمعرفة مكانه.. كان يريد تجنبه فقط.

ثانيا: أعطى والديه والسكرتير والمساعدين وجميع العملاء المهمين رقمه الجديد وأخبرهم أن الرقم القديم لم يعد يخصه.

ثالثا: أمر حراس الشركة بعدم إدخاله إلا إذا أخبرهم بكلمة السر أو اتصل عليهم من الرقم الجديد.. فهناك شبيه له ينتحل شخصيته ويريد إيذاؤه.. قال لهم:

إذا لم أخبركم بكلمة السر اقبطوا على قورا واتصلوا بى على الرقم الجديد.

رابعا: قام بإلغاء جميع البطاقات المصرفية.. لا يريد أن يفاجئه الثانى بسحب رصيده من البنك.

أبلغ عن سرقتها وقام بعمل بطاقات جديدة.
خامسا: قام بتعيين حراسة على الفيلا.. واستخدم كلمة سر وأبلغهم برقم هاتفه الجديد.

سيمنع دخول (الثانى) إلى حياته مجددا.. إذا فكر فى المحاولة.

شعر (الثانى) بالضيق وهو يجلس مع (جوجو) فى الشقة الجديدة التى استأجروها..
عاش أيام طويلة لا يخرج من البيت.. لا يرى الشارع.. فكر فى الاتصال بأى أحد.. وجد الرقم خارج الخدمة.

.لقد فعلها (راضى).

ذهب إلى الفيلا ليرى (حنان) وطفليه.. فرأى الحراسة.

.لقد فعلها (راضى).

ذهب إلى الشركة وحاول الدخول فوجد الأمن يطلب منه كلمة سر.

.أنا صاحب الشركة.. أنا الذى عينتك.. كيف تطلب منى كلمة سر؟

.هذه هى أوامرك يا (راضى) باشا.

قال فى سره:

.لقد فعلها (راضى).

.نعم.. نعم.. أنا الذى طلبت ذلك منك.. ولكنى نسيتها.

.حسنا.. الأوامر تقول أن نقبض عليك ثم نتصل بك.

فوجيء بهما يتقدمان نحوه ويقيدوا حركته.. ماذا يفعل الآن؟ سوف يتصلوا بالآخر ويسلموه

له.. فكر بسرعة وقال:

.انتظروا يا أغبياء.. الهاتف ليس معى لذا لن أرد عليكم.. وسوف تعطلونى.. دعونى أحضر

الهاتف من السيارة وإلا فصلتكم عن العمل.

ترددوا.. ثم قال أحدهم فى حزم:

.سوف نجرب الاتصال أولا.. وبعدها نقرر.

وأجرى الاتصال.

(58)

لوقام (الأول) الأول بالرد على المكالمة سينكشف كل شيء.. وينتهى أمر (الثاني).. لذا ظل الأخير يدعوره بالأمر.

وضع الحارس الهاتف المحمول على أذنه فى انتظار صوت مدير الشركة..
لن أرد يا أغبياء لأن الهاتف ليس معى.

كان يحاول إقتاعهم حتى لا يحاولوا الاتصال مجددا..
سأفصلكم عن العمل إن لم تتركونى الآن.

كان الحارس لا يزال واضعا هاتفه المحمول على أذنه.. ثم نظر فجأة إلى (راضى) نظرة خاصة.. لم يفهم منها شيء! هل قام بالرد أم لا؟
ابتسم الحارس وقال:

. آسفين جدا.. يا (راضى) باشا.. دعه يا (محمود).

تنفس (راضى) الصعداء عندما تركه (محمود).. قام بتنظيم ملابسه.. وصاح فيهم:
. أغبياء.

. آسفين جدا يا (راضى) باشا.

. نحن ننفذ أوامرك يا (راضى) باشا.

تركهم وانصرف بسرعة.. قبل أن يرد (الأول) على الهاتف.. أو يتصل بهم.

جلس (راضى) على أحد المقاهى.. يفكر فى حاله.. لقد أصبح منبوذا.. طريدا.. مشردا..
ترك فيلته.. ترك شقة (جوجو) القديمة.. ترك شركته.

يقتررب من الإفلاس بعد المال الذى أنفقه من أجل الحصول على شقة تأويه هوو (جوجو)..

لا يريد أن يقترض منها مالا حتى يحافظ على صورته كرجل البيت أمامها.. لقد اعتاد أن ينفق عليها ببذخ.. وسيظل! لكن كيف؟ كيف السبيل لاستعادة حياته مرة أخرى؟ أم أنها لم تكن حياته من الأساس؟

لقد أوجده (راضى) فى هذه الدنيا.. ثم بعد ذلك يتخلى عنه! تذكر رواية (فرانكنشتاين) Frankenstein فى تلك اللحظة.. شعر أن الأحداث متشابهة.. شعر أن (راضى) الأصل هو (فرانكنشتاين) الذى أحضره إلى هذه الدنيا.. ثم طرده من بيته بعد ذلك.. قال لنفسه وقد دبت فيه روح التحدى:

. إذا كان يتصور نفسه (فرانكنشتاين) فأنا لست المسخ الذى صنعه.. أنا (فرانكنشتاين) نفسه.

انتظر (الثانى) ساعة خروج العاملين من الشركة.. ثم قابل أحدهم فى شارع جانبي يعلم جيدا انه سيمر عبره..

كيف حال العمل؟

تمام يا (راضى) باشا.. لكن كنت أريد أن أشكوك من..

ربت على كتف العامل العجوز ثم قال له:

. اطمئن.. اطمئن يا حاج (كمال).. سأحل كل مشاكلك.. فقط اكتبها فى ورقة وقدمها للسكرتير.

. ألف شكر يا باشا.

. كنت أريد أن أسألك سؤال..

. تفضل..

. ما هى كلمة السر؟ لقد نسيتها.

. أى كلمة سر؟

. كلمة السر التى تدخلون بها إلى الشركة.

. لا أعرف أى كلمات سر.. متى طبقتم هذا النظام؟

وفهم (الثانى) على الفور أن كلمة السر نظام متبع مع المدير فقط.. فمن الصعب أن تضع كلمة سر لجميع العاملين.. سيتم تسريبها بالتأكيد.. وقد ينساها معظمهم.

وهنا تكمن الثغرة!

إذا كان المدير فقط هو المطالب بقول كلمة السر.. فليدخل الشركة إذن كأنه أحد العاملين

أو أحد العملاء.. كل ما يحتاجه هو بطاقة هوية مزيفة ويتنكر على أساسها..
وعندما يدخل الشركة.. يعود لشخصيته الحقيقية.

استخدم (الثاني) بطاقة شخصية حقيقية.. استعارها من أحد أصدقائه لمدة يوم واحد فقط.. ثم ذهب إلى ماكيبير وطلب منه أن يكون كالشخص الذى فى صورة البطاقة بالضبط..
لم يكن الأمر صعباً لأنه اختار صديق يشبهه إلى حد كبير.
ثم ذهب إلى الشركة بعد ذلك.. نظر الحارس إلى البطاقة وإلى الشكل ثم قارن بينهما..
طلب منه معرفة سبب الزيارة.. ثم التوقيع فى دفتر الزوار.. وأبلغ السكرتير بدخوله.
وفى داخل الشركة.. جلس مع السكرتير.. ثم طلب منه أن ينتظر المدير داخل مكتبه.
لا يا أستاذ.. لا أحد يدخل غرفة مدير الشركة فى غيابها.
طلب منه فنجان قهوة.. لم يقم من مكانه واستدعى العامل ليحضرها له..
كان يريد أى فرصة لدخول الغرفة قبل أن يحضر (راضى) الأول.
نهض من مكانه وراح يدور حول نفسه.. يفكر فى أى طريقة تجبر السكرتير على الخروج ولو لخمس ثوان.

جاء العامل حاملاً فنجان القهوة.. فعاد إلى مقعده ليشربها وهو لا يزال يفكر.
إن سكب المشروب على البنطلون أشهر وسيلة سينمائية لجعل الشخص يفادر مكانه! لكن
كيف يسكب القهوة على السكرتير الذى يجلس خلف مكتبه؟
رشف رشفة من الفنجان و..
يا إلهى! إنها بدون ملعقة سكر واحدة.
قال السكرتير:

. آسف يا أستاذ.. سأجعله يضيف لها سكر حالا.
. المفروض أن تقدموا السكر بجوار الفنجان لمن يريد.
. آسف جداً.
نهض من مكانه واتجه إلى السكرتير وهو يقول له:
. تذوق الطعم..
. عد إلى مكانك يا أستاذ.. وسأطلب منه إحضار السكر.
. تذوق.. تذوق.. حتى لا تعتقد أنني..

. يا أستاذ..

كان قد اقترب من السكرتير جدا وقرب الفئجان من ذراعه التي اصطدمت به.. سكب (راضى) الفئجان كاملا على قميصه وبملونه.

. آسف.. آسف جدا.

نهض السكرتير غاضبا وهو ينظر إلى ملابسه ليعرف حجم الكارثة:

. رأيته؟ ألم أطلب منك أن تلزم مكانك؟

راح يجفف ملابسه بالمنديل..

. آسف.. آسف جدا.. لكن المنديل لا يصلح.. لابد من الماء وبسرعة.. قبل أن تبقى البقعة

للأبد.. اطمئن ستجف على الفور.

همّ السكرتير بالخروج لكن تذكر:

. إياك أن تدخل الغرفة.. انتظر هنا.. لا تغادر مكانك.. سأتى بسرعة.

لم ينتظر (راضى) أكثر من خمس ثوان بعد خروج السكرتير.. دخل غرفة المدير.. مسح

وجهه بسرعة وأزال أى إضافات وضعها الماكيبير وألقاها أسفل المقعد.. ثم خلع البدلة وقلبها

على الوجه الآخر.. كانت بلون جديد مختلف.

جلس على المقعد والتقط نفس عميق وقال:

. أخيرا.

بعد دقيقة عاد السكرتير.. لم يجده فى مكانه.. فافتحم الغرفة وهو يقول:

. ألم أطلب منك أن تنتظر فى الـ..

بتر جملته وقال:

. آسف يا (راضى) باشا.. لقد ظننت أن.. إحم.. متى وصلت يا..

صاح (راضى) وقد استعاد هيئته:

. أين كنت يا أستاذ؟ عندما وصلت لم أجذك.

. إحم.. لقد انسكب فئجان الـ..

قاطعه (راضى) قائلا:

. هل ستحكى لى قصة حياتك؟ تفضل.

. حاضر.. لكن كان هناك عميل يريد أن..

. نعم.. قابلته.. وانصرف.

. تمام.

. اخرج ولا تدخل أحدا أبدا.

. حاضر.

وأغلق السكرتير الباب خلفه.. نهض (راضى) من مقعده واتجه إلى الخزانة.. أخرج المفتاح.. المفتاح يعمل لكن الرقم السرى تغير..

. ما هو الرقم الجديد؟

إن له نفس تفكيره.. سوف يتوصل للرقم إذا فكر قليلا فيه.. لكن.. ربما اختار رقما عشوائيا..

. لا.. لن يختار رقم عشوائى.. سيختار رقم سهل حفظه.

ثم فكر فى رقم معين.. وجربه.. وجد الخزانة قد فُتحت من أول تخمين.. كان الرقم هو

١٥٤

. الرقم سهل جدا.. يبدو أنه لم يتوقع أن أصل لهذه المرحلة وأقف أمام الخزانة.

استولى (راضى) على جميع الأموال التى وجدها فى الخزانة.. إنه لم يسرق أحدا غريبا.. إنه يسرق نفسه.. وأخذ أيضا جميع المستندات المهمة.. وضع كل هذا فى حقيبته الخالية التى أحضرها معه.. وقبل أن يخرج من الغرفة قطع ورقة اليوم من النتيجة.. قرأ المكتوب عليها:

" من باع الآخرة فى الدنيا خسر الاثنين "

ثم وضع الورقة على مكتبه.. لايد أن يترك دليلا على دخوله.

ألقي نظرة وداع على المكتب وقال:

. ربما لا أستطيع الدخول هنا مرة أخرى!

وخرج بسرعة من الشركة قبل أن يحضر الأصلى وينكشف كل شىء..

فى غرفة النوم.. أفرغ (الثانى) حقيبته على السرير.. الأموال والمستندات.. نظر لهم بسعادة شيطانية ثم قال:

. كنت تظن أننى التوهم الشرير يا (راضى).. حسنا.. لقد أصبحت الآن.

ثم تناول بعض الرزم المالية ورمها فى سقف الغرفة وراح يرقص بجنون ويضحك ضحكات عالية.. دخلت (جوجو) الغرفة فرأت المال المتناثر فى أرجائها فسألته:

. ما هذا؟

. مالى.

..مالك؟

..نعم.. مالى.. وأنا حُر فيه.

ضحكت فاتجه نحوها يراقصها وقال:

..لقد طردنى من جنته.. لكنه لا يعلم أن الجنة هي المكان الذى أنت فيه.

ثم قبلها من شفيتها قبلة حارة طويلة ثم قال:

..لقد رفض أن أساعده.. ولا يريد الاعتراف بوجودى.. وطردنى من حياته شر طردة.

سألته بقلق:

..ما الذى تنوى أن تفعله؟

..سأجبره على الاعتراف بوجودى أمام الجميع.. وسيطلب أن أساعده فى ذلك.

(59)

وقف (الثانى) أمام المرأة.. وحيدا فى غرفة النوم.. نظر إلى انعكاسه.. رأى أمامه (الأول)
فتخيل نفسه أنه يحادثه:

. أنت الذى بدأت الحرب.

لم يرد الانعكاس.. تبادل معه نفس النظرات.

. لم أكن أريد هذا.. كنت أفكر فى التعاون.. لكنك رفضته وأخرجتني من جنتك.. وفكرت

فى التخلص مني.

شعر أن الانعكاس لا يطيق حديثه.. كأنه (الأول) حقا.

. أنت المسئول عن وجودي.. كان يجب أن تتعامل معي بطريقة أفضل.. وكان يمكن للحياة

أن تستمر ونحن الاثنين معا يدا واحدا بنفس العقل ونفس الانسجام.. لكنك رفضت وفكرت فى

الاستئثار بكل هذا وحدك.. ونسيت أنني بنيت كل هذا مثلك بالضبط.. الجنة التى تعيش فيها

هى جنتي أيضا.. لكن كل هذا سيتغير.. وجنتك سأقلبها جحيم.. وستفر منها لتنجو بحياتك..

ولن تجد مكان للاختباء.

رفع إصبعه نحو المرأة.. فرفع الآخر إصبعه أيضا..

. اليوم.. سأرتكب أول الخطايا.. من أجلك أنت!

ثم ضحك ضحكة شيطانية ولم ينظر للمرأة.. خشى أن يرى الانعكاس فيها مرتبكا قلقا

مما سيحدث.. ثم غادر الغرفة..

وغادر الانعكاس المرأة أيضا.

" كم ستدفع مقابل هذه الورقة؟ "

قالتها (الثانى) وهو يجلس مع (سباعى) هى شقيقته.. رد الأخير:
.. أنا لا أصدق.. أخيرا وافقت.

.. كم ستدفع؟

.. سأدفع ما تريد.

.. اتفقنا.

وحصل (راضى) على المبلغ الضخم الذى طلبه.

" أين أجد بنات الليل؟ أنا غريب عن المنطقة ولا أعرف طريقهم "
سأل (الثانى) هذا السؤال لرجل كان يسير فى الشارع ليلا.. رد عليه قائلا:

.. لا أعرف.

ثم غمغم:

.. ما هذه السخافة!

فسأل آخر.. أجاب:

.. لا أعرف.. هل أخبرك أحدا عن اسم الشارع؟

سأل ثالث:

.. كنت أريد فتاة ليل لأمر ضرورى.. هل يمكن أن تدلنى على واحدة؟

.. شباب منحل.. لا أريد أن أراك أمامى لحظة أخرى حتى لا أرتكب جناية.

.. حسنا.. آسف على السؤال.. يا ولد يا مؤمن.

كان (راضى) لا يعلم حقا أى شىء عن بنات الليل.. لا يعلم أين يسكنون.. أين يمكن الحصول عليهم.. كيف يتم الاتفاق.. كان يعيش حياة طبيعية مع زوجته.. حتى عندما أعجبه السكرتيرة تزوج منها على الفور حتى لا يقع فى الحرام.

كل معلوماته عنهن يعرفها من الأفلام العربية والأجنبية.. والأفلام لا تنقل الواقع بالضبط..
ما الذى يفعله الآن؟ هل يذهب إلى شرطة الآداب ليسألها عن أماكن البيوت المشبوهة؟

ثم تذكر (ميزو) أو (معزز) أحد أصدقائه.. مشهور بعلاقاته العديدة مع فتيات الليل ومغامراته التى لا تعد ولا تحصى.. اتصل بالرقم الجديد عليه:

.. أنا (راضى).. لقد غيرت رقمى.. المهم كنت أريد أن أسألك عن.. إحم.. عن أحد بيوت

الدعارة.

لماذا؟ ما الذى حدث يا (راضى)؟ هل أغضبتك (حنان) فى شىء؟

لا.. لكنها باردة.. وأنا رجل و...

أفهم.. أفهم.. لكن كنت أظن أنك آخر الرجال المحترمين..

ضحك (راضى) وقال:

لقد أسأت الظن يا صديقى..

أخبره (ميزو) بجميع الشوارع والأزقة والطرق المشبوهة.. ويعناوين جميع بيوت الدعارة.. النظيفة والقذرة.. الرخيصة والغالية.. الحقيرة والراقية.. ثم أعطاه أرقام البنات التى تخلع أمام الكاميرا مقابل أرقام كروت الشحن.. والأخريات اللاتى تقدم الجنس عبر الهاتف و...

لا.. أنا أريد علاقة طبيعية كاملة.

أعطاه أرقام هواتف البنات والسيدات اللاتى تعملن فى هذا المجال.. القديمات والجديدات.. التنظيفات والقذرات.. النحيفات والسمينات.. السمراوات والشقراوات.. الجاهلات والمثقفات.. العربيات والأجنبيات.. الجميلات والقييحات.. اللاتى تقدمن الخدمة فى بيوتهن واللاتى يمكنها توصيل الطلبات إلى المنازل.. مع خصم خاص فى المناسبات والعطلات وسعر الشحن ثابت أينما كنت.. اتصل وانحرف الآن!

ذهب (راضى) إلى أحد الشوارع سيئة السمعة التى ذكرها (ميزو) وراح يقود سيارته فيها.. ينظر إلى النساء التى تنتظر عميل السهرة بحجة أنها تنتظر سيارة أجرة توصلها للمنزل.. وطبعاً سيارة الأجرة لا تأتى أبداً.

اختار أحقرهن وأوقف سيارته بجوارها وفتح لها الباب.. اتفق معها على المبلغ فى الساعة.. ذهب معها إلى (بنسيون) مشهور بقبول مثل هذه العلاقات المشبوهة العاجلة.. لا يحتاج إلى عقد زواج أو بطاقات.. يريد منك المال فقط! بل أحياناً يوفر الغرفة بالإضافة إلى المرأة التى تحتاجها بداخلها.. توفيراً للوقت والنفقات!

لكن (راضى) صمم على تسجيل بياناته كاملة فى الدفتر.. وأعطاهم أيضاً صورة لبطاقته الشخصية.. لغرض فى نفسه.

كانت غرفة حقيرة ضيقة.. بها سرير عريض متين للغرض القذر وجواره كومودو.. هناك مسامير متينة على الحائط وعلى الباب من أجل تعليق الملابس عليها.. لا يوجد دولاب.. أين

سيضعونه؟.. الغرفة ضيقة لا تتسع لمثل هذا الترف.. المسامير قامت بالواجب وأدت دور الدولا ب.

هذه ليست عش الزوجية.. إنها غرفة من أجل غرض المتعة لمدة ساعة أو أكثر.. وسيأتى زبون آخر بعده فى الساعة التالية مع امرأة أخرى.. أى أن السرير وحده كافيا.. والكومود ترفاً فى هذه الحالة! ثم إنها أفضل من النوم فى حديقة عامة أو منطقة مهجورة أو تحت الكوبرى! ويوفر الأمان التام لجميع النزلاء.. هناك طاقم مراقبة محترف يحيط بالبنسيون من جميع الجهات.. فى حالة هجوم الشرطة يكون هناك إنذار.. اللبنة الحمراء فوق السرير ستضىء ليجهز الجميع نفسه للهرب.

حصلت العاهرة على أجرها بعد الانتهاء من عملها.. قال (راضى) متحاشيا النظر إلى وجهها العكر:

.لقد أعجبتنى.. أنتِ رائعة!

.تسلم يا باشا.

.فاجأها قائلاً:

.أريد أن أطلب يدك من ولى أمرك.

.ضحكت ضحكة ماجنة وقالت:

.يدى فقط! إن جسدك كله تحت أمرك.

.أنا أريد الزواج منك.

.لا تمزح يا أستاذ.. إذا كنت تريد شيئاً فلنفعله الآن.. لا وقت لدى للمزاح.

.هل أنت مشغولة الليلة؟

.جدا.. بعد ساعة لدى أربع زبائن.. فى أربع شقق مختلفة.. كل شقة تبعد عن الأخرى

مسافة ليست هينة.

.أربع رجال؟

.لا.. ليس كلهم رجال.. هناك امرأة.

.أنت تتعبين جدا فى هذه المهنة.. لذا سوف أكافئك وأتزوجك.

.لا.. أنا أحب التعب يا باشا.

.ألا تريدان الزواج منى؟

.من قال هذا؟.. فليقطع لسانى إن قلت أننى لا أريد الزواج منك.. ولكنى أعلم أنك تمزح..

مثلك لا يتزوج أمثالى.. ربما ينامون معهم.. يخرجون معهم.. يسهرون معهم.. لكن عند

الزواج.. يتزوجون من امرأة شريفة.
قال وهو لا يزال ملتصقا بجسدها العارى:
. أنت امرأة شريفة!
صاحت بغضب:
. لا تسبني يا أستاذ.
فوجيء برد فعلها وقال:
. هذه ليست سبة! إنها مدح.
. فى عملنا تكون سبة.. فهي تعنى أنتى لا أقوم بعملى جيدا.. تعنى أنتى لست مرغوبة.. تعنى
أنتى مبتدئة فى هذه المهنة.. لكننى أصبحت خبيرة.. وهناك جيل يتدرب على يدى الآن.
. وأنا أريد أن أتمتع بكل هذه الخبرة!
. أنا تحت أمرك فى أى وقت.. اطلبنى وقتما تحب.
. أنا أريد الزواج منك.
. يا باشا.. لماذا تشتري دورة مياة عمومية لمجرد أنك تدخلها كل يوم؟ هل تترك الدورة
لحالها ملك للجميع ليقضى كل فرد حاجته فيها.
. يا للأمثلة البغيضة المقرزة! أتشبهين نفسك بدورة مياة عمومية؟ لا تنظري لنفسك بهذه
الطريقة.. فأنت أجمل ما رأيت عيني.
ضحكت وقالت ساخرة:
. أجمل ما رأيت عينك! إذن أنت فقدت بصرك منذ الطفولة ولم تستعده إلا هذه الساعة؟
تهور (راضى) فى المجاملة وبالع قائلًا:
. أنت أجمل نساء الكون!
. يا باشا.. أنا أعلم نفسى جيدا فلا تخدعنى بهذا الكلام المعسول.. إن لدى مرآة فى
البيت.. إذا نظرت لوجهى فيها فأنا أبصق عليها فوراً.. وأمنع نفسى بقوة من تحطيمها.
. أنا لا أقصد جمال الوجه.. أنا أقصد جمال الجسد.
. يبدو أن الإضاءة هنا خافتة جدا فلم ترى الندبات التى تملأ جسدى.. بعضها بسبب
العمليات القيصرية وما أكثرها! وأيضاً عملية الفتاء.. وأخرى بسبب طعنات مطواة من أولاد
الحرام.
. كل هذا تتعرضين له ومازلت تصبرين! أنا أحب هذا الكفاح.. كفاح من أجل لقمة العيش..
إن الفقر يـ..

ضحكت ضحكة ساخرة ثم فاجأته قائلة:

..فقر! أنا أملك ثلاث عمارات وفيلتين.

..إذن أنت تعملين من أجل الصرف على أمك الكسيحة وأخوتك المرضى.. لقد رأيت أفلام عربية كثيرة تحكى قصصكم.

..لا.. أمى ليست كسيحة.. إنها بكامل صحتها وعافيتها.. إنها تعمل معى فى نفس المجال.. هى التى أدخلتنى فيه من الأساس.. إن لديها شبكة كاملة تعمل بإشارة من إصبعها.. إنها الآن مع زبون.. وهناك ستة آخرين بعده.

..ربنا يعطيها الصحة.

..أما أخوتى ليسوا مرضى.. البنات يعملن معى فى نفس المجال وتنقسم الزبائن بيننا.. أما أخوتى البنين تبرأوا منا وسافروا للخارج.. كانوا يتضايقون من حديث الناس عنا.

..والدك ميت؟

..بعد الشر عليه يا بك.. أنه حى يرزق.

..أين هو لأطلب يدك منه؟

..فى السجن.. بسبب قضية مخدرات.

..إذن أنت تعملين لتدفعى للمحامين الذين يترافعون فى قضيتي؟

..من قال هذا؟ لقد دخل السجن بمحض إرادته وسوف يخرج قريباً.. لقد أراد التعرف على التجار المحبوسين بالداخل ويكسب ثقتهم ليعمل معهم فور خروجه.

..ما هذه العائلة! إنكم مثال للكفاح من أجل لقمة العيش.

..لقمة عيش! (هاؤ).. تقصد بسكويت.. بسيوسة.. (جاتوه).. أنا يا باشا أدخل أفخم المطاعم وأتناول أشهى المأكولات وأغلاها.. أنا أتعب لذا لا بد أن أعوض هذا التعب بالأكل.. لكنى لا أعمل من أجل المال مثلهم.. فلدى ملايين فى البنوك.. أنا أعمل من أجل المتعة.. عيش المغامرة.. كل يوم مع رجل مختلف فى مكان مختلف بمتعة مختلفة.. لو أننى أريد الزواج لتزوجت منذ زمن.. لقد تلقيت عروض زواج كثيرة من رجال كثيرون.. وُسماء وأثرياء وأبناء عائلات وشخصيات مرموقة فى المجتمع.. لكن كلهم يريدون احتكارى.. وأنا لا أحب الزواج والمكوث فى البيت والقفص الذهبى.. أكره المال.. أحب الحياة والتمتع بكل لذاتها.

..وأنا لن أحرملك من كل هذه المتع.. سوف أتزوجك وأتركك تعيشين حياتك كما تريدين.. أنا لست ضد متعة المرأة.. المرأة يجب أن تتمتع مثل الرجل بالضبط.. بل يجب أن يكون لديها الحق فى الزواج من اثنين وثلاثة وأربعة مثل الرجل بالضبط!

. تعجبني! ولكن يبدو أنك قد جمعت بخيالك كثيرا.. الحماس عصف بعقلك.. كيف تتزوج المرأة من أربعة؟ لا شرع ولا قانون ولا منطق يقبل هذا مثلا إذا أنجبت فكيف ستعرف من هو والد الطفل! ثم إن المرأة عندما تتزوج لا تريد سوى رجل واحد فقط.. تشعر معه بالأمان والسكينة وتهب له نفسها.

. وأنا سأمنحك الأمان والسكينة والطمأنينة.. والحماية.

. لكني أحب العمل.

. وأنا لن أمتنع منه.. أنا مع عمل المرأة.

. أنا لا أقصد أي عمل.. أنا أحب العمل الذي أنا فيه الآن.. الذي تعرفت على من خلاله..

فهل ستتقبل فكرة أن تستمر زوجتك في هذه المهنة؟

. أنا لن أعترض على حبك لهذا العمل وعشقك له.. لك كامل الحرية في ممارسة عملك كما تريدين.. بل سأشجعك على الاهتمام بالعمل والحرص على عدم التأخر على زبون.. بل اننى سأسمح لك في ليلة الدخلة نفسها بالخروج للعمل.

رمقته بنظرة احتقار وقالت:

. أنت قواد إذن!

دافع عن نفسه قائلا:

. لا.. لا تقلقى.. لن آخذ مليما من عرقك ومجهودك.. أنا ثرى جدا.. لدى شركاتي وأحب عملى ولا أريد استبداله بأى عمل آخر.. ولا أريد اقتحام هذا المجال فأنا لا أفهم فيه.. فقط أريد الزواج منك وسأسمح لك بممارسة عملك وسوف أصرف عليك أيضا.

ابتسمت وغمزت له بعينها اليسرى السليمة:

. عرض زواج لا أستطيع رفضه!

ابتسم لها وقال بحماس:

. إذن.. هل أنت موافقة؟

لم تجب سؤاله.. قررت أن تسأله عن نفسه:

. هل تزوجت من قبل؟

. هل تريدين الصراحة؟

. نعم.

صدمها بقوله:

. أنا متزوج حاليا.

ماذا؟

من اثنين.

لماذا تريد الزواج منى إذن وأنت متزوج بالفعل؟

استعار اسم الفيلم المصرى الشهير وقال:

امرأة واحدة لا تكفى!

لكنك متزوج من اثنين.

أعاد صياغة جملته وقال:

امرأتين لا تكفى!

هل هما باردتين؟ أسمع أن المرأة تكون باردة بعد الزواج.. معظم زبائى متزوجون.

واحدة منهما لا تحب الجنس.. تراه نشاطا حيوانيا.. تحب النظام والنظافة أكثر من

عينها.

والثانية.. تكره الجنس أيضا؟

أجابها بصراحة دون أن يعلم أن صراحته سوف تضر منطقية تمثيليته:

بالعكس.. تعشق الجنس أكثر من عينها.. يمكن أن تنسى الأكل ولا يمكن أن تنسى

الجنس.

ما المشكلة إذن؟

صاح فيها بغضب:

هل هو تحقيق؟ أريد الزواج منك.. هل أنت موافقة أم لا؟

أنا فهمت حالتك.. أنت تريد الزواج منى لتغيظهما.. لقد رأيت هذا فى السينما.. تريد

الزواج من واحدة حقيرة مثلى لتغيظ بنت الأكابر التى تزوجتها.

لا تشغلى بالك بالتفكير.. لقد أحبتك وأريد الزواج منك.

أحبيتنى! (هاو).. متى وأين وكيف ولماذا؟ لقد تعرفت على منذ ساعة فقط.. وبأسوأ

طريقة ممكنة.. جلبتني من الشارع وتعرفت على من خلال السرير.

وهذا يكفينى لأقع فى حبك.

يبدو أنك تكذب ولست متزوجا.. ولم تمارس الجنس من قبل.. فأنا لم أفعل شيئا غير

تقليديا يستحق كل هذا المدح!

لقد مللت من الثثرة.. كل هذه الأسئلة من أجل الموافقة.. أنا لو طلبت الزواج من أى

واحدة أخرى غيرك لوافقت فى أقل من عشر ثوان.. لم كل هذا؟

. أنت قلت الحقيقة الآن يا باشا.. يمكنك بالفعل الزواج من بنات أفضل منى بكثير.. أو على الأقل بنات.. فلماذا تتزوج واحدة مثلى فقدت عذريتها منذ قرون مضت؟

. ربما لهذا السبب.. أنا لا أريد الفتاة البكر الرشيدة.. أريد السيدة الخبيرة التى تجيد فنون الجنس.. لذا أجيبى بالموافقة الآن وسوف أحضر المأذون فوراً.. نتزوج بسرعة.. حتى لا تتأخرى على الأربع زبائن.. وسوف أثبت لك من الليلة أننى لن أعطلك عن عمك أبداً.

. أنت إنسان غريب!

. هل أنت موافقة على الزواج من هذا الإنسان الغريب؟

لوحى بسبابتها قائلة:

. هناك شروط.

. موافق على جميعها.

. وهناك أسرار يجب أن تعلمها.

. لا تهمنى أى أسرار.. كلنا نرتكب أخطاء.

. أنا كتلة من الخطايا تسير على الأرض.

. وأنا سوف أساعدك على السير دون أن تتعثرى.

. يجب أن تعلم أننى مُسجلة آداب.. لذا توقع هجوم من الشرطة بين الحين والآخر.

قال بحماس دون أن ينتبه إلى خطأ قوله:

. رائع!

سألته مندهشة:

. ما هو الرائع؟

كان الرائع بالنسبة له أن الشرطة ستهجم على شقتها كالعادة.. ثم يكتشفوا أمر زواجها من (راضى) الأول.. وتصبح فضيحة على الملأ.. وهذا ما يريده بالضبط.

قال بهدوء:

. لا تشغلى بالك.. أحياناً أقول كلمات فى غير موضعها.

. ويجب أن تعلم أيضاً أن لدى بنتا.. ثمان سنوات.. (بسبوبة).

. لا تقلقى.. سأرعاها.. سأعتبرها ابنتى.. بل سأكتبها باسمى.

. لا.. هى مسجلة فى أوراق رسمية باسم أبيها.

. حسناً.. لو أن لديك أى أولاد غيرها وتبحثين عن أب له.. فأنا أبيه.. سأكتبه باسمى.. ويرث جميع ممتلكاتى.

طبعاً يقصد أنه سوف يرث جميع ممتلكات (راضى) الأول.. الأصل! ويكون بهذه الطريقة قد انتقم منه أفضل انتقام إذا توفى.. بجانب فضيحة الزواج من عاهرة وإنجاب أولاد منها.
..لا.. بنتاً واحدة فقط.

..كيف؟.. لقد أخبرتني منذ قليل أنك مررت بكثير من العمليات القيصرية.
..نعم.. لكن كلهم ماتوا بعد الولادة مباشرة.. (بسبوسة) حبيبتي هى التى عاشت.
..لا تقلقى.. سننجب أطفال آخرين ويملأون حياتنا حب وسعادة فى الفيلا التى أملكها..
سوف أعطيك عنوانها الآن لترينها بنفسك.

وطبعاً سيعطيها عنوان فيلا (راضى) الأول.. هذا واضح ومفهوم!
..أنت رجل جميل بحق! ولكن هناك شيئاً يمنع هذا الزواج الآن.
..ما هو؟
..أنا متزوجة بالفعل.

(60)

قال (راضى) غاضبا:

.متزوجة! لماذا لم تخبرينى بهذا منذ البداية؟

أجابته قائلة:

.أسفة.. لم أكن أظن أنك جادا لهذه الدرجة.

.ومن هو زوجك؟

.ذلك الرجل الذى كان يسير خلفنا وأعطيته المال على سلم البنسيون.

.حسنًا.. لكل مشكلة حل.

.اطمئن.. سأجبره على تطليقى.. ونتزوج بعد ثلاث شهور.

.لا أستطيع الانتظار ثلاث شهور.. سوف أتزوجك الليلة.

.لكنه إذا طلقنى الليلة.. يجب أن تنتظر شهور العدة.

.ومن قال أنه سيطلقك؟ سوف أتزوجك دون أن يطلقك.

صاحت بقوة:

.لكن هذا حرام!

قال ساخرا:

.نعممعممم! هل هذا فقط هو الحرام لكن ما فعلناه منذ قليل ليس حراما؟

.أأأ... أقصد أنها قضية تعدد أزواج.. ليست قضية زنا أو دعارة.

.لا تشغلى بالك بهذه الأمور القانونية؟ هل هناك أى شىء آخر؟

.نعم.. طالما أنك مازلت مصمما على الزواج منى رغم كل الأسرار التى قلتها لذا يجب أن

تعرف هذا أيضا.

. أعرف ماذا؟

صدمته بقولها:

. لست أول واحد يرى جسدى عاريا بالكامل.. هناك أكثر من ٤ مليون قبلك.

صاح بكل دهشة الدنيا:

. ٤ مليون!! متى بدأت هذه المهنة بالضبط؟ وكَم زبون فى اليوم الواحد؟ أقصد فى الساعة؟

. لا لا.. لقد فهمت خطأ.. أقصد أنهم شاهدونى فقط دون أن يفعلوا معى شيئاً.. إنهم حتى لم يقابلونى.. السبب أن هناك فيديو مشهور على النت.. حقق أكثر من ٤ مليون مشاهدة حتى الآن.. أظهر فيه مع أحد الزبائن أثناء العمل.. أى أنك لست أول مشاهد.. أنت رقم بعد المليون الرابع.

. لا يهم.. طالما أنهم لم يصلوا إلى ٥ مليون.

. لكن وجهى واضحاً جداً فى الفيديو.

. لا يهم.

. إذا أردت مشاهدته.. الفيديو اسمه (شربات أم ثلاث حسنات).

. لماذا (ثلاث حسنات)؟

. لأن لى ثلاث حسنات.. ألم تلاحظهم؟

. ولماذا يقولون (شربات)؟

أجابت مندهشة:

. لأن (شربات) هو اسمى.. أكنت تريد الزواج منى وأنت لم تعرف اسمى بعد؟

. الاسم لا يهمنى.. أنا أتزوج جسداً.. لا اسماً.. هل هناك أى أمور أخرى تريدين إخبارى

بها؟

قالت (شربات) أم ثلاث حسنات:

. لا أتذكر شيئاً فى الوقت الحالى.

. حسناً.. أنا موافق على جميع شروطك دون أن أعرفها ومتقبل جميع الأسرار التى أخبرتنى

بها.. فهل أنت موافقة على الزواج منى؟

ابتسمت (شربات) وأومأت برأسها إيجاباً.

. هل أحضر المأذون والشهود؟

. لا أظن المأذون سيوافق على إتمام هذه الزيجة.. سيعرف أنى متزوجة.

. حسنا.. ما رأيك فى الزواج العرفى حتى تنتهى من إجراءات الطلاق وشهور العدة؟
كان يريد توريث (راضى) الأول معها بأى شكل.. حتى لو كان زواج عرفى!
. موافقة.. لكن.. الأبد من الزواج الآن؟ يمكننى أن أعيش معك ليل نهار كالمتزوجين دون أن
تربطنا أى ورقة.. ثم بعد انتهاء شهور العدة نتزوج رسميا أو عرفى.. كما تحب.
أجابها متظاهرا باللهفة والشوق:
. لا.. أريد منك الزواج الآن.. وبأى طريقة.
ابتسمت وقد أثارها لهفته عليها:
. كما تحب.
نهض لبحث عن أى ورق يكتب فيه بخط يده أنه متزوج منها زواج عرفى.. خط يده سيثبت
أن الذى كتب هذه الورقة ووقع عليها هو (راضى) الأول! لا يحتاج إلى إتقان الخط أو تزويره..
فقط يكتب بخط يده العادى وسيكون مماثلا لخط (الأول) بالضبط.
هذه هى خطته الدنيئة! وانتقامه الذى بدأ..
سألها فجأة:
. الفيديو اسمه (شربات أم ثلاث حسنات) .. أليس كذلك؟
. نعم.
. أريد أن تكتبى لى اسم الموقع أو..
. لا أتذكره الآن.. دعنى أجلس أمام كمبيوتر وسوف..
. لا تشغلى بالك.. سوف أبحث عنه فى جوجل Google.
سألته وهى تغمز بعينها اليمنى المصابة ببعض الحول:
. هل تريد مشاهدته؟
أجابها دون تركيز:
. بل أريد نشره.
. ماذا؟
. إحم.. أقصد محوه.. لا تقلقى.
ابتسمت وقالت:
. أنت إنسان جميل! يبدو أن دعوة أمى لى لم يستجاب لها.
. وبم دعيت لك أمك؟
. إنها تدعولى دائما بأن يبعد عنى أولاد (الحلال).

ضحك قائلاً:

. من ناحية (ابن حلال) فأنا ابن حلال تماماً.. فالكل يعرف أنه مولود من أب وأم.. إلا أنا.

. أنت لا تعرف أبوك وأهلك؟

. لا.. أعرفهم طبعاً.. ولكنى أعرف أنهم لم ينجبوني.

. كيف؟

. راح يغنى:

. (جئت لا أعلم من أين.. ولكنى أتيت).

. يا سلام يا (عندليب).

. سألتها فجأة:

. خمّن كم عمري..

. خمس وثلاثين؟

. أقل.

. ثلاثين؟

. أقل.

. توقعت أن تقول (أكثر).

. لا.. أقل.

. ضحكت قائلة:

. خمس وعشرين؟

. أقل.

. عشرون؟

. أقل.

. لا.. أخبرنى الحقيقة.. كم عمرك؟

. أتريدى العمر الحقيقى أم العمر العقلى؟

. ما هذا العمر العقلى! أريد طبعاً العمر الحقيقى.

. قال بلهجة جادة صادقة:

. لقد ولدت هذا الأسبوع.

. ماذا؟

ابتسم لها وقال مجاملا:
لقد ولدت على يدك الآن.

ذهب (الثانى) بسيارته إلى فيلا (الأول) .. وقف على مسافة بعيدة.. ينظر إلى طاقم
الحراسة ويتأمل المكان.

- سيأتى قريبا اليوم الذى تكتشف فيه أنك متزوج من (شربات) .. وربما تكون حامل منك
أيضا .. ستكون فضيحة كبيرة .. ربما تطلب (حنان) الطلاق منك وقتها .. وتصبح منبوذا من
العائلة كلها!

ثم أدار سيارته وغادر المكان .. وفى الطريق لمح تجمع كبير من الناس أمام إحدى العمارات ..
فأوقف سيارته وترجل منها .. سأل أحد الواقفين:

- ما الأمر؟

- جريمة قتل.

قال لنفسه:

- يا لحسن حظي!

(61)

قال (راضى) لنفسه:

.. سيوفر هذا الكثير.

افتحم الزحام ودخل مسرح الجريمة.. ودون أن يلمحه أحد أخرج بطاquete من جيب بنطلونه وألقاها على الأرض.. ثم راح يضع بصمات يده فى أنحاء المكان.. ثم قال بصوت واضح للجميع:

.. لا توجد جريمة كاملة.. ابحثوا جيدا فى المكان.. لابد أن القاتل قد نسى شيئا يخصه.. أى دليل يقود له.. ساعته.. هاتقه المحمول.. حافظة نقوده.. بطاquete..

ثم فكر فى الخروج بعد أن أتم مهمته.. لكن استوقفه أحدهم قائلا:

.. بطاqueteك يا أستاذ.

ماذا؟

.. لقد وقعت منك.

وأعطاه بطاquete.. فرد قائلا:

.. هذه ليست بطاqueteى.

.. بطاqueteك.. نفس الوجه.

أخذها مستسلما حتى لا يحدث ضجة.. ثم تحرك ليقف بجوار ناس آخرين وقال:

.. أنا سمعت أن القاتل هو (راضى).

سأله رجل بجواره:

.. (راضى) من؟

.. (راضى حسن الشويشان) صاحب شركة..

قاطعه الرجل قائلاً بحدة:

.. ما الذى تقوله؟ إن القاتل هو زوجها ولقد اعترف بجريمته.

.. زوجها!

.. نعم.. وهو محجوز بداخل هذه الغرفة.. تحت حراسة بعض الجيران.. لحين وصول

الشرطة.

فتح (راضى) الغرفة التى أشار إليها الرجل.. فرأى عدد كبير من الرجال جالسين هناك..

تعرف على القاتل بسرعة لأنه هو الوحيد الذى كان يبكى ويقول:

.. لم أرد قتلها.. لكنها خانتنى.. كانت تستحق القتل.. إنها تستحق القتل ألف مرة!

دخل (راضى) الغرفة وقال:

.. اهداً يا رجل.. وقل الحقيقة.. لا يمكن أن تكون أنت القاتل.

.. لا.. أنا القاتل.. أنا قتلتها لأنها خائنة.

.. يا رجل.. لا تكذب.. لا تلصق التهمة بنفسك لتبرئ شخصاً آخر.

صاح القاتل:

.. من أنت يا أستاذ؟

.. أنا جاركم ولقد رأيت القاتل يفر من الباب بعد ارتكابه الجريمة..

.. لا.. أنا القاتل.. لقد قتلتها ولم يقتلها أحداً غيرى.. وكان يجب أن أقتلها منذ زمن.

.. فكر جيداً.. تذكر.. لا بد أنك قد نسيت أنك لم تقتلها.

قال أحد الموجودين بالغرفة:

.. هو الذى قتلها يا أستاذ ولقد اعترف والاعتراف سيد الأدلة.. ولقد قبضنا عليه متلبساً.

شعر (راضى) بالإحباط.. يبدو أن هذه الجريمة لا تصلح لتحقيق هدفه.. فليبحث عن

جريمة أخرى.

جلس (راضى) فى سيارته أمام قسم الشرطة منتظراً خروج السيارات فى مهمة.. لم يطل

انتظاره كثيراً.

حافظ على مسافة كافية بينه وبين سيارات الشرطة أثناء السير حتى لا يثير الشكوك

حواله.. وظل يدعوره:

.. يارب جريمة قتل.. يارب جريمة قتل.

أوقف سيارته عندما توقفت سيارات الشرطة.. اختار مكانا جيدا لركن السيارة ثم غادرها إلى مسرح الجريمة.. عرف أنها جريمة قتل.. قال هامسا لنفسه:
. الحمد لله.

دخل المكان مثل جميع الجيران الفضوليين ليروا الجثة.. ثم قال لهم:
. لا أحد يدخل.. البصمات يا حضرات.. البصمات.
ودون أن يشعر به أحد راح يضع بصماته في كل مكان.. ثم عاد إلى الجيران وهمس في أذن أحدهم بأن القاتل هو (راضى).
. كيف عرفت؟

. لقد رأيته.. ولكنى لن أخبر أحدا حتى لا يقتلنى.
وراح يكرر ما قاله مع أناس آخرين.
ثم اندفع نحو الجثة وانحنى فوقها ليحتضنها وهو يقول:
. أخی.. صديقى.. حبيبى.
ثم مد يده من أسفل جسده ليمسك سلاح الجريمة ويضع بصماته عليه دون أن ينتبه أحد لذلك.

صاح ضابط:
. ماذا تفعل؟ انهض.. حتى لا تتلف البصمات.
نهض (راضى) بسرعة فسأله الضابط:
. هل تعرف المجنى عليه (إبراهيم نعيم)؟
. (إبراهيم نعيم) من؟ لقد ظننته (مجدى) صديقى.. يسكن هنا في العمارة.. أين (مجدى)؟ أين؟

وأقلت منهم بسرعة كالزئبق وغادر المكان.. بعد أن ألقى أكثر من عشر كروت دعائية عليها اسمه وعنوان شركته.. لم يترك البطاقة كما حدث في المرة السابقة حتى لا يتعرفه أحد ويعيدها له.. وربما يحتاج البطاقة من أجل جريمة أخرى.
ما زالت هناك جرائم كثيرة لم يورط (الأصل) فيها!

(62)

دخل (الثانى) أحد المطاعم الفاخرة التى اعتاد الأكل فيها .. (مطعم مسعود) .. أى أن جميع العمال هناك يعرفونه .. أى أنه لا يحتاج أن يترك بطاقته هنا .. ربما يترك كارت لتذكريتهم! طلب أغلى طعام لديهم .. وراح يأكل بنهم كأنها آخر وجبة له فى حياته .. لا بد أنك خمنت ما حدث بعد ذلك عزيزى القارئ!

نعم .. لقد انصرف من المطعم خلسة دون أن يحاسب على ما تناوله من طعام .. ترك مفاتيح لا قيمة لها بجوار كروته الشخصية على المنضدة .. فربما ينسى العاملون من الشخص الذى كان يجلس على المنضدة بسبب زحام المطعم .. الكارت سوف يذكرهم .. لقد وضع حسابا لجميع الاحتمالات.

أما إذا اكتشفوا ما فعله قبل خروجه من المطعم .. كان سيدفع مضطرا ويعتذر لهم عن السهو .. وينفذ الفكرة فى وقت آخر .. أو فى مطعم آخر .. لكن الخطة نجحت.

وقف بعيدا وقام بتوديع المطعم ..

.. للأسف .. لن أستطيع دخولك مرة أخرى .. كانت وجبة شهية!

وراح يسير على قدميه طويلا ليهضم طن الطعام الذى تناوله!

وقف (الثانى) أمام ماكينة صرافة .. أدخل البطاقة فى الآلة .. لم تستجب الماكينة له .. كان يعلم أن (راضى) الأول قد أوقف عملها منذ زمن .. لكنه كان يريد تذكير نفسه بما فعله حتى يستجمع الغضب والشجاعة لفعل ما هو مقدم عليه.

ضرب الماكينة بقبضته.. ثم نظر إلى كاميرا المراقبة فوقها.. أخرج لسانه لها.. ثم راح يتبول عليها وهو متأكد أن الكاميرا تسجل كل هذا.. وبصورة واضحة للوجه.

أمام شركة (النمر) أقوى منافس لشركته في السوق.. وقف (الثاني) يتأمل الاسم الكبير فوق أحد جدران الشركة بالخارج.. (النمر)!! قال لنفسه:
. حان الوقت لتصفية الحسابات بيننا.
ثم تأكد أن السكين لا تزال في جيبه.. ودخل الشركة.

(63)

تأكد (راضى) أن السكين لا تزال فى جيبه عندما دخل إلى مرأب السيارات الكبير الخاص بشركة (النمر) .. حيث توجد عشرات من كاميرات المراقبة.

السيارات تقبع هادئة فى سكون تام .. وجميع أصحابها موظفين بالشركة أو عملاء .. لا يعلمون شيئاً عما سيحدث بعد قليل.

تأكد (راضى) أن المرأب خال تماماً من البشر .. وأن وجهه مكشوفاً لكاميرات المراقبة .. لم يرتدى أى أقتعة لأنه يريد أن يرى الجميع التسجيلات ويعرفون الناعل.

لو لم تكن هناك كاميرات لما فعل شيئاً هنا.

اقترب جداً من الكاميرات وتعمد أن ينظر لها حتى تلتقط لوجهه أفضل صورة ممكنة .. ثم قام بطعن إطارات السيارات بسكينه .. ثم ذهب لأفخم سيارة موجودة بالمكان .. كان يعلم أنها سيارة صاحب الشركة (على النمر) .. كان لها ركن خاص مختلف .. بعيداً عن الجميع.

ثم إنه - أى صاحب الشركة - وضع اسمه على لافتة ضخمة بارزة فوق هذا الركن .. حتى لا يتخطى أحد حدوده ويركن سيارته فيه .. أو ليتباهى أمام الجميع أن هذه السيارة الفخمة تخصه.

أعزائى القراء .. هل خمنتم ما سيفعله (راضى) ؟

نعم .. قام بحرق السيارة مستخدماً البنزين الذى بها.

لن أشرح الطريقة طبعاً!

ثم فرّ من المكان قبل أن يعلم أحداً بما حدث ويتم القبض عليه متلبساً .. وطبعاً ترك كارتا بجوار أحد السيارات .. ربما التسجيلات لا تكفى لمعرفته!

دخل (الثانى) أحد الملاحى الليلية.. صعد إلى المسرح وراح يرقص مع الراقصة وهو يمطرها بأموال نقدية عالية القيمة.. تركه حراس الملهى يفعل ما يحلو له معها طالما أنه يدفع بهذا السخاء.. لم يعجبه (راضى) هذا الهدوء والبرود.. فراح يلمس الراقصة فى أجزاء حساسة من جسدها بطريقة مستفزة أزعجتها للغاية وأمتها فى نفس الوقت فصرخت متأوه.. اندفع حراس المكان صاعدين إلى المسرح ليبعدوه عنها.. حتى تستطيع استكمال رقصتها.. صاح فيهم:

. أنا حر.. أفعل بأموالى ما أريد.. أنا (راضى حسن الشويشان) صاحب شركة الـ..

طرااااااخ

لكمة قوية من أحد الحراس أخرست الكلمات داخل حلقه..

. شركة الـ.. آاااا.. لم أتوقع هذا.

هبط من المسرح واضعا يده على فمه والدم يسيل منه.. رافعا يده لهم معلنا استسلامه.. حتى لا يعطوه مزيدا من اللكمات.. جلس على أحد المناضد وطلب النادل.. قال له الرجل الذى يجلس على منضدة بجواره:

. ما هذا الذى فعلته يا أحق؟

. من أنت حتى تسبنى؟

. أنا أريد نصيحتك.. كان يمكنك بنصف المال الذى صرفته على المسرح أن تأخذها هى شخصيا إلى أى مكان تريده وتقلع معها ما تريد.. لم تستفد شيئا من الذى فعلته سوى الضرب والفضائح.

. وما شأنك أنت؟ أنا أحب الفضائح.. أنا أعشق الفضائح.. أنا أريد فضائح.. هل لديك

فضائح لأشتري منك؟

فوجيء (راضى) برجل أنيق يتجه إلى منضدته وينحنى له احتراما قائلا:

. آسفين جدا يا باشا على ما حدث.

. من أنت؟

. أنا مدير الملهى.. أتيت لك لأقدم اعتذارى.

ثم طرّق بأصابع يده اليمنى فى الهواء.. فأتى الحارس الذى لكمه على الفور وقال له:

. أنا آسف يا باشا.. ليت يدى كانت قد قُطعت قبل أن أمدّها عليك..

تعجب (راضى) من هذا التصرف ثم فوجيء بالحارس يقرب وجهه منه ويعطيه وجنته

ويقول:

..فلتلكمنى يا باشا حتى أشعر أنك راض عني.

..لا.

..فلتصفعنى.

..لا.. انتهى الأمر.. لقد سامحتك.. انصرف.. عد لعملك.

قال المدير بابتسامة عريضة:

..أتمنى ألا نكون قد عكّرنا صفو مزاج سعادتك.

اكتفى (راضى) بابتسامة باردة.. قال المدير:

..أى مشروب تطلبه على حساب المحل.. أقل اعتذار يمكن أن أقدمه لمعاليك.. أرجو أن تقبل

هذا.

..حسنا.

انحنى المدير وهمس فى أذنه:

..إذا كانت قد أعجبتك.. فقط أخبرنى.

ثم أشار بسبائته ونقلها من عين إلى أخرى.. إشارة شهيرة لجملة (من هذه العين قبل هذه

العين).. ابتسم (راضى) له.. وأشار له لينصرف.

..تحت أمر سعادتك.

قال الرجل الذى يجلس بجواره:

..أرأيت؟ إن المال الكثير الذى أنفقته أغراهم.. إنهم يمرون بأزمات كثيرة هذه الأيام.. أولها

تدهور السياحة.. لم تعد هناك عمالات صعبة تدخل المكان.. أضف إلى ذلك حظر التجول..

الذى جعل الملهى خاليا لأيام وليال طويلة.. ولا تنس أيضا الجماعات المتطرفة إياها.. والتهديد

بفلق كل هذه الملاهى وحرقها.. والقنابل والتفجيرات.. وفوق كل هذا انقطاع الكهرباء الطويل

المتكرر.. الزبائن ينصرفون.. لا يطيّقون الجو بعد توقف أجهزة التكييف.. وسرقات تحدث..

وهناك من يخرب المكان مستغلا الظلام أو لأنه لا يدرى ماذا يفعل فعقله غائبا تماما..

لقد حدثت كوارث هنا فى أوقات انقطاع الكهرباء وقيل تشغيل المولد الكهربى.. فى إحدى

الليالى اختفت إحدى الراقصات ولم يعثروا عليها حتى الآن.. لا يعرفون إن كانت قد هربت أم

خطفها أحدهم.. مرة أخرى كان أحد الزبائن جالسا مع زوجته على أحد المناضد ثم انقطعت

الكهرباء.. وعندما شغلوا المولد وجد الرجل زوجته فى حضن صديقه وتقوم ب..

قطع جملته عندما رأى الراقصة تتجه نحو (راضى).. استعد الأخير لتلقى الصفعة

الأنثوية.. لابد أنها آتية لتنتقم..

. أنا آسفة جدا يا باشا لما حدث.
فضحك الرجل . الذى يجلس على المنضدة المجاورة . فى هستريا .

(64)

جلست الراقصة بجوار (راضى) على المنضدة تحتسى الخمر لكنه لم يقربها . أقصد الخمر . حتى يحافظ على ثبات عقله وتركيزه فى الانتقام.. قال لها:

. أنا آسف جدا على ما حدث منى.. لم يكن من اللائق التحرش بك.

. يا باشا.. افعل ما تريد.. أنا تحت أمرك.. المشكلة أن الحراس لا يفرقون بين الناس المحترمين والناس الغير محترمين.. فأنا أتعرض يوميا لتحرشات من ناس دون المستوى ويكون مصيرهم علاقة ساخنة ثم الطرد من المهلى.. أما أنت فشخصية مرموقة محترمة.

. لكنى تحرشت مثلهم بالضبط.

. يا باشا.. أنت تختلف.. أنت تفعل ما يحلو لك.

ثم تجشأت بقوة بطريقة غير لائقة.. يبدو أن الخمر بدأت فى التأثير على سلوكها المهنى والاجتماعى.. تابعت قائلة:

. لو أردت التحرش بالمدير نفسه.. فلتفعل.. وسيكون سعيدا راضيا.

أمسك يدها الناعمة الفارقة فى بحر من الوشوم وقال:

. أنا لا أريد المدير.. أنا أريدك أنت.

. وأنا خادمك.

. لقد تحرشت بك وأريد تصحيح الخطأ والزواج منك.

. يا باشا.. لو أن كل من تحرش بى تزوجنى.. لتزوجت كل يوم خمسين رجلا.

. حسنا.. لقد أحببتك وأريد الزواج منك.

تجشأت مرة أخرى وقالت:

. متى أحببتنى يا باشا؟ أنت لم ترانى سوى منذ دقائق.



قال (راضى) غاضبا:

. لماذا تضعون فى اعتباركم دائما وقتا محددا للوقوع فى الحب؟ ألم تسمعوا عن الحب من الرقصة الأو.. أو.. أقصد.. من النظرة الأولى.

غمزت بعينها وقالت بخبث:

. النظرة الأولى! أين نظرت بالضبط؟

. المههم.. أنا أريدك.

فردت ذراعيها وقالت:

. وأنا موافقة.

. فى الحلال.

. أو فى الحرام.. كما تحب.

. حسنا.. ما هو اسمك؟

. (سوسو).

. اسمك الحقيقى؟

. هل هذا السؤال إجبارى؟

. طبعاً.. لا بد أن أعرف اسمك الحقيقى من أجل عقد الزواج الرسمى أمام المأذون.

تجشأت مرة أخرى وقالت بسعادة:

. مأذون! هل ستتزوجنى حقاً؟ أم تخدعنى مثل باقى الرجال الذين..

قاطعها قائلاً:

. سأتزوجك والآن.

احتضنته وقبّلتها وقالت:

. أنا أحبك.

. حسناً.. ما هو اسمك الحقيقى؟

. (ست الدار).

صدمه الاسم فقال لها:

. حسناً يا (سوسو).. هل تعرفين أين المصور الذى كان هنا؟

تلقت حولها باحثة عنه بينما يقول لنفسه:

. (حنان) و (جوجو) و (شربات) عرفى.. و (سوسو).. أربعة.. ينقص واحدة ويصبح

العدد خمسة.. وتكون لدينا قضية (تعدد زوجات).. أو أضيف اثنين مع (سوسو) بدلا من

واحدة لزيادة التوكيد.. فـ (شربات) عرفى.. وربما لا يتم احتسابها.

أشارت (سوسو) إلى المصور ليأتى إلى المنضدة وقالت:

. هاهو يا باشا.

وعندما وصل المصور إلى المنضدة وقام بالتقاط عدة صور.. رفع يده أمام الكاميرا معترضاً

وقال:

. لا.. لا.. فأنا شخصية عامة مرموقة.. أنا (راضى حسن الشويشان) .. لن أسمح بنشر

هذه الصور فى الجرائد.. أنا عضو مجلس شعب.. وصديق لمعظم الوزراء.. وأعرف السيد

رئيس الوزراء معرفة شخصية.. لا تصوّرنى أرجوك.

وقف المصور شاردا.. لا يعرف ماذا يفعل فسأله (راضى):

. لماذا توقفت عن التصوير؟

. حضرتك الذى طلبت.

. ما اسمك؟

أجابه متباهيا بنفسه:

. (عماد كوداك) .. أحسن مصور فى مصر.

. حسنا يا (عماد) .. هل تعمل فى الصحافة؟

. نعم.

. جميل!

. وأعمل هنا أيضا وفى كل مكان.. أفراح.. مناسبات..

قاطعه (راضى) قائلا:

. لا تصدّع رأسى.. أنا لا أطلب منك CV هنا.

. تحت أمرك.

. حسنا.. لقد طلبت منك ألا تتسرب هذه الصور للصحافة.. لكن صوّرنى وأعطينى

الصور.

أكمل (عماد كوداك) مهمته.. وراح (راضى) يتخذ أوضاع حميمة مع الراقصة أمام

الكاميرا.. يحضنها.. يقبلها.. يشرب الكأس من يدها.. إلخ.. الرقابة لن تسمح بذكر ما فعله

بعد ذلك.

. أنا (راضى حسن الشويشان) .. هذا هو الكارت.. زرنى فى شركتى.. أعطينى الصور

وسأدفع لك ثمنها فى الحال..

..لكن..

..إذا لم أَدفع لك ثمنها أو رفضت إدخالك الشركة.. انشر الصور في الجرائد والمجلات.

ماذا؟

كما أخبرتك.

أشار إلى المصور لكي ينصرف.. ثم التفت إلى (ست الدار) أو (سوسو) يسألها:

ما اسم هذه الراقصة التي ترقص على المسرح الآن؟

نظرت (سوسو) إليها وأجابت:

..(دودو).

اسمها الحقيقي (دولت)؟

..(داليدا).

..حسنًا.. بعد انتهاء رقصتها استدعيها.. أريدها في خدمة.

..خدمة!! وأنا؟.. أنا هنا.. تحت أمرك.

..لا.. أنا أريدها لأتزوجها.

سألته مندهشة:

..وأنا؟

..سأتزوجك أيضًا.. لا تقلقي.

تجشأت للمرة الأخيرة وقالت:

..تتزوجنا نحن الاثنين.. لماذا؟

وسقط رأسها على المنضدة وغابت عن الوعي من أثر الشرب.. أجاب سؤالها ساخرًا:

راقصة واحدة لا تكفي!

قالت (داليدا) أو (دودو) وهي تجلس بجوار (راضى):

..تحت أمرك يا باشا.. لقد أخبرني النادل أنك تريدني.

..نعم.. كنت أريد الزواج منك.

أجابت بدون تردد:

..موافقة.

تعجب من موافقتها السريعة.. إنها لم تسأل حتى عن السبب.. فسألها:

. كيف وافقت بهذه السرعة؟
تنهدت تنهيدة طويلة.. شعر (راضى) معها أنها قد عانت الكثير والكثير جدا.. قالت
وكلماتها تحمل نبرة حزن عميق للغاية:
. لقد تعلمت منذ دخولى هذا المكان الطاعة العمياء.
. كيف؟
. أخبرتنى المعلمة (سماح) كبيرة الراقصات بأهم درس فى الحياة هنا.
. وما هو؟
. قالت بالحرف " إذا أردت أن أعلوفى هذا المكان لابد أن أفتح ساقاى وأفتح يدى وأغلق
عينائى وأغلق فمى.. لابد أن أطيع الجميع طاعة عمياء حتى يأتى اليوم الذى يطيعنى فيه
الجميع طاعة عمياء ".

(65)

سألها (راضى):

.ومتى سيأتى هذا اليوم؟

قالت (دودو) بحُرقة:

.مازلت أنتظر.

أجابها مبتسما محاولا إزاحة الهم عن صدرها:

.ربما لن يطل انتظارك.. ربما اليوم هو يوم سعدك.. اليوم الذى انتظرتة كثيرا.

.ماذا تقصد؟

.سوف أتزوجك وأحقق لك ما تريدين.. هل تريدين اعتزال هذه المهنة؟

.لا طبعاً.. فأنا لا أجيد غيرها.

.ربما أستطيع توفير الحياة الكريمة لك.. ولن تحتاجين للعمل بعدها.

.لا أريد هذا.. لا أطيق حياة ربة البيت والانعزال عن العالم.

.ما الذى تريدينه إذن؟

قالت شاردة فى المستقبل البعيد:

.أريد أن أملك ملهى ليلى.. أكبر ملهى ليلى.. يطيعنى فيه الجميع طاعة عمياء.. الرجال

قبل النساء.. ملهى باسمى ويحمل اسمى بالخارج.. (كباريه دودو) .. وسوف أعمل به راقصة أيضا.

.ألن تعترلى المهنة وقتها؟

.لا بالتأكيد.

.ما الفرق إذن؟

.. هناك فرق كبير بين الرقص هنا والرقص فى ملهى الخاص.. فرق بين راقصة تحت الأقدام وراقصة فوق الأعناق.

.. طالما أنك فى جميع الحالات لن تعترلى المهنة.. هيا بنا لنتزوج ولا تضيعى الوقت.. قبل أن ينام المأذون.

.. يا باشا.. كلامك معسول.. تريد الزواج متى الآن وتحقيق كل ما أتمناه.. لكن إذا جاء الصباح يضع كل هذا الكلام مع انقشاع الضباب.. سوف تطلقنى وقتها.. لقد مررت بهذه التجربة كثيرا.

.. لا.. لن أطلقك فى الصباح.. لن أطلقك قبل أن يعرف.

.. من هذا؟

.. لا تشغلى بالك.

ثم أشار نحو المصور ليأتيه.. فسألته:

.. لماذا؟

قال باسم:

.. أئن نتزوج؟ لابد أن يلتقط لنا بعض الصور بسبب هذه المناسبة السعيدة.

ترك المصور ما كان يفعله واتجه نحوه مسرعا.. سألته فجأة:

.. ما هو اسمك؟ أنت لم تعرفنى بنفسك حتى الآن.

أعطاهما الكارت وقال:

.. إذا لم تجدينى بجوارك على السرير فى الصباحية.. اذهبي إلى عنوان هذه الشركة..

ستجدينى هناك.. لابد أن تذهبي لتشاهدى بنفسك ممتلكات زوجك.

ابتسمت وقبّلت من وجنته وتأبطت ذراعه بسعادة.. سألته عن (سوسو) الفاقدة الوعى:

.. وماذا عنها؟

قال ببساطة:

.. إذا استعادت وعيها هذه الليلة سوف أتزوجها.

كان (راضى) يشاهد التلفزيون وهو جالسا بجوار (دودو) النائمة على السرير فى شقتها.. والبطل يقول لصديقه فى الفيلم المعروض على الشاشة أنه قد ارتكب كل الخطايا التى يمكن تخيلها إلا خطيئة واحدة فقط.. أن يخون صديقه.

قال (راضى) بابتسامة شيطانية:
فكرة!

(66)

تذكر (راضى) الفاتنة (روز) زوجة صديقه (شادى) ..

تذكر مواقفها السابقة معه.. كانت من النساء اللاتي تحب لفت الأنظار سواء بفساتينها الفاضحة أو بضحكاتها الماجنة أو بابتساماتها المثيرة الخبيثة أو بنظراتها الوقحة.. أو بالنكات الجنسية التي لا تخجل من قولها أمام النساء أو.. الرجال.

تذكر أيضا تحرشاتها به.. كانت تتلمسه كثيرا.. وفى أماكن خاصة جدا.. كأنها تمهّد له الطريق.. تكسر جبل الجليد بينهم.. لم يكن يفكر فيها لأنه كان محترما وملتزما فى السابق.. لا يرى سوى زوجته (حنان).. وإذا رأى غيرها مثل (جوجو) .. فكان يتزوجها على الفور.. أما (روز) فهي متزوجة بالفعل.. ومن أعز أصدقائه!.. لذا كانت من رابع المستحيالات بالنسبة له أن يفكر فيها.

أما الآن.. الوضع يختلف كثيرا.. قال لنفسه وهو يتابع الفيلم:
.. يبدو أن الوقت قد حان لفتح بوابة الانحراف أمام (روز) .

انتظر خروج زوجها (شادى) . صديقه العزيز . إلى العمل.. صعد إلى شقته.. طرّق الباب طرقات هادئة.. فتحت (روز) له وكانت ترتدى روب نوم أبيض خفيف يظهر من أسفله قميص نوم أبيض قصير خفيف أيضا بحمالات رفيعة ترتدى أسفله الـ.. لا.. هذا يكفى.. ولنترك الباقي لخيال القارئ..

تعجب كيف تفتح الباب وهى ترتدى مثل هذه الثياب! ألم يخطر ببالها أن الطارق قد يكون اللبان أو الزبال أو مندوب مبيعات! أم أنها كانت تنتظر أحدا فى تلك الساعة؟ يبدو أن الشائعات التي تدور حولها . دون علم زوجها . صحيحة! ملابسها المثيرة شجعت على الموقف

الدنىء والكلام البذىء.. وبدلا من أن يقول لها (صباح الخير).. قال لها مختصرا الطريق والوقت:

. أنا أحبك.

فجأة انقضت عليه دون أن تتكلم وغمرته بالأحضان والقبلات وسحبته إلى الداخل.. وأغلقت الباب!

سألته (روز) وهى نائمة بجواره على السرير بعد أن انتهيا:
. منذ متى وأنت تحبنى؟

قال وهو يحاول أن ينسى ما فعله معها:
. منذ زمن بعيد.

داعبت شعر صدره وهى تقول:

. لكنى لم ألاحظ ذلك.. كنت دائما أراك باردا.
. كنت مغفلا.

. لا تقل هذا عن نفسك.

ابتسم لها ولم يرد فسألته:

. و(حنان)؟

. لا تعلم شيئا.

. طبعاً طبعاً.. وكذلك (شادى).

ابتسم ساخراً.. لم تكن تعلم ما ينتويه.. تابعت قائلة:

. كنت أقصد.. هل تحب (حنان)؟

. طبعاً.. لأنها أم أولادى.

. فقط؟

. طبعاً.. أما أنت.. الحب كله.

. وأنت عمري.

قبلته الخائنة فى سعادة ثم نهضت للاستحمام.. أما هو فكان يفكر مع نفسه:

. ما هى الخطيئة التى لم أرتكبها بعد؟

كان يشاهد التلفزيون الذى يعرض فيلم (Se7en) الذى تدور أحداثه حول محقق متقاعد

وبدله الذين يشتركان فى التحقيق فى سلسلة جرائم مستوحاة من الخطايا السبع المميتة..
(الشهوة) و(الشراهة) و(الجشع) و(الكسل) و(الغضب) و(الحسد) و(الغرور)..
- أظن أنني قد ارتكبت الخطايا السبع.. وجارى البحث عن الثامنة!

خرج (راضى) من شقة (شادى) بعد أن ودّع (روز) بقبلة طويلة.. ثم أغلقت الباب بسرعة قبل أن يراها أحد من الجيران ويتأكدوا من شكوكهم نحوها.. هذا إذا لم يكونوا قد تأكدوا بعد..

دخلت (روز) إلى غرفة النوم بكل نشاط وحيوية من أجل تنظيمها حتى لا يكتشف زوجها أى شيء.. وتذكرت ما قاله لها (راضى):

"إذا احتجت أن تكلمينى.. اتصلى بى على هاتف الشركة.. لا تتصلى بى على الهاتف المحمول.. ربما (حنان) تكون واقفة بجوارى وقتها"

طبعاً ليس هذا هو السبب الحقيقى!

إنه لم يعطها رقم المحمول لأنه لا يملكه أصلاً.. فالرقم القديم لم يعد يعمل.. ورقمه الحالى لن يعطيه لأحد.. إنه يريد أن يتصل على (راضى) الأول.. وهو للأسف لا يعلم رقم هاتفه الجديد حتى الآن.

فإذا اتصلت على رقم هاتف الشركة.. واستطاعت التحدث معه.. سيعرف منها أنها أقامت علاقة معه وأنه قد خان صديق عمره.. ويا لها من صدمة!

وربما يتصنت السكرتير على المكالمات وتنتشر الفضيحة.. أو يعلم فقط أن السيدة (روز) تتصل بمديره كثيراً.. ويشك فى الأمر!

أما (الثانى) فقد اتصل بصديق عمره (شادى) بمجرد خروجه من العمارة.. وقال مغبراً صوته:

- زوجتك (روز) تخونك..

- توقف عن الاتصال يا حيوان.. فى كل مرة أذهب ولا أجد أحداً.

تعجب (راضى) من الرد.. لم يتوقع هذا أبداً.. قال بنفس الصوت الغريب:

- إنها تخونك مع صديقك (راضى حسن الشويشان).. لقد رأيته يدخل عندها منذ قليل.

- أنت كذاب.. هذه أول مرة أسمع فيها عن خيانتها معه.. أنا يمكن أن أشك فى الجميع إلا

(راضى).. إن (راضى) فوق مستوى الشبهات.. إنه رجل محترم.. وأيضاً أعز أصدقائى.. إذا أردت الكذب فعليك إتقان الكذبة.

وأنهى المكالمه!

شعر (راضى) بمرارة شديدة عندما سمع هذه الكلمات.. إن صديقه يثق فيه ثقة عمياء وهو خان هذه الثقة! ربما شعر بالندم أكثر من ذى قبل فى تلك اللحظة بالذات.. قال بغيظ يلتهم جسده:
للاسف.. لقد خنتك يا صديقى! ولم يعد هناك مجال للتراجع أو لتصحيح الخطأ أو للصفح.

كان (الثانى) يجلس فى سيارته يراقب الفيلا.. حتى رأى سيارة (الأول) تغادرها.. انتظر أكثر من نصف ساعة ثم قال لنفسه:
والآن.. حان الدور على (حنان)!
وبدأ فى تنفيذ خطته الجديدة..

(67)

اتصل (الثانى) على (حنان) من رقمه الجديد وقام بتغيير صوته:
..آلو.. إن زوجك يخونك مع امرأة تدعى (شربات) .. إن أردت التأكد من كلامى اذهبى إلى
هذا العنوان.. ستجديه هناك معها.. لقد دخل شقتها منذ دقائق.

كانت خطته كالتالى:

ينتظر خروج (حنان) من الفيلا.. يسبقها إلى عنوان المنزل المشبوه بواسطة طريق
مختصر.. يقابلها هناك وهو شبه عاريا.. لماذا؟ ليثبت على نفسه تهمة الخيانة ولأنه لو ظل
بملابسه ستعلم أنه ليس الأصل.. لديها ذاكرة قوية تجاه الملابس.

سوف يتظاهر أمامها أنه (الأول) ويدافع عن نفسه.. تعود منهارة إلى البيت.. وستطلب
الطلاق بالتأكيد.. وتخبر جميع العائلة.

سيعود (الأول) من عمله.. يجدها منهارة.. وبعد أن يفهم سبب بكائها سيدافع عن نفسه..
ومهما أقسم أمامها بأغلظ الأيمان بأنها ضببطت (النسخة) لن تصدقه.. وستظن أنه يخترع
تلك الحجة ليبرأ نفسه أمامها.. نظرية (يفعل ما يحلوه وإن علمت بالأمر يقول أنه الشبيه)..
حجة تصلح لكل العصور.

وطبعاً إن لم يستطع (الثانى) الوصول قبلها إلى المنزل المشبوه.. سوف تقابل (حنان)
زوجته (شربات) هناك وستعلم منها كل شيء.. وهذا يكفى!

خطة محكمة!

لكنه فوجئ بـ (حنان) تقول له بهدوء وبرود:

..إنه رجل.. ومن حقه أن يفعل ما يحلوه.

(68)

ارتبك (الثانى) عندما سمع جملة (حنان) الغريبة! لا توجد امرأة فى العالم تتلقى خبر خيانة زوجها بهذا البرود.. حتى لو كانت لا تحبه! ما الذى حدث للعالم؟

(شادى) أولا!

(حنان) ثانيا!

لم يعد أحد يهتم بخيانة الأزواج أم ماذا؟.. قال محاولا من جديد:

.. يبدو أنك لم تسمعينى جيدا.. أنا أخبرك بأن زوجك يخونك مع أخرى فى..

قاطعته قائلة ببرود مستفز:

وما شأنك أنت؟

هو يعلم أنها باردة.. لكنه لم يكن يعلم أنها بهذا الحد من البرود! لابد أن يلوم نفسه على إخفاء خبر زواجه من (جوجو) عنها كل هذا الوقت!

(جوجو)!

فكرة! هل يخبرها الآن بشأن زواجه من (جوجو) ويرى رد فعلها؟ هل سيتغير أم لا؟

ثم تذكر يوم اكتشافها للطفل الجديد! تذكر انفعالها الجارف عندما شكت فى زواجه من أخرى وإنجاب الطفل منها!

هناك كثير من النساء تعلم بشأن خيانة أزواجهن ويرضون بالعيش معهم مضطرين من أجل تربية الأبناء فقط.. لكنهم لا يقبلوا أبدا فكرة زواجهم من أخرى.

مبدأ (خيانة آه.. زواج لا).. وربما يطلبوا الطلاق وقتها!

فالخيانة بالنسبة لهن حالات طارئة.. يوم أو ليلة.. مع واحدة أو اثنين.. وقد يتوقف الزوج عن خيانتها فى النهاية ويتوب.. أما الزواج فيعنى أنه فضل أخرى عليها.. سوف ينتقل للعيش

معها يوما.. سوف ينجب منها يوما.. لذا تطلب الطلاق.. قبل أن يطلقها من أجل الأخرى يوما.

قال (راضى) عبر الهاتف:

..وسمعت أيضا أنه قد تزوج من أخرى..

قالت (حنان) ببرود كاد أن ينفجر معه:

..حقه الشرعى.. مثنى وثلاث ورباع.

حاول أن يرمى بآخر قنبلة:

..راقصة اسمها (دودو).

..مبروك له.. أحسن الاختيار.

لم يجد ما يقوله.. عجز تماما عن الفهم.. انتابته حالة خرس لحظى.. ما الذى حدث لـ

(حنان)؟

ثم فهم أخيرا عندما قالت:

..لا تتصل بى مرة أخرى يا (راضى).. لقد أنقذتك من الموت عندما حذرتك.. المفروض أن

ترد الجميل.. لا أن تهدم حياتى.

ماذا؟

..هل كنت تخطط لأن أخرج من الفيلا ثم أذهب للمكان الذى ذكرته فأجرك هناك فى

أحضان عاهرة.. فأتصور أنك زوجى فأطلب منك الطلاق فتطلقنى.. ثم عند عودة زوجى

أطرده من الفيلا لأنه طلقنى وأصبح محرما على؟

لم تكن خطته بنفس السيناريو.. لكنه كان معجبا بذكائها.. أنهى الاتصال شاعرا بالإحباط

بسبب فشل خطته وتمنى أن تتجح الخطط الأخرى.. أما (حنان) فقد عادت إلى هاتف المنزل

ورفعت السماعة المعلقة قائلة:

..أسفة يا ماما.. هل تأخرت عليك؟ لقد كان جرس الباب.. أحد الحراس كان يطلب زجاجة

ماء.. المهم.. هل أعطيت (راضى) جميع الأشياء الموجودة بالقائمة؟ ألم تنسى شيئا؟

لولا أن (الأول) كان عند أمها.. لصدقت (حنان) ما قاله (الثانى).. فهى تشك به منذ

زمن.

الصدفة لعبت دورها فى فشل الخطة!

ذهب (الأول) إلى الشركة فوجد فى انتظاره أول الفضائح.

خمن.. من كان جالسا مع السكرتير منتظرا إياه؟

هل هو (سباعى) الذى اشترى المستند الهام؟ أم (ميزو) جاء ليطمئن على أمور الشقاوة؟ أم (شربات) زوجته الثالثة جاءت لترى شركة زوجها الثانى؟ أم أحد أقارب (إبراهيم نعيم) جاء ليرى القاتل؟ أم (مسعود) صاحب المطعم؟ أم (على النمر) منافسه جاء لينتقم؟ أم (سوسو) الراقصة الأولى؟ أم (دودو) الراقصة الثانية؟ أم (عماد كوداك) جاء ليسلمه الصور ويأخذ حقها ولا سينشرها فى الصحف؟ أم (روز) جاءت تزور حبيبها الجديد؟ أم (شادى) زوجها جاء ليثأر إذا كان قد تأكد من خيانتة؟ أم أصحاب التعويضات؟ ألم أحك لكم عنهم؟

حسنا.. بالطبع لم أحكى كل الخطايا والمصائب والكوارث التى ارتكبتها (الثانى) خلال تلك الأيام.

لا الوقت ولا مساحة الرواية ولا الرقابة تسمح بذكر كل ما ارتكبه خلال هذه الفترة البسيطة.. لقد عاث فى الأرض فسادا.. كأنه الشيطان يسير بيننا.. لا يهدأ إلا إذا ارتكب جريمة.. لم يترك خطيئة إلا وفعلها.. حتى القتل!

ألم أحك لكم عن جريمة القتل التى ارتكبتها أيضا؟

حسنا.. سأحكى أولا عن (أصحاب التعويضات).. كان يقود سيارته بسرعة فى الطرق ويصطدم بالسيارات المارة بجواره متعمدا.. حتى يتسبب فى أضرار لها.. ثم يخرج من سيارته معتذرا لقائدها ويحضر لهم شيكات تعويضا منه عن تلك الأضرار.. ويطلب منهم الذهاب إلى عنوان الشركة لاستلام المبلغ.. أو إلى البنك.

حرر أكثر من ١٠٠ شيك بمبالغ مختلفة خلال تلك الأيام المعدودة.. كان يسعى لإفلاس (الأول) وتدميره اقتصاديا.

أما عن جريمة القتل.. فقد صدم أحدهم متعمدا بسيارته! لم يكتف بالحاق الضرر بالسيارات.. كان يريد أن يؤذى بشر أيضا ويكتب لهم شيكات كتعويض.. لكنه عندما هبط من سيارته اكتشف أن الرجل قد مات.. ومع ذلك كتب الشيك ووضعه فى ملابس القتيل وانصرف بسرعة.

بعد كل هذا.. هل خمنت من الزائر عزيزى القارىء؟

(69)

كانت (دودو) تجلس على المقعد أمام السكرتير تلوك قطع اللادن في فمها وتطرق الأرض بكمبها في توتر.. عندما دخل (راضى).

.. هل سأل أحدا عني؟

قال السكرتير في براءة:

.. الأنسة فقط.

انفلتت ضحكة ساخرة منها وقالت:

.. آنسة!

سألها (راضى) بجدية:

.. من أنت؟ وماذا تريد؟

تعجبت (دودو) من اللهجة الجافة معها ثم تذكرت السكرتير فتفهمت الموقف.. حركت حدقتا عينيها نحو السكرتير وهي تنظر إلى (راضى) وقالت:

.. هل يمكننا التحدث على انفراد؟

تعجب (راضى) من طلبها وقال:

.. حسنا.. كما تشاءين.

ثم دخل المكتب ودخلت ورائه.. وأغلقت الباب.

إن كنت تظن أنها جاءت الشركة مرتدية بدلة رقص لمجرد أنها تعمل راقصة فظنك ليس في محله.. لقد جاءت بملابس محتشمة.

لكنها نسيت الاحتشام بمجرد غلق الباب عليهما.. اندفعت خلف (راضى) تحتضنه وتقبله وهي تقول:

. لقد افتقدتك جدا .

فوجيء (راضى) بما فعلته.. وعندما تجاوز الدهشة دفعها بعيدا عنه وقال:

. ما هذا؟ ما الذى فعلتيه؟ وما الذى تقولينه؟ من أنت؟ وماذا تريد؟

اندفعت نحوه مجددا فمد يده أمامها ليمنعها من الاقتراب وقال محذرا:

. إياك.. سوف أطلب الأمن.

. أمن!

ثم تلفتت حولها وقالت:

. كاميرات.. آه.. آسفة.. لقد فهمت.

ثم اتجهت إلى مقعد أمام المكتب وقالت:

. شركتك جميلة! لم أتخيل أنك تدير شيئا كهذا وحدك!

صاح فيها:

. من أنت يا امرأة؟ وماذا تريد؟

استكرت (دودو) هذه المعاملة السيئة وقالت:

. امرأة! أهكذا تخاطب زوجتك؟

. زوجتى! هل أنت مجنونة؟ سوف أستدعى الأمن فورا.

. تستدعى الأمن لزوجتك لأنها زارتك فى مكان عملك.. بدلا من الاعتذار لأنك تركت

فراش الزوجية فى الصباحية؟

. صباحية!

. نعم.

. هل تتعاطين شيئا؟ أنا لم أرك من قبل فكيف أتزوجك؟

. رأيتى بالأمس وتزوجتى بالأمس.. وعلى يد مأذون.. أنسيت كل هذا؟

. ما الذى تقولينه؟ أنت كاذبة حقيرة.. من الذى سلكك لتقومى بهذه التمثيلية؟

نهضت من مقعدها وقالت:

. على فكرة.. أنا لست متفاجئة! ولقد أخبرتك بهذا بالأمس.. يتبخر كلام الليل المعسول مع

انقشاع الضباب.

. بخار وضباب! أنت مجنونة بالتأكيد.

. لو كنت فعلت العكس.. كنت سأندesh وقتها.. لكنك مثل الآخرين.. نفس النمط.. ظننت

أنك مختلفا عنهم.. على أى حال.. سأنتظر ورقة الطلاق.. أرسلها على عنوان عملى.. أنت تعرفه جيدا.

وهمت بالخروج فسألها:

. أين تعملين؟

. فى الكباريه.. هل نسيت؟

. كياريه!

. نعم كياريه.. أنا راقصة.. أين سأعمل؟ فى المستشفى مثلا!

. راقصة!

ثم قال بغضب فور خروجها:

. فعلتها يا (راضى)!

لم تكن (دودو) هى الزائرة الوحيدة له فى هذا اليوم.. لقد توالى المصائب والكوارث على رأسه.. يتخلص من كارثة فيجد أخرى فى انتظاره خارج الغرفة.. دفع للبعض مالا.. تفاهم من بعض آخر.

انتهى من جميع المقابلات.. فتلقى مكالمة تحمل مصيبة جديدة.. أدرك أن (الثانى) كان يفعل كل هذا ليورطه.. وليس لمتعته!

فى نهاية اليوم العصبى أخبره السكرتير أن هناك مصور اسمه (عماد كوداك) يريد مقابلته وذكر أنه يعمل فى جريدة شهيرة!

. صحافة! هل وصلت الفضائح للصحافة؟

. هل أدخله يا (راضى) باشا؟

. لا.. لا أريد صحافة.. لا مزيد من الفضائح!

لم يكن يعلم أنه بذلك قد جلب على نفسه المزيد منها.. فلقد خرج السكرتير يبلغ عماد بما قاله مديره:

. آسف جدا يا أستاذ (عماد).. لن يستطيع مقابلتك.

. حسنا.. فلنحدد موعد آخر.

. آسف.

فهم (عماد) وانصرف.. تذكر ما قاله له (راضى) بالأمس (إذا لم أدفع لك ثمنها أو

رفضت إدخالك الشركة.. انشر الصور فى الجرائد والمجلات) .. واتجه (عماد) على الفور إلى الجريدة.

أما (الأول) فقد أيقن أن حياته معرضة لخطر داهم محقق.. ويجب التخلص من مصدر هذا الخطر نهائيا.. لا بديل عن ذلك! سيتخلص من هذا الكابوس للأبد.

(70)

شعرت (حنان) بالذعر عندما رأت زوجها يقف أمام مكتبه يطمئن على مسدسه ..
(راضى) .. ما الذى حدث؟ إلى أين ستذهب؟ ما الذى ستفعله؟
قال زوجها بكل غضب:
النذل يريد تدمير حياتي.. يتزوج من راقصة اسمها (دودو) زواج رسمى عند مأذون.
كادت (حنان) أن تخبره أنها سمعت هذا الخبر من قبل لكنها لم تصدقه واعتقدت أنها
مجرد حيلة! قالت له:
طلقها إذن.
أطلقها أنا وأدفع مؤخر الصداق! أطلق امرأة لم أتزوجها أصلا!
والعمل؟
وبدلا من إجابة سؤالها.. فاجأها بمصيبة أخرى:
وتزوج أيضا عاهرة تدعى (شربات)!
قالت مصعوقة:
تزوج امرأتين فى آن واحد.
ضحك بمرارة وقال:
ومن يدري؟.. ربما أكتشف أنه قد تزوج غيرهم.. الله أعلم.. وربما أكتشف مصائب
أخرى فى الأيام القادمة أو الساعات القادمة.. إنه لا يضيع وقته.. ومستمر فى مخطم تدمير
حياتي.. إنه يظن بهذه الطريقة سوف أرضخ له فى النهاية وأرجوه وأتوسل له أن يستلم مكانى
هنا وفى الشركة ليعيش حياتى بدلا منى!
.. وربما هو فعل ذلك من أجل الانتقام فقط.. عندما فقد الأمل فى العيش كإنسان طبيعى!

قال بلهجة حاسمة وهو يخبأ مسدسه فى ملبسه:

. على أى حال.. سينتهى كل شىء اليوم.

اقتربت منه وقالت:

. ما الذى تتوى فعله؟ (راضى).. لا تقتله.

سألها مندهشا:

. هل أنت خائفة عليه؟

. بل خائفة عليك أنت.. أخاف أن تقتله وتدخل السجن.. وأخاف أيضا أن يقتلك.

لم يهتم بما قالته وراح يرتدى حذائه قائلا:

. الوغد قام بحرق سيارة أقوى منافس لى فى السوق.. وكان ينظر للكاميرا لتسجل كل

شىء يقوم به فى المرأب.. لقد دفعت نصف ثروتى اليوم.. تعويضات لـ (النمر).. ولأصحاب

السيارات التى كان يصدمها على الطريق العام ويكتب لهم شيكات.. ودفعت مبالغ أخرى

لتكليم الأفواه وعدم إبلاغ الشرطة.

. يا الهى!

ثم تنبّهت (حنان) لشىء فسألته:

. لماذا دفعت؟ كان يمكن أن تتكر كل هذا وتثبت عدم وجودك فى هذه الأماكن فى تلك

الساعات.. ولديك حجة غياب قوية.. وجودك فى الشركة وسط العمال.

. البصمات واحدة يا عزيزتى.. التوقيع واحد.. الشكل واحد.. وأنا لا أريد أن يعلم أحد أن

هناك اثنين منى فى هذا العالم.. لهما نفس البصمات.. فكيف أثبت وقتها أننى الواحد الذى

كان بالشركة وليس الواحد الذى ارتكب كل هذه الجرائم؟!

ثم تذكر شيئا فقال:

. المفجوع أكل وجبة تكفى لعائلة من عشر أفراد.

سألته مندهشة:

. نصف الأطباق كلها؟

. لا.. أظن أنه ترك معظمها.. لكن المطعم لا يحاسب على ما أكلته.. يحاسب على ما

طلبته.

فى تلك اللحظة دخل الطفلان (وحيد) و(أنس) غرفة المكتب واحتضنا الأب فقبلهما

بسعادة وقال:

. سأذهب فى مشوار وأعود إليكما.. هيا إلى غرفتكما.

عاد الطفلان إلى اللعب في غرفتهما.. احتضن (حنان) وقال لها:
. انتهى للأولاد.

. اطمئن.

. كلمة السر مازالت سارية بيننا.. لا أحد يضمن ما سيحدث.

شعرت (حنان) بالقلق من جملته:

. ألا يوجد حل آخر بدلا من القتل؟

. لا.

. هل تعرف مكانه؟

. سوف أصل له بسهولة.. لدى طرف خيط يتودنى لمخبئه.

. إذن.. لا تقتله وأبلغ الشرطة عن مخبئه.. أخبرهم بجرائمه.. وسوف يتلقى عقابه.

. لا.. هذه الوسيلة لن تصلح أبدا.. كما تعلمين بصماتنا واحدة.. ولو اكتشف أحد هذا

الموضوع ستكون كارثة.. كيف أثبت وقتها أنه هو الجاني وليس أنا؟ كيف أثبت وقتها أنني زوجك

وليس هو؟ كيف أثبت أنني أملك كل هذا وليس هو؟.. لذا لا يوجد حل آخر سوى قتله.

. إذا لم يكن هناك حل آخر غير القتل.. فلتؤجر شخصا محترفا لهذه المهمة.. أخاف أن

يقتلك.. ولا أريد أن تتلوث يدك بدمائه.. لا أريدك أن تدخل السجن.

. سجن! هو ليس مقيدا في أي سجل رسمي.. إنه (راضى الشويشان) في نظر الجميع.. أي

أننى إذا قتلت كائننى قتلت نفسى.. فهل هناك عقوبة على قتل المرء لنفسه؟ هل سمعت من قبل

عن عقوبة الإعدام لمن يقتل نفسه!

. (راضى).. أرجوك.

وبدلا من محاولة التفكير في حل آخر.. قال لها بغضب:

. الوغد القذر يتحرش بجاراتي في بيوتهن.. ويقوم بأفعال فاضحة أمامهن.. يريد أن

يكهرنى جميع جيرانى.. سأقتله.. سأقتله.

كانت (حنان) حائرة.. هل تتصل بـ (راضى) الثانى لتحذره.. حتى يهرب بعيدا ولا يرتكب

أى جرائم أو مصائب أخرى.. وتكون بذلك منعت زوجها من ارتكاب جريمة قتل!

إنها لا تريد أن تنام بجوار قاتل أو تعيش مع قاتل تحت سقف واحد.. لا تريد أن يكبر أبنائها

تحت رعاية أب قاتل!

أب قاتل حر طليق أو أب قاتل مسجون..
ربما يتم القبض عليه متلبسا.. هذا احتمال وارد.
حتى لو كان القتل نسخة أخرى منه لكنها فى النهاية جريمة قتل.. ولا يهم الناس من أين
جاء القتل! أو ماذا فعل القاتل! أو أكان يستحق القتل أم لا!
وربما باتصالها تحافظ على حياة زوجها! فرار المجرم بناء على تحذيرها له سيمنع وقوع
جريمة قتل.. سواء كان القتل هو المجرم أو زوجها..
لكن..

ربما باتصالها به تتسبب فى قتل زوجها! احتمال.
عندما تحذر ذلك المجرم من زوجها.. فسوف يستعد له وربما يقتله.. أما إذا لم تحذره
فستكون المفاجأة من نصيبه.. لن يكون مستعدا.. سيكون قتله فى غاية السهولة!
الحيرة القاتلة! ماذا تفعل؟

كان (حموأة) يستحم عندما سمع صوتا داخل شقته..
. هل هذا أنت يا (أم وائل)؟
هى الوحيدة التى تأتى شقته يوم الثلاثاء.. عندما يبيت زوجها فى العمل..
لكنها لا تملك نسخة من مفتاح شقته..
و أيضا اليوم ليس الثلاثاء!
. هل هذا أنت يا (شاكير)؟
هى التى يمكن أن تأتى فى أى وقت.. ولديها نسخة من المفتاح..
لكنها لا تأتى نهارا..
ولقد قطع علاقته بها منذ شهر عندما اكتشف خيانتها مع ثمانية من أصدقائه.. وثلاثة
من أقاربه.

. هل هذا أنت يا (نيرمين)
لكنها لا تملك نسخة من المفتاح..
ولا يقيم أى علاقة معها..
ولا تعرفه أصلا.
يحبها فقط!

..من هنا؟

خرج (حموأة) من الحمام مرتديا فوطة تغطي عورته.. سمع صوت خطوات لشخص يجري
في شقته.. قال بصوت عال:

..هل أحد هنا؟

دخل غرفة نومه.. لم يجد أحدا على السرير.. ولا أسفله.. ثم نظر إلى الدولاب..
ربما.. مد (حموأة) يده بهدوء ليفتح باب الدولاب.. لم يجد أمامه سوى ملابس معلقة على
الشماعات..

وفجأة..

امتدت يدا من أحد قمصانه.. حاملة سكيناً.. وتلقى الطعنة.

(71)

كادت أن تفقد (حنان) عقلها من الحيرة والتفكير.. وبعد ساعة كاملة حسمت قرارها.. سوف تتصل بالمجرم لتحذره وتطلب منه الهرب وألا يظهر في حياتهما مجددا.. رقمه الجديد سُجل على هاتفها عندما اتصل بها ليخبرها بخيانة زوجها.. اتصلت به وحذرتة فكان رده:
لكنك قد حذرتنى من قبل أنه سيقتلنى.. ما الجديد؟

..لا.. هذه المرة تختلف.. لقد خرج ومعه مسدسه وينوى قتلك.. أما المرة السابقة كانت خدعة بالاتفاق مع زوجى.. كنا نريدك أن تهرب وفقط.
بالنسبة لى لم تكن خدعة.. لا فرق عندى.

.. أرجوك.. اهرب.. لا أريد أن يموت أحدكما.. لو أنك تحبى اهرب.. لو أنك تحب (وحيد)
و(أنس) اهرب.

فاجأها قائلاً:

..من قال أنى أحبك؟

لم تهتم بجملته.. فهو لا يمثل لها شيئاً حتى تغضب من عدم حبه لها.. هى أيضاً لا تحبه.. بل تكرهه بسبب ما فعله لتدمير حياة زوجها..

.. اهرب.. أرجوك.

..لقد هربت من قبل.. لن أعيش حياتى هارياً مطارداً.

..لا أريد مواجهة بينكما.. لا أريده قتيلاً أو قاتلاً.

..اطمئنى.. لن يصل لى.

..لا أظن.. لقد قال أنه سيصل لك بسهولة.. هناك طرف خيط يمكن أن يقوده لك.

كلماتها بعثت القلق فى نفسه.. يمكنه بالفعل أن يصل له لأنه يعرف كل شئ عنه.. إنه

هو!.. أنهى مكالمته مع (حنان) بعد أن طمأنها ثم اتصل على (جوجو) ليحذرها..
 .. (جوجو)
 . (راضى) .. كيف حالك الآن؟ لا تقلق يا حبيبى.. سأحضر معى طبيباً.. أنا فى الطريق.
 . فى الطريق إلى أين؟ وطبيب لماذا؟
 . لقد أخبرتنى أمى بكل شىء.. اطمئن.
 . أمك! أنا لا أفهم.. أخبرينى.
 . لقد اتصلت أمى منذ دقائق وأخبرتني أنك كنت تزورها عندما أصابتك الوعكة وطلبت
 منها أن تتصل بى و..
 . يا إلهى!
 . ما الأمر؟
 . ألم تفهمى بعد؟ أنا لست عند أمك.
 . هل تقصد أن..
 . إنه عندها الآن..
 . يا إلهى! ماما..
 . لا تقلقى عليها.. سأتصرف..
 . (راضى) .. أرجوك..
 . اطمئنى..
 قالت وهى تبكى:
 . يا حبيبتى يا ماما..
 . (جوجو) .. غادرى الشقة حالا.
 ثم انتهت (جوجو) إلى شيئاً ما فقالت بقلق:
 لحظة.. من يضمن لى أنك لست هو؟ ربما..
 قال (راضى) بسرعة:
 . أصبحت ذكية الآن.. حسناً.. ليلة الأمس (كلينتون) و (مونیکا).
 . حسناً يا حبيبى.. آسفة لأننى شككت أن..
 . ليس هناك وقت.. اخرجى الآن.
 . إلى أين أذهب؟
 فكر (راضى) للحظات ثم قال:

. اذهبي إلى جارتك التي تحدثني عنها ليل نهار.. التي تسكن في الدور الثالث.

. (سلوى)؟

. نعم.

. ولا تذهبي إلى شقتك وحدك أبدا.

. (راضى).. ماما يا (راضى).

. لا تقلقي.

xxx

اتصل (راضى) الثانى على هاتف منزل حماته . أم (جوجو) . وقال مغيّراً صوته:

. ألو.. الأستاذ (راضى) موجود؟

تعجبت الحماة أن يتصل أحد بزواج ابنتها على هاتف منزلها.. أجابت:

. نعم موجود.. من أنت؟

. أخبريه أنى أريد التحدث إليه.

. من أنت؟

. إمممم.. أنا.. أأأ.. أنا (أنس).

اتجهت الحماة نحو زوج ابنتها الذى يتظاهر بالمرض أمامها.. قالت له بحنو:

. كيف حالك الآن؟

. الحمد لله.

. هل تستطيع الرد على الهاتف؟.. أحدهم يريد التحدث معك.

. من؟

. اسمه (أنس).

(أنس).. هو لا يعرف أحدا اسمه (أنس) سوى ابنه الجديد.. اتجه للهاتف وسمع:

. (راضى).. أخرجها من الموضوع.. إنها سيدة كبيرة السن وليست لها أى علاقة

بمشاكلنا.

. أنا أريدك أنت.. هى كانت طرف الخيط فقط.

. اتفقنا.. نسوى الحساب بيننا فى الخارج.. رجلاً لرجل.. وليس أمام الناس.. أنتظر

بالأسفل.

خرج (ماندو) من البنك بعد أن وضع عربون العملية الجديدة في حسابه ثم اتجه إلى سيارته.. فتح بابها وجلس خلف عجلة القيادة.. لم ينتبه إلى ذلك الرجل الذى كان يجلس فى المقعد الخلفى.. ومعه حبل قوى صنع منه أنشودة.

فجأة..

شعر (ماندو) بذلك الحبل يحيط برقبته ويعتصرها.. لم يجد الوقت للصراخ.. كان يقاوم بكل قوته.. لكن الحبل كان متينا والرجل كان مصمما على قتله.. لم تمر دقائق حتى توقفت مقاومته نهائيا.. ومازال الرجل ضاغطا على الحبل..

ويضغط أكثر وأكثر..

ثم بعد عشر دقائق من صعود الروح.. قرر القاتل أن يزيع الحبل عن رقبة القتيل..

وضع الرجل الحبل فى حقيبته بهدوء.. وخرج من السيارة.

رآه طفلا فى الشارع فضحك وقال لأمه:

. انظرى يا ماما.. رجل قزم!

(72)

نهض (الأول) بكل نشاط وحيوية أمام حماته التى كانت تظن أنه يموت منذ دقائق.. ودّعها ثم خرج من الباب.. تلفت حوله.. عدّوه ينتظره بالخارج ومستعد لقتله فى أى لحظة! ربما كان ينتظره على الدرج أو أمام الباب مباشرة.. لكنه خرج من العمارة ولم يتأمله بعد! أين هو؟.. وقف أمامها لدقائق.. ينظر إلى المارة.. يبحث عن وجه معين.. وجهه بالضبط.. ثم لمح سيارة بعيدة.. يلوح سائقها له.. إنه أنا.

قالها لنفسه.. ثم لوح له كأى صديقان التقيا بعد فراق.. ابتسم الآخر له ثم أشار للأمام.. ركب سيارته وسار فى نفس الناحية التى أشار إليها الآخر. سارت السيارتين بجوار بعضهما حتى ابتعدا عن الطرق المزدحمة واتجها نحو الصحراء.. ثم بدأ إطلاق النار من الطرفين.. فابتعدت كل سيارة عن الأخرى.. ثم انتهت الرصاصات من كل مسدس.. فحاولت كل سيارة أن تزيج السيارة الأخرى عن الطريق.. كانا السائقين لهما نفس المهارة.. لكن السيارتين مختلفتين.. سيارة الأول هى سيارته الشهيرة التى اعتاد قيادتها.. أما الثانى كان يقود سيارة اشتراها منذ أيام فقط.. ليمارس حياة الخطيئة ويتنقل بسهولة بين أوكار الرذيلة.

سارت السيارتين ملتصقتان ببعضهما كتوءمان فى رحم ضيق.. تحاول كل واحدة أن تدفع الأخرى للخروج عن الطريق..

ثم فجأة ظهرت سيارة ضخمة أمامهما.. لم ينتبها لها إلا فى الوقت الضائع.. حاولت السيارتين تقاديتها.. فسقطتا نحو المنحدر.. سقطوا مريعا.

اتصل (راضى) بزوجته..

.. (جوجو) ..

نعم يا حبيبي.. أين أنت؟ ما الذى حدث؟ هل ماما بخير؟ هل أنت بخير؟

نعم.. اطمئنى.. أمك بخير.. لم تعلم شيئاً.. أين أنت الآن؟

عند جارتى (سلوى) .

حسنًا.. عودى إلى شقتك.. لقد زال الخطر.

اتصل (راضى) بزوجته..

.. (حنان) ..

نعم يا (راضى) .. هل قتلتها؟

نعم.. لقد زال الخطر نهائياً.

يا إلهى!

ودفنته.

لماذا؟

حتى لا يكون هناك اثنين من (راضى حسن الشويشان).

(73)

كان (سلخانة) يسير فى أحد الشوارع عندما سطم ضوء سيارة خلفه.. لم يهتم وأكمل سيره.. ثم لاحظ أن السيارة تزيد من سرعتها.. فاتخذ جانب الطريق ليدعها تمر.
لاحظ أن السيارة غيرت من مسارها لتكون خلفه مباشرة.. نظر للخلف ليتأكد.. كانت السيارة خلفه فعلا.
السفلة الملاعين..

فرّ (سلخانة) من أمام السيارة وهو يفكر فى الشخص الذى يريد قتله.. هل هو (سامبو)؟ يريد أن ينتقم منه لأنه سرق منه عشرة جنيه وعلبة سجائر وفلاشة ٨ جيجا؟ أم (عاشور) لأنه أخذ منه كمية مخدرات ولم يعطه ثمنها حتى الآن؟ أم (مدحت)؟ ربما أخبرهم أحدهم أنه على علاقة غير شريفة بأخته منذ سبع سنوات وأربع شهور وأُسبوعين.. أم (ساطور)؟ ربما أراد أن ينتقم لوجهه الذى تشبه تماما بعد آخر عراك بينهما.. أم المعلم (عسل)؟ ربما اكتشف أنه نام مع زوجته ثلاث ليالى ودفع له ثمن ليلتين فقط؟ أم.....؟
الاحتمالات كثيرة.. له أعداء فى كل مكان.

اقتربت السيارة منه جدا.. لقد تجاوز الشوارع الجانبية وأصبح الطريق أمامه مسدودا.. بيوت عن يمينه ويساره.. وهو لن يصرخ أبدا حتى لا يفقد هيئته بعد ذلك فى المنطقة.. فربما كان الأمر مزاحا فى النهاية..

لقد صدم (سلخانة) بسيارته أربعة من أصدقائه على سبيل المزاح يوما ما.. وكان يقدم لهم بعد ذلك هدايا أثناء علاجهم فى المستشفى.
حاول المراوغة بأن يغير مساره بين الحين والآخر.. لكن السيارة كانت أسرع منه.
صدمته.

ولم تكتف بذلك.. سارت فوقه لتأكد من تحطم عظامه.. ثم عادت للخلف ثم سارت فوق جسده من جديد.. ظلت تسير للأمام وللخلف مرات كثيرة ثم توقفت فى النهاية وعادت للخلف

حتى خرجت من الشارع نهائيا.. توقفت فى ركن مظلم لا يصله أى ضوء.. ثم خرج منها
السائق الصغير وهو يصيح بانتصار:
. جا جا جا جا.

استقبلت (حنان) زوجها بحرارة شديدة.. لم تتخيل أن تقلق عليه كل هذا القلق.. احتوته
بحضن دافئ.. كانت تخشى أن تربي أطفالها وحدها.. أو يربيهما النسخة المجرم.. قالت:
. حمد لله على سلامتك.

وفوجئ (راضى) بذلك أيضا منها.. لقد نسى كلمة (حُضن) فى حياته معها.. الآن يحاول
تذكر الكلمة.. هى من ثلاث حروف حسب ما يتذكر.. حاء وضاء ونون.
أما حياته مع (جوجو) فتتلخص فى ثلاث حروف.. جيم ونون وسين.

فوجئ بزوجه تقول:

. أنت لم تقل لى كلمة السر حتى الآن.

ابتسم وقال لها:

. نسيت.

نظرت (حنان) له بشك وحيرة وقالت:

. حسنا.. قلها.

اقترب منها وقبلها من جبهتها وقال:

. ليس من الضروري قولها بعد الآن.. لم يعد هناك داع لاستخدامها.. حتى أننى سوف
أنقل الحراسة التى بالخارج إلى الشركة.. فالفيلا لا تحتاج إلى حراسة بعد اليوم.. لقد زال
الخطر.. اطمئنى.

وتركها فى منتهى الحيرة!

لأنه قد قال كلمة السر بالفعل رغم كل شئ.. قال (ليس) فى أول الجملة.

دفن جثة فى الصحراء ليس بالأمر السهل.

دخل (راضى) الحمام.. ليتخلص من ملابسه الملوثة بالدم والتراب ويستحم أيضا..
انتهزت (حنان) الفرصة وقررت أن تجرب شيئا.. ربما تستطيع الوصول إلى حل وتنتهى
الحيرة التى تتملكها.

أمسكت هاتفها المحمول وبحث عن رقم المجرم الذى أفسد حياة زوجها.. ستعرف الآن هل هو الشخص الموجود فى الحمام أم هو الشخص الذى دُفن فى الصحراء.
اتصلت به..

الهاتف ليس مغلقا.. هل سيرد أحد؟
إنها تسمع رنين هاتف قريبا منها.. الصوت صادر من..
الحمام!

الهاتف بالداخل معه.. كان فى ملابسه التى خلعها بالداخل وربما يعرف أنها اتصلت به
الآن واكتشفت الخدعة!
يا الهى!

قالتها مذعورة.. ما الذى سيفعله بها؟ هل سيقتلها؟ أم.....؟
لقد قالها (من قال أنى أحبك؟).. تمنى فى هذه اللحظة لو أنه يحبها حتى تطمئن على
حياتها..

لكنه لم يقل أنه يكرهها!
ثم إنه خدعها بتمثيله دور الأصل.. فما هدفه فى النهاية؟ أن يعيش حياته معها وفقط!
.. أين أنت يا زوجى الحبيب؟

قالتها لنفسها وهى تفكر فى زوجها.. الأصل.. هل مات ودُفن فى الصحراء؟
كتمت صرخة كادت أن تفلت منها.. ثم جربت الاتصال برقمه..
ما هذا الذى تسمعه؟

نغمة مسلسل (اللقاء الثانى)

رنة زوجها التى تحفظها عن ظهر قلب والتى اختارتها بنفسها.. تصدر أيضا من داخل
الحمام.. ما الذى يعنيه هذا؟ لا تفهم شيئا!
أحدهما قتل الآخر وحصل على الهاتفين!
وعادت للحيرة مجددا.

(74)

كان (سنجة) يشاهد التلفزيون عندما سمع صوتا غريبا.. فى البداية ظن أنه صوتا صادرا من الفيلم المعروض أمامه على الشاشة.. أوقف الصوت بالضغط على زر Mute فى جهاز التحكم عن بعد.. فسمع الصوت الغريب واضحا:

. جا جا جا جا.

أرهف السمع ليعرف كنه هذا الصوت.. ويخمن مصدره.

لكن..

توقف الصوت فجأة.. فتجاهل الأمر وعاد لمتابعة الفيلم..

" لا.. ليس اينك.. لقد خُنتك يا (ميمى) بك.. إن أبو الطفل هو.... "

وانقطعت الكهرباء..

. اللعنة.

قالها (سنجة) بمنتهى الغضب.. كان يريد أن يعرف من هو والد الطفل!

. حسنا.. سأعرف فى الإعادة.

بحث عن الكشف.. إنه يضعه دائما بجواره على الكومود منذ بدأت خطة قطع الكهرباء

من أجل تخفيف الأحمال.. تحسس بيده على سطح الكومود.. لا أثر للكشف!

. اللعنة على من يقطع الكهرباء.

كان الجو مظلما للغاية لدرجة أنه لا يستطيع رؤية يده.. أفتعه الكثيرين بسرقة مُوَلد

كهربائى من أى محل.. لكنه رفض الفكرة تماما.

كان ينتظر أن يشتري جاره (صابر) واحدا.. ثم يسرقه منه.

مسألة مبدأ!

إن (سنجة) يكره الظلام بشدة.. لا بد أن يجد مصدرا للضوء بسرعة.. ثم تذكر القداحة.. لا بد أنها بجوار علبه سجائره..

كان يقول دائما لأصدقائه أنه ينفق معظم ماله على ثلاث (سين).. ثلاث أشياء تبدأ بحرف السين: (سجائر) و(ستيلا) و(ستات)..

ما هذه الرائحة!

يبدو أنها رائحة غاز..

إنه يكره الظلام.. لا يستطيع الصبر أكثر من ذلك.. يشعر بالاختناق من هذا الظلام! لا بد أن يضىء شيئا..

وبدون تفكير أشعل القداحة ليبحث عن مصدر الغاز.. دون أن ينتبه أن الاثنان لا يجتمعان على خير أبدا.. النار والغاز.

كان حريقا هائلا.. لم تستطع سيارة المطافئ السيطرة عليه إلا بعد ساعات.. وقد تأخرت السيارة نفسها في الوصول للمكان ساعات.

ثم عادت الكهرباء في المنطقة.. ولم يعلم أحد سبب انقطاعها كالعادة.

هل كانت هذه المرة بسبب خطة الحكومة لتخفيف الأحمال؟ أم بسبب خطة الأفرام للانتقام من قتلة رئيسهم د. (نظمي)؟

تم عرض إعادة للفيلم على نفس القناة في اليوم التالي في تمام الساعة الثالثة عصرا.. دون أي فواصل إعلانية.. لكن لم يستطع (سنجة) مشاهدته! أو معرفة من هو والد الطفل!

وقف (راضى) تحت المياه يستحم بسعادة.. لقد نفذ خطته على أكمل وجه.. ثم سمع صوت هاتفه المحمول.. من يتصل به في هذه الساعة؟ لا يعرف هذا الرقم سوى عدد محدود جدا! ثم بعدها بدقائق.. سمع الهاتف الآخر.. رنة (اللقاء الثاني).. لماذا تتصل به زوجته وهي تعلم أنه بالحمام؟ إلا إذا كانت تريد التأكد أنه هو الذي بالحمام.. أم أحد آخر! وربما هي التي اتصلت على الهاتف الآخر قبل ذلك.. يبدو أن الشك يساورها تجاهه! لم يشغل باله كثيرا بها وراح يسترجع بذاكرته مشهد القتل والدفن.. ثم تذكر كلمات القتل الأخيرة:

" هل تظن أنك بقتلى قد انتصرت.. لا.. لا تنس الجرائم والمصائب التي فعلتها في

الأيام الماضية.. ستدفع ثمنها وحدك الآن.. ستحمل كل العواقب دون أن تستطيع لصقتها بأحد"

أجابها وقتها بابتسامة ثقة وهو يحشو مسدسه برصاصات جديدة:
- لا يهم.. سأبنى كل ما هدمته.. سأصلح كل ما تكسر.. سأزد كل ما سرقته.. سأعوض كل من أذيته.. سأطلق كل من تزوجتها مؤخرًا.. وسأعتذر لكل من جرحت مشاعره.
ابتسم (الأول) رغم معاناته من آلامه الناتجة من سقوط السيارة:
- أتعلم؟ ما يسعدني الآن هو أنني ذاهب لعالم أفضل.. لن أحاسب فيه على خطايا ارتكبتها أنت.. عالم يرانا اثنان.. لا واحدا.. وسوف تحاسب فيه على كل الذنوب التي ارتكبتها.. زنا وفجور وقتل و...
ثم تذكر عندما أخرسه برصاصة في رأسه قاتلا بعدها:

" هل تعطيني الآن؟ أنت السبب في كل هذا "

(75)

كان (أبو ميادة) يطهو الطعام فى المطبخ..منتظر عودة (ميادة) من المدرسة حتى يتناولوا الغداء سويا.. ينظر فى ساعته بين الحين والآخر.. المفروض أن تعود من مدرستها فى أى لحظة من الآن.

فكر فى جدول أعمال اليوم..

- يا إلهى.. اليوم مشحون للغاية..

بعد الغداء.. مظاهرة سلمية للحزب الدينى إياه.. لم يأخذ منهم مليما للمشاركة معهم. أمسك زجاجة الزيت التى استلمها منهم ضمن مواد غذائية أخرى.. وراح يصب منها فى الإناء أمامه على الموقد.

بعد العصر.. مسيرة تشجيع وتأييد لمرشح مجلس الشعب عن دائرته..

بعد العشاء.. مؤتمر انتخابى للمرشح المنافس له.

فى السهرة.. سرقة البنك الموجود فى أطراف البلدة.. هذه رابع مرة يسرقونها فيه.. بعد ثلاث مرات ناجحة.

اليوم مشحون جدا!

سمع صوت التلفزيون.. يبدو أن (ميادة) قد عادت.. ارتاح باله الآن فقط.. إنه يقلق عليها كل يوم.. يخاف أن ينتقم منه أحد أعدائه فيتعرض لها.

يود لو أنه يجبرها فى حضنه طول العمر ولا تذهب للمدرسة ولا تخرج إلى الشارع حتى يظل مطمئنا عليها وتحت بصره طول الوقت.. لكنه لا يستطيع.

يبدو أن مزاجها سيء طالما أنها دخلت غرفتها وأشعلت التلفزيون دون أن تتكلم معه.. إنها ابنته ويعرفها جيدا.

لقد وضع التلفزيون هناك فى غرفتها حتى يشغله لها أثناء غيابه بالخارج.
سمع القنوات تتغير بسرعة.. يبدو أن (ميادة) تشعر بالملل.. أو أن هذه طريقتها الخاصة
لتعبر عن غضبها بسبب تجاهله لها.. لقد مرت دقيقتين كاملتين دون أن يسألها عن سبب
ضيقها.. سألها:

.. ما بك يا حبيبتي؟

لم ترد عليه.. القنوات تتقلب بسرعة أكبر.

.. حسنا.. سأأت حالا.. فقط سأطفى البوتوجاز.

توقفت عند قناة الأغاني الشعبية.. ليست هذه عاداتها.. إنها تعشق الكارتون وأغاني
الأطفال.. خاصة أغنية (يا صحابى وصحباتى هنا ومحلل سر).

.. غيرى ملايسك.. حتى نأكل.. لقد جهزت الغداء.

رفعت صوت القناة لأعلى.. لا بد أنها غاضبة منه للغاية وتريد إثارة غضبه..

" يا حبيبى ده اللى يخاف من العفريت... "

إنه يحب الأغاني الشعبية.. يعشقها.. لا يستطيع النوم إلا بسماعها.. لكنه أيضا يكره
الصوت العالى..

.. اخفضى الصوت يا حبيبتي.

" .. يطلع له.. ينزل له.. "

إنه يعشق هذه الأغنية التى تسمعها الآن لكنه لا يزال يكره صوت التلفزيون العالى.. خرج
من المطبخ وهو يسألها:

.. ما بك يا حبيبتي؟ لماذا أنت غاضبة هكذا؟ من أغضبك حتى أقتله و..

" .. يقعد له.. "

فجأة.. سمع جرس الباب أثناء توجه لغرفة ابنته..

.. حسنا يا حبيبتي.. سآرى من بالباب أولا.

نظر من العين السحرية.. رأى ابنته بملابس المدرسة تقف واضعة يدها فى وسطها منتظرة
فتح الباب وفى يدها الأخرى مسطرة لتضرب زر الجرس الذى لا تطوله.

شعر بالذعر.. من الذى يجلس فى غرفة ابنته إذن؟

لم يفتح الباب لها.

ذهب إلى المطبخ وأحضر سكيناً من هناك ثم اتجه إلى غرفتها.. وفتح الباب فجأة..

" عاو عاو.... "

أغلق القزم الباب بعد دخول (أبو ميادة) الذى قال ساخرا:
.. أنت إذن!.. لقد أرعبتني!

كانت القناة لا تزال تعرض الأغنية الشعبية.. الصوت عال جدا.. الاحتمال الأقرب أن القزم لم يسمع ما قاله.

قذف (أبو ميادة) السكين فى الهواء ثم التقطها ليستعرض بعض مهاراته المطبخية أو القتالية.. ثم قال للقزم الواقف أمام الباب المغلق:

.. يمكننى قتلك بسهولة.. لكن لا أريد أن ترى ابنتى دمائك على الأرض.. كيف سأفسر لها الأمر؟ لن تقتنع أنها صلصة طماطم.. ثم إننى سأتعب كثيرا فى تنظيف المكان.

كان الصوت عاليا وخمن أنه لم يسمعه.. الصوت العالى يثير جنونه.. بحث عن جهاز التحكم عن بعد.. فوجد قزم آخر يعطيه له..

.. شكرا.

ثم فوجئ بقزم ثالث يمسك يده الملوحة بالسكين ويعضاها..
.. آآآآآآآآآآ.

أفلت السكين فسقط على الأرض.. فظهر قزم رابع من أسفل السرير.. وأمسك السكين وراح يلعب به.. خرج قزمان آخران من الدولاب.

.. جا جا جا جا.

فرد آخر عليه:

.. جا جا جا جا.

شعر (أبو ميادة) أنها لغة خاصة بهم أو أنهم يسعدون بسماع صياحهم..

.. جا جا جا جا.

.. ما الذى تريدهون؟

ظهر اثنان آخران من أسفل السرير..

ضرب (أبو ميادة) أقرب قزم له.. فهجم الجميع عليه وراحوا يقيدون حركته..

.. اتركونى.. أريد أن أرى ابنتى.. لدى بنت صغيرة.

كانت هذه هى الحجة الدائمة التى يقولها عندما يقع فى أى مأزق أو يتورط مع أى أحد..

ظن أنها ستصلح معهم أيضا وسوف يتركونه لحاله.. لكن ردهم كان مختلفا عن الآخرين..

قالوا قراهم النهائى بشأنه:

.. جا جا جا جا.

صدر الحكم ضده ولا رجعة فيه.. لكن يبدو أن أحدهم كان له رأى آخر فراح يشير بيديه ويقول:

. جا جا جا جا.

لكنهم لم يقتنعوا بالإشارات التى قام بها وقرروا الالتزام بالخطة التى وضعوها.. حملوا الرجل وهو يقاومهم..
. ما الذى تفعلونه؟

رأى نفسه يصعد فوق الأعناق.. لقد اعتاد على هذا الوضع فى المسيرات الانتخابية.. لكن ليس بنفس الطريقة بالضبط.. ثم شعر أن جسده صار بموازاة النافذة.. حاول أن يمنع نفسه من الخروج عبرها عن طريق ساقيه.. لكنهم إزاحوها.. ودفعوا جسده..

رأى (أبو ميادة) العالم خارج نافذته.. وراح يسقط سقوطا سريعا مريعا..
حاول التعلق بأى شىء.. تمنى لو أنه يرى حبل غسيل على الأقل.. أو نافذة مفتوحة يتعلق بها.. لكن لا شىء.. لا شىء على الإطلاق!

خرج الأقزام من الغرفة.. ذهبوا إلى باب الشقة وفتحوه.. قالت (ميادة) متعجبة لمنظرهم:

. السلام عليكم..

. جا جا جا جا.

وخرجوا جميعا بهدوء وأغلقوا الباب خلفهم.

. بابا.. بابا.. أين أنت؟ أنا جائعة.

(76)



قالت (جوجو) لزوجها:

" وعادت (ريما) لعادتها القديمة."

. ماذا تقصدين بهذا المثل؟

. عُدت للمبيت عند (حنان) مرة أخرى.. لدرجة أنني أصبحت أشك أنك هو.

. يا حمقاء.. لا بد أن أتقن الدور أمامها.. كيف أقتنمها أنني هو ثم أبيت خارج الفيلا؟!

قالت بذكاء:

. ولم لا يكون العكس؟ لماذا تتقن الدور أمامها ولا تتقن الدور أمامي؟

سألها ليفهم عبارتها الغامضة:

. ماذا تعنين؟

أجابته ببرود:

. لا تشغل بالك.

ثم سألته:

. إلى متى سيستمر هذا الوضع؟ متى ستخبرها بشأن زواجنا؟

. الصبر يا حبيبتي.. كل شيء بأوان.

قالت بنفاد صبر:

. و عُدت لحياتي القديمة مجددا.. ليتك لم تقتله.. كنت سعيدة معك في الأيام القليلة

الماضية.

. لا تقولي هذا.. سوف أعوضك عن كل شيء.. فقط أحتاج إلى ترتيب أموري.. وإصلاح

كل المصائب التي فعلتها.. لقد أردت تدمير حياته.. لم يخطر ببالي أنني سأعيش هذه الحياة

مجددا فأتحمل أنا عواقب ما فعلته.

قالت بذكاء مدمر:

لماذا لا تخبرها أنني واحدة من تلك المصائب.. وسأكون سعيدة للغاية؟

.. مصائب!

نعم.. أنت أخبرتني أنك تزوجت من نساء دون المستوى حتى تدمر حياته.. لم لا تخبرها أنني واحدة من زوجاته ولا تستطيع التخلص مني لأن مؤخر الصداق عاليا جدا.. لذا أحضرتني إلى الفيلا لأعيش معكم مؤقتا حتى تستطيع تدبير المبلغ وتتخلص من هذه المصيبة.. وصدقتي يا حبيبتي سأكون سعيدة جدا بهذه الحيلة.. أنا حقا مصيبة من مصائب الزمن.

ضحك قائلا:

لا تقولى هذا عن نفسك.. أنا أريدك أن تدخلى الفيلا كأميرة.. كملكة.. المصيبة هذه تقال

عن واحدة مثل (شربات) .. (دودو) .. (روز) ..

.. (روز) !.. أنت لم تحكى لى عن (روز) هذه!

.. هناك أشياء كثيرة لم أحكها لك.

قالت بغیظ وحنق يشويه الغيرة:

.. أظن أنك استمتعت كثيرا أثناء تدمير حياته.

شعر أن الجو سيتوتر بينهما فقام بتقبلها وقال:

.. يا حبيبتي.. كان هذا عملا عمل بغيض وها أنذا أدفع الثمن الآن.

قالت (جوجو):

.. لماذا لا تخبرها الحقيقة؟

.. أى حقيقة؟

.. أنت تفهم قصدى.

.. لا يمكن.. إنها لا تحبنى.. كانت تحب الآخر.

.. لكن..

.. ثم لا تسين أن الآخر قد أخبرها بكل شيء.. أخبرها بكل ما فعلته لتدمير حياته.. وربما

اخترع قصصا من خياله ليشوّه صورتي أكثر.. أنا بالنسبة لها مجرم عتيد الإعدام.. (إيليس)

يسير على الأرض.

شعر أنها لم تقتنع بكل الأسباب التى ذكرها.. فحاول إقناعها:

.. حسنا.. لتفهمى ما أقول.. لو أخبرتك الآن أنني هو.. وحبيبك قد مات.. فهل كنت ستقبلين

دخولى حياتك؟

أجاب على الفور:

.. طبعاً.. أهلاً وسهلاً.. فكلكما واحد بالنسبة لى.. كلاكما زوجى.

تعجب من إجابتها فضحكت قائلة:

.. أمزح معك طبعاً.. كلاكما ليس زوجى.. فالآخر قد طلقنى!

.. لهذا السبب فقط؟!

ابتسمت بغموض واحتضنته ولم ترد.

دخلت (حنان) غرفة المكتب.. فرأت (راضى) واقفاً فى منتصفها وقد قلب الغرفة رأساً على عقب.. الكتب فى كل مكان.. المكتب الكبير تحرك من مكانه.. المقاعد مقلوبة.. هذا المشهد أثار غضبها لأقصى درجة فهى تحب النظام كعينيها.. سألته مندهشة:

.. ما الذى تفعله؟

.. أبحث عن شىء ما.. لا تقلقى.. سأعيد تنظيم كل شىء.

قالت له عارضة خدماتها:

.. ما الذى تبحث عنه؟ ربما أستطيع مساعدتك.

.. لا.. لن تستطيعى.. اذهبنى لتعلمتى على الأطفال.

انصرفت من الغرفة غاضبة حائرة.. تكره الفوضى.. وزوجها يبدو غير طبيعياً.. وعاد الشك إليها من جديد.. هل هو الأصل أم النسخة؟

جلست مع طفليها.. تلاعبهما.. ثم سمعت رنة هاتف زوجها..

.. غريبة! لماذا يتصل بى؟

خرجت من الغرفة واتجهت إلى غرفة المكتب.. لمحت زوجها مازال يبحث ولا يمسك هاتفه.. ربما طلب رقمها وترك الهاتف.

لكن..

شكت فى الأمر.. انتظرت أن ينظر إليها ويستدعيها.. لكنه لم يفعل.. ثم انتهت الرنة.

ترددت.. هل تذهب له أم تنتظر إعادة الاتصال؟

ثم حدثت المفاجأة..

الرنة عادت من جديد.. نظرت إلى غرفة المكتب.. لم يكن زوجها هو المتصل.. لم يكن

يحمل هاتفه! إلا إذا كان قد وضع هاتفه فى خاصية (الاتصال المتكرر) حيث يتصل بالرقم نفسه مرة تلو الأخرى تلقائياً.. ويتوقف الاتصال المتكرر حين يرد الطرف الآخر أو يقوم هو بإلغاء الاتصال أو الخاصية.

كان (راضى) يراها واقفة بثبات بعيداً عن الغرفة.. ثم يكمل بحثه دون أن يقول لها كلمة.. أو يشير لها حتى.. من الذى يستخدم هاتف زوجها ويتصل بها؟

قبلت المكالمات فى المرة الثانية.. وضعت الهاتف على أذنها وسمعت الصوت..

- (حنان).. اهربى بسرعة.

كان صوت زوجها (راضى).

(77)

قبل ذلك بساعات..

نعم.. لايد أن تعود بالزمن حتى تفهم ما حدث فى الفصل السابق..

كان (راضى) يقود سيارته عائدا من اجتماع هام مع السيد الوزير.. فى طريقه إلى الشركة.. عندما سمع رنة هاتف القتيل.. نظر إلى الاسم وقال:

. أول خطوة فى طريق إصلاح الخطايا تبدأ الآن..

ثم قبل المكالمة..

. ألو..

. (روز)..

لايد أنها قد حصلت على الرقم الجديد من ذاكرة هاتف زوجها (شادى).. لا يظن أن القتيل كان على علاقة بها أيضا.. قالت بميوعة لا بأس بها:

. نعم يا حبيب قلب (روز).. يا حياة قلب (روز).. يا عين قلب (روز)..

قاطعها حتى لا تذكر جميع أجزاء جسدها وتتبعها بـ (قلب روز).. قائلا:

. اسمعنى..

. نعم يا (رورو)..

تعجب من اختيار اسم (رورو) كاسم تدليل له.. إن (جوجو) . بخيالها اللا نهائى . لم تفكر فى هذا الاسم.. وحمد الله على ذلك.. فقد بدا الاسم سخيفا جدا.. لكنه أفضل بالتأكيد من (ريرى) لو كانت قد فكرت فيه.. (ريرى) يصلح كاسم تدليل لامرأة أو طفل أو منتج غذائى للأطفال.. لا شىء آخر.

(جوجو) اخترعت مئات من أسماء التدليل له.. معظمها لن تسمح الرقابة بذكره.

. أرجوك.. لا تتأدينى بـ (رورو) ..

. ما رأيك فى (ريرى) ؟

خشى أن يعترض فتقترح ما هو أسوأ: (رارا) ..

. أريد أن أعترف لك.

توقعت أن يخبرها بمدى حبه الشديد لها واشتياقه للقائها مجددا ويمدحها فى إتقانها

لأهم لغة فى العالم.. لغة السرير.

. قبل أن تعترف.. أريد أن أسألك سؤال.

. تفضلى..

. خمن.. ماذا أرتدى الآن؟

قال لها بخشونة:

. لا أعرف.. ولا أريد أن أعرف.. ولا يصح أن أعرف.

صاحت مندهشة:

. ماذا؟

. زوجك أعز أصدقائى.. ولا يمكن أن أخون هذه الصداقة.. ضميرى يؤنبنى.

قالت فى وقاحة:

. علاقتنا أهم من هذه الصداقة.. فلنقطع علاقتك به.. حتى يرتاح ضميرك.. حُبنا أهم.

. سأعترف لك.. فى الواقع أنا لا أحبك.. أنا أحب زوجتى (حنان) .. ولقد فعلت ذلك لأنتقم

منها على فعلتها.

توقع أنه قد صدمها بكلماته.. توقع أنه قد جرح مشاعرها.. توقع أن تنهى المكالمة فى

الحال.. أو تسبّه أو تلعنه بأقنع الألفاظ أو تنعته بأقبح الصفات وهى لديها ذخيرة لا تنضب

من السباب الفاحش.. أو تدعو عليه بعشم أن يستجيب الله لدعائها أو تتوعد بالانتقام لأنه

تلاعب بعواطفها البريئة ومشاعرها الجريئة ورغباتها الدنيئة.

لم يحدث أى شئ من هذا.. فقط سألته بفضول:

. فعلتها! ما الذى فعلته (حنان) ؟ هل خانتك؟

. لا.

. ماذا فعلت إذن لتستحق الانتقام.

طبعاً لن يشوه صورة زوجته أمامها.. حتى لو كان الهدف أسمى وهو التخلص من (روز)

والبعد عن الخيانة.

. لقد نسيت أن تغسل البدلة التى كنت سأحضر بها الاجتماع .

. تغسل البدلة!

. كان هذا الاجتماع مهم جدا .

. والآن؟

. لقد تصالحنا .

قالت لتفويه:

. ألم تفعل أى شىء آخر يستحق الانتقام؟

. لا .

مستمرة فى الإغواء:

. حاول أن تتذكر .. ربما نسيت أن تكوى ملابسك؟ .. أضافت ملحا زائدا للطعام؟ .. نسيت

أن تقول لك (صباح الخير) عندما استيقظت من النوم؟ .. أنا هنا ومستعدة دائما لتحقيق
رغبة الانتقام منها .

. لا يا مدام (روز) .. لن أنتقم منها بهذه الطريقة بعد الآن .

. لكنى أحببت الانتقام بهذه الطريقة .. كان انتقاما شرسا .. انتقاما رائعا .. أجمل انتقام

فى التاريخ .

. لكنى لم أحبه .

. ليس من الضرورى أن تحبه .

. ولا أحبك .

فاجأته قائلة بكل بساطة:

. وأنا لم أطلب منك أن تحبنى .

. ولا أحب الجنس معك .

سألته لتتأكد مما سمعته:

. ماذا؟

. للأسف .. لم أتوقع أنك بهذا السوء .. أنت باردة جدا فى السرير .

وهنا حدث ما تمناه منذ قرون مضت .. راحت تسب وتلعن وتدعو وتتوعد!

(78)

تلقي (راضى) اتصال آخر أثناء مكالمته (روز).. كان من (جوجو) على هاتفه وليس هاتف المرحوم.. أنهى مكالمته (روز).. سيستريح لسانها أخيراً! ثم قبل مكالمته (جوجو) على الهاتف الآخر..
.. آلو..

. (جوجو) .. حبيبتي.

. (راضى) .. أين أنت الآن؟

. أقود سيارتي في الطريق إلى الشركة.

. لا تذهب إلى الشركة وتعالى.

. يا حبيبتي.. اليوم مشغول للغاية.

. أرجوك.. تعالى بسرعة.. هل معك مسدس؟

. نعم.. لماذا؟

. أنا خائفة جداً.. هناك أقزام يقفون أمام الباب..

. أقزام!.. أهاه.

لا بد أنها تمثل الآن دور (سنو وايت) Snow White فى قصتها الشهيرة مع الأقزام

السبعة.

. هذا يعنى أنتى الأمير الساحر الفارس المغوار الذى سيقبلك فى النهاية قبلة طويلة ليعيدك

إلى الحياة.

صرخت بهستيريا:

. أنا لا أمزح يا (راضى) .. تعالى بسرعة.

إنها تجيد التمثيل يا حترافية.. تزداد موهبتها بمرور الوقت.. لو أنه أحد آخر لكان صدقها..
حاول أن يجاريها فقال:
. هل اقتحموا الباب؟
. ليس بعد.. لكنهم يحاولون الدخول.. معهم أدوات.
كانت تنظر من العين السحرية عندما سألها:
. كم عددهم يا حبيبتى؟
أغاضها سؤاله فقالت:
. ما بالك تتكلم بهذا البرود؟
فهم أنها تهين تمثيله كالعادة.. فقال متقمصا الدور:
. لا.. أنا فى الطريق.. سأأت بسرعة..
نظرت من العين السحرية مرة أخرى وقالت بقلق شديد:
. أرجوك.. أسرع.
سألها وعلى وجهه ابتسامة عريضة بعرض البحر الأبيض المتوسط:
. هل قاموا باغتصابك بعد؟
صرخت حتى ظنت أن الأقزام بالخارج قد سمعوها.. وقالت:
. ما الذى تقوله؟
فهم أنه قد تخطى أكثر من مشهد.. ربما تعاتبه على هذا الاختصار.. فعاد يسألها:
. أقصد.. هل دخلوا بعد؟
. لا.. هل أتصل بالشرطة؟
. لا.. اطمئنى.. أنا فى الطريق..
كانت تبكى وهى تقول:
. أرجوك.. أسرع.. سوف يدخلون بين لحظة وأخرى..
. حسنا.. فلننتظر..
. تنتظر ماذا؟
. أنتظر دخولهم وتمزيق ملابسك.. ما الذى ترتدينه يا حبيبتى؟
صاحت بغضب هادر:
. ما الذى تقوله؟

. آسف يا (جوجو).. لقد نسيت السيناريو والحوار لهذه القصة.. ما المفروض أن أقوله

الآن؟

كادت أن تحطم هاتفها المحمول وهى تزارقائلة:

. للمرة الألف.. أنا لا أمزح.

. أعرف يا حبيبتي.. أعرف.. لا مزاح على الإطلاق.. حسنا.. كم عددهم؟

. وهل يهم ذلك؟

. فقط أخبرينى..

. لا أعلم.. إنهم كثير.

. هل هم صفار السن أم كبار السن؟

. أقول لك.. أقزام.

ثم فجأة.. صرخت مذعورة:

. إنهم على وشك فتح الباب والدخول.. أرجوك.. تعالى بسرعة.

. لا تقلقى.. ستجدينى أمامك الآن.

بحثت حولها عن أى شىء تدافع به عن نفسها.. قالت بذعر:

. لا أعرف ماذا أفعل.. هل أصرخ إذا دخلوا؟.. ربما يسمعون أحد الجيران.

. لا.. لا.. لا تحدثى أى ضجة.. أنا قادم.

أسرعت إلى المطبخ وفتحت أحد الأدراج.. ماذا تختار؟ هذا السكن أم هذه؟ أم الساطور؟

. لا.. السكن أفضل.. خفيف.. يمكنها استعماله بسهولة إذا تعرضت للهجوم.. اتجهت إلى غرفة

النوم.. هذا أفضل مكان للاختباء كما ترى فى الأفلام.. قالت:

. أرجوك بسرعة.. أنا سأختبئ فى الدولاب.. لن أتكلم حتى لا يسمعوا صوتى.. سأترك

الهاتف مفتوحا.. أرجوك.. لا تتغلى عنى.

ابتسم (راضى) وقال:

. لا تقلقى.

وأنهى وهو يضحك ضحكة عالية قائلا:

. أحبك يا مجنونة.

مرّ من أمام منزلهما بالضبط فى تلك اللحظة.. لكنه لم يهبط من سيارته.. ألقي نظرة

سريعة عليه وواصل طريقه إلى الشركة وقال مبتسما:

. سبعة أقزام!.. كل واحد له دوره فى الاغتصاب.. مازال أمامى الكثير من الوقت..

المفروض أن أصل قبل أن ينتهى القزم السابع؟ أم المفروض أن أصل بعد ذلك حين تفقد الوعى تماما وتنتظر قبلة الحياة؟

لقد نسى تفاصيل السيناريو الذى كتبته منذ زمن.. وقاموا بتمثيله مرات عديدة! كان يجب أن تطلب منه مراجعته.. سيحاول التذكر أثناء تواجده بالشركة.

أما هي.. كانت تقف فى الدولاب مذعورة.. تمسك السكين بقوة لتشعر بالأمان.. قلبها يخفق بعنف.. مرت دقيقة ثم سمعت صوت تحطم الباب.. أين هم الجيران؟

تمنت لو ينتبه أحد إلى الباب المحطم أثناء صعوده أو هبوطه الدرج؟ أو يسمع أحدهم هذه الضجة فيأتى لتبين الأمر.. ندمت أنها عادت إلى هذه الشقة مرة أخرى.. إلى تلك العمارة التى لا تشعر بأى سكان بها.

سمعت صوت أقدامهم وهُم داخل الشقة.. كانوا يتحركون ويتهايمسون.. نظرت إلى هاتفها المحمول.. لم تجد الخط مفتوحا.. لقد أنهى زوجها المكالمة..
لماذا؟

جعلت هاتفها فى وضع (صامت) خشية أن يتصل بها زوجها ليطمئن عليها فيسمع الأقزام صوت الرنة فيعرفون مكانها.. اتصلت به مرة أخرى.. رأت على الشاشة (الرقم مشغول) لقد ألغى اتصالها.

كانت مصدومة!

تمنت أن يكون قد ألغى اتصالها لأنه فى الطريق.

أين أنت؟

بعد قليل.. سمعت صوت أقدامهم وهم يدخلون غرفة النوم.. إنهم كثير.. تشعر بظلالهم من خلال الفرجة الضيقة بين البابين.

ثم...

" جا جا جا جا "

وفتح قزم منهم الدولاب..

(79)

جلس (راضى) على مقعده فى الشركة.. عاد إليها مجددا.. هاتف القتيل سهّل كل شىء..
وفتح له جميع الأبواب.. ألغى موضوع (كلمة السر) وتأكد الحراس أنه هو بسبب الهاتف
الجديد.

سوف يعيد بناء ما هدمه.. يستعيد ما فقد.. سيحسن علاقته بالآخرين بعد أن أفسدها..
سيحل كل المشاكل التى صنعها..

لكن هناك أمور لا يستطيع القيام بها وحده.. خاصة فى التعامل مع الرافصات والعاهرات
وأصحاب التعويضات.. يجب أن يجبرهم على التخلّى عن العقود والشيكات والتنازل عن
شكواهم فى أقسام الشرطة.

وهو يعرف جيدا أن أفضل من يساعده فى هذه المهمة.. هم خمسة رجال..
كانوا ستة.. لكن (بخاظة) قد مات.

سيطلبون الكثير من المال.. لكنهم فى المقابل سيوفروا عليه مال أكثر.. وسيجنبوه فضائح
أكثر.. سيطلق جميع زوجاته دون أن يدفع مليما.. سيمزق جميع العقود والشيكات.. سيمحى
جميع التسجيلات الموجودة فى كل الأماكن.. سيهدد من يفكر فى مقاضاته.. كل هذا سيتم
بمساعدة الخمس الأشرار.. اتصل بأول اسم خطر بباله (ماندو)..

"الرقم المطلوب مغلق أو غير متاح.. اضغط رقم واحد لإرسال مبنى كول"

. أين أنت يا (ماندو)؟ لماذا تغلق هاتفك؟

اتصل بالاسم الثانى الذى خطر بباله.. (حموأة)..

. آلو.. (حموأة)..

. لا يا باشا.

. من أنت؟

. (شاكيرا).

. (شاكيرا) من؟

. أأأ... صديقتة.

. حسنا.. هل يمكننى أن أكلّم (حموأة)؟

. آسفة يا كبير.

. لماذا؟

. تعيش أنت.

. مات؟

. وجدناه غارقا فى دمه.. إهىء إهىء.. كان زين شباب المنطقة.. ولم يكتفوا بطعنة واحدة..

طعنوه تسع طعنات.

. يا ساتر.

اتصل بالثالث.. (سنجة)

هاتفه مغلق أيضا!

. بملحجية آخر زمن.. يغلّقون هواتفهم.

اتصل (راضى) بالرابع.. (سلخانة)..

. آلو..

. آلو..

. (سلخانة) .. الحمد لله أنى وجدتك.. كنت أريدك فى خدمة..

. أنا لست (سلخانة).

. من أنت؟

. أنا المعلم (عسل).

. أليس هذا رقم هاتف (سلخانة)؟

. نعم.. ولكنى أخذته لأنه كان مديونا لى.

. حسنا.. هل يمكن أن تعطينى رقما له؟

. لماذا تريده؟ أنا يمكن أن أخدمك.. بدلا منه.

. لا.. أريد (سلخانة) .. هل معك رقمه؟
. لقد مات يا أستاذ.
. مات! كيف؟
. سيارة فرمته.. أولاد الحرام كثير.. وهو كان شقيا جدا.
تعجب (راضى) أنه قد مات أيضا يبدو أن حرب عصابات اندلعت فى المنطقة والكل
ينتقم!

اتصل (راضى) بالخامس.. (أبو ميادة) .. الأمل الأخير!
. آلو.
سمع صوت فتاة صغيرة ترد:
. آلو.
خمن أنها:
. ميادة؟
. نعم يا عمو.
. هل يمكن أن أتحدث إلى بابا؟
قالت بصوت متحشرج.. على وشك البكاء:
. بابا مات.
حزن (راضى) على حال البنت اليتيمة.. فسألها باهتمام:
. أين أنت الآن؟
. أنا عند (عمتو).
. لا حول ولا قوة إلا بالله.. البقاء لله.
كان يعلم أنها صغيرة السن لن تفهم ما يقوله ولن تفهم كيف ترد فى مثل هذه المواقف..
لكنه قالها لينهى حديثه معها.
وإشياء القدر.. قبل أن ينهى المكالمة بثانية واحدة.. أن يسمع كلام البنت الصغيرة فيتوقف
إصبعه فى الهواء..
. لقد قتلوه يا عمو.
سألها بقلق:

..من؟

كان يعلم أن مشهد وفاة الأب في الصغر يؤثر على الأطفال تأثيرا نفسيا كبيرا.. فما بالك
بمشهد مقتلهم؟!

أجابته قائلة:

..الأقزام.

..من؟

..لا أحد يصدقني.. لكني رأيتهم بعيني والله.

..رأيت من بالضبط؟

..الذين قتلوا أبي.. أقزام كثيرين يا عمو.. هم الذين ألقوه من النافذة.. لقد خرجوا من
الباب أمامي.. كانوا مثلي في الطول.. كلهم يشبهون بعضهم كأنهم نسخة واحدة.

..لا بد أنك كنت تحلمين يا حبيبتي.. ربما شاهدت (سنو وايت) وال..

توقفت الكلمات في حلقه..

..أنت لم تصدقني مثلهم يا عمو.

قال لنفسه (هل هذا ممكن؟) .. أنهى الاتصال فورا واتصل بزوجته ليطمئن..

.. (جوجو) .. أرجوك ردي.. (جوجو) ..

لا ترد!

القلق والتوتر يزداد.. وهو لا يصدق حدوث الفكرة المرعبة التي خطرت في باله.. (جوجو)
كانت في خطر حقيقي وتستجد به وهو ظن أنها تمثل وتخلى عنها.

شعر أن الدنيا تسود أمام عينيه وهو يضع الهاتف المحمول على أذنيه ويُنْتَظَر سماع صوتها
الجميل ليطمئن عليها..

فجأة..

لم يعد يسمع رنين الاتصال..

الخط مفتوح..

.. آلو.. (جوجو) .. الحمد لله أنك بخير.. (جوجو) .. آلو.. (جوجو) .. لماذا لا تردين؟..

آلو..

لم يسمع صوتها..

بل سمع الطرف الآخر يقول له بكل ثقة:

" جا جا جا جا "

وسقط الهاتف المحمول من يد (راضى) فى ذعر.

وصل شقة (جوجو) بعد فوات الأوان..

كان الباب مفتوحا.. لم ينتبه أحد من الجيران لما حدث حتى الآن..

أما هى فكانت فى غرفة النوم.. تحمل سكيناً فى يدها عليها دماء.. ربما استطاعت جرح قزم أو اثنين بها.. لكنهم تمكنوا منها فى النهاية.. المنظر كان بشعا.. طعنات فى أماكن كثيرة متفرقة من جسدها.

جلس (راضى) على الأرض واحتضنها وسالت دموعه بغزارة فوق وجهها الملطخ بالدماء.. (جوجو) التى كانت تنبض النشاط والحيوية.. صارت جثة هامدة.

كانت تطلب منه أن يأتى بسرعة لنجدها لكنه ظن أنها تقوم بالتمثيل كمادتها.. ثم تذكر جملة الشهيرة لها "يوما ما.. سيقتلك خيالك هذا"

لقد ظن أن الهجوم من خيالها.. لو أنه لم يعتاد على هذا المزاح منها لكان أنقذها الآن.. ثم فكر فى الاحتمالات الأخرى ليربح ضميره: ربما لم يكن يستطيع إنقاذها.. ربما كان سيصل بعد فوات الأوان.. وربما لو وصل لم يكن يستطيع التغلب عليهم.. ربما كانوا كثيرين جدا و مسلحين.. لقد استطاعوا قتل رجال من محترفى الإجرام فما الذى كان باستطاعته أن يفعله من أجلها؟

لكن لماذا قتلوها؟ ما الذى فعلته لتستحق القتل؟

ثم تذكر ما قالته (ميادة) البنت الصغيرة (كانوا مثلى بالضبط فى الطول.. كلهم يشبهون بعضهم كأنهم نسخة واحدة)..

. مستسخين!

قالها لنفسه وحاول ربط الأمور ببعضها..

نحن نعلم أنه ليس (راضى) الذى هاجم الفيلا مع الست رجال.. الآخر قد مات..

هذا (راضى) الذى قضى ليلته مع (جوجو) مدعيا أنه فى قسم الشرطة.

لذا هولا يعلم شيئا عن الأقزام ولا القبول ولا الحراس المستسخين ولا المرأة المجنونة!

ثم تذكر الصيحة:

" جا جا جا جا "

إنها مألوفة بالنسبة له.. نعم.. كان يسمعها من أطفاله..

هل.....؟

ثم تذكر زوجته (حنان) عندما كانت تقول أنها ترى أطفالا آخرين فى الغرفة.. هل

كانوا...؟

يا الهى!

هل كانوا الأقزام معهم طوال الوقت؟

(80)

اتصل (راضى) بـ (حنان) بسرعة ليحذرها.. ربما سيقتلوها أيضا كما قتلوا (جوجو)..
لم ترد فى المرة الأولى لكنها ردت فى الثانية:
- (حنان).. اهربى بسرعة.
سألته (حنان) متعجبة:
. من أنت؟

. أنا (راضى) زوجك.. ألا تسمعين؟
- إذا كنت أنت (راضى) زوجى.. من الذى يقف فى غرفة المكتب الآن؟
صدمه السؤال.

كان يريد تحذيرها من هجوم الأقسام.. فاجأته هى بشئ لم يخطر بباله قط! هناك
(راضى) آخر فى الفيلا الآن..

لكنه متأكد أنه قد قتل ودفن الآخر.

من أين أتى هذا الرجل؟

لقد تخلص من واحد.. يظهر له آخر.. كيف؟

هل الدفن يكون سببا فى ظهور جثة جديدة؟ كيف حدث هذا؟

قام (راضى) بوضع جثة (جوجو) بهدوء على الأرض ونهض ليسأل (حنان):
.. ماذا تقولين؟

. أقول أنك موجود أمامى فى المكتب.. من أنت إذن؟ أو من هو إذن؟

. هل هو يشبهنى؟

. تماما.

. هل تحدثت معه؟

. نعم.

. ماذا قال لك؟

. كنت أسأله عن حملة التفتيش التى يقوم بها فى غرفة المكتب وهل يمكن أن أساعده فى البحث عن ضالته.. فرفض.

. زفرت بغضب وأردفت:

. هل كذبت علىّ عندما أخبرتني أنك قتلته ودفنته؟ أخبرني الحقيقة.

. لم أكذب عليك.. صدقيني.

. من هذا إذن؟

. لا أعلم.

. عادت لتسأله بقلق:

. هل ذهبت إلى المستشفى؟

. ماذا؟

. لكى تصنع نسخة جديدة منك بدلا من التى ماتت؟

. لا.. طبعاً.

. ثم قال دون أن يفكر فى عقبات ما سيقول:

. المفتاح سلمته له قبل أن يموت.. وحدث ذلك أمامك.

. وضعت (حنان) يدها على فمها لتمنع نفسها من الصراخ وارتعد جسدها كله من هول

الفكرة ثم قالت:

. يا الهى!

. ماذا؟

. اكتشفت الحقيقة الآن.

. أى حقيقة؟

. لقد اعترفت بلسانك.. أنك أعطيت المفتاح له.

. نعم.

. هذا يعنى أن الذى مات هو الأصل وأنتك المجرم الحقيق الذى مارس كل أنواع الرذيلة

ليدمر حياتنا.

(81)

"حنان.. اسمعيني جيدا.. قد أكون ارتكبت جرائم لا تتخيلينها في الأيام السابقة لكن هذا لأنى كنت منبوذا من الجميع.. أما الآن فلقد عدت إلى طبيعتي.. ستجدين منى كل حب ووفاء وحنان ورعاية"

قالها (راضى) محاولا الدفاع عن نفسه فقالت (حنان) وهى تبكى:

.. لا يهمنى كل ذلك.. لأنى لا أعرفك.. أنت لست زوجى.

.. أنا زوجك يا (حنان).. صدقيني.. إن الذى مات كان يخدعك.. أنا الأصل وهو النسخة!

.. إذا كان هذا صحيحا.. فلماذا تركتني كل هذه المدة أعيش مع شخص غيرك؟

لم يستطع الرد.. كان السؤال صعبا.. يعنى أنه كان زوجا ندلا.. ترك زوجته تعيش مع آخر.

.. اسمعيني يا (حنان).. الوقت ضيق.. وهناك خطر شديد.. لا بد أن تأخذى الأطفال

وتهربى بسرعة من الفيلا.

.. أهرب من ماذا؟

.. أولا: من الرجل الذى يدعى أنه زوجك.. إنه مجرد نسخة..

.. أى أنه مثلك!

.. (حنان).. أنا الأصل.

.. من صنع هذه النسخة إذن؟

.. ربما هو.

.. أنت قلت بنفسك أنك أعطيتة المفتاح لأنه لم يكن لديه واحدا.. لقد أخبرنا بنفسه أنه

قد تخلص من مفتاحه.. لأنه ندم على صنع نسخة أخرى منه.. فمن الذى صنع هذه النسخة

الجديدة؟

.. لا أعلم.. لكنى متأكد من نفسى.. أنا لم أصنع أى نسخ منى.
.. من هذا إذن؟ هل كان هناك ثلاثة (راضى) طوال الوقت؟ أم أنتى سأجد نسخة جديدة
منك كل بضعة أسابيع؟
.. سنعرف كل شىء.. المهم أن تهربى الآن منه.
.. لماذا أهرب منه؟ ربما المفروض أن أهرب منك أنتى أيها المجرم السفاح.
وأنهت المكالمه.

دخل (راضى) من بوابة الفيلا حاملا مسدسه.. ندم أنه نقل رجال الحراسة إلى الشركة..
لقد تعجل فى إصدار هذا القرار.
الجو هادى جدا.. هادى لدرجة تثير الريبة.. فتح باب الفيلا بهدوء ودخل..
ثم تلقى ضربة قوية على رأسه أفقدته الوعى على الفور..
عاد إلى وعيه.. وجد نفسه مقيدا على أحد المقاعد.. وزوجته مقيدة على مقعد آخر بجواره..
كانا جالسين فى غرفة المكتب.. حاول التخلص من قيده لكن الحبال كانت قوية.
" لا تحاول "

سمع (راضى) صوت مثل صوته فى الغرفة.. كان القائل جالسا خلف المكتب..
.. من أنت؟
قال بهدوء:
.. أنا أنت.. كما ترى.
.. لكن.. كيف؟
اقترب الرجل بوجهه من الضوء وقال:
.. ألا تعلم حقا؟ ألا تتذكر؟
.. لا.. أنا متأكد أنى لم أصنع أى نسخ منى..
ثم التفت إلى (حنان) المقيدة بجواره وأردف:
.. صدقنى.
أشار الرجل نحوه وقال بصدق:
.. صدقيه.
نظرت له (حنان) دون أن تنطق بحرف.. سأله (راضى):

. من أنت إذن؟

أجاب بفخر وهو يشير نحو نفسه:

. أنا الأصل.

اعترف (راضى) قائلًا:

. لا.. أنا قتلت الأصل ودفنته.

قالت (حنان) بغضب:

. أيها الوغد الجبان الحقير.

أما الشخص فقال:

. صدقيه.

لم يهتم (راضى) بالسباب الذى تلقاه من (حنان) .. كان يريد أن يفهم:

. ما الذى تعنيه؟ كيف تكون الأصل وتقول انى قتلتك؟

. أنت لم تقتلى.. أنت قتلت الأصل بالنسبة لك.. أما أنا.. أنا الأصل بالنسبة للقتيل.

قرائى الأعزاء..

حتى لا يحدث أى خلط..

سنطلق على ذلك الشخص لقب (الأصل) ..

لأنه يختلف بالتأكيد عن (راضى) الأول و(راضى) الثانى..

تابع الأصل قائلًا:

. أنا البداية يا حضرات.. بداية كل شىء.. بداية الحكاية..

حكاية حب!

(82)

قال الأصل:

. سأحكي لكم كل شيء.. وأرجو عدم المقاطعة حتى تعرفوا الحقيقة كاملة.. الوقت ضيق جدا.

الحكاية عبارة عن قصة حب.. أجمل قصة حب وأغرب قصة حب! تعود إلى سنوات قريبة.. سيع سنوات.. ربما أكثر.. عندما كنت أحب (شيرين). ثم التفت إلى (راضى) وقال:

. طبعاً أنت تعلم مدى حبي الشديد لها لأن ذاكرتنا واحدة.. وبالتالي ذاكرة العواطف واحدة.. لذا أنت تمنيت مثلى بالضبط أن تتزوجها.. بالتأكيد.

. (شيرين) بنت عمى (وحيد) المليونير.. الفتاة الجميلة المثيرة المرحّة المثقفة العائدة من الخارج التي رفضت الجميع واختارتني أنا.. لكنها فى أحد الأيام أخبرتنى بأخطر سر فى حياتها.. أنها مصابة بالإيدز.. طبعاً أنت تعلم كل هذا يا (راضى) وتعلم ما حدث بعد ذلك.. لكن (حنان) لا تعلمه لذا كان لا بد أن أقوله!

عشت أيام فى عذاب بين الحب الضائع وبين الرغبة فى الحياة.. أريد أن أعيش معها ما تبقى من عمري.. وفى نفس الوقت أريد أن أعيش.. حياتى مهددة بالموت إذا تزوجتها.. وحياتى فى البعد عنها هى الموت نفسه!

تمنيت الزواج منها حتى لو سأموت فى الصباحية.. حتى لو كانت مدة زواجنا ساعة واحدة.. كنت أحبها بجنون.. لكنى خشيت الموت.. وقلقت على والدتى أن يعيشا بدونى.. من سيهتم بهما من بعدى وأنا ابنتهما الوحيد؟ من سيرعاهما؟ إذا سافرت أو إذا مت.. من سيسأل عنهم؟

وفى ليلة لا أنساها.. كنت أجلس فى أحد الكازينوهات.. تحدثت مع الشخص الوقور الجالس بجوارى.. تحدثنا فى كل شىء.. حكينا مشاكلنا لبعضنا.. وحكى له قصة حبى لـ (شيرين) ورغبتى فى السفر معها والزواج منها حتى لو مُت بعد ذلك مباشرة.. ورغبتى فى البقاء لأرعى والدى..

رغبتى فى أن أكون اثنين فى وقت واحد.. واحد هنا وواحد هناك.
بدأ يحدثنى عن الاستساخ والنعجة (دوللى) ونظريات علمية معقدة وتجارب سرية فى أنحاء العالم عن الاستساخ.. لم أفهم شيئاً منه.. وظننت أنه أحد العلماء المهاويس الذى ينتهز أى فرصة ليعرض ثقافته علينا.

أعلنت رأىى له فى الموضوع.. قلت أن الاستساخ الذى يتحدث عنه لن ينجح مع البشر أبداً.. وإذا نجحت هذه التجارب فذلك سيكون فى المستقبل البعيد أى أننا سنكون موتى وقتها.. وسوف تحرّمه كل الدول.. سيعترض عليه الجميع بداية من رئيس الدولة ورجال الدين والقانون نهاية بالمواطن العادى البسيط.. أى أن الموضوع كله أحلام.. وفى النهاية أحلام ممنوعة!

فوجئت به يعرض علىّ عرضاً لم أتوقعه قط.. أن يقوم باستساخى.. وفى نفس الليلة.. لكن بشرط واحد فقط.

ظننت أنه عالم مخبول لذا جاريته فى الحديث ووافقت على شرطه الوحيد.. لا بد أنك خمنت أن هذا العالم هو..

قال (راضى):

د. (نظمى)؟

نعم.

اعترض (راضى) قائلاً:

لكنى لا أذكر أى قابلته من قبل.

دعنى أكمل...

قال الأصل:

أخبرنى أنه فى الصباح سيكون هناك اثنين منى.. أنا سأسافر إلى الخارج لأتزوج حبيبة قلبى (شيرين) وأعيش حياتى كما أريد.. أما النسخة فسوف تظل هنا لترعى والدى.. أو والديها.. أو والدينا إن أردنا الدقة..

وطبعا لن أثق فى أحد أكثر من نفسى بشأن رعايتهما.
وفى حالة الموافقة.. سأوقع معه عقدا بالتنازل له عن أول ابن لى.. والتبرع بجثته من أجل العلم.. هذا هو الشرط الوحيد! قال أن السوق فى احتياج لأعضاء أطفال.. فوافقت طبعا.

قال (راضى) بغضب:

.أيها الوغد الحقير.

قالت (حنان) وهى تكاد تمزق قيدها من أجل افتراسه:

.أيها الخسيس.

قال الأصل:

.مهلا.. يبدو أنكما فهمتما خطأ.. أنا لن أتبرع بولدى نفسه.. أنا أتبرع بولدكما.

قال (راضى):

.ولهذا نحن غاضبين!

أما (حنان) فقد علقت:

.عذر أقبح من ذنب!

تابع الأصل:

.يبدو أن الفهم الخاطيء لا يزال مستمرا.. أنا لا أتبرع بولدكما نفسه.. أنا أتبرع بنسخة منه.. لكن لن نذكر ذلك فى العقد طبعا.. لن نقول أنه نسخة! فى النهاية سوف تحتفظوا بولدكم.. لن يمسه سوء.. ولن تعلموا بما حدث.. ويحصل د.(نظمى) على غايته.. طفل جديد بلا أبوين يفتقدانه.. ما الضرر فى ذلك؟

كانا يريدان التهامه.. القيود هى ما تمنعهما عن ذلك.. لو أطلق سراحهما الآن لن يتبقى منه شيئا.. قال لهما:

.لم أكن أعلم قيمة الابن.. كنت مشغولا بالزواج من (شيرين) وقطعت.. الزواج أهم عندى من الإنجاب.. غريزة الجنس أهم من عاطفة الأبوة.. وكنت أظن وقتها أن الموضوع كله ليس جادا.. ثانيا: وافقت لأنه لن يكون ابنى.. ولن يكون ابن النسخة كذلك.. إنه فى النهاية نسخة من ابن النسخة.

سأكون وقتها قد مت فى الخارج بسبب انتقال الفيروس لى.. وسيتم استنساخ ابن النسخة فى المستشفى.. ولن تعلم النسخة شيئا عما جرى لابنها.. يعود الابن لأبويه.. وتذهب نسخة الابن للمدير.. والكل يكون سعيد فى النهاية.

قال (راضى):

. إذن حياتى كلها بدأت بسبب رغبتك فى الزواج من (شيرين).

قال الأصل مصححا له:

. لا يا عزيزى.. حياتك أنت بدأت بسبب رغبة المرحوم . الذى قتلته . فى التأكد من نسب

الطفل له.. أما حياته هو. الله يرحمه . بدأت بسبب رغبتى فى الزواج من (شيرين).

. لو أنك فكرت جيدا فى الموضوع ستعرف أن كل شىء بدأ بسببك أنت.. فلو أنك لم تفكر فى

البداية فى استنساخ نفسك.. لما وجد هو من الأساس حتى يفكر فى استنساخ نفسه.. أى أنك

لو كنت قد رضيت بالأمر الواقع منذ سنوات لما ظهر هو أو أنا.. لكن كل هذا قد حدث بسبب

أنانيتك وحيك لذاتك.

اعترض الأصل قائلا:

. أنانيتى! كيف تقول هذا؟ لم أعرف يوما أن الذى يقبل الموت أنانيا؟ لقد اخترت لنفسى

الموت.. واخترت له الحياة.. كنت أعلم أنى بزواجى منها سأموت.. وتركته هو يعيش من أجل

رعاية أبى وأمى.

سألته (حنان):

. ولماذا تختار الموت لنفسك؟

ابتسم الأصل وأجاب:

. من أجل الحب.

ثم التفت إلى (راضى) وقال له ضاحكا:

. كيف تحاسبنى وأنت أنا؟ إن ما حدث كله كان اختيارنا يا عزيزى!

. ألم تقل الآن أن حياتى بدأت فقط منذ مدة قليلة؟

. نعم.. ولكن عقلنا واحد وتفكيرنا واحد.

. المخ واحد.. لكن تفكيرنا مختلف الآن.

قالت (حنان) لتتهى هذا الجدل:

. وقعت العقد وقمت باستنساخ نفسك ثم....؟

. لا.. لم أستنسخ نفسى.

صاحا الاثنان فى نفس واحد:

. ماذا؟

ابتسم ابتسامة شيطانية مخيفة وقال:
- استسخت (شيرين).
وكانت مفاجأة صادمة للآتين.

(83)

قال (راضى):

. كيف ومتى ولماذا؟

ضحك الأصل وقال:

. إذن أنصتوا لى ولا تقاطعوني وستعرفوا كل شىء..

فى احدى الليالى.. كان د. (نظمى) متأهبا لاستنساخى لكنى فكرت فى عواقب الأمور وأدركت أنه.. أولا: لا يمكن استنساخ نفسى قبل استعادة (شيرين) والتأكد من الزواج.. ثانيا: لا يمكن استنساخ نفسى إلا فى ليلة سفرى مباشرة حتى لا يكون هناك اثنين منا يعيشا فى بلدة واحدة.. ثالثا: لا يمكن أن أتزوجها وأسافر معها أمام الجميع وفى نفس الوقت أبقى هنا لرعاية أهلى.. كيف أفسر ذلك؟.. رابعا: لا يمكن أن أصنع نسخة منى تعلم جيدا أنها نسخة وأنها بقيت لرعاية الوالدين وتعلم أننى صنعتها لأتزوج (شيرين) وأسافر معها.. كيف أضمن أنها لن تحل مكانى؟

سألته (حنان):

. إن كنت قد ألغيت الفكرة.. من قام باستنساخك إذن؟

. لا لم ألغها.. فقط قمت بتأجيلها حتى أستطيع التفكير فى حل لكل هذه المشكلات.

سأله (راضى) باهتمام:

. لماذا استنسخت (شيرين)؟

. بدون طرح أسئلة.. ستعرفون كل الإجابات..

اقترح الأصل على د. (نظمى) أن يقوم باستنساخ (شيرين) .. وتأجيل استنساخه إلى يوم سفره .. قام بتوقيع العقد حتى ينفذ له ما يريده .. قال د. (نظمى) وهو يضع العقد فى جيبه بسعادة:

لكن لابد أن تحضرها إلى المستشفى حتى أستطيع استنساخها.

لا بد أن أخطبها من جديد .. حتى أستطيع إقناعها بأى شىء ..

اتصل الأصل بـ (شيرين) .. لم ترد عليه فى البداية .. وبعد محاولات عديدة ردت .. اعتذر لها وطلب منها أن يزورها فى بيت أهلها .. جلس معها على انفراد .. أخبرها بمدى حبه الشديد لها وأنه فكر جيدا فى الموضوع وأدرك أن حبه لها أقوى وأكبر من أى شىء ولن يفرقه عنها أى مرض.

يا (شيرين) .. لو أنى سأموت فى هذه الساعة أود لو أموت بين ذراعيك .. لو لم يبق فى العمر سوى دقيقة لتمنيت أن أقضيها فى حضنك .. بين يديك أو تحت قدميك .. المهم أن أكون بقربك .. لو أن الموت اختيار وأتيت لى فرصة اختيار سبباً لوفاتى لاخترت أن أموت بحبك .. أو أموت مضحياً بحياتى من أجلك.

الكثير والكثير من هذا الكلام الرومانسى الذى يسرق القلوب .. ألقاه الأصل على مسامع (شيرين) طوال ساعات .. ليقنعها بإعادة الدبلة إلى إصبعها.

كلمات ملتبة خرجت من القلب إلى القلب .. فهو كان يعشقها لأقصى درجة .. لذا لم يجد صعوبة فى إقناعها بحبه .. وبأنه سيجرّص على إسعادها طول عمره.

بعد هذا الحديث العاطفى الساخن انصهرت (شيرين) تماماً وقبلت اعتذاره .. وأعادت الدبلة إلى إصبعها .. ولولا خوفها من كلام الناس لأحضرت المأذون وتزوجته فى تلك الساعة .. لم تكن المسكينة تعلم خطته القذرة!

قال (راضى):

أنا لا أتذكر أى شىء من هذا .. لقد فسخت خطوبتى من (شيرين) وأصابتنى صدمة عصبية ثم تخطيتها وانتهى الأمر.

ضحك الأصل وقال:

لا تندهش.

كيف؟ المفروض أن أتذكر كل هذا .. لأنه قد حدث قبل الاستنساخ.

. كنت سأشرح كل شيء فى حينه.. لكن.. حسنا.. السبب هو أننا قمنا بعملية تنويم مغناطيسى معونا فيها جزء من ذاكرتك يبدأ منذ لقاءك الأول بمدير المستشفى د.(نظمى) فى الكازينو وينتهى باليوم الذى استيقظت فيه خارجا من المستشفى.. وتصور أن فقدان الذاكرة ناتجا عن الصدمة العصبية بسبب فسخ الخطوبة.. لهذا أنت لا تتذكر أول لقاء لك بالدكتور (نظمى).. لا تتذكر حديثه عن الاستسناخ.. لا تتذكر اتصالك بـ (شيرين) مرة أخرى.. لا تتذكر استسناخك لها.. لا تتذكر مبيتك فى الغرفة ١٥٤.. لا تتذكر أنك نسخت نفسك من قبل!

وكذلك الأصل الذى أنت منه لم يكن يتذكر أيا من هذا.

سأله (راضى) بغضب:

. لماذا محوتم هذا الجزء؟

. حتى تعيش حياة طبيعية يا عزيزى! لكى ترعى والديك.. وتتسى (شيرين).. لا تفكر فيها أبدا.

. بل لتضمن أنى لن أكرر التجربة على نفسى مرة أخرى.. ولتضمن أنى لن أسافر لأحل محلك هناك.. بالخارج.

. ربما هذه الأسباب أيضا.. المهم.. أننا قمنا باستسناخ (شيرين).

سأله (حنان) بفضول:

. كيف استطعت إقناعها؟

. لو أنكم توقفت عن الأسئلة.. لكنت أخبرتكم منذ دقائق مضت.

كان الأصل يسير مع خطيبته (شيرين) متشابكى الأصابع.. يعيشان لحظات حب وعشق وهيام.. تعتمد أن يمرا من أمام المستشفى فى طريق عودتهما لمنزلها.. قال لها:

. أتحبين الأساطير؟

. أجابته فى حماس:

. نعم.

. ابتسم لها ابتسامة خبيثة وأشار نحو المستشفى قائلا:

. فى هذه المستشفى غرفة مسكونة.

. جذبها حديثه المريب ونظراته الفامضة وسأله:

. كيف؟

. مسكونة.. ألا تعلمين معنى كلمة (مسكونة)؟

. نعم.. مسكونة بالجن.. العفاريت.. الأرواح.. الأشباح.. أيا كان.. كيف عرفت؟ وما

قصتها؟

. لا يعرف هذه القصة سوى عدد قليل جدا من الناس.. لأنهم يخشون على سمعة المستشفى فيبقون الأمر سرا للغاية.. لو انتشر الخبر لن يدخل أحدا المستشفى بعدها.

. وكيف عرفته أنت؟

. صديق عزيز جدا.. يعمل في المستشفى منذ إنشائها.

. سألته وقد أكلها الفضول:

. وبماذا أخبرك؟

. أخبرني أن هذه الغرفة ليست مسكونة بالجن أو العفاريت أو الأرواح أو الأشباح كما تتصورين.. إنها مسكونة بما هو أسوأ.

. عقدت ذراعها أمام صدرها وقالت بشجاعة:

. وما هو؟

. لا أحد يعلم.

. ضربته بالكمة رقيقة في كتفه وقالت:

. أنت تمزح إذن! كيف يقول أنه يعلم ثم تقول أن لا أحد يعلم؟

. قال راسما الجدية على وجهه:

. من يدخل هذه الغرفة لا يخرج منها.

. يختفى؟

. وإذا خرج منها فإما يخرج ميتا أو مجنونا فاقتدا النطق من هول ما رآه.

. أشاحت بوجهها بعيدا وقالت:

. أنا لا أصدقك.

. وأنا لا أصدقك.

. مديده في جيبه وأخرج المفتاح ورفعها أمام وجهها فسألته:

. ما هذا؟

. مفتاح الغرفة المسكونة.. لقد حصلت عليه من صديقي.

. أنت تتحداني إذن؟

أمسكت (شيرين) المفتاح وأخذته منه وأردفت:
..وأنا قبلت التحدى.

لم تفهم (شيرين) أن الابتسامة التى ظهرت على شفتيه فى تلك اللحظة هى ابتسامة انتصار.. لقد نجح فى الخطوة الأولى من خطته.. قال لها:
..الغرفة رقم ١٥٤.. ولابد أن تنامى فى سريرها ليلة كاملة!
..أمر غريب! أتخاطر بحياة خطيبتك وحبيبتك؟ ألا تخشى أن يحدث لى مكروه؟.. قد أموت
أو أُجن أو لا أعود أبدا.

كان ينتظر هذا السؤال منها وقد جهز إجابته منذ زمن:
..أنا لا أصدق ما قاله صديقى.. ولهذا لا أعتبرها مخاطرة! لن أجازف أبدا بحياة حبيبتى
لو أن لدى شك ولو بنسبة واحد بالمائة أن الأسطورة حقيقية! لكنك مهووسة بهذه الأمور ولا
تتوقف عن الحديث عنها.. وعن مغامراتك الجريئة بالخارج فى أماكن مريبة وغريبة ومربعة!
لذا قررت أن أجرى هذا الاختبار.. ولنتراهن.. إذا رفضت هذه المغامرة ستوقفى الحديث عن
الأساطير والخرافات وكل هذا الهراء للأبد.. لن أسمعك تتحدثين فى هذه الأمور أبدا بعد
ذلك.

قالت وقد أعجبها موضوع الرهان:
..وإذا خسرت أنت الرهان؟
..فلتقررى أنت.. لأنى أعلم جيدا أنى سأكسبه.

كانت (شيرين) تهوى الأساطير وجو المغامرة.. لذا أسعدتها هذه المغامرة البسيطة.. غرفة
فى مستشفى! ليس الأمر يستحق القلق! إنها ليست غرفة فى قلعة قديمة مهجورة فى أطراف
البلاد تحوطها المقابر ويسمعون فيها أصوات غامضة ليلا.
إن المستشفى تعج بالبشر.. المرضى والأطباء والعاملين.. لو أنها شعرت بأى قلق ستخرج
فوراً منها.

إنها ستكسب الرهان بالتأكيد!
أخبرت والديها أنها ستبيت عند صديقتها وأخبرت صديقتها أنها أخبرت والديها بذلك..
فإذا اتصلوا فلتخبرهم أنها نائمة.
ذهبت (شيرين) إلى المستشفى فى الساعة المحددة وباتت ليلتها فى السرير بالغرفة ١٥٤

تضع السماعات الصغيرة في أذنيها.. تستمع إلى أغاني أجنبية على هاتفها المحمول.. أو تلعب على أحد ألعابه أو تتجول على الانترنت.. أو تتصل بخطيبها لتخبره أنها ليست خائفة وأن الأمور على ما يرام.

استيقظت من نومها في الصباح شاعرة بالملل.. كانت مغامرة تافهة لأقصى درجة.. ليتها نامت في بيتها على سريرها الناعم.. على أي حال لقد كسبت الرهان وسينفذ (راضى) ما حكمت به.. هناك مرح قادم في الطريق!

خرجت من المستشفى في الساعة التي حددها لها (راضى).. حتى لا تثير تساؤلات بوجودها هناك.. اتصلت به لتخبره أنه خسر رهانه.

ابتسم الأصل في سعادة لأنه خسر الرهان.. لقد حقق هدفه! صارت لديه نسخة أخرى من (شيرين).

عندما وصل الأصل في حكايته لهذه النقطة قاطعه (راضى) مجددا بسؤال:
لماذا؟ أريد أن أفهم.. ألا تكفيك واحدة؟ أم أنك أردت أن تصنع واحدة أخرى من أجل
النسخة التي ستصنعها لنفسك؟ نسخة من (شيرين) لتعيش مع نسخة من (راضى)!

ضحك الأصل وقال:

لا.. لا.. لا تجمع بخيالك إلى هذا الحد! إن هذه الفكرة لم تخطر ببالى قط.. أتعلم لماذا؟
لماذا؟

ما فائدة نسخة أخرى من (شيرين) من أجل نسختي؟ سيموت الجميع وقتها بالإيدز
وتنتهي القصة.

أما (حنان) فقد رمت (راضى) بنظرة احتقار وقالت:

فكرة غبية طبعاً! ما فائدة صنع نسخة من أجل النسخة؟ إن هذا في أحلامك فقط..
ربما تمنيت الآن أن يكون قد صنع نسخة منها من أجلك أو من أجل من قتلته.. لكنها فكرة
في منتهى الغباء! إنه لا يستطيع تبرير وجود اثنين منه فكيف سيبرر وجود اثنين منها أيضاً؟
ثانياً: لو أن النسخة وافقت على العيش هنا معه فهذا يعنى أن الأصل أيضاً كانت ستوافق.. إذن
لن يحتاج إلى نسخها ولن يحتاج إلى نسخ نفسه أيضاً.

ثم نظرت إلى الأصل وأكملت:

ومازلت حتى الآن لا أستطيع تخمين سبب استساخك لها.

ابتسم الأصل وقال بغموض:

..ولن تستطيعى أبدا.

..لماذا؟ ما هو السبب؟

..لن تصدقنى.

التقط الأصل نفسا عميقا وراح يستعيد ذكريات الماضى.. خاصة اليوم الذى رأى فيه

النسخة لأول مرة.. ثم تابع:

..لأنى أحببتها وكرهتها فى نفس الوقت.

وكان محقا عندما قال أن (حنان) لن تصدق السبب!

قال الأصل محاولا شرح فلسفته:

.. كل واحد منا بداخله اثنان.. لا أقصد الاستساخ هنا.. بل أقصد الميول البشرية.. أن

تحب شخص وتكرهه فى نفس الوقت.. هذا ما حدث فى قصة حبنى (شيرين) .. كنت أحبها

للغاية.. وأكرهها فى نفس الوقت.. أظن أن هذا طبيعيا.. أنا لست مجنوناً.. لا أحد يحب أحد

للأبد ولا يكرهه للأبد.. ليس هناك حب مطلق أو كراهية مطلقة.. طبعاً أنا لا أتحدث هنا عن

كراهية الأعداء أو حب الآباء والأبناء.. أنا أتحدث عن العلاقة بين الذكر والأنثى.. العلاقة بين

الولد والبنت.. العلاقة بين الرجل والمرأة.. تلك العلاقة الغامضة الشائكة المعقدة التى يحاول

العلماء فهمها منذ الأزل ووضع نظريات لها ثم يكتشفوا بعد ذلك ما يهدم تلك النظريات

ليضعوا نظريات جديدة يتم هدمها فيما بعد..

لقد كنت أحبها لدرجة أنى مستعد للتخلى عن عينى من أجلها.. إذا طلبت هى ذلك.. إذا

أرادت أن تتأكد من حبنى وكان هذا هو الدليل.. وفى نفس الوقت كنت أكرهها لدرجة أنى

أفكر فى اقتلاع عينيها من مججريها ثم أضعها على منضدة البلياردو لأتسلى باللعب بهما.

كنت أحبها لدرجة أنى أدعو الله أن يقطع لسانى قبل أن أنطق بكلمة تؤذى مشاعرهما.. وأن

تشل يدى قبل أن تصفعها وأن أفقد بصرى إذا نظرت بشهوة لواحدة أخرى غيرها.

وكنت أكرهها فى نفس الوقت لدرجة أنى أردت لو أستطيع أن أقطع لسانها وأطويه فى إناء

صغير مع بعض الزيت الحار والتقليب المستمر لمدة عشر دقائق وأصنع منه شطيرة بإضافة

القليل من التوابل عليها.. وأتناوله حتى لو لم أكن جائعا.

كنت أفكر طوال الوقت فى كسب حبها وثقتها.. وأفكر فى الانتقام منها وتعذيبها.

صمت لبرهة ثم قال:

.. لا تتعجب يا (راضى) ..

إن (شيرين) نفسها كانت مثلى.. إثنان فى واحد.. واحدة تحبى منذ الصغر وتعلقت بى..
وواحدة أخرى تريد أن تنتقم منى بسبب سخريتى الدائمة منها فى الصغر.. (شرين).. هل
تتذكر هذا الاسم؟

نعم.

ربما لو أتيت لها الفرصة لاستساخى.. لقامت بذلك على الفور.. لتتزوج أحدا وتخلع
الآخر.

ثم نظر إلى (حنان) ليقنعها بنظريته.. شارحا حالتها كمثال على صحة ما يقوله:

وربما أنت أيضا يا (حنان).. ربما تحبين زوجك وتكرهيه فى نفس الوقت.

لقد سمعت أنك احتفظت بواحد وطردت الآخر من حياتك شر طردة.. مع أنه نفس
الشخص.

صاحت (حنان) محتجة:

لا.. الأمر مختلف هنا.. لقد طردته لأنه ليس زوجى.. وليس لأننى أكره زوجى.. توقف عن

الفلسفة أرجوك.. وأكمل.. أريد أن أعرف ما الذى فعلته مع (شيرين) بالضبط أيها الوغد؟

ابتسم الأصل فى رضا وسعادة مستعيدا ذكرياته الجميلة وقال:

لن تتخيلى.. لقد عشت معها أجمل أيام حياتى واتفقنا على أن يظل أمر خطوبتنا سرا.. لا

يعلمه أحد من العائلة.. لذا كانا أبواى لا يعلمان أنى عدت إلى (شيرين) حتى الآن.

قالت (حنان) بإصرار:

لا أقصد (شيرين) الأصل.. ماذا فعلت مع النسخة أيها الحقيير؟.. أخبرنى.

ابتسم الأصل وقال بكاء:

من الواضح يا (حنان) أنك خمنت ما حدث.. حسنا.. لقد فعلت ما هو أسوأ من تخمينك..

لن يصل تفكيرك البريء لما حدث بالفعل!

(84)

تسللت أشعة الشمس من نافذة الغرفة ١٥٤ لتسقط على وجه النسخة عندما استيقظت من نومها في الظهيرة.. نهضت وفتحت عينيها بصعوبة بسبب ضوء الشمس القوي.. رأت الأصل واقفا في الغرفة أمام السرير.. قالت له:

. متى دخلت؟ كم الساعة الآن؟

لم تتلق منه ردا فابتسمت (شيرين) قائلة:

. أعلم أنك حزين لأنك خسرت الرهان.

. لا.. أبدا.

ثم ساعدها على ارتداء حذاءها.. ألبسه لها بنفسه بكل تواضع مثير للسخرية.. شعرت بالسعادة لأنه حنون بهذا الشكل.. خرجت من الغرفة ١٥٤ وهي تتأبط ذراعه وتشعر أنها امتلكت الدنيا كلها.. وأنها أسعد امرأة.. بل أسعد أنثى.. بل أسعد مخلوقة في هذه اللحظة. جلست بجواره داخل سيارته وسألته:

. إلى أين؟

ابتسم ولم يجيبها.. وفي الطريق قالت النسخة:

. هذا ليس طريق المنزل.. هل تفكر في تنفيذ الرهان الآن؟

ابتسم مجددا ولم يجيبها.. بعد قليل قالت:

. هذا ليس الطريق أيضا.. ألن تنفذ الرهان؟

قال لها وعلى شفتيه ابتسامة غامضة:

. هل تثقين بي؟

أجابته بدون تردد:

. نعم يا حبيبي.

وللأسف لم يكن جديرا بهذه الثقة.

أوقف الأصل سيارته أمام فيلا د. (نظمي) .. تلك الفيلا التي اقتحمها (الأول) مع الست رجال من أجل استعادة (أنس) في المستقبل البعيد.

هبط الأصل من سيارته وتركها هناك بداخلها .. لم يقل لها أى كلمة .. دخل حديقة الفيلا .. فدخلت (شيرين) خلفه وهى تسأله:

. أين نحن؟ لمن هذه الفيلا؟ هل هى فيلتك؟

لم يجبها .. ولم يطلب منها الدخول خلفه لكنها فعلت .. وعندما أصبحت بالداخل راح يغلق الباب فسألته بقلق:

. ماذا تفعل؟

التقط يدها الرقيقة وطبع قبلة رومانسية عليها وقال:

. هل تثقين فى؟

داعبت وجنته بأصابعها الناعمة وقالت بصوت حالم:

. أجل .. أثق بك.

ابتسم لها وأغلق الباب بالفتاح ثم وضعه فى جيبه .. ثم اتجه نحوها بهدوء وداعب شعرها الطويل الناعم الجميل ثم أزاحه للخلف لتظهر وجنتها التى احمرت من الخجل ومن الحب! ثم صفعها بقوة بدون سابق إنذار .. كانت المفاجأة قاسية لأقصى درجة!

ألم المفاجأة أكبر من ألم الصفعة!

كانت تفكر أن تسأله مذهولة (ما الذى فعلته يا مجنون؟) وهى تضع يدها على وجنتها التى احمرت للغاية من شدة الصفعة .. لكنها لم تستطع قول شئ سوى:

. ما الـ ..

فقد عاجلها بصفعة أخرى قوية على وجنتها الأخرى.

. كيف تثقين بى؟ كيف تثقين بكل الناس؟

لم تخرج من صدمتها بعد .. فوجئت بركلة قوية وهو يتابع:

. ألم يخبرك أباك يوما أن هناك أناس أشرار بالخارج ويجب أن تتوخى الحذر؟

ثم جذبها من شعرها بمنتهى العنف والوحشية وأجبرها على الانحناء وأكمل:

. أم أنك لا تهتمين بأى شئ على الإطلاق؟

حاولت المقاومة وهى لا تزال مذهولة من تصرفه وحديثه معها .. لقد وثقت به فهل هذا هو

جزاء الثقة؟

تملصت منه بصعوبة وخلصت شعرها من قبضته.. ثم نظرت له بكل غضب وهى تعدل ملابسها وقالت:

.. أنت حيوان.

ثم خلعت الدبلة وألقته أمام وجهه وبصقت ناحيته بصقة رقيقة كبصقة طفلة رضيعة فى سن الست شهور.

ثم اتجهت ناحية الباب.. فوجئت بركلة قوية فى مؤخرتها ألتهها للغاية فصرخت من الوجع.. فالتفتت له لتجد لكمة قوية تتجه نحو وجهها وقبل أن تصرخ من ألم اللكمة فوجئت بلكمة أخرى أعنف.

.. كيف تبتتين فى مكان دون أن تخبرى أبويك عنه؟ ما هذا الانحلال!

صفعة ولكمة ثم..

.. حتى لو كانت مستشفى.. كان لابد أن تخبرى أبويك.. وتنتظرى موافقتهم.. وتبتي فقطل

فى حالة إذا قالوا...

.. آآآآآآآآآآ

كانت هذه الآهة من (شيرين) عندما أعطاهها لكمة قوية فى بطنها.. أوجعتها للغاية.

.. أنت.. مجنون!

ابتسم وقال لها:

.. مجنون! أنت لم تشاهدى شيئاً بعد.

كانت مذهولة من تصرفه معها.. تقاومه برقة.. لقد نسيت الولد الشرس الذى كان بداخلها أيام مرحلة الطفولة.. وصارت الفتاة الرقيقة التى تأكل بالشوكة والسكين وتعزف على البيانو.

أما هو فكان يتذكر كل مواقفها السيئة معه وكل المرات التى أغضبته فيها وراح ينتقم لكل هذا.. صفعات ولكمات وركلات ولا مانع من البصق عليها بين الحين والآخر.. أما جذب الشعر فكان له متعة خاصة بالنسبة له.. يتسبب فى سماع صراخها الذى يرج المكان لكن لا يسمعه أحد خارج الفيلا.. كان يضربها كأنه يضرب ذكر بالغ كامل الرجولة.. يضرب فى أى منطقة من جسدها تطولها يده أو قدمه أو رأسه.. من يراه يتصور أنه يضرب لص غسيل سرق ملابسه لمدة عشر أعوام على التوالى أو لص أتوبيس كان يسرق محفظته كل شهر فى نفس اليوم الذى يقبض فيه مرتبه لمدة خمس سنوات متواصلة.

وفجأة..

خرج الولد الكامن داخلها..

بصقت الدم من فمها على وجهه.. راح يمسحه بسرعة خشية إصابته بالفيروس..

. آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآ

هذه المرة كانت منه.. لقد ركلته بين ساقيه.. فى نقطة ضعفه.. فتأوه وصرخ كامرأة تلد أربع توائم فى لحظة واحدة ولادة طبيعية.

أعطته لكمة بيدها اليسرى.. ألمتها أكثر مما ألمته.. يدها لم تتعود على هذا العنف منذ زمن بعيد.. لكنها لم تتوقف.. استخدمت يدها اليمنى هذه المرة بلكمة قوية كانت تعلم أنها ستؤلمها أيضا.

كان يقف أمامها منحنيا.. واضعا يديه بين فخذه مكان الضربة.. يكتم صراخه من الألم الشديد.. عندما ركلت صدره لتسقطه أرضا.

هبطت فوق جسده بسرعة فور سقوطه وقيدت ذراعيه بساقيها.. وراحت تصفعه بكلتا يديها بهستيريا وهو لا يستطيع المقاومة.. وعندما شعرت بالإرهاق نهضت، اتجهت نحو الباب وهى تقول:

. ستندم أشد الندم على ما فعلته.. سأخبر والدى بكل شيء.

كانت قد اقتربت من الباب عندما قال لها بصوت متحشرج:

. سأتزوجك.

التفتت له وقالت مندهشة:

. ماذا تقول؟

نهض من مكانه وهو يقاوم الألم الشديد وراح يعدل ثيابه وقال:

. أقول: سأتزوجك.

قالت بغضب:

. أنت مجنون!.. لن أتزوجك حتى لو كنت آخر رجل فى العالم.

لم يحاول خوض العراك معها مجددا.. فقد عاد الولد (شَرِّين) للحياة واختفت الفتاة الرقيقة (شيرين) مؤقتا.. خشى أن تسبب له جروح أو كدمات قد تلاحظها خطيبته (شيرين) فى موعدهما الفرامى اليوم.. وتسأله فى إصرار عن سببها.

جلس على أحد المقاعد وقال:

. سوف أتزوجك.. وأحدد موعد الفرح قريبا جدا.

قالت (شيرين) النسخة:

. ماذا؟ هل سترغمنى على الزواج منك؟

. لا.. سوف أتزوجك بموافقتك.

صاحت متعجبة:

. بعد كل الذى فعلته!.. هل تظن أننى أحبك لهذه الدرجة؟ أن أتزوجك بعد كل هذا؟

ضحك وقال بثقة:

. نعم.. وسنعيش أجمل أيام حياتنا.. ونتجنب بنين وبنات.

لم تكن (شيرين) تفهم ما يعنيه.. ظنت أنه يهلوس.. لم تكن تعلم أنه يتحدث عن الأصل..

قالت له بسخرية وهى تنظر إلى نقطة ضعفه:

. يبدو أن الضربة أصابت عقلك.. لأننى سأخرج من هنا وأخبر أبى - عمك . بكل ما فعلته.

. لن تبلغيه بشئ.. ولن تخرجى من هنا.

قالت وهى تضع يدها على مقبض الباب وتحاول فتحه:

. لن أخرج من هنا!!!

وعندما فشلت كل محاولاتها قالت بتوتر:

. هل أنا مخطوفة؟

أجاب بهدوء مستفز:

. شيئاً من هذا القبيل!

. هل هذه هى خطتك إذن؟ تفكر فى الحصول على فدية كبيرة من عمك المليونير مقابل حياة

ابنته؟ يا لك من غبي! كنت ستزوجنى وتصبح كل ثروته تحت أمرك.. لكن طمعك وجشعك

أعماك.. أظن أننى لن أخبره بأنك الذى خطفتنى؟ وأنت الذى حصلت على الفدية؟

. أنا لم أقل أنى سأطلب فدية!

. ماذا؟

ثم صدمها قائلاً:

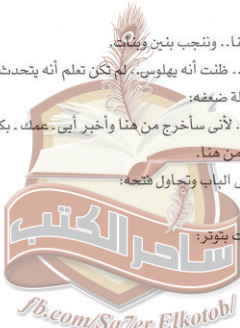
. وأنت لن تخبريه بأى شئ.. لأنك لن تريه بعد الآن.. ستعيشين ما تبقى لك من العمر فى

هذا المكان.. ولن تخرجى منه أبداً.

بدأ الذعر يتسلل إلى قلبها فحاولت التماسك وقالت بثقة:

. وهل تظن أن أبى سيقف ساكناً بعد اختفاء ابنته؟.. سوف يبحث عنى فى كل مكان بمصر..

سيقلب كل حجر ليفتش تحته.. لن يهدأ قبل أن يجد ابنته.. ولا تنسى صديقتى التى أخبرتها



أننى كنت معك ليلة أمس.. لكى تكذب على والدى وتقول أننى كنت عندها.. لن يشك أبى فى أحدا سواك.. ربما يسجنك حتى تعترف بالحقيقة.

ضحك وقال بغموض:

لن يعلم أباك بأمر اختفائك.

لم تكن (شيرين) النسخة تعلم أن هناك (شيرين) أخرى تجلس مع أبيها الآن.. وتعيش حياتها بصورة طبيعية.. وأنها مجرد نسخة لن يسأل عنها أحد!

سمعت صوت تكة معدنية يصدر من الباب.. ظننت أن النجدة وصلت أخيرا.. وأن هذا الموقف السخيف سينتهى الآن.. ستهرب بسرعة وتتصل بأبيها وتخبره بكل شيء.

فوجئت برجل يدخل بسرعة ويفلق الباب.. لم تكن تعلم أنه د. (نظمى).. أما (راضى) فقد قال له:

لقد تأخرت كثيرا.

نظرت (شيرين) مذعورة نحو الرجل.. لم تكن تعلم أنه صاحب الفيلا.. سألته:

من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟ ما الذى تريده؟

لم تنتبه لخطيبها وهو يسرع نحوها ليقيد حركة ذراعيها.. ثم يخرج د. (نظمى) محقنا من جيبه.. حاولت المقاومة لكن الاثنان كانا أقوى منها.

همدت حركتها من تأثير المخدر الذى سرى فى عروقها.. فتش (راضى) جيوبها.. أخرج هاتفها المحمول وحطمه تحطيمًا.. وانتزع شريحته..

قال د. (نظمى):

ماذا بعد؟

هيا نحملها إلى القبو.

(85)

قال الأصل موجهًا حديثه إلى (راضى):
.. إذا أتيت لك فرصة الانتقام فأظن أنك لن تضيعها..
كان لدى اثنين منها.. واحدة أحبها وواحدة أنتقم منها جراء ما فعلته الأولى.. وما ستفعله لاحقًا.

سألته (حنان):
.. هل اغتصبته؟
.. لا.. كنت أخشى الفيروس كما تعلمون.. فإذا كنت سأموت منه فالأمت في أحضان حبيبتي الأصلية.. وبعد زواجنا طبعًا.

.. ما الذى فعلته معها بالضبط أيها الحقيير؟
.. فعلت كل ما يمكنك أن تتخيليه.. مارست معها كل أنواع العنف.
قال (راضى):

.. لكنها لم تكن مصابة بالإيدز!
ابتسم الأصل وقال:
.. لم أكن أعلم ذلك يا عزيزى.. لكن عندما عرفت الحقيقة وأنها كانت تكذب.. اغتصبته..
اغتصبته كثيرًا جدًا لو أنكم تريدون الصدق.
بصقت (حنان) ناحيته وهى تقول:
.. يا للحقارة!

لم يهتم الأصل بما فعلته.. البصقة فى النهاية لم تتخطى ربع المسافة بينهما.. سأل الأصل (راضى) باهتمام:
.. كيف عرفت؟

.. أخبرنى والدها بذلك فى لقاء عائلى.. لكن.. كيف عاش والدها معك هناك ثم كان

يزورنى هنا؟ لا أفهم هذه النقطة.. إنه كان يتعامل مع اثنين منا ومع ذلك لم يعلق ولم يذكر لى أبدا أنى هناك متزوج ابنته.
.. لا تتعجل.. وستفهم كل شىء.

استيقظت (شيرين) فوجدت يديها مقيدة إلى الأرض بقضبان حديدية.. داخل قبو كئيب لا يوجد به سوى سرير ومقعد.. ومنضدة عليها تليفزيون.. وحمام ملحق تقوح منه رائحة كريهة.. نائمة على سجادة قديمة ومرتبة قطنية خرجت أحشائها فى مناطق عدة.. صرخت بأعلى صوتها طالبة النجدة.. لكن لم يأت أحد.. ظلت هكذا لساعات حتى كادت أن تفقد أحيائها الصوتية.

دخل الأصل القبو فى المساء بعد عودته من موعدة الغرامى مع خطيبته.. أحضر لها الطعام.. ركلت الأطباق بقدمها بمنتهى القوة.. وطلبت منه أن يفك قيدها.. ثم توسلت بعد ذلك:

.. لن أخبر أحدا بما فعلته.. أقسم لك لن أخبر أحدا.. فقط أخرجنى من هنا.. أرجوك.

ترك الطعام وزجاجة الشراب بجوارها واتجه نحو الباب فقالت له:

.. أريد أن أذهب إلى الحمام.

قام بتقييد احدى ساقيها بسلسلة حديدية طويلة تنتهى بحلقة معدنية مثبتة إلى الأرض.. حتى تستطيع التحرك بحرية داخل القبو لمسافة محددة.. تمكنها من دخول الحمام القريب منها.. وفى نفس الوقت لا تستطيع الوصول إلى الباب.

ثم قام بفك قيد يديها.. فقامت بصفعة على الفور عندما تحررت.. رد لها الصفعة دون انتظار.. وتعاركا بالأيدي لدقائق.

.. هل تريد أن أقيد يديك أيضا؟

.. أنت حيوان!

قالتها وبصقت على وجهه.. لكنها خشيت تهديده فتركته ليحرر يدها الأخرى.

سألته بذعر:

.. ما الذى تريده منى؟

.. لا شىء.

.. لماذا تفعل هذا؟

فوجئت بها يقبلها من شفيتها بعنف وقال:
..لأنى أحبك..

قال الأصل:

.. عاشت (شيرين) النسخة لأيام عديدة فى القيو وأدركت أنى كنت محقا فيما أقوله لها
دوما (ستعيشين هنا وتموتين هنا) .. فحاولت إرضائى بشتى الطرق.. كانت تغوينى لأفك
قيدها.. كانت تخبرنى بأسرار مثيرة عن نفسها حتى أعطيها الطعام والشراب.

قال (راضى) بضيق:

.. كنت ترعاها كحيوانك المدلل أيها النذل.
.. لا تتسرع فى إلقاء الأحكام يا (راضى) .. ولا تنس أنك نسخة حديثة منى.. أى أنك تملك
هذا التفكير داخل عقلك.

..أنا.. لا.. أبدا.

ضحك الأصل وقال:

.. دائما الشيطان يتظاهر أمام الجميع فى صورة الملاك.. لكنه يعلم أن بداخله شيطان..
أما ألن شيطان هو الذى يتظاهر أنه ملاك.. متصورا أنه ملاك بالفعل.. هذا الأخير قد خدع
الناس جميعا وخدع نفسه قبلهم.

أنسيت أنك ارتكبت كل الكبائر والموبقات والردائل كأفضل ما يكون فى أيام قليلة؟
شعر (راضى) بالخزى عندما ذكر الأصل هذه المعلومة.. كان يظن أنه لا يعلم شيئا عن
فضائحه.. تابع الأصل:

.. مهما كانت الأسباب والمبررات فإنك قد ارتكبت جرائم لا تعد ولا تحصى.. أنا شيطان
صغير بجوارك يا أستاذى.. لقد فعلت ما فعلته مع امرأة واحدة فقط أما أنت فلم تتوقف عند
واحدة أو اثنين.

قالت (حنان) وهى تنقل بصرها بين الاثنين:

.. كلكم حقراء.. أنذا.. شياطين فى صورة بشر.. تسعون وراء شهواتكم كالحيوانات.

قال الأصل بهدوء مستفز:

.. لا تغضبى.. واسمعى قصتى للنهاية وستعلمين انى فعلت كل هذا من أجل الحب.
صاحت باستنكار:

..حُب!

نعم.. فعندما كانت (شيرين) تستقزنى بتصرفاتها.. كنت أعود إلى القبو وأنتقم من النسخة.. فيهدأ بالي وأستعيد راحتي النفسية.. ثم أعود إلى الأصلية بقلب متسامح وذهن صاف وبأل رائق.. وقد نسيت سبب غضبي منها تماما.. فأعاملها بكل حب وحنان وعطف ومودة! فكرة جميلة! أليست كذلك؟

كانت إذا تهورت وصفعتني أمام أحد.. كنت أقبل الإهانة لأنى أعرف أنى سأنتقم.. أعود للقبو.. أصنع النسخة مرارا وأسبها وألعنها وأبصق عليها وأضربها وأركلها.. فتهدأ نفسى تماما.. تظن الأصلية أنى سأفسخ الخطوبة وتفكر فى الاعتذار لى عن الصفعة.. تحاول أن تصحح الأمور لأنها أدركت خطئها الشنيع.. لكنها تكتشف أنى بارد تماما.. وأخبرها أنى المخطىء.. أنى السبب فى انفعالها وأنى كنت أستحق هذه الصفعة.. كانت تزداد حبا وعشقا لى.. وتدرى أنها محظوظة لأنها وجدت رجلا يحبها أكثر من أى رجل فى العالم أحب فتاة يوما ما فى التاريخ.. وزال أى شك بداخلها أنى أحبها من أجل مال أبيها.. مثل بقية الرجال الآخرين.. لقد تخليت عن كرامتى بسبب حبى لها فأدركت أن حبى لها بلا حدود.

كنت أستفيد من كمية المعلومات التى تخبرنى بها النسخة.. استخدمها للإيقاع أكثر بالأصلية.. فتكتشف أنى أحب ما تحبه.. وأنى أكره ما تكرهه.. فى كل شىء.

مع الوقت أدركت (شيرين) أنى تؤم روحها.. أشبهها فى كل شىء.. تقريبا.

فى النهاية أخبرتنى أنها ليست مصابة بالإيدز.. قررت مكافأتى بهذا الخبر!

طبعاً عدت فى هذا اليوم إلى القبو.. وصفعت النسخة مرارا بسبب هذه الكذبة اللعينة..

ربما لو كنت أعلم أنها سليمة لما صنعت منها نسخة أصلاً!

ربما كنت سأزوجها وأعيش معها هنا لأرعى والدائى.. أو يسافرا معى ونعيش كلنا هناك..

لقد صنعت النسخة لأنى ظننت أنى سأموث فور زواجنا مباشرة.

قالت (حنان):

.. الأعمار بيد الله.. ربما كنت ستموت بالفعل بعد الزواج مباشرة.. أو قبل الزواج.. لأى

سبب.. تموت محروقة أو غريقاً أو فى حادث أو..

نعم.. ولكن هذه أمور تخص الطبيعة الإنسانية.. هل كنت ستقبلين الزواج من (راضى)

لو أخبرك يوماً أنه مصاب بالإيدز؟

لم ترد (حنان).. فابتسم الأصل وقال:

.. سأعفيك من الإجابة لأننا كلنا نعرفها.

سأله (راضى):
. اغتصبها في تلك الليلة؟
. لا يا (راضى) .. أنا لست حيوان ..
انتظرت نتيجة التحليل طبعاً.

(86)

قال الأصل:

. أخذت عينة من دم النسخة لإجراء التحليل والتأكد.. لم آخذ العينة من دم الأصلية لأن ذلك صعبا.. كيف أبرر لخطيبتى أنى أريد عينة من دمها؟! والاثنتان واحدا فى النهاية.. لذا ستكون نتيجة التحليل واحدة! وجاءت النتيجة..

سلبية!

خالية من أى فيروس!

لم أتأخر بعدها كثيرا.. انطلقت إلى القبو.. أيقظتها من نومها لأغتصبها.. كانت مندهشة مما أفعله.. كانت تظن أنى لن أقربها أبدا طالما أننى حافظت عليها كل هذه المدة الطويلة! قاومت كثيرا وبضراوة قبل أن..

بصقت (حنان) مجددا وقالت:

. أنت نذل.

أجابها الأصل ببرود:

. شكرا يا (حنان) ..

المهم أننى كلما رغبت فى (شيرين) الأصلية.. كنت أذهب إلى النسخة وأتخلص من رغبتى.. كانت (شيرين) الأصلية تتعجب من سلوكى المحترم معها.. توقعت أن أقيم معها علاقة غرامية فور اكتشافى حقيقة مرضها.. لكنى حاولت الحفاظ على صورة الخطيب المؤدب المهذب المحترم أمامها مهما حاولت من إغرائى واغوائى.. كنت أتماسك بصعوبة وأتخلص من ضعفى هناك فى القبو.. كانت النسخة تعيش يومها بين الأكل والشرب ودخول الحمام

ومشاهدة التلفزيون وقراءة الصحف والاعتصام والنوم.

سأله (راضى) بإهتمام شديد:

. هل كانت عذراء؟

أجابه الأصل:

. نعم.. للأسف.

. يا إلهى!

. اكتشفت أنها قد كذبت علىّ أيضا بشأن علاقاتها الكثيرة بالخارج.. يبدو أنها كانت تختبر

مدى حبي لها.

. إذن النسخة فقدت عذريتها.. بسبب أن الأصلية أعلنت لك أنها ليست مريضة.

. بالضبط!

تذكر (راضى) ما قاله (عمه) له (لقد عاشت كقديسة وسط وحوش صغيرة السن فى

منتهى الوسامة).. ثم قال:

. هذا يعنى أن عمى لم يكذب عندما قال أن ابنته قد عاشت حياتها عذراء فى الخارج.

. نعم.. كانت عذراء.

سأله (حنان):

. هل كانت مقيدة طوال الوقت؟

أجابه الأصل قائلا:

. لا.. كنت أتركها أحيانا حرة طليقة فى القبو أو داخل الفيلا.. تحت مراقبتى.. كنت أخشى

أن تحاول قتل نفسها.

. ألم تحاول الهرب؟

. حاولت كثيرا.. وفى إحدى المرات قامت بطلعى فى ظهرى..

ثم التفت إلى (راضى) وقال:

. وهذا سبب الندبة الموجودة فى ظهرك.

. هذا هو السبب إذن! لقد اكتشفت وجودها يوما ولم أعرف سببها.

. لأنى محوت هذه الفترة من ذاكرتك كما أخبرتك.

قالت (حنان):

. لييتها قتلتك.

قال الأصل ساخرا:

. يا للرقّة!

. لقد كنت تقتلها كل يوم.. وفى اليوم الواحد مائة مرة.. ليتك قتلتها أو تركتها تنتحر لترتاح

من هذا الجحيم!

تجاهل الأصل ما قالتة (حنان).. لا وقت للنقاش والجدال.. وأكمل حكايته:

. حددنا موعد للزواج والسفر إلى الخارج لقضاء شهر العسل.. واحتفلت بهذه الخبر السعيد

وذهبت إلى القبو واغتصبتها مرتين!

لكن قبل الزواج بأسبوع واحد.. وفى يوم مشئوم قررت (شيرين) فسخ الخطوبة..

مفاجأة صادمة!

كنت مذهولا.. لقد فعلت المستحيل لإرضائها.. لم يفعل أحد مع خطيبته ما فعلته.. لقد

تقبلت جميع إهاناتها.. سبابها وعصبيتها المفرطة وتصرفاتها المجنونة.. نفذت لها كل

طلباتها.. كانت أحلامها وأوامر.. أنفقت نصف ثروتى هدايا لها.. التزمت الأدب رغم كل

محاولاتها لإغوائى وحافظت عليها من شرورى.. سمعت تاريخ حياتها من النسخة وحفظته

وعرفت كل هواياتها وميولها وشاهدت جميع الأفلام التى شاهدتها حتى أكون على نفس الخط

معها طوال الوقت.. أحببت المطربين الذين تحبهم وحفظت أغانيهم.. شجعت فريق كرة القدم

الذى تحبه رغم كراهيتى الشديدة له.. كنت كالكاتم فى إصبعها.. ودمية تحت قدميها.. ثم

بعد كل هذا تقرر فسخ الخطوبة.

سأله (راضى) فى فضول قاتل:

. لماذا؟

. أسباب واهية.. قالت أنى بارد.. تخيل!

قالت أنى بلا كرامة.. تصورا!

بلا شخصية..

لست رجلا..

. وما الذى جعلها تظن هذا؟

ضحك الأصل وقال:

. لأنى لم أرد لها إهانتها لى.. تقبلت سبابها وصفعاتها بصدر رحب.. لم أفكر فى التحرش

بها رغم أنها فعلت المستحيل لإغوائى.. كانت تتفنن فى إظهار أجزاء من جسدها لى وأنا كنت

أغض البصر.. كنت أوافق على أى اقتراح تقوله وأنفذ لها أى أمر تطلبه.. فى النهاية فسرت

كل ذلك بأننى بلا كرامة بلا أحاسيس بلا شخصية.

ووددت يومها لو استلمت صفعها بقوة أمام أبيها ثم اغتصابها بعنف ثم رفض الزواج منها
لأثبت لها أنى رجل ولدى كرامى ولدى شخصية!

عدت للقبو وانتقم كالعادة.. أظن انى اغتصبها ثلاث مرات فى ذلك اليوم.

كنت يائسا للغاية!

كيف أقتنعها بالزواج منى؟.. هل أذهب إليها لأضربها مثلا؟ هل أقيم معها علاقة غير
شرعية لأثبت لها أنى رجلا؟ وأنتى كنت محترما معها فقط خوفا عليها واحتراما لعلاقتى
بوالدها وحفاظا على الأمانة وصلة الدم أيضا.. هل أخبرها أنى معترض على كل ما تقوله وكل
ما تفعله لأثبت لها أن لى رأى وشخصية مستقلة؟

بالتأكيد لن يكون هذا حلا..

لأن معناه أنى كنت أخدمها طوال الوقت.. ويعنى أنى أملك شخصية أخرى غير الشخصية
التي أحببتها..

وفى جميع الحالات لن ترضى.. لأن من الواضح أنها كانت تلعب بى لتدلى فى النهاية بهذا
الموقف السخيف..

قال (راضى) مبتسما:

لقد خمنت أن تفعل ذلك فيما مضى.. لم أكن أعلم أنها نفذته بالحرف فى المستقبل.
نعم يا (راضى).. أمازلت تتذكر؟ كان التخمين صحيح.. لكنها لم تفعل ذلك معك.. لقد
فعلته معى.

تقصد فعلته معى.. لكنى نسيت أنها فعلته معى.

تقريبا!

لقد كانت تخطط من البداية فى إذلالى.. أرادت أن تدخلنى جنتها ثم بعد ذلك تطردنى
منها شر طردة.. هذا هو الانتقام! الانتقام من سنوات الطفولة البائسة.

قالت (حنان):

لكن هناك احتمال أن هذه لعبة أخرى جديدة منها.. ربما أرادت أن تختبرك مجددا..
وتعرف كيف ستعيد الدبلة مرة أخرى لإصبعها.. كيف ستحاول استعادتها؟

احتمال! لكنى لم أفكر فيه أبدا.

ربما أرادت أن تختبر مدى تعلقك بها.. هل ستستسلم لقرارها؟ أم ستدافع عن حيك

لها؟

ربما.. لكن فأت التفكير فى مثل هذا الاحتمال.

.. ماذا فعلت؟

.. كدت أجن من التفكير.. لقد ضاع كل شيء.. ولم يبق لي سوى نسخة مشوهة منها.. لن أستفيد منها شيئاً.. لأنها صارت بعيدة تماماً عن البشر والحياة الاجتماعية.. وسوف تعترف بكل شيء ضدي إذا خرجت للناس.. ولن تصلح لأن تحل محلها أبداً.
أعتبرتها دمية ظريفة لذيذة تنتظري في القبو.. أستمتع بجسدها بين الحين والآخر وقتما أريد.. بينما الأخرى سوف تسافر للخارج سعيدة بانتقامها.

لكن د.. (نظمي) أعطاني الحل..

سأله (راضى) بفضول:

.. ما هو؟

(87)

قال الأصل:

.كاميرا.

قالت (حنان) وقد خمنت الفكرة الشيطانية على الفور:

.أيها النذل الحقير.

.اهدئي يا (حنان).. لو فكرت جيدا ستجدين أنها هي التى أجبرتني على فعل ذلك.

اشترى (الأصل) ملابس جديدة للنسخة الأسيرة (شيرين) تشبه الملابس التى ترتديها الأصلية.. ومن نفس المحال الراقية التى تشتري منها.. فقد حفظها عن ظهر قلب من كثرة تجواله معها.. تعاون الأصل مع د.(نظمي) فى إعداد وتجهيز النسخة للتصوير..

الاستحمام.. ثم وضع بعض الماكياج المناسب لإخفاء الإصابات والكدمات ولأن الأصلية تضع ماكياج.. فى النهاية صارت لديهم (شيرين) فى النسخة الأنيقة المتحضرة!

ارتدت (شيرين) الملابس الجديدة التى اشتروها لها.. واصطحبها إلى غرفة النوم بالطابق الثانى.. وقف (نظمي) خلف الكاميرا.. هو المخرج.

خلعت النسخة ملابسها عندما أمراها.. لقد تعلمت الطاعة العامة.. كانت تخشى التعذيب عند مخالفة الأوامر.. وقاما بتصوير العلاقة الجنسية كاملة.. كانت (شيرين) تبدو على الشاشة فى غاية الحب والسعادة كما أمراها.. حتى لا تبدو كعملية اغتصاب.
وصار لدى الأصل شريط جنسى يمكن أن يهدد به (شيرين).

بصقت (حنان) وقالت:

. يا للحقارة!

أكمل الأصل وقد تعود على البصق والسب:

. لم تصدق (شيرين) الأصلية ما شاهدته على الشريط.. لم أخبرها بموضوع النسخة..

أخبرتها أنها فعلت ذلك معى تحت تأثير الخمر الذى تشربه دوما والحب الذى تكنه لى..

هددتها بنشر الفيديو على الانترنت إذا لم نتزوج خلال أسبوع..

. وتزوجتما؟

. فى نفس اليوم..

لم تنتظر.. خافت من تسريب الفضيحة.. أما إذا تزوجتها فسأكون حريصا على تدمير

جميع النسخ.. لا أحد يفضح زوجته.. تزوجنا رسميا.. لكن لم نعلن زواجنا للعائلة.

قال (راضى):

. لكنها كانت عذراء!

. فهمت أنى حافظت عليها أثناء التصوير.

. ما الذى حدث بعد ذلك؟

. ذهبت إلى المستشفى ونمت على السرير فى غرفة ١٥٤ قبل السفر بيوم.. وتركت نسختى

هنا لترعى أهلى.

قالت (حنان):

. المرحوم زوجى؟

. بالضبط.. لقد قابل النوم المغناطيسى فى صباح اليوم التالى ومعى جزء من ذاكرته..

أخبره أنه فقد ذاكرته لأيام طويلة.. ربما بسبب حبه الضائع.. فترسب ذلك الاعتقاد فى

ذاكرته.

. ألم يقاوم؟

. لم أشاهد ما حدث.. لأنى كنت فى الطائرة وقتها.. لكن د.. (نظمى) أخبرنى أنه قاومه فى

البداية.. كان يظن أنه الأصل وكان يريد اللحاق بالطائرة.

قال (راضى) بحسرة:

. لو أنكم لم تمحو هذا الجزء لكنت تذكرت كل هذا الآن.

. بالضبط.. كنت ستتذكر (شيرين) الأصلية والخطوبة وعقد القران.. وكنت ستتذكر

النسخة والقبو والتعذيب.. كنت ستتذكر رومانسيك مع الأولى ووحشتك مع الثانية! لذا أظن

أننا فعلنا الأفضل لك لكي تعيش حياة طبيعية وتتزوج (حنان).

اعترضت (حنان) قائلة:

. هو لم يتزوجنى.. المرحوم هو الذى تزوجنى.

نظر (راضى) لها بضيق وقال:

. للأسف.. زواجى منك لم يتم محوه من ذاكرتى.

. أنت لم تتزوجنى.. أنت فقط تملك نفس الذاكرة.

قال الأصل:

. لن تناقش هذه القضية طوال الليل.

سألته (حنان):

. وماذا عن نسخة (شيرين)؟

. توقعت أن تسألينى هذا السؤال يا (حنان) ..

للأسف لم أستطع قتلها..

لذا تركتها لـ (نظمى) .. أخبرته أنه حر التصرف فيها.. يريد بيعها بالقطعة.. بالجملة..

يريد استعمالها..

بصقت (حنان) نحوه بمنتهى التقزز والغضب وهى تقول:

. أنت أحقر إنسان رأيته فى حياتى.

سأله (راضى):

. أألم تعلم ماذا فعل د. (نظمى) معها؟

. لا أعلم.

. وماذا عن (وحيد)؟

. عمى؟ لقد سافر معنا.. أخبرته أنني قمت باستساخ نفسى وتركت نسختى فى مصر

لرعاية والدئ.. وهددته حتى لا يخبر أحدا.. كنت أعلم أنه على علاقة بإحدهن فى مصر..

أخبرته أن معى دليل على هذه العلاقة المشينة.. كان لابد من بعض التهديد حتى لا يخبر

أحدا.. اتخذت جميع الإحتياطات اللازمة حتى لا يفكر أحدهما فى قتلى.

. فى الواقع.. كنت أسأل عن (وحيد) ابنى.

. آسف.. فهمت خطأ.. بالنسبة لابتك.. ظل د. (نظمى) ينتظره كثيرا.. كان ينتظر خروجه

للحياة.. يوم ميلاده.. ثم انتظر دخوله المستشفى منذ أن كان طفلا رضيعا.

حاولنا جذب انتباهك كثيرا لدخول المستشفى.. وضعنا إعلانات لها أمام فيلتك.. حتى جاء

يوم عملية الزائدة الدودية.. كانت هناك تعليمات مشددة لبعض الأطباء والممرضين والعاملين بالمستشفى لمدة سنوات طويلة بسرعة إبلاغ د. (نظمى) فور وصول طفل يحمل اسم ابنك.. وأن يدخلوه غرفة (١٥٤) فور وصوله ولا يدخلوه غيرها.

. أتعنى أنه لم يدخلها بسبب أنهم لم يجدوا سريرا خاليا بسبب حادث أتوبيس المدرسة؟
. أى حادث مدرسة هذا؟ لو أن المستشفى كلها كانت خالية من المرضى كانوا سيفتحوا هذه الغرفة خصيصا لك..

. لكن هناك طبيب تم نقله لأنه فتح الغرفة لنا!

ضحك الأصل وقال:

. لا.. لقد تم نقله لأنه تأخر فى إبلاغ د. (نظمى).. لأن (حنان) قد أخذت الطفل الجديد معها إلى البيت وأفلتت النسخة من قبضتهم.. هذا الخطأ تسبب فى دخول د. (نظمى) الغرفة متأخرا فوجد طفلا آخر..
. ابن (صميده).

. لقد اعتقد انه ابنك فأخذه إلى فيلته ثم تلقى اتصال من المستشفى بأن والد الطفل يبحث عنه ويهدد الجميع.. فعاد بالطفل مجددا ليصحح الخطأ واكتشف أنكم خرجتم منذ زمن.
. لماذا لم ينسخ أطفال آخرين؟ لماذا ابني بالذات؟
. لأنى قد وقّعت عقد بالتنازل عنه وأنا أبويه.. أما الآخرين قد يرتكبوا فضيحة إذا اكتشفوا أن هناك نسخة من ابنهم موجودة بالمستشفى.. كما فعلت أنت بالضبط.. أقصد كما فعل المرحوم.

. وكان سيستخدم النسخة لعمل نسخ أخرى منه؟

. أظن ذلك.

. ماذا فعل بعد أن احتفظنا بالطفل؟

. اتصل بى وطلب منى الحضور لحل المشكلة.. لم أجد حلا سوى خطف الولد وتسليمه له.. لكن كيف أقوم بهذا؟.. قررت أن تكون هناك نسخة من (راضى).. حتى يشك الاثنان فى بعضهما البعض عند اختفاء الولد.. فأرسلت فاعل خير للمرحوم.

. أنت الذى أرسلته؟

. نعم.. وأخبرته بما سيقوله له بالضبط.

ثم قام المرحوم بالتجربة ليتأكد من حديثه ويفهم حقيقة الولد.. ثم صارت هناك نسخة أخرى منه..

أنت يا (راضى) .
فانتهزت فرصة المشاجرات والمشاحنات التى بدأت بينكما .. وقمت بخطف الطفل .. ولو
أنكم سألتموه الآن سيقول أن (بابا) هو الذى أخذنى إلى هناك .
قالت (حنان) بغضب:
. أنت الذى خطفته وسلمته لـ د. (نظمى) ؟
. نعم .
. نذل وحقير .
. كفى يا (حنان) .. ألا تملّين ؟
سمعوا طرقات على الباب .. قال لهما:
. إياك أن تتلقا بكلمة أو تصدرأ أى صوت وإلا خطفت الطفلين .
خرج من الباب وقال للطفلين:
. أحبائى .. إذهبا إلى غرفتكما وسألحق بكما .
قال أحدهما وهو يفرك عينه:
. أين ماما ؟
. ماما ستأتى حالا .. انتظروها فى السرير .. هيا .
ثم أغلق الباب وقال لهما:
. أين توقفنا ؟
أجابته (حنان):
. عند (نذل وحقير) .
. أقصد قبل السُّبة .
قال (راضى):
. خطف الولد .
. آه .. تذكرت .
سألته (حنان):
. كيف وانتك الجرأة لخطف ابنك وتسليمه إلى ذلك الجزار ؟
. يا (حنان) .. د. (نظمى) خدمنى خدمة العمر .. لقد عشت حياتى سواء هنا أو بالخارج ..
بسبب موضوع الاستساخ هذا .. لذا لو طلب عينى كنت سأعطيها له .
لكن .. طفل !

. طفل.. ليس ابني.. وليس ابنك.

بصقت (حنان).. والأصل يتعجب من عدم جفاف حلقها ولعابها الذى لا ينضب.
..أنت..

. قبل أن تسبنى يا (حنان).. دعينى أكمل فالوقت ضيق وأسئلتكم كثيرة وتقاطعونى
باستمرار.

سأله (راضى):

. وهل هناك بقية؟

. نعم.. لقد فوجئت بعد ذلك أنكم قد اقتحمتم الفيلا وعاد الطفل لكم.. وقتلتم (نظمى)..
ويموته انتهى العقد الذى بيننا.. لكن أين العقد؟ ثم أين الشريط الجنسى؟ وأين شرائط
التعذيب؟

. هل كنت تسجل تعذيبك لها؟

. لا.. (نظمى) فعل ذلك دون علمى.. لتكون وسيلة ضغط وتهديد إذا رفضت تسليم الطفل
له بعد ذلك.. وهذا ما جعلنى أعود وأترك كل أعمالى وأفعل المستحيل لتسليمه الطفل.
قالت (حنان):

. إذن كنت تفتش المكتبة بحثا عن هذه الأدلة؟

. بالضبط.. لأننى لم أجدها فى فيلا د.. (نظمى) فخمنت أن المرحوم زوجك قد وجدها
وأخذها معه إلى هنا.. وكان تخمينى صحيحا.. وجدتها هنا بالفعل.. لكنك عطلتني بأسئلتك
الكثيرة يا (حنان) وشكوكك التى لا تنتهى.. كنت أريد الرحيل بسلام دون أن تشبهوا لوجودى..
لم أكن أريد أن أحكى هذا كله!

. لكن الأدلة ليست ضدك وحدك.. ربما ضدى أو ضد القتل.. لماذا أنت مهتم بها لهذه
الدرجة؟ أنت بالخارج.. بعيد تماما عن هنا.

. نعم يا (راضى).. وفى الخارج يهتمون كثيرا بمسألة العنف ضد المرأة وأنا أحافظ على
صورتى هناك.

أمسك كتاب كان على المنضدة وقال:

. سوف آخذ هذا الكتاب معى.

. (السر)؟

. نعم.

. هذا الكتاب كان مع فاعل الخير وأعطاه لى ليخبا المفتاح تحته.

. وهو نفس النسخة التي كانت في مكتبك.. ألم تنتبه لذلك؟

. أنت الذى قتلت فاعل الخير؟

. إمامم.. نعم.. وإن كان السؤال لا يهملك كثيرا.

. سؤال أخير: هل تعرف من هو الرجل الغامض الذى قابلنى بالحفل وأخبرنى أنه يعرف

قصة الولد؟

. ألم تعرف بعد؟ إنه أنا.. أنا ذلك الرجل الغامض.. الذى يعرف من أين أتى هذا الولد.

(88)

قالت (حنان):

- إلى أين أنت ذاهب؟

أجابها الأصل:

- إلى أمريكا طبعاً.

سأله (راضى):

- و(شيرين) زوجتك.. أما زالت حية؟

أجاب وعلى شفثيه ابتسامة سعادة كبيرة:

- نعم يا عزيزى.. ولدىّ منها ثلاث أبناء.

شعر (راضى) بالحسد والحقد على الأصل.. هو يعيش بالخارج مع (شيرين) الجميلة

الرقيقة.. يتمتع بثروتها وثروة والدها.. وله منها ثلاث أبناء.. أما هو فمرتبط بـزوجة كئيبة

اسمها (حنان) أنجبت له ولدا واحدا ولا تستطيع إنجاب غيره.. ولديه طفل آخر مثل الطفل

الأول بالضبط.

لمح الأصل نظرات (راضى) فضحك قائلاً:

- لا تحسدنى.. أنت لديك (جوجو).. وتمثلياتها الرائعة.

نظرت (حنان) إلى (راضى) وقالت:

- (جوجو).. من (جوجو) هذه؟

أما (راضى) فسأل الأصل:

- كيف عرفت بموضوع التمثيلات؟

- أسف لم أستطع المقاومة.. ولا تنس أننا واحدا.. والتمس لها العذر.. هى لم تكن تعلم.

انتفض (راضى) من مكانه ونهض حاملا المقعد الذى يقيده واندفع نحوه قائلا:
. أيها الوغد... سأقتلك.
أهذا بدلا من أن تشكرنى لأنى كنت أونس وحدتها فى الليالى التى قضيتها عند (شربات)
(دودو) وغيرها.
نظرت له (حنان) بغضب:
. أنت شيطان! كلاكما شياطين.
عاد (راضى) إلى وضعه وقال بخبث:
. هل ستتركنا هكذا؟ ألا تخشى أن أسافر إلى أمريكا وأحل مكانك هناك وأعيش مع
(شيرين)؟

ابتسم الأصل وقال مهددا:
. أتمنى أن تفعل وسيكون قبرك هناك.
سألته (حنان):
. ألن تفك وثاقى على الأقل؟ أنا لا أمثل أى خطر عليك.
لا تقلقى.. هناك حراسة على الفيلا.. لن يخرج أحدكما من الفيلا حتى أصعد الطائرة
ثم أعطيتهم الأمر بفك قيودكم.
ثم التفت إلى (راضى) وقال له:
. سأحافظ على حياتك يا (راضى) من أجل سبب واحد فقط.. والذى.. أعلم أنك ترعاهم
جيدا.

fb.com/Sa7er.Elkotob/

لوح بجواز السفر وقال:
. إلى اللق...

بتر جميلته عندما انقطعت الكهرباء..
ما هذا؟

قالت (حنان) ساخرة:
. لا تقلقى.. عادى.. يبدو أنك لم تعتاد على قطع الكهرباء بعد.
أضاء مصباح هاتفه المحمول وسلط ضوءه على وجوههم وقال:
. على أى حال.. لا يهمنى ما يحدث هنا.. سألحق بطائرتى..
" جا جا جا جا "

سمعوا جميعهم الصيحة.. قال (راضى):

. لقد وصلوا .

. الأقرام ؟

. هل تعرفهم ؟

. نعم .. كانوا يساعدون د . (نظمى) فى عمله داخل القبو .. آخر مرة رأيتهم فيها عندما فرّوا

من الفيلا وقتلوا أحد الرجال الذين كانوا معك .. أقصد مع المرحوم .

. ولقد قتلوا رجال آخرين .. وقتلوا (جوجو) أيضا .

صاح الأصل :

. أوه .. (جوجو) ماتت !

قال (راضى) :

. فك وثاقي .. لننتعاون سويا فى التخلص منهم .

(89)

(قدرى) .. هو القزم .. رجل عجوز طيب القلب أحرص كان يخدم د. (نظمى) فى فيلته الخاصة .. ولا يستطيع قول شيئا سوى:
. جا جا جا جا.

فى أحد الأيام اصطحبه د. (نظمى) إلى المستشفى لبيت ليلة هناك .. لم يعترض .. وفى الصباح عاد إلى الفيلا .. ولم يفهم سبب إصراره على المبيت هناك فى الليلة الماضية .. لكنه تعود على طاعته.

فى اليوم التالى رأى قزم آخر يشبهه بالضبط .. يدخل الفيلا بصحبة الدكتور .. الغريب أنه كان أحرص مثله أيضا وينطق مثله ويفهم جميع إشاراته ويحب ما يحبه ويكره ما يكرهه .. ثم بدأت المشاجرات بين القزمين .. كانا الاثنان يتنافسان على خدمة سيدهما.
ثم فجأة غاب القزم الجديد لمدة ليلة كاملة .. فرح الأول وظن أنه قد تخلص منه للأبد .. وأن سيده طرده واحتفظ به فقط.

لكن المفاجأة أن الثانى قد عاد .. وعند الظهيرة دخل سيده ومعه قزم جديد له نفس صفاته وصفات الثانى .. كان الأمر محيرا للجميع!

تناقص الثلاثة على طاعة سيدهم .. فراح يقسم العمل بينهم .. واحد للتنظيف .. واحد لمساعدته فى المعمل .. واحد لطهى الطعام .. وهكذا.

بعد أيام .. اختفى الاثنان لمدة ليلة كاملة .. وفى اليوم التالى ظهر اثنان آخرين مع د. (نظمى) .. بدأ القزم القديم يفهم ما يحدث .. كل هؤلاء نسخة منه .. د. (نظمى) يقوم بعملية جراحية فى المستشفى لاستنساخه لأنه يحبه.

كان د. (نظمى) يعرفه على الفور من ملابسه .. كان كل واحد منهم له ملابسه الخاصة

التي تختلف عن الآخر.. ليستطيع التمييز بينهم.

وفى أحد الأيام مرض القزم القديم مرضا شديدا.. حاول د. (نظمى) علاجه لكن فشلت كل المحاولات.. فعزله عن زملائه حتى مات وباع بعض أعضائه.. وفى نفس اليوم اصطحب خمس أقزام إلى المستشفى.. وأصبح لديه خمس آخرون فى اليوم التالى.

كان يضعهم مخدرين فى صناديق ويطلب من عمال المستشفى حملها إلى الغرفة ١٥٤.. ويفلقها ويمنع أى أحد من دخولها أو الاقتراب منها.. وفى الصباح يحمل العمال الصناديق ويضعونها فى سيارته.. ثم يعود بها مجددا ليضع فيها النسخ الجديدة.

كان (حميدو) أحد أقارب (نظمى).. رجل ضخم الجثة متخلف عقليا.. لا أحد يراعه أو يهتم به.. اصطحبه (نظمى) إلى فيلته وقرر أن يستخدمه كمساعد له فى عمله.. الطول سينفعه بالتأكيد.. الأقزام يثيرون غضبه بسبب قصرهم.. وفى نفس الوقت يمكن أن يستنسخ (حميدو) يوما ما ويبيع أعضائه.. أو يستفيد من النسخ كمساعدين جدد له.. بدلا من عمال المستشفى.

سوف يحملون الصناديق.. يضعون الصناديق.. ثم يعودون للفيلة.. وهم لا يعلمون أن الصناديق بها نسخ أخرى منهم.

ربما يستخدم نسخ أخرى من (حميدو) من أجل حراسة الفيلة..

عندما زاد عدد الأقزام.. قرر أن يجعل مهمة واحدة لكل واحد منهم.. فصار هناك واحد لعمل المشروبات للجميع.. واحد لطهى الطعام فقط ومعه ثلاثة مساعدين.. واحد لتنظيف القبوة.. واحد لتنظيف الغرف.. واحد من أجل الحديقة.. إلخ.

وكثيرون كانوا يساعدونه فى عمله القذر داخل القبوة.. تقطيع وتعبئة وتنظيف وتعقيم.. إلخ.

(قدرى) كان طيب القلب.. لكن النسخ ليست كذلك.. جميعهم كانوا منه لكنهم بالتأكيد لم يبقوا مثله.. عندما كان واحدا شعر أنه مميز.. عندما صاروا اثنان بدأ التنافس.. أصبحوا ثلاثة فنشأت معركة.. أربعة.. قامت حربا.. تخيل مع كل هذا العدد ستختلف الأنفس بالتأكيد!

هناك واحد مثلا يريد أن يثبت أنه الأقوى بينهم وهناك الأشجع بينهم وهناك من يتضايق من كل هذا التنافس فيرضى بصنع القهوة والنوم.

هناك من اعتاد على التنظيف فلم يعد يطبق أى قذارة أمامه.. وهناك من اعتاد على الذبح والتقطيع فأصبح جزارا محترقا.. وهناك من اعتاد على حمل الأشياء الثقيلة فصار ظهره

محنيا.. وهناك من اعتاد المراقبة داخل سيارة بالخارج فأصبح كسولا.. يسمع الراديو طول الوقت.. فصار مصدر سخرية للجميع.. إلخ.

البداية كانت واحدة.. (قدرى).. لكن فى النهاية صاروا مجتمعا.

فى اليوم الذى قابل فيه (راضى) مدير المستشفى د.(نظمى) فى مكتبه ليسأله عن أهل لهذا الولد الغامض.. قرر د.(نظمى) أن يرسل بعض الأقزام لمراقبته ومعرفة مكان الولد!

جلس واحدا منهم فى المقعد الخلفى لسيارته.. فعرفوا عنوان شقة (جوجو).. راقبوها ودخلوها.. ثم عرفوا فيلته.. راقبوا (حنان) والطفلين..

وجدا الطفلين القزمين المكلفين بمراقبتهم.. والمفاجأة أن صداقة نشأت بينهما.. كانا هذين القزمين من النوع الذى تعود على المراقبة من داخل السيارة وسماع الراديو.. فتعودا على الهدوء وقضاء الوقت فى اللعب داخل السيارة.

لذا عندما تعرفا على الطفلين لعبا معهما كل الألعاب وخفف ذلك من حدة الغيرة بينهما. وتقاهما مع الطفلين بلغة الإشارة.. وطلبا منهما ألا يخبرا أحدا بوجودهما.. لكن الطفلين أطلقا عليهما اسم (الجنى).. كان شكلهما الصغير يذكرهما بشكل الجنى الصغير فى أحد أفلام الكارتون.. تعلما الطفلين منهما الصيحة الشهيرة:

. جا جا جا جا.

(90)

قال الأصل بثقة:

. لا أحتاج إلى مساعدتك.. معى رجال حراسات خاصة.. مدربين للتعامل مع أقوى العصافات.

ثم اتصل بهم.. لكن لم يتلق أى ردا منهم.. فشعر بالقلق الشديد.
. آلو.. آلو..

ثم بعد دقيقة.. سمع عبر الهاتف:
. جا جا جا جا.

xxx

كان الأصل غاضبا من تدهور الموقف فى آخر لحظة.. ثم استعاد هدوئه وقال:
. لا أحتاج إلى حراسة.. ولست قلقا من الأقزام.. إنهم يعرفونى جيدا.. أنا صديق رئيسهم..
إنهم كانوا يقدمون لى القهوة والمصير فى فيلته.. لن يحاولوا إيذاءى أبدا.
ضحك (راضى) وأراد يث الخوف داخل قلب الأصل:
. هذا إن فهموا أنك هو أنت.. وليس الرجل الذى اهتمم ألفيلا مع ست رجال وقتل رئيسهم.
بالتأكيد سيعر..

قطع جملته فجأة مع دوى رصاصة.. وسقط على الأرض وهو يصرخ من الألم.. لم يرى (راضى) شيئا فى هذا الظلام الحالك.. ضوء الهاتف المحمول على الأرض عند أقدامهم..
فتد سقط مع سقوط صاحبه.. أما (حنان) فراححت تصرخ فى الظلام.. قال لها:
. اهدهى يا (حنان)..

صرخت بذعر وهى تلتفت إليه فى الظلام قائلة:
.الأولاد.

قال لها محاولا بث الطمأنينة لها:
. اطمئنى.. سيكونوا بخير.. المهم أن نذك قيدنا أولا.
حاولا الاثنان فى الظلام فك قيودهما لكنهما لم يستطيعا..
ثم عادت الكهرباء..
رأى (راضى) أمامه قزم ينظر له مباشرة..
ويحمل سكيناً فى يده..

(91)

بأقصى سرعة ضرب (راضى) رأس القزم برأسه.. سقط القزم على الأرض فسقط (راضى) بمقعده فوقه وراح يضربه برأسه مرات عديدة.. ثم نام بالمقعد على يده المسكة بالسكين.. صرخ القزم من الألم.

ظل (راضى) يضغط على ذراعه بثقل جسده مع المقعد.. ثم حاول الوصول للسكين الذى كان معه.. مزق بها الحبال التى تقيده.. ثم حرر نفسه بصعوبة.. وبسرعة طعن القزم فى صدره طعنات كثيرة.

أشاحت (حنان) بوجهها بعيدا حتى لا ترى المشهد الدموى العنيف.. نهض (راضى) وتأكد أن القزم قد مات.. توقعت (حنان) أن يقوم بفك قيودها.. لكنه ذهب إلى الأصل وراح يفتش ملابسه ويفرغ جيوبه.. كان لا يزال حيا.. لكنه لا يستطيع المقاومة.
.. ما الذى فعله؟ فك قيدي بسرعة.

قالتها (حنان) بغضب لكن (راضى) لم يهتم بها.. وراح يكمل مهمته.. أمسك جواز السفر.. وألقى نظرة سريعة على صفحاته.. ثم تفحص البطاقة الشخصية والبطاقات المصرفية وجميع البطاقات الأخرى.. حافظة النقود بما تحوى.. هاتفه المحمول.. ثم المفاتيح..
أدخل (راضى) يده فى جيبه وأخرج مفاتيحه وقال:

.. لم أعد بحاجة لها.

وألقاها ناحية (حنان) .. وأخذ بدلا منها مفاتيح الأصل ووضعها فى جيبه.
قال الأصل وهو يتأوه من الألم:

.. لا تفعل.. لن تستطيع.. سيتم كشفك بسهولة.. سيقتلونك.. لا تسافر.. سأعوضك.
.. تعوضنى.. عن أى شىء بالضبط؟

وفجأة.. طلعنه (راضى) بالسكين الذى معه ودم القزم لم يجف منه بعد.. يبدو أن (راضى) ظن أن الرصاصة ليست كافية لقتله.. أو أن الرصاصة المجهولة لن تشفى غليله.. لا بد أن يطلعنه بنفسه لينتقم.. أردف:

. لقد نمت مع زوجتى.

وترك السكين فى صدره ونهض قائلاً:

. لن أمسح البصمات.. هى بصماتك فى النهاية.. سيظنوا أنك انتحرت.

قالت (حنان) متوسلة:

. فك وثاقي أرجوك..

أجاب بهدوء وهو يحمل حقيبة الأصل:

. من الأفضل لك ألا أفعل يا (حنان).. حتى لا تظن الشرطة أنك السبب فى كل ما حدث

هنا.. لكن لا تخبريهم طبعاً أن هناك اثنين من (راضى) زوجك.. حتى لا يظنوا بك الظنون.. أنا واثق أنك لن تبغى عن وجودى.

قالت بقلق:

. لا بد أن أطمئن على الأولاد.

اطمئنى.. الأقزام لن يؤذوهم.. إنهم لم يؤذوا (ميادة)!

قالت متعجبة:

. (ميادة) من؟

ثم تحركت بعصبية وهى تحاول التخلص من قيودها وأردفت:

. أرجوك.. خلصنى.. لا تتركنى هكذا.. سوف يقتلونى..

ثم استخدمت لهجة الاستعطاف وقالت:

. أنتخلى عن زوجتك؟

نظر لها متعجباً وقال:

. الآن (زوجتى).. يا للعجب.. ألم تقولى أنتى لست زوجك وأنتى المجرم السفاح؟

لم تستطع النطق فأردف:

. إن كنت لا ترغبين فى العيش معى.. فهناك من ينتظر قدومى..

ثم قال بلهجة سعادة منقطعة النظر:

. (شيرين) زوجتى.

صاحت به:

.إنها ليست زوجتك.

.إنها حبيبتي! ومن الآن زوجتي.

ثم أشار إلى الحقيبة والأشياء الأخرى التى يحملها وأردف:

.وبالمستندات.

لوح لها مودعا.. وخرج من باب الغرفة.. ثم أغلقه خلفه.

كانت (حنان) فى قمة غضبها.. ليس لأنه تركها مقيدة ولم يفك وثاقها فقط.. بل لأنه

ذاهب إلى غريمته.. منافستها القديمة.. (شيرين).. التى ظنت أنها ميتة منذ زمن.. هى لا

تعتبره زوجها فى النهاية.. لكن الغيرة الأنثوية لا تهتم بمثل هذه الأشياء!

.يا للرجال!

حاولت مجددا فك قيودها.. فلم تستطع.. بحثت حولها فى الغرفة عن أى شئ قد

يساعدها.. ثم تذكرت جثة الأصل والسكين.. (لا يوجد حل آخر) قالتها لنفسها ثم أسقطت

مقعدها على جثة القزم لتخفف صدمة السقوط.. ثم راحت تزحف إلى جثة الأصل.. حاولت

بصعوبة أن تقترب منه.. سمعت تأوهاتة فقالت ميتة:

.أنت حى!

سعل بقوة.. قالت له:

.أرجوك ساعدنى.

اقتربت منه.. فاستجمع قوته ليفك قيدها.. عندما انتهى قال لها:

.أرجوك.. انقلبنى للمستشفى.

نهضت وهى تعدل ملايسها:

.حاضر.. لكن سأطمئن على أولادى أولا.

أمسك ساقها وقال:

.أرجوك.. أنا سأموت.

.وأولادى.. لا بد أن أنقذهم.

.لا تقلقى عليهم.. سيكونوا بخير.. لن يؤذوهم.

حاولت تخلص ساقها من قبضته قائلة:

.دع ساقى.. سأطمئن عليهم وأعود لك بسرعة.

.انقذينى وسأعوضك عن كل شئ.. سأعطيك كل ما تحتاجيه من مال.

تملصت منه وحررت ساقها أخيرا وقالت:

. لا يهمنى المال.. أطفالى أهم.
ابتسم لها بوهن وحاول إقناعها:
. سنتزوج ونتجب أطفال.. أطفال كثيرين.
. أنا لا أستطيع إنجاب غيرهم.. لا أستطيع الإنجاب على الإطلاق.
وخرجت من الغرفة.. لكنها تذكرت شيئاً رأت أنه من الضروري أن تقوله.. فربما لا تراه
مرة أخرى:
. لو أراد الله لك النجاة وعشت.. لن أتزوجك أبدا.. أنت أحقر ما رأيت فى حياتى.

دخلت (حنان) غرفة الأطفال.. فوجدت الطفلين هناك.. حمدت الله أنهما بخير.. جلست
بجوارهما لتحميمهما من أى خطر.. لمحت أحد الأقزام يسير ببطء فى الصالة.. قال أحد
طفليها:

. إنه صديقنا.. الجنى.

. لا تتكلم يا حبيبى.. حتى لا يسمعك.

قال الطفل الآخر:

. لا تخافى منه يا ماما.. لن يؤذينا.

خمنت أن القزم سمع صوتهم.. لأنه نظر ناحية الغرفة التى هم بها.

(92)

شعرت (حنان) بالرعب الشديد عندما لمحت القزم ينظر ناحية الغرفة.. كان رجلا عجوزا قصير في طول الأطفال.. يشبه الذى قتله (راضى) منذ قليل.. كأنه نسخة أخرى منه بالضبط.

ثم انقطعت الكهرباء مجددا.

صاح أحد طفليها:

.ماما.

كتمت أفواه ولديها حتى لا ينطلقا بأى حرف فى الظلام فيعرف الأقزام مكانهم..
" جا جا جا جا "

سمعت الصيحة بجوارها داخل الغرفة.. كتمت صرختها وحافظت على عدم صدور أى صوت من ولديها لتضمن السلامة لهم.. سمعت خطوات القزم تقترب منهم داخل الغرفة.
. جا جا جا جا .

كتمت أنفاسها حتى لا يشعر بها..

ثم سمعت نفس الصيحة من خارج الغرفة.. هناك قزم آخر يريد أن ينضم لصديقه.
. جا جا جا جا .

تذكرت ما قاله (راضى) بأن الأقزام قتلوا (جوجو) وقتلوا الرجال الأشداء.. فازداد رعبها.. ثم سمعت خطوات القزم الآخر يدخل الغرفة.
. جا جا جا جا .

صيحات كثيرة بنفس الصوت ونفس الطريقة.. إنهم كثير.. ومن خلال الضوء الخافت المتسلل من النافذة تستطيع رؤيتهم.. كانت فى أقصى درجات الرعب وهى تراقب دخولهم

الغرفة..

شعرت أن الكابوس الذى رأته فى منامها يشبه ما يحدث الآن أمامها..

الغرفة تزدهم بهم..

مر كثير من الوقت قبل أن يخرج أول واحد منهم.. ثم تبعه آخر..

وظلوا يخرجون واحدا تلو الآخر..

لم تعلم (حنان) إن كانوا قد خرجوا جميعهم أم لا.. ثم فجأة سمعت حركة بجوارها..

. جا جا جا.

لازال هناك أحدا منهم بالغرفة!

شعرت أنه يجلس بجوارها تقريبا.. تسمع صوت أنفاسه الرتيب.. حافظت على ثباتها

وهدوء أعصابها حتى لا يشعر بها.. كتمت أنفاسها لأكبر وقت ممكن.. ضغطت أكثر على أفواه

ولديها حتى لا يشعر القزم بوجودهما..

ثم..

نهض القزم أخيرا.

تفتست الصعداء وهى تراه يغادر الغرفة بسيره البطيء المستفز..

لم تكن متأكدة إن كانت الغرفة خالية منهم أم لا.. لذا ظلت على نفس وضعها حتى عادت

الكهرباء..

سطع النور فجأة.. استغرقت بعض الوقت حتى اعتادت عينيها النور.. نظرت حولها لتتأكد

أن الغرفة خالية من أى أقزام.. لا يوجد أحد سواها هى وأطفالها.

ثم أزال يدها من على أفواه ولديها.. وراحت تطمئن عليهما:

. (وحيد) .. (أنس) ..

لم يرد أحدهما..

ربما ناما.. احتمال جال بخاطرهما.

هزتها بعنف.. لم يرد..

والذى أثار رعبها أكثر أنهما لم يتحركا..

راحت تهزهما بعنف وهى تبكى بحرقة شديدة:

. (وحيد) .. (أنس) .. ردًا على أمكما.

وأدركت الحقيقة المفزعة.

(93)

تحسست (حنان) ذراع كل واحد من الطفلين ثم استمعت لنبض كل قلب منهما.. لا جدوى..
لا أمل.. حاولت إنعاشهما.. لا فائدة.. عقلها لا يستطيع استيعاب الحقيقة المفزعة.. لقد ماتا..
والذى يثير حزنها وغضبها أكثر أنها السبب.

لم يستطيعا التنفس بسبب يديها المحكمة على أنفيهما وأفواههما.. لقد خافت على ولديها
فماتا من حرصها الزائد.. كتمت أنفاسهما.

تمنت لو استطاعت بتر يديها قبل هذه الساعة حتى لا تتسبب فى قتل ولديها.. كانت تلتطم
خديها وتضرب الأرض بقبضتها وتبكي.. تبكى بمرارة شديدة على سوء تصرفها.. أين كان
عقلها عندما فعلت ذلك؟

تصرخ بأقصى قوة تحتملها حنجرتها حتى جذبت انتباه أحد الأقزام الذى كان يمر بجوار
الغرفة فى تلك اللحظة.. دخل القزم بهدوء شديد حتى لا يثير ذعرها.. رافعا يده فى استسلام
ليظهر لها حسن النوايا..

.. جا جا جا جا.

وكانها ستفهم ما يقوله.. ثم اقترب من الولدين وراح يداعبهما.. ثم انتبه للحقيقة المؤلمة..
فراح يتحسس نبضهما.. ويستمع إلى قلبيهما.. ثم انفجر أمامها فى البكاء.. مرّ قزم آخر من
أمام الغرفة.. فقال الأول:

.. جا جا جا جا.

وأشار بإشارات معينة ناحية الولدين.. لم يصدق القزم الآخر ما سمعه وقال له:

.. جا جا جا جا.

وراح ناحية الولدين وبكى.

كان بكائهما يثير أعصاب (حنان) .. نهضت قائلة:
.. كفى.

خرجاً من الغرفة مذعورين وهما يبكيان.. عادت إلى طفليهما.. تهزهما.. ربما كانت
مخطئة.. ربما.. لكن لا استجابة من أى منهما.. لقد فارقا الحياة.. وضعتهما على حجرها
وراحت تبكى بدموع الندم وراحت تكرر:
.. أنا السيب.. أنا السيب.

لقد فقدت الولدين فى وقت واحد! كان لديها واحد ثم صار اثنين.. ثم فقدت الاثنين!

خرج (راضى) من الفيلا.. لمح الحراس الثلاث المقتولين.. الذين عيّنهم الأصل ليمنعوهم
من مغادرة الفيلا.. الأفرام قتلوهم شر قتلة.. الدم يملأ حديقة الفيلا.
مرّ فوق الجثث بهدوء.. وأكمل سيره.. تأكد أن جواز السفر وحافظة النقود والهاتف لا
يزالوا فى جيبه.. حاملا المفاتيح بيده اليمنى.. والحقيبة بيده اليسرى.
عقله مشغول بالحياة التى سيعيشها هناك.. فى أمريكا.. حياة مختلفة تماماً عن حياته
هنا.. كان منذ أيام يعيش منبوذاً طريداً.. بعد أيام سيعيش مليونيراً مشهوراً.. ومع حبيبة
عمره.. الحب القديم.. الذى لا يموت أبداً مهما حاولنا نسيانه.
.. أنا قادم إليك يا (شيرين) .. لا أستطيع الانتظار.
فى تلك اللحظة كان يتخيل كيف ستقابه.. كيف سيكون حضنها الدافئ.. عندما فوجئ
بهجوم عنيف عليه من الخلف أسقطه أرضاً.

ومن مكانه على الأرض التفت إلى المعتدى.. كانت المرأة المجنونة التى هربت من فيلا
د. (نظمى).. كان يراها لأول مرة فى حياته القصيرة التى بدأت من المستشفى.. (الأول) هو
الذى اقتحم الفيلا مع الرجال ورآها هناك.. ليس هو.
نظر نحوها مندهشاً وقال:
.. ما هذا؟

كانت ثيابها متسخة ممزقة.. شعرها منكوش لم يمسه مشط منذ سنوات.. يخفى معظم
وجهها الذى تحوم حوله كتيبة من الذباب.. تفوح منها رائحة كريهة مداها ٣٠٠ متر.. فوجئ
بها تقول بكل غضب الدنيا:
.. (راضى) .. (راضى).

(94)

مر الوقت و(حنان) جالسة تبكى وهى تحتضن جثتى طفلها.. ثم فجأة نهضت من مكانها واتجهت لغرفة المكتب.. راحت تبحث عن المفاتيح التى ألقاها (الثانى) على الأرض.. وعندما وجدتھا مسحت دموعھا بيديھا بسرعة وابتسمت ابتسامة خفيفة.. حملت جثتى طفلها ووضعتھا فى سيارتها.. أدارت السيارة بمفتاحھا ثم انطلقت إلى المستشفى.. وجدت كرسي متحرك خاليا فى الاستقبال فأخذته إلى السيارة.. وضعت الطفلين عليه ثم سارت بالمقعد.. إذا سألھا أحد ستقول أنھما نائمين.

سارت بهدوء دون أن تثير أى ضجة.. انتهزت فرصة انشغال موظف الاستقبال بالحديث مع بعض الناس.. ومرت سريعا من أمامه.. سمعته يقول:

المدير غائب منذ أيام.. لا نعرف أين هو.. زوجته نفسها لا تعرف أين هو.

دخلت المصعد ووضعت المقعد المتحرك به.. ثم اتجهت إلى غرفة ١٥٤.. أخرجت سلسلة مفاتيح زوجها.. خمنت مفتاح الغرفة.. كان شكله يختلف عن باقى المفاتيح التى اعتادت رؤيتها.

دخلت الغرفة ووضعت الجثتين فوق السرير بكل رفق وحنان.. قبّلتھما من جباهھما.. وراحت تجلس بعيدا فى ركن الغرفة.. تنتظر حدوث المعجزة.

استيقظت فى اليوم التالى.. كانت الشمس قد أشرقت وأضاءت بنورها الغرفة كلها.. نهضت من مكانھا.. كانت تشعر بالآلام رهيبية بسبب نومھا الغير مريح على بلاط الغرفة.. نظرت إلى الطفلين وقالت مبتسمة:

.. سأدفنكما.. لكن سأأت هنا مرة أخرى لأستعيدكما.

وضعتھما فى المقعد المتحرك بجوار بعضھما.. كانت أجسادھما بدأت مرحلة التخشب..

حاولت ربطهما حتى لا ينزلقان.. وقررت أن تخرج من باب المستشفى الخلفى.. حتى لا يلحقها أحد.. ويستفسر عن جثى الطفلين.. بحث عن سيارتها أمام المستشفى.. لم تجدها.

نظرت حولها.. ثم اكتشفت مكانها.. حمدت الله.. كان الوضع سيكون سيئا لو استقلت سيارة أجرة ومعها طفلين ميتين.. السائق لم يكن ليرحمها من أسئلته الفضولية.. وهى تريد أن تدفنه فى هدوء حتى لا يعلم أحد بموتهما لتنفذ خطتها.

لابد أن الونش هو الذى نقل سيارتها إلى هذا المكان.. ربما لا يريدون سيارات أمام بوابة المستشفى مباشرة.. السيارة لم تكن بعيدة.. اتجهت لها بالمقعد المتحرك.. نظرت حولها لتتأكد أن أحدا لا يلاحظها.. نقلت الطفلين إلى المقعد الخلفى.. وأغلقت الباب بسرعة. وتركت المقعد المتحرك أمام المستشفى.. سيأتى أحدا ويستعمله.

لن تحتاج المقعد المتحرك فى رحلة العودة لأنهما سيسيران على أرجلهم! ركبت سيارتها.. كانت تريد أن ترحل بسرعة من المكان قبل أن يسألها أحدا أى سؤال ويلاحظ الجثث الجالسة على المقعد الخلفى.

وجدت مقعدها مليء بالتراب.. كأن عاصفة ترابية هبت ليلة أمس.. أو أن عمال نظافة المستشفى كنسوا بجوار سيارتها منذ قليل.. نفضت مكانها بسرعة وجلست خلف عجلة القيادة.. اتجهت بسيارتها إلى الصحراء.. تريد مكانا بعيدا عن أعين الناس..

مرت بمحل لأدوات البناء والحفر.. لكنها وجدته مغلقا.. وكان على الباب لافتة (مغلق للصلاة).. اختارت بقعة مناسبة فى الصحراء.. بالقرب من الطريق.. وهناك أشجار.. ستوفر لها الظل أثناء الحفر والدفن.. وتصلح ساترا لها حتى لا يلحقها أحد. أوقفت سيارتها بجوار الشجرة.. شعرت أنها محظوظة عندما وجدت مجرفة هناك فى انتظارها.

. يبدو أن اليوم يوم سعدى.

رأت صخرة مستطيلة.. قالت لنفسها:

. تصلح أن تكون كشاهد قبر.. سأسجل عليها أسمائكما يا أحبائى.

اتجهت إلى السيارة وحملت الطفلين ووضعتهم بجوار الصخرة.. نظرت لهما وبكيت ثم ضحكت.. انفعالات مختلطة تجتاحها.. لقد فقدت ابنيها وهى نفس الوقت سوف تستعيدهما. ستدفنهما بنفسها.. حتى لا يعلم أحد أنهما قد ماتا.. حتى لا يكون ظهورهما مجددا مثيرا للفضول!

دبت (حنان) شفرة المجرفة فى الأرض وراحت تحفر وتحفر..

ثم ظهر شيئاً عجيباً أمامها فجأة..
قطعة قماش من باطن الأرض..
تعجبت من لونها لسبب غامض أثار ذعرها..
أكملت الحفر بيديها..
وجدت أغرب شيء يمكن أن تجده..
وكانت المفاجأة الصادمة التي لم تتوقعها قط..
واقشعر جسدها كله وسقطت أرضاً من هول المفاجأة!

(95)

وجدت (حنان) الجثتين مدفونتين!
كاد شعرها الأسود أن يشيب كله فى تلك اللحظة الرهيبة وتلك المفاجأة الصادمة.. قالت
بذهول:

.. ما هذا؟ كيف؟

نظرت فى ساعتها.. كانت الواحدة ظهرا.

وفهمت كل شىء..

إنها ليست هى..

إنها أخرى..

الأولى قد جاءت هنا من قبل.. عندما استيقظت فى الصباح.. حملت الطفلين فى سيارتها..
اشترت المجرفة من المحل فى طريقها (المحل مغلق الآن لصلاة الظهر).. اختارت مثلها هذه
البقعة لتدفن طفلها (بجوار الطريق والشجرة مناسبة لتوفير الظلال وساتر جيد).. ثم
ركبت السيارة عائدة بشبابها المتربة.. (لذا وجدت تراب على المقعد).. وركنتها فى مكان آخر
(لذا لم تجدها فى نفس المكان).. ثم صعدت إلى الغرفة من الباب الأمامى (أما هى فخرجت
من الباب الخلفى).. لذا لم ترها.

ربما هى الآن فى الغرفة تنتظر ظهور النسختين.. معتقدة أنهما سيكونا على قيد الحياة..
لا تتصور أنها قد نسخت نفسها مع الطفلين الميتين.. وأن النسخة تقف الآن فى الصحراء من
أجل دفن الطفلين ثم تكتشف وجود الجثتين المدفونتين.

جثتى الطفلين الأصليتين..

نظرت حولها فى ذهول.. لا تصدق ما حدث.. إن أمامها أربع جثث.

لقد نسخت الغرفة ما كان على السرير سواء كان حيا أو ميتا.. تنسخه على حالته.. ونسختها أيضا وهذا يعنى أن السر ليس فى السرير فقط أو البقعة التى يحتلها السرير.. بل البقعة التى تحتلها الغرفة كاملة.

نظرت إلى الصخرة التى فكرت أن تكتب عليها.. ثم قررت أن تتفحصها.. وكان تخمينها صحيحا.. لقد كتبت الأصلية عليها.. استعملتها كشاهد قبر.

هذا لأن (حنان) الأولى تفكر بنفس طريقة تفكيرها.

كانا الاسمين يزينان الصخرة.. اسمى طفليها.. (وحيد راضى) و(أنس راضى) سقطت على الأرض وبكت بحرارة شديدة وهى تقرأ اسمى ولديها.. راحت تتحسس الاسمين بأصابعها وسط بكائها الذى يزداد.

زال الأمل مرة أخرى.. وللابد.

لن ترى ولديها أبدا.. ولن ترى لها أولاد أبدا..

وصار لديها أربع جثث عليها دفتها..

وهناك (حنان) أخرى مثلها بالضبط..

ماذا تفعل الآن؟

هل تعيش مع الأصلية؟ أم أن الأصلية لن تطيق وجودها كما حدث مع زوجها ونسخته؟ أم تنتحر وتترك الدنيا للأصلية؟ العالم قد لا يتسع لاثنتين من الفرد نفسه! أم تبتعد وتعيش كالمنبوذة كما فعل النسخة؟

ثم سمعت رنة هاتفها المحمول..

لن تفتحه..

لكنها سمعت صوت محدثها..

هى متأكدة أنها لم تفتح المكالمة..

فهمت الآن أن الأولى لديها نفس الهاتف بنفس الرقم وأنها قبلت المكالمة..

وضعت الهاتف على أذنها فسمعت صوت نفسها..

.آلو..

.آلو.. (حنان) ..

لم تتطرق بكلمة وراحت تسمع المحادثة الهاتفية فى صمت..

.أهلا.. كيف حالك؟

.بخير.. يا كاذبة!

لماذا تقولين هذا يا أختي العزيزة؟

لقد ذهبت منذ أيام إلى المستشفى التي حكيت لي عنها.. ابني كان يعاني من الزائدة
الدودية فأجرى العملية هناك.. ولم أتلق اتصال منهم حتى الآن بأن هناك ابن آخر لي
عندهم.. لقد كذبت عليّ في قصة ابنك (أنس)..
أخبريني الحقيقة من فضلك..
أريد أن أعرف من أين أتى هذا الولد!

(تمت بحمد الله)

شكر خاص لكل من:

أحمد عبد المجيد	د. محمد الدسوقي	د. أحمد السعيد مراد
شيماء محمود	عبد الرحمن جاويش	د. هاني حجاج
محمد عبد الرحمن	حسن الحلبي	د. تامر إبراهيم
محمد سلامه	د. نهى أشرف	إيهاب عمر
رامي مصطفى	ريهام جويل	محمد سامي
تيمور جمعه	علياء طلعت	ياسر حمادة
مصطفى الباجوري	هبة بدر	محمد إبراهيم محروس
خالد اليهنساوي	شروق طلبه	د. رامي عبد الباقي
هشام عماد	محمد صادق	د. حسين السيد

شكرا لوجودكم في حياتي.. ربنا ما يحرمنا منكم أبدا وما يحرمكم مني:)

<fb.com/Sa7er.Elkotob/>

من أين أتى هذا الولد؟

عاد (راضي) وزوجته (حنان) من المستشفى بصدية بينهما (وصيد) ذوا الخمس أعوام. الذي أجرى عملية الولادة اليهودية. وبما كانا يطمئنان عليه في سرير داخل غرفته بمنزلهم الهادئ. أتاهم اتصال سبعتي حياتهم رأساً على عقب.

كان الاتصال من نفس المستشفى. طلبون منهم الحضور لاستلام ابنتهم. ومن أجل التعاف بتصانيفهم الأم كرز بدهم. الأمر إلى المستشفى لن يؤخذ. ثم تؤكد لهم أنها قد استلمت ابنتها بالفعل. لتكسب المفاجأة الكساحية.

ابنتها هناك.

ولم يغادر المستشفى بعداً

محمد رضا عبد الله. كاتب مصري مواليد ١٩٨١ تخرج من جامعة المنصورة. بدأ حياته الأدبية بكتابة سلسلة (أوليت خاضة) التي تحول أحيائها في أحواء الطيب العفسي بطلها (ياسين العوضي). تاليت السلسلة إعجاب القراء في حينه. أثناء الوطن العربي. ألبعها الكاتب سلسلة أخرى تحمل اسم (الصرخة). تحول أحداثها في أحواء تلميذ بالشويق والأناقة.



في عام ٢٠١٤ صدرت له رواية طويلة تحمل اسم (منطق الجرائم) وقد لاقيت نجاحاً جماهيرياً ملحوظاً. بالإضافة إلى مجموعة قصصية أثارت ضجة. فور صدورها بسبب عنوانها الغريب (كيف تقتل زوجك دون أن تجرح مشاعرها). وقد سارع القراء لاقتنائها. النساء قبل الرجال.

اليوم نقدم لك عزيزي القارئ رواية الطويلة الثانية (من أين أتى هذا الولد؟) حيا أسرة صغيرة. أب وأم وطفل وحيد. يكشفون أية ليسن وحيداً عن الإطلاق.

